«درة نادرة»

للاستراباذى

ترجمة ودراسة

حاتم محمد رشاد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

الغلاف والاخراج الفنى :

اميمـة عـلى احمـد

● تقـــديم ●

لم يهتم كثير من المؤخين الايرانيين بالحـديث عن « نادر شـــاه » لسببين أساسيين : أحدهمـا أنـه لم يكن ايرانيا ، بل كان تركمانيـا ، وثانيهما أنه فرض المذهب السنى على الايرانيين بهدف القضاء على أسباب الخلاف بين ايران والدولة العثمانية ٠

وقد نال من المستشرقين عناية خاصة ، لما وجدوه فيه من شخصية جديرة بالدراسة أثرت فى تاريخ أمتها ، دون النظر الى أصله ٠

ذلك أن نادر شاه استطاع بجلوســه على عرش ايران أن يحـول هزائمها الى انتصارات ، وتمكن من استعادة اصفهان من أيدى الأفغان ، وأوقف العثمانيين والروس عند حدودهم ٠

ومن هنا ترجع أهميــة ترجمة « درة نادرة » ، التى قام بتأليفها « ميرزا مهدى خان » ، والتى سلك فى كتابتها منهجـه الاسلامى فى سرد الأحداث ، مستشهدا فى كل موقف بماينا‌سبه من آيات القرآن الكريم ٠

وربما كان مما يؤخذ على « مهدى خان » أنه أخـذ يكيل الثناء على « نادر شاه » فى المرحلة الأولى من عمله ، والتى كان فيها « نادر شاه » على قيد الحياة ، ثم انقلب عليه فى الجزء الثانى بعد مصرعه فتحول من المديح الى الهجاء ٠

وتعد هذه الدراسة اضافـة جديـدة الى المكتبـة العربية ، وجهدا مشكورا لصاحبها ٠

د٠ عبد العزيز بقوش
أستاذ اللغة الفارسية بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

• المقـــدمة •

لقد كانت « ايران » ومازالت موضعـا لأحداث تاريخية وسياسية أثرت على مجرى الأحداث فى أرضها وفى المنطقة المحيطة بها ، ولعـل من الفترات التاريخية الهامة التى كانت بمثابة نقطة تحول خطيرة فى تاريخ « ايران » فترة حكم (نادر شاه) — رغم قصرها — ، ذلك الملك الأفشارى التركمانى الذى تمكن بما لديه من شجاعة واقدام ومقدرة عسكرية فذة أن ينقذ « ايران » من الضـياع ، حيث انه ظهر فى فترة من أحرج فترات تاريخها ، فقد كانت الدولة الصفوية تغالب سكرات الموت فى عهد الشاه (سلطان حسين) — الذى قتل على يد الأفغان — ولم يتمكن ابنـه الشاه (طهما سب الثانى) حماية العاصمة « أصفهان » من اعتداءات الأفغـان ، ففر تاركا اياها للعناية الآلهية التى تمثلت فى (نادر قـلى) الذى أحسن استغلال الفرصة التى سنحت له فى تحقيق طموحاته ، والجلوس على عرش « ايران » ، فاذا به يحول هزائمها الى انتصارات ، ويستعيد « أصفهان » من أيدى « الأفغان » ، واوقف « العثمانيين » و « الروس » عند حدودهم ، لهذا كله كان جديرا بالجلوس على عرش « ايران » ، ولم يكتف باستعادة أرضيها المسلوبة بل انـه تطلع الى خارج الحدود ووصل الى « الهنـد » بما فيها من كنوز ونفائس وأموال طائلة ، كل هذا يحسب لـ (نادر شاه)، أما ما يحسب عليه معاملته الوحشية لابنه (رضا قلى ميرزا) الذى سمل عينيه لقتله الشاه (طهما سب الثانى) ، كما أنه استعاد جميع الغنائم التى كان قد وزعها على جنوده بعد العودة من « الهند » كما أنه أعاد فرض الضرائب التى كان قد ألغاهـا ، أما السبب الرئيسى فى التعجيل بمقتله فيرجع الى تحويل الايرانيين عن المذهب الشيعى ، وجعل المذهب السنى هو المذهب الرسمى لـ « ايران » ، كل هذا جعل قواد (نادر شاه) ومعهم (على قلى خان) ابن أخيه (ابراهيم خان) يتآمرون ضده ويقتلونه .

هذه نبذة سريعة عن (نادر شاه) موضوع « درة نادرة » ، وهو بحق موضوع خليق بالدراسة والبحث وذلك لاعتبارين هامين :

١ ـ ان المصادر التى كتبت عن (نادر شاه) قليلة نسبيا ، كما أن القليل من المؤرخين الايرانيين هم الذين اعتنوا بذكره . ولعل المستشرقين كانوا أكثر اهتماما به وبتحليل شخصيته وذكر أعماله ، والسبب فى ذلك أن (نادر شاه) ليس ايرانى الاصل بل هو تركمانى ، وقد استلفت (نادر شاه) أنظار المستشرقين لما وجدوه فيه من شخصية جديرة بالدراسة ، ولما له من دور مؤثر فى تاريخ أمة دون النظر الى أصله .

٢ ـ أن (نادر شاه) أراد أن يفرض المذهب السنى على حساب المذهب الشيعى ، واذا نظرنا الى هذا الأمر سنجد أن (نادر شاه) لم يفعل هذا من منطلق ايمانى أو مذهبى ولكن بغية أن يمحو أى ذكرى للصفويين الشيعة ، كما أنه أراد تسوية الخلاف مع الدولة العثمانية السنية .

أما بالنسبة للمنهج الذى تم على أساسه ترتيب هذا الكتاب فهو كالتالى : تم تقسيم الكتاب الى قسمين :

القسم الأول : يتناول فى الفصل الأول الحديث عن (نادر شاه) من حيث حياته وأعماله ، وطفولته ، وكيفية ظهوره وتتويجه ، وخصاله ، وموقفه من المذهب الشيعى ، ومقتله وحملته على الهند ، ومعركة كرنال .

الفصل الثانى فيتناول الحديث عن ميرزا مهدى خان مؤلف درة نادرة من حيث حياته وانتاجه ، وتخلصه بـ « كوكب » ، وكونه رائدا للتأريخ الاسلامى .

الفصل الثالث فهو يتناول درة نادرة دراسة نقدية تحليلية وذلك بعمل دراسة حول درة نادرة ، والحديث عن أهمية درة نادرة ، وعقد مقارنة بينها وبين النصوص الأدبية السابقة عليها ، والتعريف بخصائص النثر فى العصر الأفشارى ، ويختتم هذا الفصل بملاحظات على النثر الذى كتب به « درة نادرة » .

القسم الثانى : كان عبارة عن ترجمة أمينة لمتن « درة نادرة » دون تصرف ، وذلك محاولة لنقل ما كتبه (مهدى خان) بأسلوبه الفنى المتميز ، ودون اخلال بروح النص الفارسى .

وبغية تحقيق هذا الهدف لم يقتصر المؤلف على الاستعانة بالقواميس العربية والفارسية ، بل لجأ الى الاستعانة بكم كبير من المراجع العربية والفارسية فى مختلف العلوم والفنون والآداب (طبية ــ زراعية ــ تاريخية ــ جغرافية ــ فلكية ــ موسيقية ــ تراجم ٠٠٠ الخ) وذلك للتعريف بما ورد بـ « درة نادرة » من أعشاب طبية وطيور وكواكب ونجوم وآلات موسيقية ونغماتها وأشهر المطربين الايرانيين وكذلك أبطال ايران الأسطوريين وشعراء وأدباء العرب والفرس ، وأيضا التعريف بالأماكن والقلاع والجبال والأنهار وأشهر القبائل الايرانية ٠

وحتى تكتمل الصورة ألحقت فهارس عديدة بالترجمة ، وأول هذه الفهارس للآيات القرآنية التى وردت بـ « درة نادرة » وكذلك الأحاديث النبوية والقدسية ، ويليها فهرس للأمثال المذكورة بـ « درة نادرة » مرتبة ترتيبا هيجائيا ، وفهرس ثالث لأسماء الأشخاص والقبائل ، وفهرس أخير بالأماكن والولايات والأنهار والجبال والقلاع التى قد ذكرها (مهدى خان) فى « درة نادرة » ٠

القســم الأول

الفصــل الأول

نادر شــاه
حيــاته وأعمــاله

ـ ١ ـ

أصـــله ونســـبه

اختلف المؤرخون فيما يتصل بأصل نادر شاه ونسبه وكيفية ظهوره، وتضاربت أقوال معاصريه ، ويمكن قبول أقوال (ميرزا مهدى خن) كاتب (نادر شاه) ومؤلف « درة نادرة » و « جهانكشاى نادرى » بأطمئنان أكثر، ذلك أنه قد قال بصدد أصل (نادر شاه) (تلك الحضرة يعنى (نادر شاه) من شعبة قرقلو الافشارية التركمانيــة ، كانت « التركستان » مسكنهم القديم عندما استولى « المغول » عليها ، فرحلوا عنها ، واختاروا الاقامة فى « آذربايجان » ، وبعد ظهور الفــاتح العظيم (الشاه اسماعيل الصفوى) أنار الله برهانه ، رحلوا الى « تقريبات » من توابع « مياب كوبكان » من محال « أبيورد خراسان » شمال « مشهد طوس » المقدسة .

ويعتقد (لوكهارت) أن الأفشار قد رحلوا من وسط آسيا نتيجة للغزو المغولى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ثم أقاموا أولا فى «آذربايجان» ثم انتشروا فى أنحاء بلاد فارس ، وتمكن الشاه (اسماعيل الأول) من تكوين جيش جرار من الأفشار والقبائل التركمانية الأخرى (١) ، كما كان أحد قواد (الشاه طهما سب الأول) (خليل بيك أفشار) ، الذى كان قائـدا لعشرة آلاف جنـدى من قبيلته ، كمـا أنـه كان حاكما لمقاطعـة « كوه كيلويه » .

ويتحدث (لوكهارت) عن أصل (نادر شاه) فيقول :

(ينتمى (نادر شاه) الى شـعبة « قـرقلو » المنبثقة عن القبيـلة الأفشارية ، نزحوا الى « خراسان » فى عهـد الشاه (اسماعيل الأول) (١٥٠٢ ـ ١٥٢٤ م) ، وأقاموا فى « مياب كوبكان » التى تقـع جنوب مرتفعات « الله أكبر ») .

---

(١) جمع الشاه اسماعيل القبائل التركمانية (روملو ـ شاملو ـ استاجلو ـ تكه لو ـ ذو القدر ـ أفشار ـ قاجار ـ ورساق ـ صوفية قراباغ) وكون منها قبائل القزلباش بد: احمد الخولى ، الدولة الصفوية ، تاريخها السياسى والاجتماعى وعلاقتها بالعثمانيين ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ القاهرة ١٩٨١م .

أما اذا تحدثنا عن مولد (نادر قلي) فنجد (ميرزا مهدى خان) يحدده بيوم الجمعة (٢٨ محرم ١١٠٠ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٦٨٨ م) . ويتفق كل من (فلاديمير مينورسكي) و (بيرسي سايكس) أن ميلاده كان فى خيمة بجوار قلعة « درة جز » ، أسماه والده باسم جده (نذر قلى) ، نشأ فى أسرة فقيرة ، وقد أورد (صنعتي زاده الكرمانى) رأيا يوضح أصل (نذر قلى) فقال :

(بين مئات الخيام الأفشارية ، كانت هناك خيمة متواضعة لأسرة (امام قـلى بيك) ، الذى كان يعـانى من شظف العيش وقسوة الحياة ، وكانت ثروته عبارة عن بضع خراف وبقرة ، وكانوا جميعا يقيمون فى خيمة واحـــدة) .

كما نجد (ميرزا مهدى خان) عندما يتحدث عن عن أصل (نادر قلى) يورد هذه العبارات التى لا تعيب تواضع أصله :

(ان فخر السيف البتار بأصل مالكه ، ليس بمعدن الحديد ، وان مباهاة الجوهر النفيس برونقه ولونه الذاتى ، ليس بصلابة المعدن) .

وهذه الآراء السالفة الذكر تختلف عما أورده (جيمس فريزر) ، وهو من معاصرى (نادر شاه) ، حيث قال (ان والد (نادر شاه) لم يكن فقط رئيسا لطائفة الأفشار ، بل أنه كان حاكم « كلات ») (٢) .

وهكذا نجد أنفسنا أمام رأيين مختلفين بشأن (نادر شاه) وأصله ، وهناك رأى يرجح رأى (ميرزا مهدى خان) و (لوكهارت) ، وهو الرأى الذى أورده الدكتور (رضا زاده شفق) (من خواص أحوال (نادر شاه) التى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ، أنه رغم انتسابه للطبقة الدنيا ، وحرمانه من التعليم والتربية الصحيحة ، الا أنه حكيم ورجل عسكرى من الطـراز الأول) . كما أن (لوكهارت) يؤكد كلامه عن أصل (نادر شاه) قائلا :

عندما انضم (نادر قلى) الى ركاب (الشاه طهما سب) الثانى ، كان فى عنفوان شبابه ، وما أن مضى سبعة وثلاثون عاما من عمره ، الا وكان قد اكتسب شهرة واسعة ، بالرغم من أصله ونسبه المتواضعين) . كما قال فى موضع آخر (يعرف القليل أن (امام قلى بيك) ــ على غير الحقيقة ــ

---

(٢) Frasr, James. The history of Nadir Shah, P. 72, 2nd, London, 1742.

فقير لا يشغل أى منصب هــام ، وأنه كان يعمل بالرعى والزراعة ورعى الجمال) (٣) .

وهكذا يبدو لنا شبه اجماع على أن « نادر قلى » ولد نشأ فى بيئة متواضعة ، على الرغم من اختلاف (جيمس فريزر) ـ الذى زار « ايران » عام ١٧٤٠ م ـ معهم فى الرأى ، الا أنه من الواضح من خلال الأحداث التى مرت ب (نادر قلى)) ، وما تكبده من مصاعب فى صباه، حتى انه عندما صار شابا التحق بخدمة (بابا على) حاكم « أبيورد » وتدرج فى المناصب حتى صار رئيسا لحرسه وتزوج ابنته ، وكان هذا كله من أجل تحقيق طموحاته التى وضعها نصب عينه ، ونجح فى تحقيقها ، وجلس على عرش « ايران » .

---

(٣) Loeckhart, L. Nadir Shah, p. 20.

ـ ٢ ـ

طفولة نادر شاه

دأب بعض المؤرخين على نسج الخرافات والأساطير حول حياة (نادر شاه) ، فمنهم دؤلف « عالم اراى نادرى » الذى مزج سني عمر نادر الأولى بقصص جميلة ، ونسب اليه البطولة وعظمة النفس حيث قال (فى سن العاشرة كان (نادر) يخرج لصيد الأسود والنمور والخنازير البرية ، كما أنه كان يتزعم الأطفال الذين يلعبون معه ، وكانوا يلقبونه بالملك كما انه كان يفض المشاجرات التى كانت تنشب بين أصدقائه ، وعندما يتصارع اثنان فانه كان يخلع على الفائز ملابسه وقلنسوتـه وكثيرا ما كن يعود للمنزل عاريا) .

وهكذا نجد (نادر) منذ نعومة أظافره يتصرف بين أصدقائـه كما لو كان ملكا متوجا ، يخلع الخلع على الفائزين ، ويحضهم على بذل مزيد من البطولات .

ويذكر لنا (لوكهارت) عن طفولة (نادر شاه) ، بأنه كان يرافق والديه أثناء تنقلاتهما بين « كويكان » « ومرتفعات درة جز » وما أن كان اشتد عوده ، حتى كان يساعد والده فى كسب رزقه الضئيل) . ثم ينقلنا (صنعتى زاده الكرمانى)الى سلامة تفكير (نادر) وشجاعته ، ففى الرابعة عشر من عمره يقوم بأعمال عجز الكبار عن القيام بها ، فعنـدما تعرضت عشيرته لهجوم « الاوزبك » ، فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا ، وكان من جملة أسراهم والدة (نادر) ، يفكر فى الطريقة التى تمكنهم من تخليص والدته وأهل عشيرته ، ويهديه تفكيره الى وضع مخدر فى زجاجات خمر ، ويحملها الى معسكر « الاوزبك » فيتكالب الجنود على شرب هذا الخمر حتى يفقدوا الوعى ، وعندئذ يفك (نادر) أسر عشيرته ، ويخلصهم من أيدى «الاوزبك» ولم يكتف بذلك ، بل انه يجهز عليهم ويفتك بهم ، وبذلك يعود بوالدته وأفراد عشيرته الى منازلهم سالمين منتصرين .

هذه الرواية ان دلت على شىء انما تدل على مدى سلامة تفكيره وتحمله عبء حماية عشيرته كما أنها تشير الى قدرات (نادر) المتصاعدة .

وقد كان لاستعداد (نادر) العسكرى منذ الصغر أثره فى أن يجمع حوله عددا من الأصدقاء لمقاومة قطاع الطريق واللصوص ، وقد نجح فى ذلك تماما مما استلفت اليه نظر حاكم « أبيورد » الذى يدخله فى خدمته ثم يتدرج فى المناصب حتى أنه فى فترة وجيزة تمكن من أن يتقلد منصب قائد حرس (بابا على بيك كوسه أحمد لو) حاكم « أبيورد » الذى لم يكتف بذلك بل أنه زوجه ابنته الكبرى كى يضمن الى جواره سندا قويا يمكن معاونته فى التصدى لأعدائه ٠

- ٣ -

ظهور نادر شاه

دخل (نادر) فى خدمة (بابا على بيك كوسه أحمد لو) رئيس قبائل الافشار فى مدينة «أبيورد» وحاكمها ، ولم يمض وقت طويل حتى ارتفع شأن (نادر) فى تلك المنطقة ، ولم يكتف بأن يصبح قائد حرس (بابا على بيك) ، بل صاهره وتزوج ابنته الكبرى (ايالدر) التى أنجبت له (رضا قلى ميرزا) عام ١١٣١ هـ / ١٧١٩ م ، وبعد وفاتها تزوج من أختها (جوهر شاد) ، التى أنجبت (نصر الله) و (امام قلى) ، وبمجرد وفاة (بابا على بيك) عام ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م ، قبض (نادر) على أزمة الأمور ، واستولى على « أبيورد » و « كلات » اما بالقوة أو بالأحقية .

ولعل ما أورده السير (جان مالكولم) من أن (نادر) قد قتل حماه (بابا على بيك) رأى لا يحتمل الصدق ، ذلك أن بعض المستشرقين دأبوا على تشويه صورة الملوك العظام ، وقد أراد (مالكولم) أن يظهر (نادر) على أنه سفاك ، قاصدا الحط من قدره ، مظهرا الشرق الاسلامى وقد غرق فى دوامة الأخذ بالثأر ، ولو أن ما ذهب اليه (مالكولم) له نصيب من الصحة لما أدخل (نادر) أولاد (بابا على بيك) فى خدمته ، وولاهم مناصب بارزة . ونتيجة للنزعات القبلية ، لم يتمكن (نادر قلى بيك) من تحقيق درجة النجاح التى كان عليها (بابا على بيك) ، كرئيس لأفشار « أبيورد »، لذا فقد اتجه (نادر قلى) الى « مشهد » والتحق بخدمة الملك (محمود السجستانى) ، الذى جعله أحد قواده ، وقد تمكن (نادر قلى) من صد هجمات « الاوزبك » أعداء الملك (محمود) ، فكافأه بتوليته حاكما على « خراسان » .

فى تلك الفترة كانت الدولة الصفوية تحتضر على يد الشاه (سلطان حسين) نظرا لما كان يتسم به من عدم مبالاة واكتراث بأمور الدولة ، ومن ثم استطاع الملك (محمود) الاستيلاء على العاصمة « أصفهان » ، وجلس على العرش ووضع التاج على الرأس وذلك بتفويض من الشاه (سلطان حسين)، فى نفس الوقت الذى هرب منه (طهماسب ميرزا) الى « قزوين »، وجلس على العرش هناك ، ولقب بـ (الشاه طهماسب الثانى) ، وما أن

علم الملك (محمود) بذلك حتى أرسل اليه جيشا ، الا أن الشاه (طهما سب) اتجه الى « تبريز » واتجه (محمود) الى « مشهد » حدث خلاف بينه وبين (نادر قلي بيك) ، خرج على أثره (نادر قلي) من خدمة الملك (محمود) ، توجه الى « كلات » ، واتخذها مقرا له ٠

وما أن وصلت أنباء الخلاف الذى دب بين الملك (محمود) و (نادر قلي) الى (الشاه طهما سب) ، حتى أمر (حسن علي بيك معير الممالك) بالاسراع الى (نادر قلي) ليعرض عليه الدخول فى خدمته ، فانتهز (نادر قلي) هذه الفرصة وأراد أن يكون مع القوة الشرعية ، والا يظهر نفسه بصورة المتمرد ، وأسرع بالانضمام الى الجيش الصفوى « بخراسان »، وصحبه ألفا جندي كردي وأفشاري ، بعد ذلك تحرك الركب الصفوى وعلى رأسه قائدان هما (فتحعلي خان القاجاري) و (نادر قلي بيك الأفشاري) ، وتوجهوا الى « خبوشان » وأقاموا هناك بضعة أيام ، ثم تركوها متجهين الى « مشهد » ، وكان ذلك فى ٢٢ محرم ١١٣٩ هـ/١٩ سبتمبر ١٧٢٦ م ، وأقاموا معسكرهم فى « خواجه ربيع » التى تبعد ثلاثة أميال شمالي « مشهد » ، وأثناء حصار « مشهد » لم يتمكن (فتحعلي خان القاجاري) من فتحها ، فلاحظ (الشاه طهما سب) أن هناك ثمة خيانة من قبل (فتحعلي خان) وميله للملك (محمود) ، لذا فقد أمر بقتله فى ١٤ صفر ١١٣٩ هـ، وهكذا خلت الساحة لـ (نادر قلي) من منافسة (فتحعلي خان القاجاري) ، فامتلك زمام الأمور ، وأنعم عليه (الشاه طهما سب) بمنصب وزير التشريفات ، وتلقب بلقب (طهما سب قلي) أى غلام طهما سب ٠

أراد الملك (محمود) أن يستغل الخلاف الذى حدث فى صفوف الجيش الصفوى واتجه الى المعسكر الصفوى ، غير أن (نادر قلي) تمكن من هزيمته هزيمة نكراء ، وتمكن من دخول (مشهد) ، بمساعدة (بير محمد) قائد جيش (الملك محمود) ، فتخلى (الملك محمود) عن العرش وخلع التاج ، واحتمى بخلوة من خلوات حرم (الأمام رضا) ٠

ورغم كل ما فعله (نادر قلي) فى سبيل القضاء على (الملك محمود)، واسترجاع ما اغتصبه من ولايات ، الا أنه لم يسلم من حقد الحاقدين والو شاه ، الذين كانوا يقفون له بالمرصاد ، فقد أوجسوا الى (الشاه طهما سب) بأن (نادر قلي) خائن ولا بد من القضاء عليه ، لذا طلب (الشاه طهما سب) المساعدة من حكام « مازندران » و « استراباد » وقبائل « كرايلي » ضد (نادر) ، وما أن سمع (نادر قلي) بذلك حتى اشتد غضبه ، وأسرع الى « خبوشان » وحاصرها ، وانضم اليه أكراد

« خبوشان » الذين يكرهون (الشاه طهما سب) غير ان (طهما سب) اعتذر ل (نادر) ، وعادوا جميعا الى « مشهد » يوم النوروز سنة ١١٣٩ هـ مقيمين الاحتفالات هناك لمدة أسبوع .

بعد ذلك قامت عدة ثورات في مناطق مختلفة ، تمكن (طهما سب قلى) من القضاء عليها ، ثم دخل في حروب « الأفغان » من أجل استعادة العاصفة « أصفهان » ، وتمكن من هزيمتهم في معركة « مهما ندوست » عام ١١٤٢/١٧٩٢ ، وبعد عدة أشهر هزمهم ثانية في « مورجه خورت » ، وتمكن من استرجاع دار السلطنة الصفوية من أيديهم ، وبعد أن استتب الأمر ل (نادر قلى) في أصفهان ، اتجه الى « آذربايجان » وطرد العثمانيين منها ١١٤٣ هـ/١٧٣٠م . وأثناء حصاره ل « ايروان » ، وصلته أنباء قيام اضطرابات في « خراسان » ، فاتجه اليها وقضى على تلك الاضطرابات واستعاد « هرات » ، رغم كل هذه الانتصارات التي حققها (نادر قلى) على العثمانيين ، الا أن (الشاه طهما سب) انتهز فرصة توجه (نادر قلى) الى « خراسان » ، وأراد أن يقلده فهاجم العثمانيين في « نخجوان » وهزمهم ، غير أنه هزم في « ايروان » ، وتمكن العثمانيون بقيادة (أحمد باشا) من احتلال « كرما نشاه » و « أردلان » ، كما تمكن (على باشا) من الاستيلاء على « خوى » و « سلماس » و « مراغة » ، و « تبريز » ، وجاءت قوة عثمانية ثالثة لتحتل « خوزستان » و « الاهواز » ، ثم عقدت معاهدة صلح مخزية بين (الشاه طهماسب) والعثمانيين ، استولى العثمانيون بمقتضاها على « كنجه » و « تفليس » و « كرجستان » و « شيروان » و « داغستان » ، على أن يحتفظ (الشاه طهما سب) ب « تبريز » و« أردلان » و « كرما نشاه» و « لارستان » ، وعندما وصلت أنباء هزيمة (طهما سب الثانى) ومعاهدته مع « العثمانيين » الى (نادر قلى) ، أسرع الى (الشاه طهما سب) وعنفه ، وأرسل (نادر قلى) رسولا الى « استانبول » يحمل رسالة فحواها (أما أن ترد الولايات المغتصبة وأما الحرب) ، كما أنه وضح لكافة طبقات الشعب الايرانى مدى الخزى والعار الذى لحق بايران من جراء عمل (الشاه طهما سب الثانى) ، ولم يكتف بذلك بل انه خلع (الشاه طهما سب الثانى) وولى ابنه (عباس ميرزا) ، الذى كان عمره حينذاك سبعة أشهر ، ولقبه بالشاه (عباس الثالث) ، كما أن (نادر قلى) تخلى عن لقبه (طهما سب قلى) ، وتلقب بوكيل الدولة ونائب السلطنة .

وهكذا نرى أن الفرصة التى ينتظرها (نادر قلى) منذ أن دخل في خدمة (بابا على) قد واتته ، ذلك أنه استغل الخطا الجسيم الذى وقع

فيه (الشاه طهما سب) وخلعه عن عرش « ايران » ونصب ابنه الرضيع بدلا منه ، تمهيدا للجلوس على عرش « ايران » ·

بدأ (نادر قلى) فى الاستعداد لاسترجاع أراضى « ايران » التى اغتصبها « العثمانيون » فاتجه الى « كركوك » لمحاربتهم ، وتمكن من هزيمة (أحمد باشا) القائد العثمانى فى بدىء الأمر ، غير أن الحال قد تبدل عندما تولى (طوبال) باشا القيادة ، فألحق هزيمة بالجيش الايرانى فى عام ١١٤٦ هـ/١٧٣٣ م ، لكن اصرار (نادر قلى)جعله يخوض معركة أخرى مع (طوبال باشا) فى نفس العام ، وتمكن من هزيمته هذه المرة ، وقتله ، ولم يهدأ بال (نادر قلى) حتى استرد الأراضى التى كان « العثمانيين » قد استولوا عليها بموجب المعاهدة المبرمة مع الشاه المخلوع ·

كما أن (نادر قلى) عقد معاهدة « رشت » مع القيصرية الروسية تمكن بموجبها من استعادة الأراضى الايرانية التى استولى عليها الروس أبان حكم قيصر « روسيا » (بطرس الكبير) فتخلت « روسيا » عن سياستها التوسعية ، وقد تم استعادة كل من « كيلان » و « مازندران » و «استراباد» بموجب معاهدة « لشت » ١١٤٥ هـ/١٧٣٢ م ، وقد حصلت « روسيا » بموجب تلك المعاهدة على امتيازات اقتصادية تتضمن اعفاءات لصادراتها ووارداتها من الجمارك كما تمكن (نادر قلى) من استعادة « باكو » و « دربند » عام ١١٤٨ هـ/١٧٣٥ م ·

وهكذا نجد (نادر قلى) يجد ويسعى من أجل الحصول على هدفه الأسمى ألا وهو عرش « ايران » ، وهو بما قدمه من أعمال جدير ، فقد تمكن من القضاء على « الأفغان » واستعادة دار السلطنة « أصفهان » من أيديهم ، واخماد الفتن التى ثارت فى جميع الأرجاء الايرانية واستعاد الأراضى التى اغتصبها العثمانيون من (الشاه طهما سب الثانى) ، كما استرجع أراضى « ايران » من يد « الروس » ، ولم يبق سوى « قندهار » فى يد « الأفغان » التى استردها فيما بعد من خلال فتح « الهند » ــ وأنه بالنظر الى كل هذه الخدمات التى أداها لايران كأنه جدير ابالجلوس على عرش « ايران » ، وتكوين امبراطورية ايرانية تعيد لايران أمجادها القديمة ·

ـ ٤ ـ

تتـويج نادر شـاه

بعد أن خلع (نادر قلى) الشاه (طهما سب الثانى) ، وولى ابنـه الرضيع (عباس الثالث) خلفا له على عرش « ايران » ، ونصب نفسه وكيلا للدولة ونائبا للسلطنة ، وبعد أن حقق لايران من الانجازات ما هو كثير ، وأعاد لها هيبتها المفقودة ، رأى أن هذا هو أنسب الأوقات ليتوج نفسه ملكا على « ايران » ، لذا فقد وجه (نادر قلى) الدعوة الى حكام الولايات والقضـاه والعلماء والأشراف والأعيـان ورجال الدين لحضـور مجلس فى صحراء « مغان » فى عام ١١٤٧ هـ/١٧٣٥ م · وقد كان من المنتظر أن يحضر هذا المجلس حوالى ستة آلاف شخص ، لذا أمر (نادر) باقامة اثنى عشر ألف دارا من الخشب والطوب ، وكذلك اقامـة حمامات ومساجـد وميدان وسوق كبير · وقصر كبير له ملحق به حرملك ·

وفى اليوم المحدد فى التاسع من رمضان المعظم ١١٤٨ هـ/١٧٣٦ م قام (نادر) وألقى كلمة على الحاضرين قال فيها :

(سوف أتوقف عن مواجهة الاضطرابات والفتن وقيادة الجيوش ، وسوف أعتكف للعبادة فى الضريح المقدس « بمشهد » ، وعليكم أن تختاروا ملكا لكم سواء (الشاه طهما سب) أو أى شخص آخر من الأسرة الصفوية ترنه مناسبا لعرش « ايران » · وهكذا نرى (نادرا) يريد أن يظهـر نفسه متعففا عن ملك « ايران » وعرشها ، وأنه قد اكتفى بما حققه لها من انجازات وأعمال يعلمها الجميع ·

نهض أحد الحضور وقال على لسان المجتمعين :

(لا ملك لنا سوى (نادر) ، « الأتراك » و « الأفغان » و « الروس » و « الغلجائيون » كانوا قد اقتطعوا أجزاء من « ايران » ، لكن الآن حمدا لله، لم يعد شبر واحد من أرض « ايران » مغتصبا ، فقد قتل (نادر) العصاة وأسرهم ، وطهر أراضى المملكة من دنس الأعداء ، والآن يعيش جميع أهالى « ايران » فى أمن وأمان والعيش ميسر) ·

بعد ذلك ترك (نادر) الحاضرين يستريحون لمدة أربعة أيام ، ثم اجتمعوا ثانية وخرج عليهم (طهما سب خان الجلائر) زعيمهم قائلا :

ان هناك ثلاثة شروط ل (نادر قلى) حتى يقبل عرش « ايران » وهى:

١ ـ ألا يتخلى أحد عن (نادر) ، ولا يساعد أحدا من أبناء الشاه المخلوع .

٢ ـ أن يتخلى أهالى « ايران » عن التشيع وسب الخلفاء ، وأن يتحولوا الى المذهب السنى واعتناق مذهب الامام (جعفر الصادق) وجعله المذهب السنى الخامس .

٣ ـ ألا يقترف أحد جريمة الخيانة ضد (نادر) أو أبنائه ، وأن يخضع لأوامره ، قبل الحضور هذه الشروط ، ووقعوا على محضر الاجتماع بالموافقة ، غير أن الزعيم الشيعى (ملا باش ميرزا عبد المحسن) أعلن عدم رضائه عن البند الخاص بتحول « ايران » الى المذهب السنى ، وبقى على ميله الى الأسرة الصفوية ، فنقل جواسيس (نادر) اليه ذلك ، فكان أن عاقبه بالشنق فى صبيحة اليوم التالى .

ولعل (نادر) قد سلك هذا المسلك حتى يرهب الجميع منذ اللحظة الأولى ، وحتى لا يكون هناك من يحاول أن يخرج عليه أو يعترض .

وبعد انتهاء هذا المجلس بحوالى شهر ، وبالتحديد يوم الخميس ٢٤ شوال ١١٤٨ هـ/٨ مارس ١٧٣٦ م . تمت مراسم تتويج (نادر) فى الساعة التى حددها المنجمين (الساعة الثامنة وعشرون دقيقة) . ذلك بأن وضع (ميرزا زكى خان) التاج على رأس (نادر) ، ولقب ب (نادر شاه) ، وسك اسمه على العملة من خلال هذا البيت :

ـــ سك على الذهب اسم السلطنة فى الدنيا .

ـــ « نادر ايران » وملك الدنيا .

وسك على الوجه الآخر (الخير فيما وقع) ، وهو بحساب الجمل تاريخ جلوس (نادر) على العرش (١١٤٨ هـ) .

بعد انتهاء مراسم التتويج،أرسل (نادر شاه) الشاه عباس الثالث) لدى والده (الشاه طهما سب الثانى) المخلوع فى « خراسان » ، كما أرسل السفراء الى « استانبول » و « سان بطر سبرج » لاطلاع العثمانيين والروس على أنه ملك ايران ، ونصب أبنه (رضا قلى ميرزا) حاكما على « خراسان » ، و (طهما سب خان الجلائر) وزيرا له ، كما عين أخاه (ابراهيم خان ظهير الدولة) حاكما على « آذربايجان » .

ـ ٥ ـ

خصــال نادر شــاه

تميز (نادر شاه) بقامة طويلة ، وجمال ظاهر ، وصوت أجش . وشجاعة فائقة وعزم لا يفتر ، وقدرة فائقة على التحمل ، كان طوله ستة أقدام ، ووجهه مشوب بحمرة ، ويميل للسمنة ، لكن المتاعب والاهوال التى واجهها محت آثار السمنة من تقاسيمه ، كانت عيناه حادتان ، وحاجباه أسودان ، كان يطلق لحيته وشاربه كما كان يتمتع بذاكرة قويــة وذكاء متوقــد .

أما خصاله كرجل عسكرى ، فتتمثل فى امتلاكه قدرة فائقــة على الزعامة والقيادة ، كما أن جسارته كانت بلا نظير ، ويمتلك مهارة عالية فى فنون الحرب .

كان فى أوقات لحرب يتحمل نفس المشاق والصعاب والحياة التى يعيشها أقل جندى كما كان يتناول الطعام والشراب مثله فى ذلك مثل أى جندى متواضع .

كان (نادر) بلا شك نابغــة فى الحرب ، رغم أنــه نشأ فى أسرة متواضعة وأمية ، وقد تعلم فنون الحرب لمجرد معايشته للحروب التى كانت تندلع بين القبائل ، الا أن استعداده العسكرى وفطرته الحربية جعلت منه قائدا عسكريا من الطراز الأول ، حيث أنه تمــكن من احــراز انتصارات عظيمة لايران ، وأحدث تحولات كبيرة فى مجريات تاريخها كانت أشبه بالمعجزات ، ومن ثم فان المؤرخين والمستشرقين لم يبالغوا عندما لقبوه بـ (نابليون) الشرق ، أو شبهوه بـ (الاسكندر الأكبر) و (تيمور لنك) .

كان (نادر) قليــلا ما يحتسى الخمر ، واذا انشغل بأمر من الأمور ينسى الغذاء تماما ، وكان يحتفظ دائما فى جيبه بحبيبات من الحمص ، وفى كثير من الأحيان يكتفى بجرعة منها .

بدأ التغيير يطرأ على سلوك (نادر شاه) منذ عودته من « الهند » ، وكان عمره وقتئذ زهاء خمسة وخمسين عاما ، فبعد أن وزع الغنائم التى غنمها على جنوده ، ورفع الضرائب عن أهالى « ايران » لمدة ثلاثة أعوام ،

عاد واسترد ما وزعه على جنوده ، كما أنه ضاعف الضرائب على الأهالى ، مما أثار الجند والشعب معا ضده .

بدأ (نادر) عنيفا عندما سمل عين ابنه (رضا قلى ميرزا) ، وكان السبب فى ذلك هو أن (رضا قلى ميرزا) قتل الشاه المخلوع (طهما سب الثانى) وأولاده جميعا ، وقت أن كان (نادر) فى « الهند » ودون الرجوع الى والده ، وكان يمكن ل (نادر) أن يفعل أى شىء آخر بابنه غير سمل عينيه ، ولعل مرجع هذه الوحشية فى طبع (نادر) ، أنه مر بأحداث متتالية لو مر بها أى شخص عادى لما استطاع أن يتحملها ، فمنذ أن كان ابن الرابعة عشر وهو يتحمل مسئولية عشيرته ، كما أنه دخل فى حروب متصلة مع « الأوزبك » ، ثم دخل فى صراعات عديدة طيلة أربعين عاما مع مختلف الطوائف والقبائل من الخارجين على الشاه ، وأيضا تلك الحروب مع أعداء « ايران » « كالأفغان » و « العثمانيين » ، ولم يكتف بذلك بل أنه حقق أكبر الانتصارات لايران ، وتمكن من فتح شبه القارة الهندية عام ١١٥١ هـ/١٧٣٩ م ، واستولى على غنائم وأسلاب لا حصر لها ، لم يستطع هو وجنده حملها من بلاد الهند .

وهكذا نجد (نادر شاه) فى حروب متصلة لمدة تزيد على أربعين عاما لم تعرف الراحة سبيلا اليه ، قضى معظم عمره اما على ظهر فرسه أو فى خيام المعسكرات ، حتى أن نهايته كانت فى خيمة .

- ٦ -

نادر شاه والمذهب الشيعى

تزامنت فكرة تخلى ايران عن المذهب الشيعى ، والتحول الى المذهب السنى ، مع جلوس (نادر شاه) على العرش ، ونحن نعلم أن الشاه (اسماعيل الصفوى) هو الذى فرض المذهب الشيعى بحد السيف على أغلب أهالى ايران ، وقد كان (نادر) يرى ضرورة كسر النفوذ الصفوى ، ومحو أى أثر يذكر الايرانيين بالصفويين ، فكان ذلك أحد أسباب التحول من التشيع الى التسنن .

وقد أصدر (نادر شاه) المنشور التالى لأهالى « ايران » فى محاولة لاقناعهم بالمذهب السنى :

(ملك العالم المستعان الشاه (اسماعيل الصفوى) فى بادىء الأمر ، بناء على صلاح دولته فقد شرع فى التخلى عن المذهب السنى واشاعة المذهب الشيعى ، ولم يكتف بذلك ، بل أنه سلك مسلك السب والرفض للخلفاء الراشدين ، حيث كان ذلك عملا أهوج وأساس المفاسد التى جرت على ألسنة وأفواه العامة والسوقية ومحرك شرر شرارة حجر النار ، وخلطهما معا ومزج التراب بدم الفتنة والفساد ، وما دام هذا الأمر الذميم قد شاع ، ولن ترفع هذه المفسدة من بين أهل الاسلام الا اذا أراد أهالى « ايران » سلطانا لهم برغبتهم ، فانهم يجب أن يتخلوا عن هذا المذهب المخالف لمذهب الأسلاف الكرام والسادة العظام وأن يتبعوا مذهب أهل السنة والجماعة ، لكن نظرا لأن حضرة الامام (جعفر الصادق) من ذرية الرسول ، فأننا سنجعله زعيم مذهبنا وامام طريقتنا) .

وهكذا نجد أن (نادر شاه) يخفف من وطأة فرض التسنن بدلا من التشيع بأن أدخل المذهب الجعفرى الشيعى ضمن المذاهب السنية الأربع ليكون خامسهم ، وذلك ليس حبا من (نادر) فى السنة ، ولكن وراء ذلك دافع سياسى ، الا وهو اصلاح ما افسده الشاه (اسماعيل الصفوى) من اتخاذه المذهب الشيعى مذهبا رسميا لايران بين « ايران » والدولة العثمانية ولكى يضفى على منشوره الشرعية ، نجده يقوم بزيارة عتبات الشيعة

المباركة فى العراق ويطوف بمزار (أبى حنيفة) هناك ، ويجمع فى النجف عددا كبيرا من علماء الدين الذين صدقوا على أن مذهب الامام (جعفر الصادق) هو المذهب السنى الخامس ، وقد كفر علماء ما وراء النهر الأشخاص الذين ثاروا ضد (نادر شاه) ، وأعلنوا أن المذهب الجعفرى يوافق الاسلام ·

وهكذا نجد أن (نادر شاه) كان يريد كسب مزيد من التأييد للمذهب الجعفرى ، الذى أراد أن يدخله ضمن المذاهب السنية ، كما أن (نادر) طالب فى مجلس « النجف » أن يكف الشيعة عن سب الخلفاء الراشدين ·

- ٧ -

مقتــل نادر شــاه

ترك (نادر شاه) « أصفهان » فى العشر من محرم عام ١١٦٠ هـ/ ٢٣ يناير ١٧٤٨ م · متوجها الى « يزد » و « كرمان » حيث اشاع القتل هناك ، ثم بعد ذلك أقام احتفالا بـ « النوروز » خارج مدينة « كرمان » ، وكان يحتفل معه أبناؤه وأحفاده وعددهم ستة عشر فردا ، فى نفس الوقت كان (على قلى خان) ابن (ابراهيم خان ظهير الدولة) ـ شقيق (نادر شاه) يجمع شمله لقتال عمه ، وانضم اليه أهل « سجستان » و « بلوجستان » ثم توجه الى « هرات » حيث انضم اليه عــدد من رؤساء العشـائر هناك ، كما انضم اليه أكراد « خبوشان » ·

وبذلك تجمعت قوات المناهضين لـ (نادر شاه) وعلى رأسهم (على قلى خان) ·

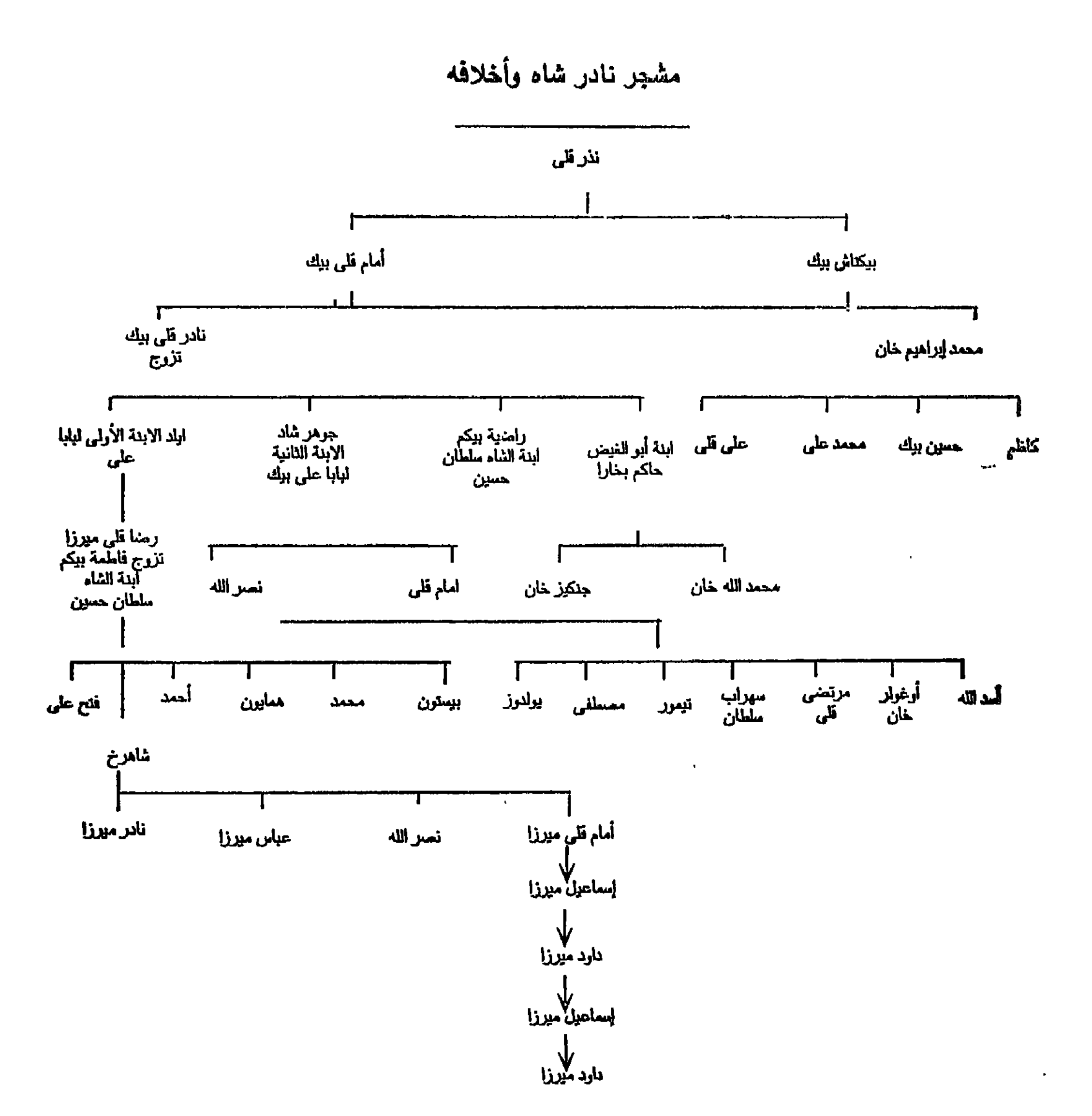
وفى صدده رأى (نادر شاه) أن يتوجــه الى « خبوشان » لاخماد فتنة ابن أخيه ، فأرسل أبناءه وأحفاده الى قلعة « كلات » ، وتوجه هو الى « خبوشان » وعسكر فى « فتح آباد » ، التى تبعد فرسخين عن «خبوشان»·

وقد أورد طبيب (نادر شاه) « بازن » فى شرح أحواله فى أواخر أيامه ، (كان (نادر) يشعر بالشىء قبل حدوثه ، فقد كان حدسه قويا ، لذا ألجم حصانه ، واستعد للتوجه الى قلعة « كلات » ، لكن منعه حرسه ، وبصروه بما سيترتب على ذلك ، وأظهروا له الوفاء ووعدوا بمساندته ضد أعدائه) ، فى الوقت نفسه كان يعمل فى الخفاء اثنان من رجال بلاطه ، (محمد قلى خان) قائد الحرس و (صالح خان) رئيس البلاط ، وكان (نادر) يخشى من (محمد قلى خان) ذلك أنــه كان شجاعا وله علاقــات طيبة بسائر القواد ، ونظرا لما شعر به (نادر شاه) من خيانة تدور حوله، فقد أحضر قائد الجنود « الأفغان » (أحمد خان الابدالى) وكان معه أربعة آلاف جندى أفغانى ، وأوصاه بتشديد الحراسة عليه ، واعتقال الخونة فى الصباح ، واذا قاوموا فعليه أن يأخذهم بالشدة ، لكنهم لم يمهلوه ، فقد هم بالدخول عليه فى خيمته وهو نائم (محمد قلى خان) و (محمد خان

قاجار الايرانى) ، (موسى بيك ايرلوى أفشار) و (قوجه بيك كوندوزلوى أفشار الأرومى) و (حسين بيك شاهوار) وسبعون شخصا غيرهم جاءوا جميعا لقتل (نادر شاه) وما أن ذهب حارس خيمة (نادر شاه) لقضاء حاجة له ، حتى دخل كل من (محمد خان قاجار) و (صالح خان) وآخر شجاع ، وما أن أحس بهم (نادر شاه) حتى نهض من نومه مستلا سيفه ، غير أنه تعثر فى وتد الخيمة ، فضربه (صالح خان) ضربة قطعت يده ، حينئذ استولى عليه الخوف ، وتسمر فى مكانه أما (محمد خان قاجار) فقد احتفظ بشجاعته ، وفصل رأس (نادر شاه) عن جسده ، وكان ذلك يوم الجمعة ١١ جماد الآخر (١١٦٠ هـ/١٧٤٨ م) ، بعد ذلك توجه (على قلى خان) من « هرات » الى « مشهد » ، وعندما رأى أن وجود أبناء (نادر) وأحفاده سيكونون عقبة فى سبيل وصوله للعرش ، أرسل قوة للاستيلاء على قلعة « كلات » ، وبعد حصار دام ستة عشر يوما استطاع اقتحام القلعة ، وقتل (رضا قلى ميرزا) بينما حمل (نصر الله ميرزا) و (امام قلى ميرزا) حيث قتلهما فى « مشهد » ، كما سم الأخوين الآخرين (جنكيز خان ميرزا) وكان عندئذ عمره ثلاث سنوات ، و (محمد الله خان) الرضيع وأراد (على قلى) أن يقضى على نسل (نادر) نهائيا ، فقتل زوجات (نادر شاه) الحوامل ، بينما أبقى (على قلى خان) على (شاهرخ ميرزا) ابن (رضا قلى ميرزا) وحفيد (نادر شاه) ، وذلك لأن أمه من أصل صفوى — ابنة (الشاه سلطان حسين) (فاطمة سلطان بيكم) — ، ويحتمل أن يطالب الايرانيون بأن يكون ملكهم صفوى الأصل •

ومنذ ذلك الحين حتى وقتنا هذا ، ظلت أراضى « ايران » تتناقص من الشمال والشرق والجنوب الشرقى ، ولو لم يكن (نادر) ، ما وصلت حدود « ايران » الى ما هى عليه الآن •

مشجر نادر شاه وأخلافه



- ٨ -

حملة نادر شـــاه على الهند

في الوقت الذى نربع فيه (نادر شاه) على عرش« ايران » (ربيع أول سنة ١١٤٨ هـ) كان يحكم الهند (محمد شاه) منذ سبعة عشر عاما (١١٣١ هـ) ، وقد اتجهت سلطنة سلالة ملوك مغول الهند فى عصره الى الانحطاط ٠

وقد فكر (نادر شاه) فى القيام بحملة على « أفغانستان » لتأديبهم ، واستعادة ما نهبه الأفغان من أموال « ايران » فى الغارات التى شنوهـا عليها أثناء حكم (الشاه سلطان حسين) وابنه (الشاه طهما سب الثالث)، وقد أطلع (نادر) البلاط الهندى على حملته على « أفغانستان » ، وطلب منهم عدم ايواء الفارين منهم ٠

وقد أرسل (نادر شاه) عدة رسل للامبراطور الهندى لمنع «الأفغان» من دخول بلاده ، لكن الامبراطور لم يبال برسل (نادر شاه) ، الى أن أرسل (محمد خان تركمن) للبلاط الهندى ، لكنه لم يسمح له بمغادرة « دهلى » لمدة عام حتى فتحت « قندهار » فى أوائل محرم سنة ١١٥١ هـ ٠

وقد تمكن (نادر شاه) من احتـلال « قرابـاغ » و « غزنين » على التوالى بدون مقاومة تذكر ، أما « كابل » فقد قاومت قليلا ثم استسلمت ، وبعد ذلك توقف احدى وعشرين يوما فى « جاريك كار » شمال « كابل » ثم تحرك الى « كندمك » حيث قام بتأديب رؤوس العصاه ، وحضر (رضا قلى ميرزا) لمجلس أبيه فى مكان يسمى « بهار سفلى » وذلك بعد أن أخمد ثورة « بلخ » و « بخارا » ، وتشاور معه بشأن فتنة « خراسان » ، واختاره ليكون نائبا له فى « ايران » أثناء تواجده فى « الهند » ٠

فى تلك الآونة جمع (ناصر خان) والى «كابل» عشرين ألف أفغانى من « بيشاور » و « خيبر » غير أن (نادر) هاجم ممر « خيبر » ، وانتصر على قوات (ناصر خان) وشتتهم ، وقتل وأسر منهم الكثير واحتل «بيشاور»، ومكث هناك أربعة أسابيع حيث تلقى نبأ مقتل أخيه (ابراهيم خان) فى « شيروان » على يد « اللزكيين » ٠

أمر (نادر) قواته بعمل جسر على نهر « الهند » ناحيــة « اتوك » للعبور الى الضفة الأخرى ، واتجه بقواته الى « وزير أباد » التى عبر منها بلا خسائر تذكر ، وتقدم تجاه « لاهور » واستعد حاكمها (زكريا خان) للمقاومة والدفاع عنها ، لكن (نادر شاه) دخل معه فى عراك وانتصر عليه وأسره ، فطلب (زكريا خان) الأمان ٠

وقبل طلبه ، ووصل الى بلاط (نــادر) ، وقدم هدايـاه ، وحفظ « لاهور » من الهجوم ، وعبر (نادر) من « لاهور » ، ووصل الى أبواب « الهنــد » ٠

وهكذا نجد أن (نادر شاه) أراد أن يصــل بحدود « ايران » الى ما كانت عليه فى العصر الصفوى ، كما أنه أراد من ناحية أخرى أن يقيم سدا منيعا فى وجه أعداء « ايران » « الأفغان » ، ولعل من جملة الأسباب التى جعلت (نادر شاه) يفكر جديا فى غزو « الهند » ، أن خزائن « ايران » قد خوت من جراء الحملات العسكرية التى كان يقوم بها ٠

ـ ويرى (رضا زاده شفق) أن حملة (نادر شاه) على « أفغانستان » و « الهند » ، لم تكن مجرد هجوم وقتال وفتوحات ، بل أن (نادر) فى بداية قتاله كان يسعى الى القضاء على المتمردين والعصاة ويسد طريق الفرار عليهم ، وذلك بارسال رسل ورسائل الى (محمد شاه) امبراطور « الهند » كى يعاونه فى مهمته هذه ، غير أن امبراطور « الهند » لم يستجب لرسل (نادر شاه) ورسائله ، فما كان منه الا أن جرد حملة عسكريــة لتأديب أولئك العصاة « الأفغــان » ، وكذا تأديب امبراطور « الهند » ، والحصول على امدادات مالية تعاونية على استكمال طموحاته وأحلامه ٠

---

(٤) رضا زاده شفق ، نادر شاه در نظر خاور شناسان ، ص ٨ ٠

- ٩ -

معركة « كرنال »

بعد أن انتهى (نادر شاه) من أمر « لاهور » ، أعد العدة لمعركة فاصلة بينه وبين (محمد شاه) امبراطور « الهند » ، فدخل بجيشه حدود « الهند » ، وأراد أن يتحقق من صحة حجم جيشها ، فأرسل فرقة من جيشه قوامها ستة آلاف جندى للاستكشاف والاستطلاع ، ونصبوا كمينا لفرقة من جيش «الهند» كانت بقيادة «سعادت خان» أحد قواد الجيش الهندى — وقتلوا وجرحوا وأسروا الكثيرين منهم وتمكن (نادر شاه) من التعرف على حجم القوات الهندية المتواجدة بـ « شاهجان آباد » ، وكانت عبارة عن ثلثمائة ألف جندى وألفين من الأفيال الضخمة وثلاثة آلاف مدفع ، هذا بخلاف عتاد الجيش من سيوف وبنادق ، وبعد أن حدد (نادر شاه) موقع جيش (محمد شاه) تحرك تجاهه واختار موقعا لجيشه يبعد نصف فرسخ من معسكر الخصم ، وكان يقع على ضفة نهر « فيض » وكان جيش (نادر شاه) يقدر بثمانين ألف جندى .

وبناء على ما تقدم نلاحظ أن القوتين غير متكافئتين فى العدد والعدة ، فيكفى الأفيال التى ألقت الرعب والفزع فى قلوب الجنود الايرانيين ، وقد ذكر (هانوى) أن (نادر شاه) استفاد من خطة (تيمور لنك) فى مواجهة الأفيال الهندية ، لقد أحضر عددا من الجمال ، وأثناء سير المعركة كان يلقى عليها نفطا ومواد حارقة ثم يجعلها تجرى وسط الجيش الهندى نحو الأفيال مما يذعرها ، ويجعلها تفر هاربة من أرض المعركة ، فيحدث اضطرابا فى صفوفها ، وبالتالى يتيح أكبر فرصة للجيش الايرانى للقضاء عليهم والانتصار فى المعركة .

فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١١٥١ هـ ، دارت رحى حرب هائلة بين جيش (نادر شاه) قليل العدد والعدة وعلى رأسه قائد شجاع مقدام يمتلك فكرا حربيا فذا، وبين جيش جرار يعتمد على كثرة العدد والعدة وليس لديه أى فكرة عن القتال ، وكان (نادر شاه) جديرا بالنصر الساحق الذى حققه على جيش (محمد شاه) .

ويصف لنا ميرزا مهدى خان المعركة فى كلمات مختصرة فيقول :

(القصة منذ بدء الظهر حتى انقضاء مدة ست ساعات ، أشتعلت شعلة الحرب ونار الطعن والضرب . واشتغل سيف وسنان الأبطال فى الرعاديد والأنذال) .

وقد قتل فى هذه المعركة وجرح العديد من قواد الجيش الهندى وعلى رأسهم (خان دوران) قائد الجيش . و (سعادت خان) الذى أسر . هذا بجانب آلاف القتلى من الجنود ، وقد حصـــل (نادر شاه) على كثير من الغنائم والأسلاب التى تقدر بحوالى ثلثمائة مليون تومان (٥) .

حاول (محمد شاه) جمع فلول جيشه والاستعداد لجولة أخرى مع (نادر شاه) ، لكنه وجيشه فروا تحت جنح الليل بعـــد ما رأوا من قوة جيش (نادر شاه) ما سحقهم ، واضطر أن يرسل لـ (نادر شاه) طالبا التصالح .

اما عن خسائر جيش « الهند » فتقدر بحوالى مائة أمير وقائد وثلاثين ألف جندى قتيل .

ورغم النصر الكبير الذى حققه (نادر شاه) فى « الهند » ، الا أنه كان يعلم جيدا أن بقاءه فى « الهند » لمدة طويلة يعنى استنزاف قوته رويدا رويدا لذا قبل الصلح المعروض عليه من قبل (محمد شاه) ، وقـــد كان قبول هذا الصلح نظير سبعة ملايين روبية هندية .

تقدم (نادر شاه) الى « دهلى » منتصرا وفاتحا ، وأظهر (محمد شاه) قبولا وسلم له مفاتيـــح خزائن أجـــداده ، وكان من بين الكنوز المحفوظـــة بالخزائن « تخت طاووس » ، وقد كان دخول (نادر شاه) « دهلى » يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة عام ١١٥١ هـ ، وتنازل (محمد شاه) عن عرشه ، وخلع تاج العزة من على الرأس . وقلده (نادر شاه) . كما ذكر اسم (نادر شاه) فى الخطبة وسكت العملة باسمه . فى ذات يوم أثناء زيارة (نادر شاه) لـ (محمد شاه) فى القصر الامبراطورى ، اشيع قتل (نادر شاه) ، مما دفع أهالى « الهند » للهجوم على الجنود الايرانيين فى كل مكان ، وقتلوا منهم بضعة آلاف ، وفى صباح اليوم التالى أمر (نادر شاه) جنوده أن يقتلوا كل من يقابلونه من الهنود . قد بدأ هذا القتل

---

(٥) قيمة الثلثمائة مليون تومان تساوى خمسين الف روبية هندية (صنعتى زارده الكرمانى ، نادر فاتح دهلى ، ص ٣٢٢ .

منذ الصباح وحتى الظهر ونتيجة لهذا شاع الفقر والقحط فى كافة أنحاء « دهلى » ٠

ولكى ينشأ جو من الود بين « ايران » و « الهند » فقد تزوج (نصر الله ميرزا) باحدى أميرات مغولى « الهند » ، وكان ذلك فى الثالث من صفر عام ١١٥٢ هـ/١٢ مايو ١٣٣٩ م ٠

وفى محفل « دهلى » الكبير وضع (نادر شاه) التاج الهندى على مفرق (محمد شاه) وشكر له عطاياه ٠

هذا ملخص موجز لحملة (نادر شاه) على « الهند » ، ومجمل لأهم الأحداث التى حدثت فى أثناء تلك الحملة ، خاصة معركة « كرنال » وما ترتب عليها من نتائج أظهرت مدى قدرة (نادر شاه) العسكرية وفكره الحربى ، وكيف انتصر ومعه الفئة القليلة على (محمد شاه) ومعه العدد الكثير ؟

وبعد فاننا نجد أن (نادر شاه) أراد أن يضع نفسه فى مصاف الفاتحين المشهورين فى آسيا على وجه الخصوص وفى العالم على وجه العموم ، فقد سبقه الى فتح «الهند» فى آسيا (جنكيز خان) و (تيمور لنك)، ومن خارج آسيا (الاسكندر المقدونى) ، بينما (نادر شاه) لا يقل بأى حال من الأحوال من حيث الفكر العسكرى الفذ والارادة الحديدية التى لا تعرف مستحيلا ، فانه دخل فى معارك عديدة ، ومر من طرق وعرة وصعبة ، وتحت قيادته جنود ايرانيون وغير ايرانيين ، ورغم هذا كله فقد تمكن من تحقيق أحلامه وطموحاته ووصل الى « الهند » فاتحا غانما من خزائنها كنوز الأجداد وأهمها وأشهرها « تخت طاووس » (٦) الذى يحتوى على أشهر جوهرة فى العالم « كوه نور » ، وبعد حصوله على تلك المغانم التى لا تقدر بأموال ، فكر ـ كقائد محنك ـ فى أن قواته سوف تستنزف فى « الهند » خاصة بعد المذبحة التى راح ضحيتها حوالى سبعة آلاف جندى ايرانى وحتى لا يظهر نفسه على أنه معتد أثيم ، أعاد تتويج (محمد شاه) على عرش « الهند » ، وشكره على ما قدم له من هدايا ثمينة ، وعاد أدراجه الى « ايران » ٠

---

(٦) يعد « تخت طاووس » من أعظم وأنفس العروش على الاطلاق ، وهو عبارة عن عرش واسع بستة ارجل طويلة واربع جوانب عريضة ، وهو مرصع باللآلى والماس ويوجد أعلى العرش طاووس باسطا جناحيه ومغطى بالياقوت والاحجار الكريمة الملونة ، وكذلك الطاووس مصنوع من الذهب الخالص وموجود على صدره ماسة كبيرة من الياقوت وتزن خمسين قيراطا ، كما يوجد فى كل طرف من طرفى الطاووس باقة ورد وهى عبارة عن وردة ذهبية ٠ وقد بدأه تيمور لنك وأنهاه شاه جهان ٠

• الفصـــل الثـــانى

ميرزا مهدى خان الاسترا بادى

حيـــاته ـ انتـــاجه

١ ـ حياته :

هو (نظام الدين محمد مهدى الحسينى) ابن ميرزا (محمد نصير) من أهل « استراباد » • أما مولده ونشأته الأولى فغير معلومة لنا ، ويبدو أنه من الكتاب الايرانيين الذين لا ينتمون الى أسر عريقة ، وعلى الرغم من أن القسم الأول من حياته مجهول ، الا أنه استطاع أن يصل الى أعلى المناصب وارتبط بالعظماء والملوك ونال شهرة فائقة • وقد أخذ طريقه الى البلاط الصفوى متوليا منصب رئيس القصور الملكية •

تناول الأستاذ (سهيلى خوانسارى) (ميرزا مهدى خان) بالحديث قائلا :

(كانت « أصفهان » عاصمة ودار علم ، وكان يفد عليها أهل الفضل والأدب من كل حدب لاستكمال دراستهم ، وقد وفد عليها من جملة من وفد (محمد نصير) من « استراباد » وبصحبته ابنه (مهدى) ، الذى تمكن من اكتساب العلم والأدب ، وقد رأى (محمد نصير) فى ابنه الموهبة والاستعداد ، وتنبأ له بمستقبل مشرق ، اذا استطاع أن يتفوق على أقرانه فى دراسة مقدمات العلوم) (١) •

ومن أرفع المناصب التى تقلدها (مهدى خان) التاريخ لـ (نادر شاه) ، وتولى السفارة له حينما كان يطلب منه ذلك •

كما نجد (سيد على حسن) يتحدث عن (ميرزا مهدى خان) فيقول :

((ميرزا مهدى خان) تولى ديوان الانشاء النادرى ، ثم أصبح بعد جلوس (نادر شاه) على العرش مستشاره الخاص ، لحصافة رأيه ومتانة فكره وحسن طبعه ، وكان يجيد الكتابة شعرا ونثرا ، كتب وقائع عصر (نادر شاه) وأحداثه من خلال رؤية خاصة وذلك بأن :

(أ) صاغ وقائع كل عام بغاية السلاسة •

(ب) دون التاريخ النادرى بأسلوب مقبول لدى الخاصة والعامة •

(جـ) كتب « درة نادرة » التى تحرى فيها كمال الدقة ولطافة الجناس) •

---

(١) مجلة توشة ، العدد الاول ص ٢٦ سنة ١٣٣٧ هـ•ش •

كما أوردت (زهراى خانلرى كيا) هذه المعلومة عن (ميرزا مهدى خان) فقالت :

((ميرزا مهدى خان الاسترابادى) ، كاتب (نادر شاه) ، ورئيس كتاب عصره ، مكث فترة شبابه فى « أصفهان » ، عرف طريقه الى البلاط الصفوى ، ثم عزل أثناء هجوم « الأفغان » على « ايران » ، وفى عصر (نادر شاه) تمكن من الوصول الى بلاطه . ونظرا لحسن بيانه ، صار موضع عنايته وأصبح كاتبه الخاص ، فكان أن سجل أغلب معاهدات الصلح وأخبار الفتوحات التى قام بها (نادر شاه) وقد مكث (مهدى خان) ثمان عشرة سنة فى خدمته ، ثم اعتزل بعد مقتله وانشغل باتمام كتابه المعروف ب « جهانكشاى نادرى » ومن آثاره الأخرى « درة نادرة » ، منشآت ، مبانى لغت) .

وهناك اختلاف كبير فى تاريخ وفاة (ميرزا مهدى خان) ، فالبعض يقول أن تاريخ وفاته يقع فى الفترة ما بين (١١٦٢ - ١١٦٦ هـ/ ١٧٤٩ - ١٧٥٣ م) ، ومن هؤلاء (والـه الداغستانى) ، ولكن الأستاذ (سهيلى خوانسارى) يقول (عاش بقية عمره منعزلا وحيدا ، وكان شغله الشاغل مطالعة الكتب حتى الفترة ما بين (١١٧٥ - ١١٨٠ هـ/١٧٦٢ - ١٧٦٧ م)، ثم مات بعد ذلك) .

كما تذكر (زهراى خانلرى كيما) أن تاريخ وفاته ١١٨٠ هـ / ١٧٦٧ م .

على أى حال فانه من الواضح أن (ميرزا مهدى خان) توفى بعد عام ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م ،حيث أنه أنهى تأليف كتابه « سنكلاخ » فى ذلك العام ، وعلى الرغم من أن (ميرزا مهدى خان) يذكر فى مقدمة « سنكلاخ » أنه بدأه فى عصر (نادر شاه) ، غير أنه يمكن القول بأنه قد بدأه فعلا فى عصر (نادر شاه) ، وأنهاه فى عام ١١٧٣ هـ / ١٧٦٠ م .

٢ - تخلصه ب « كوكب » :

تضاربت آراء المؤرخين الايرانيين وتباينت حول تخلص (ميرزا مهدى خان) ب « كوكب » فهناك من يؤكد تخلصه بهذا اللقب ، وهناك من يقول أنه يوجد (مهدى خان) آخر تخلص بنفس التخلص ، ولعل ما أورده (ميرزا مهدى خان) فى منشآته لهو خير دليل على أنه هو نفسه « كوكب »، اذ أورده هذا المرسوم الصادر اليه .

(شاهد أحوال حسن حال (ميرزا مهدى خان) الملقب ب « كوكب » الذى كتب بيت الاخلاص بقلم الضمير ، وخلط أساس بنيان وجوده بماء حسن الاعتقاد وطنيه ، ومن ثم عهد اليه بادارة جميع الحدائق والقصور الملكية الموجودة فى « أصفهان » جنة الأساس ، ومثال « ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ») ٠

وهكذا نجد (ميرزا مهدى خان) يسجل المرسوم السلطانى بتوليه منصب رئيس الحدائق والقصور الملكية فى منشآته التى كان يدون فيها المراسيم والأوامر والرسائل التى صدرت أثناء حياته ٠ ويؤكد (سيد على حسن) تخلص (ميرزا مهدى خان) ب « كوكب » فيقول :

(« كوكب » تخلص (ميرزا مهدى خان المازندرانى) الذى كان رئيسا لديوان انشاء (نادر شاه) بطل « ايران » العظيم ، ومن آثاره « نادر نامه ـ درة نادرة » أرسله (نادر شاه) بصحبة (مصطفى خان) كسفيرين الى « اسطنبول » ، وما أن وصل الى « العراق » حتى عاد بعد أن وصلته أنباء مقتل (نادر شاه) ، فأفل نجم « كوكب » ، وحاول عبثا السعى لكسب قوت يومه) ٠

كما أن مؤلف « قاموس الأعلام » يتفق وما أورده (سيد على حسن) فيقول :

(« كوكب » من شعراء الفرس المخلصين (ميرزا مهدى خان المازندرانى) ، كاتب (نادر شاه) ، أرسله الى « اسطنبول » للسفارة ، ولدى وصوله الى « بغداد » ، وصلته أنباء مقتل (نادر شاه) ، فانزوى فى منزله ب « مازندران » ، ومن مؤلفاته « درة نادرة ـ نادر نامة ») ٠

وهكذا نجد أكثر من رأى يؤكد أن « كوكب » هو تخلص (ميرزا مهدى خان) كاتب (نادر شاه) بينما يعتمد القائلون بأن « كوكب » ليس تخلص كاتب (نادر شاه) ، على أن (سيد على حسن) أورد ذكره مرتين ، الأولى فى حرف الكاف « كوكب » ، والثانية فى حرف الميم (مهدى خان منشى)، وفى حرف الميم لم يذكر شيئا عن تخلصه ب « كوكب » ، كما أنه يوجه الأنظار الى أن (ميرزا مهدى خان) لم يشر فى أى من كتبه « درة نادرة » أو تاريخ جهانكشاى نادرى » الى تخلصه ب « كوكب » أو « كوكبى » ٠

أما اذا نظرنا فى كتب المستشرقين فنجد « لوكهارت » يذكر اسم (ميرزا مهدى خان) على أنه (ميرزا محمد مهدى كوكبى الاسترابادى) ، أى أنه يتفق فى الرأى مع كل من (سيد على حسن) و (شمس الدين سامى) فى تخلص (مهدى خان) ب « كوكب » ٠

وهكذا يجد انه يمكن الاعتماد على كتاب « صبح كاشمن » و « قاموس الأعلام » ، حيث أنه لا يوجد فيهما أى خلط أو لبس . بينما الخلط نجده فى مجلدات الذريعة ، حيث أن مؤلفها لم يكن موفقا فى استنتاجاته للأسباب الآتية :

(أ) لم يرد فى أى تذكرة من التذاكر أو كتاب من كتب التاريخ التى كتبت فى أواخر العصر الصفوى وخلال العصر الأفشارى حديث عن (مهدى) رئيس الحدائق الملكية أو (مهدى كوكب) .

(ب) جاء فى نص المرسوم الصادر لـ (مهدى خان) (شاهد أحوال حسن حال (ميرزا مهدى) الملقب بـ « كوكب » الذى كتب بيت الاخلاص بقلم الضمير) ، وهذا يوضح بأن (ميرزا مهدى) الملقب بـ « كوكب » كاتب فى المقام الأول ، ثم تولى منصب رئاسة الحدائق والقصور الملكية وهو منصب شرفى .

(جـ) الكتاب المعاصرون لـ (ميرزا مهدى خان) أو الذين جاءوا بعده كانوا يلقبونه فى كتبهم بـ « كوكب » ، ومنهم (سيد على حسن) مؤلف « صبح كاشمن » حيث أنه كتب تحت « كوكب » . (تخلص (ميرزا مهدى المازندرانى) . الذى كان رئيس ديوان انشاء (نادر شاه) بطل « ايران » العظيم) .

وبناء على ما تقدم فانه لا يمكن أن نتخيل بأن هناك شخصين باسم (ميرزا مهدى خان) احدهما رئيس الحدائق والقصور الملكية الصفوية ، والآخر كاتب (نادر شاه) .

٣ — (ميرزا مهدى خان) رائد التاريخ الاسلامى :

لم يكن غرض (ميرزا مهدى خان) من كتابة « درة نادرة » هو التاريخ لـ (نادر شاه) انما كان يرمى وراء « درة نادرة » ابراز مكانته فى اللغتين العربية والفارسية،واظهار مهارته فى انشاء النثر الفنى والصنعة اللفظية والبديعية كما أنه أراد أن يضيف جديدا للتاريخ بأن يبرهن عليه بالقرآن، قاصدا من ذلك عبرا أخلاقية .

ولعلنا نلاحظ ذلك من مطالعتنا للكتاب الذى لم يترك فيه (مهدى خان) موضعا الا وأورد فيه آية قرآنية توضحه وتفسره ، والرأى عندى أن (مهدى خان)نجح فيما فشل فيه أسلافنا من علماء المسلمين ، حيث أنهم اهتموا بالقرآن اهتماما تاريخيا دون محاولة لاستخلاص ما وراءه من قوانين وسنن كونية واجتماعية ، فكل قصة قرآنية هى فى الواقع تجربة

تاريخية تحتاج الى تفسير ، وربما يختلف تفسير كل قصة عن أخرى ، فتجتمع لدينا حصيلة من الدلالات والاشارات والسنن الاجتماعية تصلح ـ لو وقف وراءها عقل مسلم ـ لاستخلاص جوانب مفيدة للتفسير الاسلامى فى التاريخ ، ولقد كانت هذه العقلية عقلية (مهدى خان) الذى درس القرآن دراسة متأنية ، واستخلص منه بعض الأحكام التى تصلح للمواقف التاريخية فى « درة نادرة » • وفى حين أن (مهدى خان) جعل من « جهانكشاى نادرى » سجلا للتاريخ الاسلامى الا أنه جعل من « درة نادرة » تفسيرا للتاريخ النادرى ، ويتضح ذلك من النظرة الشمولية لـ (ميرزا مهدى خان) فى « درة نادرة » ، حيث أنه يضع فى اعتباره كافة العوامل والأنشطة وجوانب الحياة المساعدة على تفسير الواقعة التاريخية ، كما أنه يؤمن بالرصد الحضارى الشامل لكل العوامل الفعالة فى الحركة التاريخية ، ولا يقتصر على التاريخ السياسى أو العسكرى ، بل أنه يتناول جوانب أخرى اجتماعية وحضارية ونفسية ، وهذا ما أكده (مهدى خان) فى « درة نادرة » •

لم يكن (مهدى خان) فى « درة نادرة » مجرد آلة تصوير تنقل ما تراه حرفيا ، بل انه صاغ التاريخ صياغة أدبية مستخدما فى ذلك كافة المظاهر الطبيعية • كما نلاحظ أيضا من خلال دراستنا لـ « درة نادرة » أن (مهدى خان) مكتشف وليس مجرد مسجل أو موظف أرشيفى فى دائرة التاريخ ، بل انه متأمل ومحلل للوقائع ومستنبط لبعض القيم المعاصرة للواقع وبعض الأنماط الاجتماعية والاقتصادية وغيرها •

ارتبط التاريخ الاسلامى بكل العلوم من أدب وسياسة واجتماع وفقه وجغرافيا ورحلات ، فكان بحق علم العلوم ، ويتضح ذلك من أسماء الكتب والشخصيات والعلوم والمعارف التى أوردها (مهدى خان) فى « درة نادرة » •

كما أننا نجد أن القرآن الكريم قدم للعالمين مادة تاريخية هامة ، وأن تكن مجملة وتكتفى بالاشارة والملمحة وتسمى بالقصص ، وبالرغم من أن الغرض منها الموعظة والاعتبار الا أن الرغبة فى معرفة التفاصيل فتح بابا من أبواب المعرفة الدينية ، وهى النظرة الى الماضى كأساس فكرى للعقيدة ، ومن هذا الباب دخل التاريخ كجزء من المعرفة الانسانية الموصلة الى فهم العقيدة •

كان القرآن صريحا فى الاشارة الى بعض القوانين مما يوجهنا الى طريقنا المنشود وجاء الرسول (صلعم) فقدم الكثير من الأحاديث المتصلة

بالعملية الحضارية فى الماضى والحاضر والمستقبل ، مما يضيف ذخرا لأبعاد التفسير الاسلامى للتاريخ ، مثال ذلك .

(أراحت الشمس بال العذارى ، حيث أن شمس الحسن بدون زوالهم شعاع « ما لكم من زوال ») .

(كان يتصور مثل عرف البلاء فى سيف الجنود المنتصرين المرصع بمفاد « اذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ») .

(وألقوا على قلوب المخالفين رعبا « ان زلزلة الساعة شىء عظيم » باعلان الغضب والقهر) .

(لكن أثناء ذلك الحال ظهرت أعمال مبنية على النفاق ومنبثة عن الشقاق ، وأعطوا بيده فى الحضرة الملكية أن « اقرأ كتابك ») .

(عندما لم يتمكن من انكار ذلك العمل انكشف مصداق « ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم » طأطأ رأسه خجلا) .

(وانتهى شدة البلاء الى حد يمكن معه أن يمثل بشأن أهل المدينة بمثل « طارت بهم العنقاء » « كما تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين » وبيوت حاوية آثار « خاوية على عروشها ») .

وهكذا نجد مما تقدم من أمثلة عديدة كيف كان (مهدى خان) يستخرج من القرآن الكريم الآية الملائمة للموقف التاريخى الذى يتحدث عنه امعانا فى اظهار ما يريد أن يقوله وتوضيحا للمفهوم المراد توصيله لذهن القارىء .

اذا تعرفنا على العرض التاريخى نجد أن شروطه مقدرة المؤرخ على حسن التعبير باللغة التى يكتب بها ، فعليه أن يعرف كيف يختار الألفاظ والأساليب التى تعبر عن غرضه ! ولعلنا نجد كيف أن (مهدى خان) قد وفق فى ذلك توفيقا كبيرا ، بل أنه تعدى لغته الأصلية وأجاد التعبير باللغة العربية مؤكدا تملكه لنا صيتى اللغتين الفارسية والعربية ، بل ومقدرته الفذة فى فهم معانيهما الحقيقية والمجازية ، مثال ذلك .

(رفع العقاب بعقابه العقافة ، واشعلت زبانا شعلة على بيدر حظه ، أبد الآبدين وعوض العائضين ودهر الداهرين) .

(وعلم كل منجم أنها « خرقاء ذات نيقه ») .

(ملك صور الحور الذى كان يسلب فى العشق الروح من الانس والجن من الملاك ، أخذوا فى ظلمة الليـل مع الشياطين خلق الجن طبيعة البشر) ٠

كما أنه ضمن كتاباته أمثالا وأبياتا شعرية عربية وفارسية ٠ مثال ذلك :

(لووا لبلاب عشق غلاء العلامة مغلق فم المعشوق ، ولبلاب شوق المجاورة والمحاورة للمطربة الفاتنة « فحب الغوانى كسير السوانى » (٢) هكذا على القلب والجسد) ٠

(ثار من ظلم الأعداء «أصم الله صداهم» بدلا من تسجاع الفواخت)٠

(قال غراب البين للاقحوان متأوها بلحن صوت العنقاء :

يظل غـرابها خـدم شـداه شج بخصومة الذئب الشنون

وجعل أساس لسان العالم الندب والعويل ٠ وأنشد هذا البيت ٠

لئن كسفونى بـلا علـة وفـازت قداحهـم بالظفـر

فقد يكسف المـرة من دونـه كمايكسفالشمسجرمالقمر)٠

وقد جمع فى فقرة واحدة بين الآية القرآنية والشعر العربى والمثـل العربى ، مثال ذلك (جعلوا ندى شجرة المملكة شجر ، وتجنبوا بالهمـة حماية الملك ، « ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون » ٠

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلم تلم الصبيان فيه على الرقص

« فالحق والحق أقول » من ركب الخيول السريعة وكأس الشراب والمداومة على النبيذ ومنادمة الحسناوات) ٠

ويعتقد البعض أن (مهدى خان) قد استخرج مفردات الكلمات من القواميس ثم استخدمها فى كتاباته ، فلو أن مهارة (مهدى خان) تقتصر على استخدام كلمات غير مألوفة فان هذا ليس بمشكل ، ولكن الكلمات التى وردت فى « درة نادرة » صعبة من ناحيـة وقليلة الاستخدام من ناحيـة

---

(٢) قال بعض المحدثين :

أقـلا من اللوم يا عاذلاتى فحب الغوانى كسير السـوانى

وهو مثل يضرب فيما يدوم ولا يكاد ينقص ٠ أبو منصور الثعالبى ، ثمار القلوب ، ص ٣٥٥ ٠

اخرى ، كما أنها لا تخلو من الصنعات اللفظية من جناس (٣) وتضاد (٤)، وتضمين (٥) ومراعاة النظير (٦) .

ولكنا نذهب الى أن هذا الرأى يخلو من الصحة . فمن الصعوبة بمكان أن يجمع أديب – كان من كان – القواميس ثم ينتقى منها الكلمات الصعبة والغريبة ، ثم يضعها متجاورة متراصة فى مؤلفه لتؤدى مفهوما أو مضمونا ، وأنما يكون له ذلك ومتن « درة نادرة » كبير يؤدى مفهوما ومعنى واحدا ! فلو لم يكن (مهدى خان) يمتلك القريحة الفذة والذاكرة المختزنة للأحداث ، لما تمكن من كتابة مؤلفاته بصفة عامة و « درة نادرة » بصفة خاصة !! ورغم أن هناك من يقول أن بعض المؤرخين يتعمدون اختيار الألفاظ الصعبة والأساليب المعقدة لايهام القارىء بالمقدرة وعمق التفكير . وهذا الأمر مخل بأسلوب العرض التاريخى وأنه يجب على المؤرخ أن تكون لديه ملكة الكتابه التى يجمع فيها بين البساطة والدقة وروح الفن لكن يعرض الحقائق والحوادث كما كانت أو كما فهمها (٧) .

واذا ناقشنا الرأى السابق نقول أن (مهدى خان) كان بالفعل يعمد الى ما يشير اليه الرأى السابق أما بالنسبة لاخلاله بالعرض التاريخى فنقول أن التاريخ لم يكن غرض (مهدى خان) الأساسى ، وانما غرضه الأساسى اظهار قدراته اللغوية ، وقد ساعده على ذلك ملكته فى الكتابة . كما أننا نجد (مهدى خان) أديب الأسلوب المتميز الجيد الذى جعله يخرج كتاباته بهذه الصورة من حيث حسن البيان وبراعة الأسلوب ودقة المعانى وان كانت غريبة . ويرى بعض المؤرخين أن التدوين التاريخى كله

---

(٣) الجناس هو تشابه اللفظين فى النطق لا فى المعنى ويكون تاما وغير تام . عمر الرادويانى ، ترجمان البلاغة . ص ١١ .

(أ) الجناس التام : هو ما اتفقت حروفه فى الهيئة والنوع والعدد والترتيب مثل علم – علم ، جمال – جمال . المرجع السابق ص ١٣ .

(ب) الجناس الناقص . ما اختلف فى أحد الأشكال الأربع السابقة . مثل بعير – بعيد ، حديد – جديد . المرجع السابق ص ١٤ .

(٤) التضاد : الجمع بين كلمة وضدها ، مثل الليل والنهار ، الشروق والغروب . المرجع السابق . ص ٣١ .

(٥) التضمين أن تضمن النثر شيئا من الشعر يوضحه . المرجع السابق . ص ١٠٣ .

(٦) أن يجمع المتكلم فى حديثه بين اشياء متناظرة مثل الشمس والقمر البحر والسفينة . المرجع السابق . ص ٧٥ .

(٧) د. حسن عثمان . منهج البحث التاريخى ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ . القاهرة سنة ١٩٨٤ .

نتاج للكتابة النثرية الأدبية ، وتظهر مهارة (مهدى خان) أيضاً فى الصنعة اللفظية مثال ذلك :

(أ) جناس : (ببلاطه العالى عظماء (جمشيد) الشوكة جميعهم مثل الجماجم) .

(سياسى سياسته حديث يوم القيامة عن المطيعين) .

(فى ميدان حربه من فرط الدهشة طرأ على « سام » مرض صدرى وورم فى الرأس) .

(من الطرق المذكورة لم يستطع الوصول بشتى الطرق لفضائل صفاته) .

(ترك من فيض رحمته دايات الندى بلا عائق) .

(جمال خمائل أشجار السرو من لطف عقد اللؤلؤ وأعلام الأغصان الملونة) .

(ومسرة عظيمة لا توصف ، ولذة دائمة وبلا حدود ، وعمر خالى من النقصان ، وحياة بلا هموم) .

كما أكثر (ميرزا مهدي خان) فى « درة نادرة » من التضمين ، مثال ذلك :

(سلك صديقه الظريف قلم أكواب الرحيق من زجاجة كتاب على محتسى شراب التحقيق

لم تــر عينى كاتبا مثله   لكل شيء شــاء وشــاء

يبدع فى الخط وفى غيره   بمعجزه الانشاء ان شاء) .

(بدأ كأس التزيين المزخرف والطريقة سريعة المفعول عبارة الزينة فى العقل الخاطف والمسرور بالعقل المتعقل ، صنع الشراب الخالص والمسك المسحوق :

ـــ فاحت رائحة الروح العطرة من تلك الأوراق العنبرية .

ـــ ان كل قطرة كانت أقوى من المسك) .

(وكتبت الأرض للورق « ماشيا على رأسه » ، وكتب ملك الأفق ونادر الآفاق :

ـــ من خوف ضرب سهم قوس كمال ذى القرنين

ـــ يذهب كل ليلة فى أى مغرب الشمس مقلوبة ٠

(دخانك الأسود من دخان شعلة جبل الطور ، وحبرك المسكى اللون سلسلة ذؤبة الحـور ٠

كأنك من كل النفوس مركب وأنت الى كل القلوب حبيب

كما أكثر من ايراد الطباق ٠ مثال ذلك :

(الفضاة البيضاء تنفع فى اليوم الأسود) ٠

(النعمة المصانة من النقمة) ٠

(فرح بلا غم ، وفرح بلا ضيق) ٠

(الحمد والشكر بكرة وأصيلا) ٠

وأكثر أيضا من الاقتباس من القرآن الكريم ٠ مثال ذلك :

« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » يعنى ذلك المبعوث على النساء والرجال ٠

(سحب قلم الكتابة على خطوط كتب الاشراف ، وسطور رسائل الأفاضل ، ظهر لأهل الدنيا من هذا التأليف المتين « وفى نسختها هدى ورحمـة » « بلسان عربى مبين » ، برهـان دعوة « انى عبد الله آتانى الكتاب ») ٠

وأحيانا ما كان (ميرزا مهدى خان) يورد الجمل التى تحتوى على ألفاظ ثقيلة وركيكة من أجل الصنعة اللفظية ، مثال ذلك :

(يكون جيبه الملىء بعيوب ضميره وعاء الاينسون والقرفة والبسباس، وحلاوة أمر أعماله شراب شرب الرياء لكل الناس) ٠

ولعلنا من خلال تصفحنا ل « درة نادرة » نجد أن الأدب وثيق الصلة بالتاريخ فهو مرآة العصر ، وهو تعبير عن أفكار الانسان وعواطفه ، وهو يفصح عن دخائل النفس البشرية ويصور أحلامها وأمانيها ، ويرسم نواحى مختلفة من حياتها الواقعية سواء أكانت أفرادا أم جماعات ، ومن حياة المدينة أو الريف ، بل ومن النظم الاجتماعية والحالة الاقتصادية ، وكل ما يقع تحت حس الانسان ويدخل فى نطاق ادراكه وتصوره ٠

من أهم آثار (ميرزا مهدى خان) التى أظهر فيها ابداعه الفنى :

١ ـ درة نادرة : وهو موضوع بحثنا ٠

٢ ـ تاريخ (نادر شاه) والمعروف ب « تاريخ جهانكشاى نادرى » وهو كتاب سجل فيه الفتوحات التى قام بها ، ووقائع دقيقة حدثت فى عصر (نادر شاه) .

٣ ـ كتاب « سنكلاخ » وهو كتاب فى أصول اللغـة التركية الشماليـة الجغتائية .

٤ ـ « مبانى لغت » وهو فى قواعد اللغة التركية .

٥ ـ كتاب مجمع المنشآت من دوائر الوزارات ، وهو كتاب يشتمل على الأوامر والمراسيم والمعاهدات والفتوحات ورسائل الصـداقة التى تمت فى عهد (نادر شاه) .

كما ترك (ميرزا مهدى خان) مكتبة قيمة لأولاده وأحفاده ، ولكنهم أضاعوا معظم كتبها وكان آخر أحفاده محمد على تربيت ابن المرحوم ميرزا صادق ابن ميرزا جواد ابن ميرزا على أكبر ابن ميرزا مهدى خان .

● الفصل الثالث ●

- ١ -

دراسة حول « درة نادرة »

اذا نظرنا الى « درة نادرة » فاننا سنجدها من أصعب النصوص وأكثرها تكلفا فى النثر الفنى الفارسى ، فقد كان غرض المؤلف الأساسى أبراز قدرته على انشاء النثر الفنى ، أما كتابة التاريخ فانها تأتى عنده فى المرتبة الثانية .

وعلى الرغم من مرور أكثر من قرنين على تأليف « درة نادرة » ، الا أنها مرت بمراحل عديدة ومتباينة ، فتارة يهتم بها الأدباء والكتاب ، وتارة أخرى يعرضون عنها ، ويجعلونها قبلتهم تارة ثالثة ، والمؤلف فى المراحل الثلاث تتأرجح مكانته ، فحينا يكون هدفا لطعن المثقفين وتجريحهم، وحينا آخر يكون أضحوكة للمعلمين وموضعا لنقد الأساتذة ولومهم .

وكان المعلمون يستخدمون كلماته لتزويد مفرداتهم اللغوية ، كما ضمنوا كتبهم ومؤلفاتهم فقرات منها ، لكن لم يكن يمضى وقت طويل حتى يعدون أن نفس الفقرات والجمل المنقولة عن « درة نادره » ترهات واسهابات بلا فائدة .

ولعلنا نلاحظ أن المؤلف قد قصد من اطالة الجمل فى الحديث عن موضوع واحد اثبات تمكنه من ناصية اللغة الفارسية ، وخاصة أنه كان يورد ألفاظ صعبة وكلمات غريبة مستهجنة ، وعلى الرغم من ذلك نجد أن «درة نادره» كتبت بأسلوب لائق ومتميز اعتمد مؤلفه على براعته اللغوية، وتمكنه من اللغتين الفارسية والعربية وحسن بيانه ولو لم تكن « درة نادره » موضع اهتمام الكتاب والأدباء ، ما ظلت طيلة قرنين تخط وتطبع عدة مرات ، خاصة فى هذا العصر الذى اختلف فيه أسلوب التعليم من ناحية ، وتخلص النثر الفارسى من قيد الكلمات العربية المهجورة الصنعات اللفظية من ناحية أخرى .

وقد تحدث (تقى بهار) عن أسلوب (ميرزا مهدى خان) ، وذكر « درة نادرة » ضمن مؤلفات (مهدى خان) المعقدة والمتكلفة وغير المشوقة ، وفى رأيه أنها مجرد تقليد بحت لاسلوب نثر (الجوينى) و (وصاف

الحضرة) الصعب والتركيب ، بل كان يمكنه أن يأخذ أربعة أو خمسة نماذج من تاريخ (وصاف) كأمثلة يكتفى بها لاظهار الصعوبة والتكلف ، ويتضح هذا الأسلوب فى الكتاب المعروف بـ « درة نادرة » وبعض مؤلفات (ميرزا مهدى خان) الأخرى (٨) ·

وهكذا نجد (تقى بهار) يضـــع « درة نادرة » فى عـــداد المؤلفات المعقدة الصعبة فى أسلوبها ، والتى تعتمد فى تقليدها على الأسلوب القديم المأخوذ عن تاريخ (وصاف) ونثر (الجوينى) و (مرزبان نامة) ·

ولعل أهـــم ما يلاحظ من خـــلال تصحف أوراق « درة نادرة » أن مؤلفها صاحب معرفة عامة وثقافة تامة فهو عالم متبحر فى مختلف العلوم والفنون ، وها هو يظهر درايته بعلم النبات فيقول :

(فى تراب أرض السعادة ، صبت الرياح الماء على نار القلوب ، وخلط نسيم السحر رائحة الروح والريحان بأنف أهل الدنيا ، لم يتمكن الورد من الانبساط فى القميص ، لم يلتئم فم البرعم من الضحك ، ولم تنم عين النرجس من السعادة ، وفرش الورد المخملى فى أرضية البستان ، وجلس الزنبق مزدهرا ، واتكأ البنفسج من الدلال على الساعد ، ونزع الياسمين اليأس من القلب ، ونام الورد من الدلال على الغصن ، وقص السوسن قصة بمائة لغة ، وتفتحت البراعم وردة وردة ، وكان الندى يثقب الدر لعقد وجه الورد ، وكانت حشائش حسن يوسف مثل حسن يوسف العزيز ، وزلف العروسين مثل ذوائب العرائس المحبوبات ، فقد الصنوبر القلب ، ووقفت شجرة الحرية بذلة ، كان العرعر والشمشاد تطف الحفل الخاص ، نهض السرور بأصول عزف الفاختة الرقاص الجتار للرقص ، وزين الصفصاف نفسه بطرة معطرة مثل مجنون ليلى ، كان الورد الأحمر يشعل النار ، وكان الزهر يظهر الحمرة من سواد الفحم ، هبت رياح الصبا ونقلت النسيم بين البراعم وكانت تقطف القوة النامية من وريقة غصن النبات فى البستان ، وكان شجر الورد يعتبر من أوراق السمندر ، وأنضج العبهر النرجسى ٠٠)٠

وهكذا نجد أن (ميرزا مهدى خـــان) كان متمكنا فى عالم الزهور والنباتات ، وبالمثل كان خبيرا بخصائص الأعشاب الطبية ، ودليل ذلك :

(يشرح بالقلم السائر على مفاصل العظـــام والدمامل والجدرى ، وكتب للعضلات والمفاصل قوائم معقدة ومفصلة والطف من ماء المفاصل وأعذب من نهر السلاسل) ، حمل بالغريزة الغزيرة الحصبة من جســـم

---

(٨) تقى بهار ، سبك شناسى ، ج ٣ · ص ٣١١ ·

الحصباء ، والصفراء من وجه القمر وزال بحسن التحديق والتحذيق الحمى المطلقة من طبيعة الشمس والدوران من قمة الفلك الدائر ورفع المرض الصفراوى ارتفاع درجة الحرارة وعلاجها ب « السقمونيا » ، ورفع صداع الشمس للمشفق بقرص تباشير الصبح صباحا ، يراعى مهارة الطب فى آهلياج آماله ، وحطم من دقة الصنعة شدة الضغط وعلة البرد فى شهر « دى » بالبهمن ، أنبت بحصافة العقل من بذر الخرفة حب الواقواق وفتح بالعقل المحكم من بذرة البنج رقيب الشمس .

نهض بنكهة روحه المعطاءة من الأرض البور بدلا من تفتح نبات حى العالم ، وقام حافظ الأجساد من التراب الهالك بأنفاس قابض الأرواح ، تعلم منه الجسد الذى بلا روح يبروح الصنم حبا كثيرا ، قبل ثمر الفهم بلا لؤلؤ لزينة من حلية حسن تدبيره ، وجعل بقلة الباردة من خلاصة علم العقل ، ومنح لحية التيس رونق زلائف الملوك ، وتجملت شيبة العجوز بالقراط وزلائف الملوك ، وتزينت العروس فى الهودجة واللعبة البربرية بشعر مجعد هو أصل الشعر المفافل ، وجعل شعر الملائكة بالمقدرة الطبية شجرة رستم ، وفتح كف آدم من نفس المسيح قبضة مريم لطالب الخبز من خبز الأفحوان دكان الخباز مدحته السنة العصافير بثمان أفواه .

وهكذا نجد (مهدى خان) يعدد الأعشاب الطبية المستخدمة فى كافة الأمراض والعلل والأسقام ، وكأنه خبير وطلع اطلاعا كاملا على هذا العلم .

كما أنه على علم تـام بالطيور وأنواعها وفصائلها ونغماتها ، مثال ذلك :

(كان صوت كل بطة عود جميل النغمات ، وكان لحن كل طائر صوت عنقائى سار ، وكان الحبار السعيد ديك فى الصباح وديك برى النغمة ، وصوت الوتر فى الثورة صوت غراب كل قول نغمة الزاغ ، كان آنين جكاوك مثير ساحة حديقة تسجاع البلابل مزيل للهموم ، وكان صوت العنادل يمحى الأشجان ، وكانت شعلة صوت نغمات عود القمارى تشعل النار بروح عود قمارى ، كان صوت مينا يثير الضوضاء الفلك البللورى ، وكانت البومة تظهر بلباس الهما من فرط السعادة ، ومن اقبال سعادة الهما لقميص السعيد سعادة فى الصدر ، اتكأت عروسك مثل العرائس التتاريات على الوسادة الريش ، وأظهر الكروان بصيحة لك الحمد راحة كبيرة ، كان الكبك يغنى على الفلك باللغة الدرية ، وكان الهدهد يقـذف بقبعة النشاط فى الهواء ، جعل جبل قباء حجر صلب فى الصدر) .

كما أنه فصل الحديث عن بعض النغمات والألحان الموسيقية ، مثال ذلك :

(ربط الطوق على الوسط بكمال العظمة والجلال ، كان يلعب بالسيف وارتدى النبع لباس الموج المائي الذى كان يعزف آبشار رود ، كان ينشد ما وراء النهر ، وكان فى أركان الدنيا الأربع قانون خرم ورفع فى الجهات الخمس فى الجهات الست سبع أقاليم أرغنون السرور العالى الصوت من كمال الغناء ، كل فقير فى قلعة تبديل نغمة شادروان مرواريد ، وأعطى من قمة نواهر العجز فى عرش خسرويرويز العالم نغمـة آيين جمشيدى والنغمة الخسروائية ، نغمة رهاوى تخلص عشر قلوب من نقرات الغم ومن ارتفاع الفرح نغمة شام حجاز وعراق نوروز العرب والعجم مخالفين غير متآلفين فى الظاهر والباطن مغلوب آنين الليل وتأوه السحر وخارج ألحان مقام راستى الباكين فى دائرة الحيرة المحيرة الصغيرة والكبيرة صفاهان وتاجيك وترك لنيشابور بياتـا ونهارا من فرخ روزى على شهناز وفراغ عقول الرأس الصلبة مثل الطنبور ضرب بأظافر الحسرة مخلب فى صدر المحنة عازف القمة والقاع نغمات أسفل وأعلى ، ووصـل مخلب النشاط الحجاب فى حزن كوشة أهالى فيلى ونهاوند مثل العشاق ، موسيقار نغمة السرور وزنكومه بندان زابل وتبريز من دولة كبراى شاه خسروان المقام رفيق البهجة والسرور ، من شور السماع سامعه فى برج الاذن الولـه بالسمع والوجد وحدى سامعى منشدى الحب ، مرقص قلوب ليلى وشان بستة نكار وادى حجاز ونجد) ٠

واذا نظرنا فى ثنايا المخطوط نجد كم كان (مهدى خان) صاحب ثقافة أدبية وشعرية واسعة ، ويظهر هذا من خلال ذكره للبحور والأوزان الشعريـة ٠

(وأركان بيت ذو قافيتين وجود مع جود جودته ، فى فن بديـع الابداع يتكون بحسن التناسب ونسيج نساج القدر ثوب عاداته المزركش ، والثوب ذاته المزركش بلا شوائب الالتباس بصنعة نسيج الخيمة الملونة وتزينها بالحرير وزخرفة الثياب وحمل الأحمال على الأعناق بنسيج المحسنات الذاتية واللطائف العرضيـة ، ألبس القامة الموزونة رقـة النظم الجميل والثوب الرقيق اللطيف ، وروى عطش شفاه الكلام من معانى ساقى ماء المعـين) ٠

(وصارت نهاية غزليات أحواله من المطلع الى المقطع من الاختـلال وصدع توالى مصائب الدهر وأصبحت القافية وتشددها توارد وساوس المداخلة وبقـوافى غموم المتـكاوس والمتراكب وأسجاع هموم المتـدارك والمترادف المقفى والمردف ، وصار بكثرته دخيل نار المحن ومقيد بقيـد نوائب الدهـر ، ونثر منظومـات وسائل معيشته من استدراك التنافـر

والتناقص واتبـاع التغيير والتنـاقض ، وجـاء من سبب الوتر المقطوع والمهجور ، ويرى تسهيل وتكميل لأموره تحت طباق الفلك المضيء ، والسماء المليئة بالنجوم ، نموذج السهل والممتنع ، كانت قصائد مقاصده لنمو حظ الترجيع وبأعنات الكروب المستزادة ، يختارون مثل الروى ركن بيت العزلة ، وينتج تركيب بلا انتظام حاله من الصدر حتى العروض موصولة بالهم ومذيلة بالغم ، ومنذ ابتداء الحياة حتى نهايـة الأجل من جمع مع تفريق من جمع الأذى وتفريق السعادة) .

ويعد (ميرزا مهدى خان) موسوعة تاريخية ، حيث أورد أسماء بعض أبطال « ايران » المشاهـير ، كما أورد بعض الأبطال التورانيين ، وذلك بجانب ذكره للأحداث التاريخية العامة ، ويتضح ذلك مما سنورده :

(ارتقى (كيومرث) (١) الشأن الذى صيت عدله واتصافـه من صوت شهرة البيشداديين (٢) ، و (كيقباد) (٣) المكانة الذى قبة خيمة جلاله ختم على قلب الكيان، واعتبروا (فرخ زاد) (٤) الملك (الساساني)(٥) قانـون ساسان فى بـلاط الفلك ، و (نرسى) (٦) الشوكة الذى لقبـه الأشكانيون (٧) أشكانيا لنثره الدمع لعدم امكانية الوصول لخدمتـه ، و (أرد شير) (٨) القدرة الذى كان الأسد المفترس أمام مهابته أقل من

(١) يدعى الايرانيون القدامى انه آدم ابو البشر ، بينما يعتبره المؤرخون مؤسس الأسرة البيشدادية . (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ . ص ١٤٩ .)

(٢) أول أسرة حكمت ايران فى العصر الاسطورى ، مؤسسها كيومرث ، ومعنى پيش داد العادل الأول . المرجع السابق ، مج ١ . ص ١٤٩ .

(٣) أول ملك كيانى ومؤسس الأسرة الكيانية التى حكمت بعد البيشدادية ، (محمد خاوند شاه ، روضة الشفا ، مج ١ ، ص ١٧٠ .

(٤)فرخ زاد بن خسرو ، من الأسرة الساسانية ، تولى حكم ايران بعد مقتل كسرى نوشيروان ، (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٤١ .

(٥) سميت بالدولة الساسانية نسبة الى ساسان بن بهمن بن اسفنديار البيشدادى ، ويعد أردشير بن بابك مؤسس الاسرة الساسانية بعد قضائه على الاشكانيين . (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٢٠) .

(٦) هو نرسى بن بيزن من الأسرة الاشكانية ، تمكن من دفع اليونانيين عن ايران وحكم مدة احدى عشر عام . (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٢٠ .)

(٧) هم ملوك الطوائف ، كانوا قواد فى جيش الاسكندر المقدونى ، وولى كل قائد من قواده على ولاية من الولايات الايرانية ، وظلوا يحكمونها حتى ظهر ردشير .
(المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢١٨ .)
ص ٢١٨ .)

(٨) مؤسس الدولة الساسانية بعد قضائه على الاشكانيين (المرجع السابق ، مج ١ ،

الثعلب ، حسن تفكير (بهمن) (٩) المقام الذى جاء لمطاردة أسد تهوره فهد أعمى فمال للعرج ، (اسكندر) (١٠) الملك الضعيف حانة أحسانه والملوك المنتصرين حجاب تراب الغربال ، بلاط (برويز) (١١) شأنه يصبح من لطف سكنة بأنه كل من يعانده الحظ (أفراسياب) (١٢) الشأن ، وفى بحر سطوته الهائل يشابه كأس رأس (اسكندر) (١٣) عرش (افراسياب) مالك الرأى زينة العالم كثيرة الزينة والتاج والعرش أمامه لون وعقل ، (فريدون) (١٤) الحقير و (هوشنك) (١٥) الضعيف فى ساحة واحدة من العظمة والسمو مع (تهمتن) (١٦) جسد واحد ، وفى ميدان حربه (اسفنديار) (١٧) معزول من الشجاعة ببلاطه العالى ٠

أن الملك (كيومرث) الشأن ، (افراسياب) القدر ، (جمشيد)(١٨) العزم ، قارن المقترن بالاسكندر ، (دارا) (١٩) الرأى ، (بهرام) (٢٠) المجلس ، الجنود قساة القلوب ، (كستهم) (٢١) الشجاع البطل ،

---

(٩) ابن اسفنديار البيشدادى ، وقد لقب بذات اليد الطويلة حيث تمكن من الاستيلاء على أقاليم الدنيا السبع ٠ (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٨٧ ٠)

(١٠) ابن دارا وكان حاكما لايران فترة من الزمان فى العصر الساسانى ٠ (محمد حسين خلف التبريزى ، برهان قاطع ، ص ٧٩ ٠)

(١١) خسرو برويز أحد الملوك الساسانيين ، تولى العرش بعد هزيمة بهرام جوبين (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ٢٣٩) ٠

(١٢) من أصل تورانى ، تمكن من الاستيلاء على ايران بعد مقتل ملكها منوجهر ٠ (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٦٩ ٠)

(١٣) هو الاسكندر المقدونى ، فاتح يونانى تمكن من الوصول حتى بلاد الهند والصين ٠ (محمد حسين خلف التبريزى ، برهان قاطع ، ص ٧٩ ٠)

(١٤) ابن اتقيان بن جمشيد من حفدة كيومرث ، من الحكام البيشداديين الأوائل ٠ (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ٢١٠ ٠)

(١٥) ابن سيامك بن كيومرث ، تولى الحكم بعد جده نظرا لوفاة والده ٠ (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٥١ ٠)

(١٦) لقب رستم بطل ايران العظيم (زهراى خانلرى كيا ، فرهنك ادبيات فارسى ، ص ١٤٨ ٠)

(١٧) ابن كشتاسب ، ملك كيانى ، حكم خلال حياة رستم زال ٠ (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ٠ ص ١٨٧ ٠)

(١٨) يتكون اسمه من مقطعين جم بمعنى كأس ، شيد بمعنى ضوء الشمس ، وقد حكم ايران بعد والده هوشنك ٠ (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٥٥ ٠)

(١٩) دارا بن بهمن بن اسفنديار ، تمكن من هزيمة فيلقوس قيصر الروم ٠ (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٩٠ ٠)

(٢٠) ملك ايرانى بن يزد جرد الأثيم ، حكم مدة ٤ أعوام ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ٠ ج ١ ، ص ١٩٣ ٠)

(٢١) ابن نوذر بن منوجهر ، واسم بطل ايرانى ٠ المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ ٠

(سام) (٢٢) الحسام ، (رستم) (٢٣) الرسم ، (بولاذ) (٢٤) الضرب ، والبطل (يلان) (٢٥) الصولة ، (بلانشان) البأس شبيه (كشواد (٢٦) والبطل (كاموس) (٢٧) معدن قوس (الوا) (٢٨) مثل لواء (قلواش) والمقاتل ، (جويا) (٢٩) العراك ، (جنكش) (٣٠) المخلب ، (بندوى) القيد ، بطل صنع (كرد كير) (٣١) الأسر ، (فورشيد) (٣٢) العظمة ، مثل (هومان) (٣٣) حين وصف المهزومين ، (يشنك) (٣٤) الشأن ، (اشكيوس) (٣٥) القهر ، (كركين) (٣٦) الانتقام ٠

---

(٢٢) هو سام بن نريمان جد رستم بن زال بطل ايران ٠ (زهراى خانلرى ، فرهنك ادبيات ، ص ١٤٨ ٠)

(٢٣) بطل من أبطال ايران القدامى ٠ (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٨٢ ٠)

(٢٤) اسم بطل ايرانى ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ، مج ١ ، ص ٢٤٤ ٠)

(٢٥) محارب تورانى قتل على يد بيزن بن كيو ٠ (المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥١٩) ٠

(٢٦) أحد أبطال ايران العظام ، عاش فى العصر الكيانى ٠ (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٧٦ ٠)

(٢٧) مبارز كاشانى ، واسم ملك السنجاب ، واسم قيصر الروم حضر لمعاونة افراسياب ضد رستم فقتل على يده ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ج ٢ ، ص ٢٣١ ٠)

(٢٨) اسم الشخص الذى يحرس حربة رستم دستان ٠ (المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٩٦ ٠)

(٢٩) اسم بطل تورانى ، قتل على يد رستم ، محمد باد شاه ، فرهنك آنندراج ٠ مج ١ ، ص ٨٥١ ٠

(٣٠) اسم محارب تورانى جاء لمعاونة أفرا سياب فقتل على يد رستم ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ، ج ١ ، ص ٣١٦ ٠)

(٣١) ابن افراسياب التورانى ٠ (المرجع السابق ج ٢ ، ص ٣١٦) ٠

(٣٢) اسم شقيق بيران ويسه البطل التورانى ٠ (المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨١) ٠

(٣٣) اسم شقيق بيران ويسه وقد قتل فى معركة كنابد على يد بيزن بن كيو ٠ المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ ٠

(٣٤) والد أفراسياب واسم محارب ايرانى ٠ (المرجع السابق ، ص ٢٣٤) ٠

(٣٥) اسم بطل تورانى ، انضم لأفراسياب لمعاونته ضد رستم ولكنه قتل على يده ٠ (محمد غياب الدين ، غياث اللغات ، ص ٤٠ ٠

(٣٦) بطل ايرانى ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ٠ برهان قاطع ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ ٠)

والبطل (شيروى) (٣٧) الرأى ، (روئين) (٣٨) العمود ، (كوبال) (٣٩) الحربة ، والبطل (زواره) (٤٠) القوة ، (برزو) (٤١) المتوجه للقتال ، (فريبرز) (٤٢) القامة ، والبطل (كرزم) (٤٣) الحرب ، (كرازه) ٤٤ التبختر ٠

ومما سبق نجد (مهدى خان) يستعرض أسماء مشاهير أبطال ايران فى سلاسة ويسر ، ومفاخرا بهم فى أكثر من موضع ٠

ولقد أراد (مهدى خان) أن يظهر نفسه متكامل المعرفة فيما يتصل بأدباء العرب وشعرائهم ٠ (كل أديب عاقل يظهر الأدب كفنون أدب (السيوطى) (٤٥) بأسواط التوبيخ ، ويعتبر (الاخفش) (٤٦) أخف من الحذاء ، و (ابن الضايع) (٤٧) الذى رسم أبو الفضل النحات اسمه مجنس ، و (شجرى) (٤٨) الذى يفر وقت الشجار ، و (الحريرى)(٤٩)

---

(٣٧) ابن حسرو برويز ، خالف والده وعرف بشيرويه ، واسم بطل ايرانى كان فى خدمة الملك منوجهر ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ٠ ج ٢ ، ص ١٢٨ ٠)

(٣٨) أحد القواد الايرانيين ٠ (محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٧٦ ٠)

(٣٩) أحد القواد الايرانيين ، عاش فى العصر الكيانى ٠ (المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٧٦ ٠)

(٤٠) شقيق رستم دستان ٠ (محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ٠ ج ١ ، ص ٥٠٠ ٠)

(٤١) محارب تورانى فى جيش افراسياب ٠ (المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٣ ٠)

(٤٢) بطل ايرانى ، قاد جيش ايران ضد التورانيين خلال فترة حكم كيخسرو الكيانى ، محمد خاوند شاه ، روضة الصفا ، مج ١ ، ص ١٧٦ ٠)

(٤٣) شقيق اسفنديار ، سبه أمام والده كشتاسب فحبسه ٠ محمد حسين بن خلف التبريزى برهان قاطع ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ٠

(٤٤) بطل ايرانى ، قتل سيامك فى معركة « دوازده رخ » المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١٣ ٠

(٤٥) جلال الدين السيوطى ، نشأ بالقاهرة وشارك فى شتى أنواع العلوم وله مؤلفات عديدة ٠ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ٠

(٤٦) سعيد بن مسعدة المجاشعى المكنى بابى الحسن ، من علماء الأدب ، متوفى بين (٢١٥ ــ ٢٢١ هـ) ٠ محمد على التبريزى ، ريحانة الادب ، ج ١ ، ص ٤٩ ٠

(٤٧) ابن الضايع على بن محمد بن على بن يوسف النحوى الاشبيلى ، المكنى بابى الحسن متوفى عام ٦٨٠هـ وعمره سبعون عاما ٠ المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٥٧ ٠

(٤٨) شريف بن هبة الله البغدادى ، مؤلف كتاب الأمالى ٠ بن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٥ ، ص ١٠٠ ٠

(٤٩) قاسم بن على المكنى بابى محمد ، صاحب المقامات ، (٤٤٦ ــ ٥١٥ هـ) ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، ج ٢ ، ص ٨٨ ٠

يجعل بضاعة الكلام كاسدة ، (والفراء) (٥٠) يمزق بالكزلك الصغير اللبـاس الصوفى ، لم يشتر (ابن الانبارى) (٥١) بشعيرة ، واقتلع (تاج) (٥٢) من فتحة أكليل الجلد ، وتحطم (الزجاج) (٥٣) ، وعندما قرأ فيإستكشاف آداب أدب الأدباء بمأدبة التحقيق،أخذ (ابن السكيت)(٥٤) جنون السكوت واتجه (نمرى) (٥٥) لوجه البهاء ، وهرب (الثعلبى) (٥٦) للحجر صارخا ، ويصعد (سيبويه) (٥٧) من غصن الى غصن ، ويعبر (الفالى) (٥٨) صحارى الحيرة ، وينسب ضعف الرأى ل (عنبسة الفيل) (٥٩) وينكس (الاعلام) (٦٠) علم العلم ، ويسب (نفويه) (٦١) الدخان الأسود على الجبين ، ويأخذ (ابن خالوية) (٦٢) نسبة « عموا صموا » ، ولايستطيع

---

(٥٠) يحيى بن زياد بن منظور المكنى بابى زكريا ، من علماء النحو واللغة والادب (١٤٤ ـ ٢٠٧ هـ) ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج ٢٠ ، ص ٢٩ .

(٥١) محمد بن ابى محمد المكنى بأبى بكر (٢٧١ ـ ٣٢٧ هـ) . محمد على التبريزى . ريحانة الأدب ، ج٥ ، ص ٢٥٧ .

(٥٢) تاج الدين عبد الوهاب بن على ، من علماء القرن الثامن الهجرى المعروفين (٧٢٧ ـ ٧٧١ هـ) . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٥٣) ابراهيم بن محمد سهل المكنى بأبى اسحق ، من علماء النحو فى القرن الثالث والرابع الهجريين . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٥٤) يعقوب بن اسحق المكنى بابى يوسف ، من علماء الادب (م ٢٤٦ هـ) . المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٤٣٨ .

(٥٥) حسين بن على البصرى ، اديب ولغوى (م ٣٨٥ هـ) . محمد على التبريزى ، ريحانة الادب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(٥٦) أحمد بن محمد النيسابورى ، من مشاهير الفقهاء والمفسرين فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (م ٤٢٧ هـ) . ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، ج ٥ ، ص ٣٦ .

(٥٧) عمر بن عثمان البيضاوى البصرى المكنى بأبى البشر ، صاحب كتاب الكتاب (م بين ١٦١ ـ ١٦٤هـ) . بن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .

(٥٨) على بن أحمد بن على بن سليمان القالى ، محدث ومؤدب ، من آثاره الآمالى والاستقامة . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٧ ، ص ٢٠ .

(٥٩) عنبسة بن المعدان الفيل الميسانى ، تلميذ ابو الاسود الدؤالى . ياقوت الحموى معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ١٣٣ .

(٦٠) ابراهيم بن القاسم المكنى بابى اسحق ، أديب ولغوى ، (م ٦٤٢هـ) . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦ ٢.

(٦١) ابراهيم بن محمـد بن عرفه بن سليمـان البغدادى الواسـطى الأزدى (٢٢٤ ـ ٣٢٣ هـ) . بن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ٣٠ .

(٦٢) حسين بن أحمد المكنى بابى الحسن ، من علماء النحو واللغة (م ٣٧٠ هـ) . المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٣٤ .

(أبو الأسود) (٦٣) أن يصبح أبيض ، ولا يستطيع (اللحيانى) (٦٤) عرض اللحية ، يكتب (الجاحظ) (٦٥) هناك ، ولا يفرق (ابن الهرى)(٦٦) بين قط وفار ، وعندما يزين المعلم سياق الكلام ، ويستحسن من الكلام افادات نظم (المبرد) (٦٧) بالترحاب ، ويكتسى (كسائى) (٦٨) بكساء الشرف ٠

وهكذا يعرف كل ذى راى بليغ حوليات (الزهير) (٦٩) ، واعتذارات النـــابغة) (٧٠) ، هاشـــميات (الكميت) (٧١) ، ونقائض (٧٢) (جرير) (٧٣) ، وخمريات (٧٤) (أبو نواس) (٧٥) ، وزهديات (٧٦)

---

(٦٣) ظالم بن عمر بن سفيان الدؤلى المعروف بأبى الاسود ، واضع علم النحو وفقيه ٠ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ٤٧ ٠

(٦٤) على بن مبارك المكنى بأبى الحسن ، من أهل ما وراء النهر ، من ائمة علماء اللغة ٠ ياقوت الحموى ، معجم الادباء ، ج ١٤ ، ص ١٠٦ ٠

(٦٥) عمرو بن بحر المكنى بأبى عثمان ، عالم واديب ، ولد بالبصرة ، له مؤلفات عديدة منها الحيوان والبخلاء وغيرها ٠ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٨ ، ص ٧ ٠

(٦٦) عبد الله بن برى بن عبد الجبار ، من علماء اللغة والنحو (٤٩٩ ـ ٥٨٢ هـ) ٠ ياقوت الحموى ، معجم الادباء ، ج ١٦ ، ص ٥٦ ٠

(٦٧) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البغدادى البصرى ٠ بن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٣ ، ص ٤٤٤ ٠

(٦٨) على بن حمزة بن عبد الله المكنى بأبى الحسن (م ١٨٩ هـ) ٠ المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ ٠

(٦٩) زهير بن ابى سلمى ، شاعر جاهلى صاحب المعلقات المعروفة (٥٣٠ ـ ٦٢٧ م)٠ عمر فروخ ، تاريخ الادب العربى ، ج ١ ، ص ١٩٤ ٠

(٧٠) النابغة الذبيانى ، زياد بن معاوية المكني بأبى امامة ، أحد الشعراء فى العصر الجاهلى العظام ، ارتبط بملوك الحيرة وخاصة النعمان بن المنذر ، ثم فر الى الغساسنة ، ثم عاد ثانية للمناذرة ، وأنشد لهم الاعتذارات ٠ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ٤ ، ص ١٨٨ ٠

(٧١) كميت بن زيد الاسدى الكوفى ، شاعر بنى هاشـم ٠ خير الدين الزركلى ، الاعلام ص ٨١٦ ٠

(٧٢) نقائض الجرير والفرزدق اسم كتاب جمعه ابو عبيدة معمر بن المثنى التميمى ، موضوعه تناقض أشعار هذين الشاعرين العظيمين فى الهجاء ٠ مجـدى وهبـة ، معجم مصطلحات اللغة والأدب ، ص ٢٢٨ ٠

(٧٣) جرير بن عطية بن حذيفة الحصفى (٢٨ ـ ١١٠ هـ) الزركلى ، الاعلام ج ، ص ١٨٢ ٠

(٧٤) الخمريات هى قصائد ابى نواس فى وصف الخمر ٠ مجدى وهبة ٠ معجم مصطلحات اللغة والادب ، ص ٩١ ٠

(٧٥) حسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح المكنى بأبى نواس (١٤٥ ـ ١٩٥ هـ) يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مج ١ ، ص ٣٥١ ٠

(٧٦) اشعار ابى العتاهية التى انشدها فى الزهد ٠ مجدى وهبة ، معجم مصطلحات اللغة والادب ، ص ٣٢٣ ٠

(أبى العتاهيـــة) (٧٧) ، ومدائـح (البحترى) (٧٨) ، وتشـبيهات (ابن المعـتز) (٧٩) ، وروضيـات (الصنوبـرى) (٨٠) ، ولطائـف (كشاجم) (٨١) ، وبدريـات (المتنبى) (٨٢) ، وبديعيـات (بديـع الزمان) (٨٣) ، ورسائل (صبابى) (٨٤) ، ومقولات (ضبى) (٨٥) ، مثل كلام صبى على حجرة النسيان قرين لعدم الزينة .

لم يكتف (ميرزا مهدى خان) بذكر الادباء العرب والشعراء السابقين، بل أنه ذكر بجانب هؤلاء طائفة أخرى من الشعراء .

كسر فى معرض معارضة رباعياته الكاملة رباعيات (درست) (٨٦)، من الأساس بقبضة التوبيخ ، وأعاد بخمسماته المتينة لقبضة (بو سعيد الرستمى) (٨٧) ، بقوة المعنى وأمعن فى طريقة تناسب بدائع كلام (امرؤ

---

(٧٧) أبى العتاهية اسماعيل بن قاسم بن سعيد الكيسانى (١٣٠ ـ ٢١١ هـ) . مجدى وهبة ، معجم مصطلحات اللغة والادب ، ص ٣٢٣ .

(٧٨) الوليد بن عبيد الطائى ، من شعراء القرن الثالث ، محمد على التبريزى ، ريحانة الادب ، ج ١ ، ص ١٤٤

(٧٩) عبد الله بن المعتز بن المتوكل من تلاميذ المبرد والعباسى . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ص ١٥٤ .

(٨٠) الصنوبرى احمد بن محمد بن الحسن المكنى بابى بكر الحلبى ، شاعر بلاط سيف الدولة (م ٣٣٤ هـ) ، اشتهر بوصف الحدائق والروضات . محمد على التبريزى ، ريحانة الادب ، ج ٢ ، ص ٤٩٥ .

(٨١) محمود بن الحسين المكنى بابى الفتح ، كاتب وشاعر ومنجم ، له كتاب الرسائل وديوان شعر ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٠٠ .

(٨٢) احمد بن حسين بن حسن بن عبد الصمد المكنى بابى الطيب . الثعالبى النيسابورى يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٨٣) احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد ، صاحب المقامات . المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .

(٨٤) ابراهيم بن هلال بن زهرون ، المكنى بابى اسحق عامر الشريف الراضى الذى رثاه حين مات ، (٣١٣ ـ ٣٤٨ هـ) . يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مج ١ ، ص ٢٩٢ .

(٨٥) المفضل بن محمد بن يعلى المكنى بابى العباس . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٨٦)

(٨٧) محمد بن حسين بن رستم الاصفهانى ، شاعر معاصر للصاحب بن عباد . الثعالبى النيسابورى ، يتيمة الدهر ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .

القيس) (٨٨) المخالف للقياس ، لم يعتبر فصاحة (صخر) (٨٩) الا آلة تسخير ، لم يتحدث (جرير) (٩٠) الا على اعتراف « هو أفصح منى لسانا » (٩١) ، يرى منظومات (حسان بن ثابت) (٩٢) من منبت الأشواك وظن أن عذوبة كلام (سحبان) (٩٣) طراوة لسان ، ويعتبر المخضرم (٩٤) فى أنساب البلاغة مجهول النسب ، وينسب عدم الكمال (لأبى تمام)(٩٥)، وينثر طرفة فى (طرفة) (٩٦) العين طرائف النظم ونظم الطرائف ، يجعل (سمرة) أسطورة لقذف الكلام ، ويلقى (أسمر الحيص) (٩٧) بالضجر والضيق ، وجعل (كثير عزة) (٩٨) بلا عزة ·

تأثر (الأخطل) (٩٩) بالخطأ والخطل ، ويعتبر (ذو الدجاج)(١٠٠)

---

(٨٨) صندج بن حجر الكندى المكنى بابى الحارث الملقب بامرئ القيس ، من أشراف كنده شاعر جاهلى عظيم ، صاحب المعلقة المعروفة ، (٥٠٠ — ٥٤٠م) جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ١ · ص ١٠٧ ·

(٨٩) صخر بن عمر بن شريد شقيق الخنساء · ابن قتيبة ، عيون الأخبار · ج ٤ ، ص ١١٧ ، ١١٨ ·

(٩٠) حذيفة بن بدر بن عرف بن كليب الملقب بجرير والمكنى بابى عطية · يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مج ١ ، ص ٦٨٧ ·

(٩١) سورة القصص من الآية ٣٤ ·

(٩٢) حسان بن ثابت الانصارى المكنى بابى الوليد ، من عظام الشعراء المخضرمين ، من مادحى الرسول صلى الله عليه وسلم يوسف الياس سركيس ، معجم المطبوعات العربية ، مج ١ ، ص ٧٥٢ ·

(٩٣) سحبان بن زفر من بنى وائل ، ولد فى الجاهلية ، متوفى ٥٤ هـ ، كان خطيبا مقتدرا · عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى ، ج ١ ، ص ٣٩١ ·

(٩٤) المخضرم هو الشخص الذى عاصر فترتين متتاليتين · مجدى وهبة ، معجم المصطلحات اللغة والأدب ، ص ١٨٨ ·

(٩٥) حبيب بن أوس بن حارس ، من عظماء الأدب والشعر ، صاحب كتاب الحماسة ، صحب المعتصم فى حربه مع الروم · عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج ١٣ ، ص ١٨٣ ·

(٩٦) طرفة بن العبد ، شاعر جاهلى ومن اصحاب المعلقات · (م عام ٥٥٠ م) · عبد القادر البغدادى ، خزانة الأدب · ج ١ ، ص ٤١٤ ·

(٩٧) سعد بن محمد بن سعد الصيفى المتخلص بحيص بيص · ياقوت الحموى · معجم الادباء ، ج ١١ ، ص ١٩٩ ·

(٩٨) كثير بن عبد الرحمن ، وسمى كثير عزة نسبة الى معشوقته غزة جميل بن وقاص جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية · ج ١ ، ص ٣٣٢ ·

(٩٩) غياث بن غوث بن الصلت الثعلبى ، من طبقة جرير والفرزدق ، شاعر نصرانى عاصر بنى أمية · عمر رضا كحالة · معجم المؤلفين · ج ٨ ، ص ٤٢ ·

(١٠٠) ذو الدجاج الحارثى · شاعر ·

دجاجة بياضة ، يحطم (ديك الجن) (١٠١) ريش وجناح طائر الطيران العالى ، وتعتبر قلائـد (المتنبى) مبنيـة على التقليـد ، ويجد رباعيـات (المعرى) (١٠٢) خالية من السلاسة ، وينسب أشعار (معزى) (١٠٣) للسوء ٠

أما الأدباء الفرس الذين ذكرهم (مهدى خان) :

يكون كل (ناظم)(١٠٤) (قدسى)(١٠٥) الخصال،(صائب)(١٠٦) الرأى ، الذى يصمت أمام جودة كلامه نطق (الناطق) (١٠٧) ، ويتحطم (شوكت) (١٠٨) و (شاهى) (١٠٩) و (شانى) (١١٠) ، ويبتعد عن النضارة بستان بيـان (الفردوس) (١١١) بطراوة بيانـه ، وبجانب (اشراق) (١١٢) ضميره تكون شعلة (تجلى) (١١٣) الشمس مثل شمس

---

(١٠١) عبد السلام بن رغبان ، من شعراء العرب المتعصبين ٠ توفى عام (٢٣٥ هـ) ٠ عمر رضا كحالة ٠ معجم المؤلفين ٠ ج ٥ ، ص ٢٢٤ ٠

(١٠٢) احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المكنى بأبى العلاء (٣٦٣ ــ ٤٤٩ هـ) ٠ ياقوت الحموى ٠ معجم الأدباء ، ج ٣ ، ص ١٠٨ ٠

(١٠٣) شاعر معروف فى العصر السلجوقى ٠ معاصر لالب ارسلان ٠ وفاته بين (٥١٨ ــ ٥٢٠هـ) ٠ زاهراى خانلرى ، فرهنك ادبيات فارس ٠ ص ٤٨١ ٠

(١٠٤) هو ناظم الهروى ، شاعر ومداح سلسلة شاملو ، نظم مثنوية يوسف الزليخية ٠ لطفعلى آذر ، اتشكده آذر ، ص ٢٠٥ ٠
المرجع السابق ، ص ١٣١ ٠

(١٠٥) هو الحاج محمد جان الهروى القدسى ، من ولاية دلكير ، (م ١٠٤٢ هـ) ٠

(١٠٦) ميرزا محمد على التبريزى ، من الشعراء الصفويين ٠ المرجع السابق ٠ ص ٤٧ ٠

(١٠٧) ملازم الأصفهانى المتخلص بناطق ، عاصر الشاه عباس الثانى ، المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ٠

(١٠٨) محمد اسحاق البخارى ، المتخلص بشوكت ، وصل لخدمة حاكم هرات عام ١٠٨٨ هـ ٠ المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ٠

(١٠٩) آقا ملك جمال الدين ، شاعر بايسنقر ٠ المرجع السابق ، ص ١١١ ٠

(١١٠) وجيه الدين شانى تكلو ، شاعر الشاه عباس الاول م ١٠٣٢ هـ ٠ المرجع السابق ، ص ٢٦ ٠

(١١١) شاعر ايران العظيم ٠ (٣٢٩ ــ ٤١١هـ) مؤلف الشاهنامة ٠ المرجع السابق ص ١٢٢ ٠

(١١٢) مير محمد الباقر داماد ، عاش فى عصر عباس الأول الصفوى ٠ المرجع السابق ، ص ١٢٢ ٠

(١١٣) على رضا تجلى (م ١٠٨٣ هـ) ٠ المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ٠

التصوير بلا نور ، (خسرو) (١١٤) لا يتكلم عن عذوبة كلامه ، خجـل (سحابى) (١١٥) أمام أشعاره الرطبة مثل سحاب الربيع ، وبانشاد مقال الروح واهبة (جامى) (١١٦) خمر الشراء من فيض الشارب. وهكذا نجد (مهدى خان) كم كان مطلعا على الثقافة العربية عارفا بأدبائها معرفتـه بالفارسية وأدبائها .

ولعلنا نلاحظ أن (مهدى خان) أراد أن يجعل من درة نادرة موسوعة متكاملـة العلوم ، وبالتالى يثبت مقدرته الفائقة واطلاعه الواسـع ، وثقافته المتعددة الجوانب .

يكون كل طبيب ماهر يشعر أن (جالينوس) (١١٧) قد دون له روشتة عيادة افاداته ، ويرى جماعة الفصحاء تحت طية ملقى مهارته ، وفى علم علاج (الايلاقى) (١١٨) مقابل الجهل ، ويصف فى فن تشخيص مرض . (أرسطا طاليس) (١١٩) بالبطالة ، ويعتبر عالم الخمـر أى (أفلاطون) جاهل ونىء ، ويماثل (ديو جانس) (١٢٠) الشيطان والغول، ويجد (شـفائى) (١٢١) الحماقـة والهوان فى شفا حفـرة ، ويتصف

---

(١١٤) ناصر بن خسرو بن حارث ، كان شغوفا منذ الصغر بتحصيل العلوم . لطفعلى آذر ، آتشكده آذر ، ص ٢٦٥ .

(١١٥) ميرزا سيد محمد الأصفهانى ابن سيد أحمد هاتف ، من شـعراء العصر القاجارى ، معاصر ومداح فتحعليشاه قاجار . زهراى خانلرى فرهنك ادبيات فارسى ، ص ٢٤٣ .

(١١٦) نور الدين عبد الرحمن ، سمى بالجامى نسبة الى مسقط رأسه جام . لطفعلى آذر ، آتشكده آذر ، ص ١٠٤ .

(١١٧) اسم طبيب يونانى شهير ، عاش فى الفترة ما بين (١٣١ ـ ٢٠١ م) . لويس معلوف المنجد فى الأعلام . ص ٢٠٦ .

(١١٨) شرف الدين يوسف الايلاقى المكنى بأبى عبد الله ، قتل عام ٥٣٦ هـ . ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات ايران ، مج ص ٢٩٤ .

(١١٩) أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) فيلسوف يونانى ، كما تخصص فى الطب . وقد نبغ فيه حتى شبهه البعض بجالينوس . لويس معلوف ، المنجد فى الاعلام ، ص ٣٤ .

(١٢٠) فيلسوف يونانى ، من الكلبيين ، عاش فى أثينا ، عاصر الاسكندر المقدونى ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ص ٨٤٠ . القاهرة ١٩٥٩ .

(١٢١) شفائى الحكيم شرف الدين حسن ، طبيب ونديم الشاه عباس الأول . كما كان شاعرا . زهراى خانلرى ، فرهنك أدبيات فارسى . ص ٣٠٤ .

(أبو البركات) (١٢٢) بضعف الرأى ، عندما يبحث (ابن سينا) (١٢٣) عن ضالته شعب طور سينا يقول (هو أعلم بمنبت القصيص) (١٢٤) ، ويرى (أبو بصير) من توتيا قلمه ، وتصطحب نفسه القدسية أنفاس (مسيحا) (١٢٥) ، وخلق بطيبته طينة بنى آدم فى خاصيته معرفة الأشياء حيث ارتفعت مهارتـه عاليـا ، ويحتـاج فى معرفـة الآلام وكل أدويـة (بقراط) (١٢٦) بقليل من وسائل البحث وكثير من تراكيب علمـه ٠ صاح بصوت علم ضمير الطبيب ليس كسماء الفلك المطنن ، ومن افاداته المختلفة « قانون الشفاء »(١٢٧) المقنن،« موجز »(١٢٨) عن « كليات »(١٢٩) مهـارة « الكامـل » (١٣٠) وكافيـة (الحـاوى) (١٣١) ، وأسباب و « علامات » (١٣٢) « النجاة » (١٣٣) ، وفصل من « التذكرة » (١٣٤)

---

(١٢٢) هبة الله بن على بن ملكان البغدادى (م ٥٤٧ هـ) ٠ بن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ٠

(١٢٣) حسين بن عبد الله الملقب بالشيخ الرئيس (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) ٠ معجم أعلام الفكر الانسانى ، جـ ١ ، ص ١٧٥ ٠

(١٢٤) أى أنه عارف بموضع حاجته ٠ الميدانى ، مجمع الأمثال ، جـ ٢ ، ص ٥١ ٠

(١٢٥) اشارة الى معجزة سيدنا عيسى فى احياء الموتى باذن الله ٠ زهراى خانلرى ، فرهنك ادبيات فارسى ، ص ٥٨١ ٠

(١٢٦) طبيب يونانى ، لقب بأبى الطب ، ولد عام ٤٦٠ ق٠م ٠ بطرس البستانى ، دائرة المعارف ، مج ١ ، ص ١٨٨٩ ٠

(١٢٧) من مؤلفات ابن سينا فى الطب ٠ اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مج ١ ، ص ١٣٠ ٠

(١٢٨) كتاب فى علم الطب العامى والعملى ، تأليف بن غالب ٠ المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٢٦٩ ٠

(١٢٩) كتاب فى الطب تأليف سديد الدين محمود بن عمر الطبيب المكنى بابن رقيقة ، (م ٥٦٣ هـ) ٠ المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٠

(١٣٠) كامل الصناعة أو الطب الملكى ، تأليف بن عباس المجوسى ، وقد صنفه للملك عضد الدولة الديلمى ٠ المرجع السابق ، مج ١ ، ص ١٦١٩ ٠

(١٣١) كتاب مشهور فى الطب لمحمد الرازى ٠ حاجى مصطفى ، كشف الظنون ، مج ١ ، ص ٦٢٨ ٠

(١٣٢) الأسباب والعلامات هو كتاب فى الطب لبقراط ٠المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٧٧ ٠

(١٣٣) هو كتاب مشهور فى الحكمة لابن سينا ٠ اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية مج ١ ، ص ١٣١ ٠

(١٣٤) كتاب تذكرة أولى الألباب تأليف داود بن عمر الانطاكى (م ١٠٠٨ هـ) المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٤٩٠ ٠

فضل « المعنى » (١٣٥) و « شافيـة » (١٣٦) « ذخيرة » (١٣٧) العلم، و « منهاج » (١٣٨) فنون العلاج ، لو شرح بالجبهة رأس القلم على خط فى مؤخرة الرأس ٠

نستنتج من كل ما سبق أن (ميرزا مهدى خان) كان واسع المعرفة، كثير الاطلاع فى مختلف العلوم وشتى الفنون ، وان اطلاعه لم يكن مجرد علم بالشيء بقدر ما هو معرفة متعمقة وراسخة ، بحيث يمكننا أن نعتبره موسوعة علمية وفنية وأدبية ، فنجده يتحدث عن الفلك وكأنه فلكى ، ثم ينتقل بحديثه عن الأعشاب والزهور والنباتات الطبية كما لو كان عالما بها ، يعرف كل عشب والمرض الذى يعالجه ويعرج بنا الى عالم الطيور ذاكرا لنا أسماء مختلف الطيور المغردة والمحلقة ، ثم يميل بنـا الى عالم الموسيقى الحالم بألحانه ونغماته ، بل أنه ذكر لنا جزئيات كل نغمة ، ثم يقتحـم عالم الأبطال الايرانيين المشهورين حيث كان يحـرص فى كل مناسبة على ذكرهم متباهيا بهم متفاخرا بما صنعوه لايران ، جاعلا كل بطل منهم بصفة تدل عليه ٠

كما أراد أن يثبت تمكنه من الأدب العربى ، وأنه قارىء لتاريخـه وعالم بأسماء أدبائه فى مختلف العصور ، بل الأكثر من ذلك أورد لنـا اللون الشعرى الذى برع فيه كل شاعر من هؤلاء الشعراء ٠

كل هذا جمعه بطريقة جميلة وعرضها بأسلوب شيق وسلس ودون ملل ، حيث أنه أراد أن يجذب القـارىء للتعرف على كل هذه المعلومـات القيمة بدلا من الرجوع الى مراجع أو دوائر معارف لمعرفتها ، ورغم كونه أديبا ، الا أنه لم يهمل الجانب العلمى ، فقد ذكر لنا مشاهير الأطباء وأشهر مؤلفاتهم التى أفـادت البشرية وترجمت للغـات شتى وانتفع بها العالم أجمـع ٠

---

(١٣٥) كتاب فى الطب تأليف سعيد بن هبة الله (م ٩٤٩ هـ) ٠ حاجى مصطفى ، كشف الظنون ، مج ٢ ، ص ١٧٥٠ ٠

(١٣٦) الشافى كتاب فى الطب تأليف يعقوب بن اسحق (م ٦٨٥ هـ) ٠ المرجع السابق ، مج ٢ ، ص ١٠٢٣ ٠

(١٣٧) ذخيرة خوارزمشاهى ، تأليف زن الدين اسماعيل بن حسين الجرمانى الطبيب (م ٥٣٠ هـ) ٠ المرجع السابق ، مج ١ ، ص ٨٢٤ ٠

(١٣٨) منهاج البيان ، اسم كتاب فى الأدوية المفردة والمركبة ، تأليف بن جزلة من من تلاميذ نصير الطوسى الطبيب ٠ المرجع السابق ، مج ٢ ، ص ١٨٧٠ ٠

ـ ٢ ـ

أهمية مخطوط « درة نادرة »

اذا تحدثنا عن « درة نادرة » فاننا نجده يحتوى على بعض النقائض من ناحية الأسلوب والموضوع والمحتوى ، بما يجعلنا ننظر اليه بتحفظ ، لكن اذا راعينا نقص المصادر التى يعول عليها فى التأريخ للدولة الأفشارية ، وعدم دقة كتابات مؤلفى هذا العصر واضطرابهم فيما كتبوا ، فانه يمكن اعتبار « درة نادرة » ذا أهمية خاصة ، اذ أنه يتناول بالبحث تاريخ هذه الفترة من الحياة الايرانية ، ولو تجاوزنا عن الكتب المعروفة التى تحدثت عن تلك الفترة أمثال « جهانكشاى نادرى » ل (ميرزا مهدى خان) نفسه و « عالم آراى نادرى » ل (محمد كاظم) ، يجب الاعتراف بأنه من المؤسف أن تكون مصادر التحقيق الأصلية لدينا قليلة عن أعظم فاتحى آسيا ، وأعماله العديدة التى أنجزها مما كان لها أكبر الأثر فى الساحة السياسية لايران والعالم .

وقد اقتدى مؤرخو ايران المتأخرون ب (ميرزا مهدى خان) ، وذكروا ذلك فى مواضع شتى من كتاباتهم ، فمن الجدير بالذكر أن « درة نادرة » تشتمل على ايضاحات بشأن بعض المسائل التى لا توجد فى أى نسخة خطية أو مطبوعة عن هذا العصر ، صحيح أن المؤلف قد أخطأ فى بعض المواضع ، وعلى الفرض أنه لم يذكر بدقة تاريخ الاتفاقيات أو الأسماء المشهورة ، الا أن هذا الأمر كان شائعا فى معظم كتاب هذا العصر ، فلم تكن تخلو منها مؤلفات (ميرزا مهدى خان) مؤرخ (نادر شاه) وكاتبه الذى شاركه جميع رحلاته وفتوحاته ، وهكذا ندرك مدى أهمية هذا المخطوط المشتمل على تلك الفترة شبه المجهولة من تاريخ ايران ، والتى لم تحظ بما يناسبها من أهمية ، ولعل مرجع هذا أن (نادر شاه) كان يفرض سياساته وآراءه بالقوة ، حيث وصل به الأمر الى عمل تآلف بين المذهب الجعفرى الشيعى والمذاهب السنية وجعل الأئمة الشيعة يقرون بذلك بالتهديد والوعيد ، كما أن حادثة اسمال عينى ابنه الأكبر (رضا قلى) ميرزا أو غرت قلوب الايرانيين ضده أكثر ، ولعل هذا جعل المؤرخين لا يعطونه الأهمية الملائمة بصفته فاتحا عظيما تمكن من فتح الهند ، وهذا

عمل لم يجرؤ على فعله الا قليل من القواد الأفذاذ ، كما أنه بفضل ما يتمتع به من شجاعة وفكر عسكرى تمكن من تخليص ايران من أعدائها (الأفغان ـ الروس ـ الأتراك) ، هذا من الناحية التاريخية أما اذا نظرنا الى الأهمية الأدبية التى تكمن فى « درة نادرة » فاننا نجده يدلنا على الأسلوب الأدبى الشائع فى تلك الفترة والتى تلت العصر الصفوى ، وهى تعتبر امتدادا للأدب الصفوى من ناحية الخصائص والسمات التى كانت تميزه • هذا الى جانب ابراز التأثير الادبى للمؤلف من كتاب وكتاب العصور السالفة الذين تأثر بهم (مهدى خان) فى كتابة مؤلفاته بصفة عامة وكتابة « درة نادرة » بصفة خاصة ، ولعل أبرز من تأثر بهم (وصاف الحضرة) ، اذ وصل به حد التأثر الى أنه كان يقتبس فقرات كاملة ويضعها فى « درة نادرة » كما سنرى فيما بعد • وهكذا ومن خلال هذه الدراسة التى اشتملت على أكثر من جانب ، نكون قد أزحنا الستار عن كتاب جديد ، بأبعاد جديدة ليضاف الى المكتبة العربية للدراسات الشرقية •

ـ ٣ ـ

« درة نادرة » والنصوص الأدبية السـابقة عليهـا

ان « درة نادرة » لا تعتبر أثرا جديدا للمؤلف فى الكتابة ، وهو متأثر بالمؤلفات التى كتبت قبله من ناحية النثر الفنى المتصنع ، ذلك أن كتاب القرن السادس من ذوى المهارة والمعرفـة التامة بالأدب الفـارسى ، كانوا يسعون دائما حتى لا يدرك اقتباسهم وتقليدهم بسهولة ، والتقليد والتأثير واضح فى عبـارات « درة نـادرة » ويمكن للقـارىء أن يدركه بسهولـة ٠

ولعل أكثر كتاب قلده (ميرزا مهدى خـان) واقتبس منه وتأثـر بأسلوبه هو كتاب « تجزية الأمصار وتزجية الأعصار » المعروف بـ (تاريخ وصاف) (١٣٩) تأليف (عبد الله بن فضل الله) الملقب بـ (وصاف الحضرة) ، ورغم أن اقتباس (مهدى خان) وتقليده لهذا الكتاب لم يكن اقتباسا كاملا ، الا أنه فى بعض المواضع كانت عبارات « درة نـادرة » أفضل مما جاء فى (تاريخ وصاف) ، وفى مواضع أخرى كانت عبارات الـ (وصاف) ترجح على عبارات (درة نادرة » ، وقد كتب مؤلف « درة نادرة » فى مقدمة كتابه ما يوضح تأثره بـ (تاريخ وصاف) ٠

(وبعد فانه لما كان كاتبو العناوين ذوو الشـأن قد كتبوا « خلق الانسان علمه البيان » منشور بذات بدائع الأثر الفاضل ٠٠٠ ابن فضل الله أبى الفضل عبد الله الملقب بـ (وصاف الحضرة) ، وقد لقبوه بالطغـرة الغراء ٠ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ٠

كما أنه ذكر اسمه أيضا فى مقدمة « درة نادرة » فقال :

(أويد بالهام الملهم وتلقـين ملقن التوفيق ، هذا السائح غـريق الغمرات ، والسباح غريق الدومات ٠٠٠ محمد مهدى بن نصير) ٠

---

(١٣٩) تاريخ وصاف لعبد الله بن فضل الشهير بوصاف الحضرة ، رتبه على خمس مجلدات وسماه « تجربة الامصار وتزجية الأعمار » فرغ منه عام ٧١١هـ ، لم يكن يقصـد فيه بيان التاريخ فقط ، بل اظهار مقدرته الانشائية واللفظية ٠ حاجى مصطفى ، كشف الظنون مج ١ ، ص ٣٠٩ ٠

وذكر كذلك (وصاف الحضرة) فى نهاية « درة نادرة » قائلا :

(وعندما حدث تحدى لجناب الوصاف فى آخر المجلد التـاريخى الخامس مع مؤلف « كليلة ودمية » فى عدة فقرات ، وكان يقبل هذا الأقل بمناسبة المقام تحديا لهما بذكر عدة عبارات) ·

كما كتب فى الموازنة مع الوصاف · (لم يتوقع أحد من القمر المقنع والفرس المصنع عمل البدر الكامل وسير الجواد المتبختر) ·

من هذه العبارات نلاحظ الى أى حد كان (ميرزا مهدى خان) ينظر الى (تاريخ وصـاف) بعين الاعجاب ، وقد صرف جهدا كبيرا حتى يمضى قدما فى أسلوب مخطوطته مع (شرف الدين عبد الله) أو حسب قوله (تحديا له حدد لنفسه المكان الأعلى) ·

وهو فى الفقرات التى قلد فيها الوصاف أو اقتبس منه ، لم يتفوق فقط على عبارات (الوصاف) ، بل أن تقليده ناقص وسرقته غير كاملة ، وفى الفقرات الآتية يمكننا أن ندرك جيدا كيفية تقليد مؤلف « درة نادرة » للوصاف ودرجة توفيقه فى هذا العمل ، فقد جاء فى تاريخ الوصاف ·

(كانت المعادن هى التركيب الأول ، وهى تتصف بصفات الألوان والخـواص) ·

(كانت المعادن هى التركيب الأول ، خط قلم قدرته على الماء فصار جوهرا صافيا) ·

(الاجرام علوية فى ميدان شوق أنوار الجمال ومطالبة جلايا أسرار كماله أحسن صفة فى عصا صولجان التقدير) ·

(سقطت الأجرام العلوية من غلو شوق أنوار جماله البهى كلها على الفلك) ·

كما نجد (ميرزا مهدى خان) اقتبس بعض الفقرات من (تاريخ وصاف) ، وأدخل عليها بعض التعديلات حتى لا يظهر اقتباسه ·

(ارتبط كل عنصر من العناصر الأربة من تأثير حركات شوق تلك تلك السلسلة رغم تضاد الأمزجة · واختلاف الكيفيات وتباين الأينات ، وظهر تركيب العناصر الثلاث فى عالم الكون والفساد) ·

(ارتبط كل عنصر من العناصر الأربع من تأثير حركات شوق تلك السلسلة ، رغم تباين الأين وتباعد البين ، وجعل قابلة قابليتهم تخرج الكيفية الخامسة ، وتقلبت تراكيب المواليد الثلاث هيئة الصورة) ·

(سبيكة الذهب الخالص ، وقرص الفضة الخالصة فى بوتقة الشمس الذهبية فى دار الضرب لسك العملة) ٠

(صك فى دار الصك « أعطى كل شيء خلقه » للذهب الخالص بنقش « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ») ٠

(عندما وصلت مرتبة التركيب للدرجة الرابعة ، أعبروا معشر البشر الذين كانوا أرقى الأنواع من تربية الآباء الفلكية والأمهات العنصرية فى رحم الارادة بمراتب التكوين والانشاء يوما بعد يوم وحالا بعد حال) ٠

(عندما وصل الامكان للدرجة الرابعة بالقدرة التى بلا نظير ترتيب التربية والرعاية ، أصبح فى رحم المشيئة وجه زينة جوهر الجنس البشرى بتأثير وتأثر الأفلاك والعناصر الأربعة) ٠

(مالت الطيور بالألوف متكبرة فى غناء وصياح لواقح الرياح حاملة الغصن للخمائل بهدف تقبيل الجانب صباحا ومساء ، وعلمت القوي النباتية خواص الأفعال الشخصية والنوعية ، منعت الداية أصغار النبات عن المراودة والمخالطة لخدم التربية الأربع ، فتح صريف النامية يد الصنعة فى استكمال أقطار الجسم على هيئة التناسب الطبيعى) ٠

(مالت خمائل السرور الجميلة من لطف الوشاح وأجمال الفرع على الصدر) ٠

(تكون فى التركيب الثانى الرسم النباتى ، اجتمعت فيه صفات الأحجار المضيئة والمعادن ، بالاضافة الى قوى التنمية والتغذية ، واستكمال أقطار الجسم وخواص الأفعال النوعية والشخصية) ٠

هكذا نجد كيف أن (مهدى خان) يقتبس الألفاظ والكلمات والمعانى من (وصاف الحضرة) مستعينا بها في « درة نادرة » ، وهذا يوضح مدى تأثره به وأعجابه بألفاظه :

(واقترب بحظ سعيد وحشمة لا توصف وانتماء) ٠

(وفرحة غامرة لا توصف ولذة دائمة وغير محدودة) ٠

كما تأثر (مهدى خان) ب (الوصاف) فى ايراد أسماء البروج الفلكية ، الذى من المحتمل أن يكون قد تأثر بها الأخير من خلال كتاب « الفهيم لأوائل صناعة التنجيم » ل (أبى ريحان البيرونى) ، ويتضح ذلك من الرسم الذى نقله وصاف فى تاريخه ص ٣٥٨ ٠

(أثبتت صور دوائر الأفلاك ، وأزال ذهن هندسة فتح المشتبهات عن التدوير والحوامل وجوزهر وماثل الأوتاد ، حطم بجودة الطبع المضيء فكة الفلك ، وزين العذراء بطوق عقد الرقبة ، وسحق قدم التفوق على قمة رأس الفرقدان ، يظهر الاستجداء دائما من قصعة المساكين ، ويصعب ساكب الماء شرف عزته، يسعى دبران فى أدباره ، ويصبح السماك أعزل بطعن رامح، وأطلق ممسك الأعنة العنان لإيذائه ، تصلب الطيب فى عداوته وربطت منطقة الجوزاء نطاق عداوته ، ويقدم قرن الثور الرأس لمناطحة ضرب السهم، بقوس جفائه ، ألقى السفينة بدوامة بلائه ، وكانت طريقة كل منجم « خرقاء ذات نيقة » ، وخطوط جبينه عقرب النحس ، ولم يعلم الجـوز شيء عن الجوزاء ، ولا الشعير عن الشعرى ، وعندما سألوا عن السماء تحدث عن الحبل ، وعندما تكلموا عن الفلك أجاب عن الفلـكة ، كان دائما الفلك حقير الملاطفة من بخور النجوم المجمرة دائرة حفل عشرته) .

كما عمد (ميرزا مهدى خان) فى تقليد (وصاف الحضرة) فى ذكر كنى وألقاب الأدباء .

(كل أديب يلغو وقت تحقيق اللغة وبيان كمال بلاغـة مأثورات (الأصمعى) اللغوى ويقرأ مقـولات (الهرى) هراء مطلقـا ، ولا يرى (الجاحظ) هنا حظا من علمه ، يرتدى (الكسائى) كليما على رأس الترهات ، قلد (نمرى) كلب الصفة قلادة التعليم) .

(كل أديب أريب يؤدب فى بيان فنون أدب (السيوطى) بسياط التقريع ، اتجه (نمرى) صوب وجه الجمال ... خط الجاحظ هناك ، ولم يعـرف (ابن هـرى) الهـر من البـر واكتسى (كسـائى بكسـاء الشرف) .

كما قلد (ميرزا مهدى خان) (وصاف الحضرة) فى ذكر القـلاع والحصون ، فذكر (الوصاف) عن قلعة سنجار .

(أمر السد حتى يقيموا الوثاق لدعائم فلك الرواق محاذى للقلعة ، وحاصر الجيش كافة أنحاء المنازل والمطالع وهم على ظهور الخيل ... وفى اليوم التالى عاينوا جانب الحصن ، جعلوا من كثرة الحطب « حمالة الحطب » وأوصلوا حـزن « سيصلى نارا ذات لهب » ، وظهر صورة المجانيـق التى رفعوها من أطراف « فى جيدها حبل من مسد » .

وفى القطعة التالية نجـد كيف أن (مهـدى خان) سار على نهـج (الوصاف) .

(حمل المدفعجية بأمر الملك المدافع لدك « قلعة كركوك » من الأطراف الأربعة قرب سور القلعة ، وفي اليوم الأول نثرت الثعابين تنينية الجسد نار جهنم من الفم على أرض وسقف القلعة منذ الفجر حتى العشاء ، كانت أحجار القذائف التى سحقتهم تنزل آية « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة » ، ورسم من الطلقات النارية على صفحات حظ ذلك القدم نقوش « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » ، وجعلوا ألوا ح الجدران تكتب بقلم الرعد الصرير كتابة « وتكون الجبال كالعهن المنفوش ») .

أما بالنسبة لوصف (الوصاف) لبلاد « الهند » فقد قال :

(باتفاق سائر الأمم فان بلاد « الهند » أكثر بقاع الدنيا اعتدالا ومن أجمل ربوعها ... أوراق وقشور الأشجار والتراب والأعشاب وحطبها قرنفل ومسك وعود وصندل وكافور) .

وقد قال (ميرزا مهدى خان) مقلدا (الوصاف) فى وصف « الهند » :

(« الهند » مملكة واسعة عريضة ، وهواؤها فى مزاج كبرى القلب مثل تأثير المومياء ... شجرها عرعر وحجرها مرمر ، ... كل ورد أرضها من برعم ورد أرض كلها منافع ، وكل نبات متفتح من بوتقه الجواهرجى فضة صفراء (١٤٠) .

لم يقتصر (مهدى خان) على تقليد (الوصاف) والاقتباس منه ، بل أنه تأثر بنصوص فارسية أخرى واقتبس منها ، ومن هذه النصوص « نفثة المصدور » .

(خلال اثنى عشر يوما هدنة بصحراء موغان، كان مشغولا باستعراض الجيوش والجنود واراحة الخيول واعداد السلاح والعتاد ، كما كان يذهب منذ الصباح حتى نهاية اليوم لصيد الغزلان والبط البرى ، وارتبط الغبوق والصبوح بعزف الناى والعود وتغافل بالنغمات الخسروائية عن النغمات الملكية ، وتشاغل بأوتار اللهو عن أوطار الملك) .

بينما كتب (مهدى خان) مقلدا اياه فى وصف استعدادات الجيش للمعركة : .

(سحب المقاتلون اليد من مقابض السيوف ، واستبدلوا سيف اليد برقبة حسناوات قوس هلال الاحمال ، قال لابسو القلنسوات أن الحسناوات هن أساس القتال ، وارتدوا بدلا من االقبعة والقلنسوة حب شاهدى الزينة،

---

(١٤٠) ميرزا مهدى خان ، درة نادرة ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

كان العظماء والملوك الذين يعزفون على خراطيم الأفيال يعزفون على نغمة ربابة الخرطوم ، ذهب الأبطال الذين مثل السيخ بفوهة المدفع والبندقية . صاروا خداع أمتار الحرير ، ... المصلى على سجادة العبادة ترك الصلاة وجرة الطاعة ، وثمل من خمر العصيان ، وجاوز طريق العدل) .

وهناك مواضع أخرى فى « نفثة المصدور » تأثر بها (مهدى خان) :

(وقت عطعطة الكفاح وجمجمة الجياد وقعقعة السلاح وولولة الأجناد وقلقلة الكؤوس ، وصوت التقبيل وصوت القلى وصوت رباط السروال) .

(فى الاسطبلات والمرابض من صوت التيس ونخيف العنز وخوار البقر ... وعقعقة العقعق ولقلقة اللقلق وشقشقة العصفور ، وزرزرة الزرزور وبطبطة البط) .

(واقترن وجه الملائكة بشكل القمر ، وحسناوات خيمة الاستقرار بديوان الوجه الأسود وقبح منظر العفاريت) .

(اقترن كل ألم ببطل ، وارتبط كل ملاك بشيطان) .

كما تأثر (مهدى خان) ب (كلستان) ، حيث أنه تأثر ببعض الكلمات التى وردت بها وضمنها « درة نادرة » ، مثال ذلك :

(من فيض مرحمته مرت دايات السحب بلا موانع ، كانت بنات الورد الأحمر نبات فى مهد البستان كالثدى الملىء باللبن على الشفاه) .

و (مهدى خان) فى الفقرة السابقة متأثر بما ورد فى (كليات سعدى) :

(أمر داية سحب الربيع حتى ترعى صغار النبات فى باطن الأرض) .

(جاء النخل الباسق فى أرض عشقه قدم فى الطين ، تعب القلب من حسرة البلح الطرى) .

وهو أيضا متأثر ب « كليات سعدى » ، حيث ورد بها :

(صار البلح برعايته نخلا باسقا) .

ومن جملة الكتابات التى تأثر بها (مهدى خان) « مرزبان نامه » ، فقد ورد فيها :

(تفاخر فاخر بتلميذه ، وتراجع سعى كوشيار عن مرتبته) .

ويظهر تأثر (مهدى خان) بهذه العبارة فى :

(همس (كوشيار) مثل الأذن أو القرط ، كان (فاخـر) شاكرا لتلميذه والملك مفاخرا بخادمه) .

لم يكتف (ميرزا مهدى خـان) بالتـأثر والاقتبـاس من النصوص الفارسية ، بل أنه تأثر بالنصوص العربية ، ومن أكثر النصوص العربية التى تأثر بها مقامات « الحريرى » ، حيث أنه ضمن « درة نادرة » فقرات كاملة من المقامات ، مثال ذلك :

(أصبح الرأى شديدا والعزم أكيدا ... القلم حصان ... جعل أثر حافر الادهم قلمه البليغ وان لم يدرك الضالع شأو الضليع) .

كما تأثر ب (الحريري) فى موضع آخر :

(وصارت الفضة البيضاء فى اليوم الأسود مورثة العيش الأخضر وحاقعة الموت الأحمر) .

أما ما ورد فى مقامات (الحريرى) فهو :

(فمذ أغبر العيش الأخضر ، وأزور المحبوب الأصفر ، أسود يومى الأبيض ، وابيض فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأحمـر) .

وهكذا يتضح لنا من الأمثلة السابق عرضها أن (ميرزا مهدى خان) واسع الاطلاع ، استطاع أن يطلع على مختلف النصوص الفارسية والعربية، ويتفهمها جيدا ويتأثر بها فى كتاباته ، وعندما كان يعجب بفقرة من فقرات النصوص التى يطالعها ، كان ينقلها كاملة دون أى اضافة منه .

ولعلنا نلاحظ أن (وصاف الحضرة) كان له نصيب الأسد فى التأثير على (مهدى خان) ، وانعكس هذا بالتالى على كتاباته خاصة فى « درة نادرة »، فقد كان يستخدم نفس الألفـاظ والعبارات والمصطلحات مضمنا اياهـا « درة نادرة » .

- ٤ -

النثر فى العصر الأفشـــارى

اذا تصفحنا كتب الأدب الفـارسى فاننـا لن نجد تحديـدا للعصر الأفشارى ، وربما مرجع ذلك الى أنه ليس هناك سمات تميز الأدب فى تلك الفترة عن العصر السابق له ، كما أن هذا العصر لم يضف جديدا للأدب الفارسى، وبالتالى فانه لم يسترع انتباه مؤرخى الأدب، كما أن فترة هذا العصر قصيرة (١١٤٨ - ١١٩٠ هـ) ، لذا فـان مؤرخى الأدب يعتبرون الأدب الأفشارى إنما هو امتداد للأدب الصفوى ، وهذا يعنى أن الأدب الأفشارى يتسم بنفس سمات الأدب الصفوى ، وأهم هذه السمات التى تظهر بوضوح فى « درة نادرة » .

١ - طول الجمل . مثال ذلك .

(أ) أدركوا من حدوث ذلك الاستعداد فرح بلا غم ، وفرج بلا فقر وبلاء ورحمة بلا تعب وعناء ونعمة مصانة من العقاب ، ومسرة عميقة لا توصف ، ومتعة دائمة وبلا حدود وعمر كامل غير منقوص ، وحياة خالية من الغم والكدر .

(ب) مقدار قوسين ومقدار رمحه كاشف أسرار « نَ والقلم » وراية « وانشق القمر » بشعار سارى نصيب علمه بيرق سفينة نوح للأمة ، وشمس الفلك لـ « وحى يوحى » ، أحمد اللقب الذى ألسنة حمده فى الحمد والمدح دعاء ثناء كثيرة جدا .

٢ - أما السمة الثانية من سمات أدب تلك الفترة كثرة الجمل الأعتراضية . مثـال ذلك :

(أ) أى فاضل كامل وافر العقل - الذى فى أيام كدر الحياة - لم تتساقط من واقع حسرته دمعة من العين الدامعة .

(ب) أولا كان الأمير ويس من رعاع « قندهار » - حيث أنـه فى عهد الخاقان السعيد الشهيد شاه (سلطان حسين) - أسرع تجاه القصر السلطانى ليشكو من سوء سلوك والى تلك الولاية

وشوك قدرة الجماعـات المسلحـة سلاحهم الشاكى وبقلب مجروح وعين باكية متظلما ومتألما ·

(جعل قلعة « عمر كوت » ـ التى تقع فى وادى « غير ذى زرع » وهى أصعب القـلاع والأماكن وصحراء أطرافها « أقفر من بريـة خسـاف » ومن أبرق العزاف ـ مأوى له) ·

(وحدث أن عيدى الأضحى والنوروز ـ اللذان هما أعواد نـار أضاءة عالم الحرقة ـ قد جاءا فى يوم واحد) ·

٣ ـ السمة الثالثة حذف الأفعال من الجمل · مثال ذلك :

(لوى يد الفلك مقبض هراوتـه المضيئة ، وسحبت أفعى شـجرة الخدنك قبضة الشمس ، فانقلب الوجود رأسا على عقب من الخصم سيىء الأثر ، وشكل مقبض السيف تنين الوسط فى نظر الثعبان ناثر النار) ·

(يضع الفلك قطن من السحاب فى الأذن من صوت فتح باب بلاطه ، ويقبع الأسد فى العرين من صولة سيف جراءته ، وتسكن أطراف البعوضـة) ·

(فى زمان بهجة آثاره من غناء سعادة طائر الكباب على سيخ كباب عازف الربابة ، ، وفى أيام الرخاء فان سحاب أول الربيع يبدو وكأنه كأس الفلك الزجاجى على خد الريحان ورائحة الياسمين وشراب ماء الورد) ·

٤ ـ السمة الرابعة استخدام الآيات القرآنية بكثرة ، فلا نكاد نجد موضعا يخلو من آية قرآنية ، حتى أننا اعتبرنا (ميرزا مهدى خان) يفسر التاريخ تفسيرا اسلاميا ويستخرج من الآيات ما يلائم الحدث الذى يذكره ، ويورد توضيحا قرآنيا مثال ذلك :

(وسـفينة ارادة خاطـرك الحـر فى هذا البحـر اللجى مجـداف « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمـات ولا النور ولا الظـل ولا الحرور ») ·

(هبت فى « أصفهان » ريح هواء البلاء ، نظرا لغلاء الغلة ، وغلبة الصعاليك ، وزيادة الأحمال ، أظهرت شدة الجوع آثار « لا يسمن ولا يغنى من جوع ») ·

(جذب مخلب قتلة المصائب من تلا بيب جلا له الممنع ، فى نهاية عهد الخاقان الشهيد « وأنه على ذلك لشهيد » ، جعل خواتيم امارة وولاية « تون » فى الأصبع) .

٥ ـ السمة الخامسة ، الاكثار من الاشعار العربية والفارسية ، مثال ذلك :

ـ فاحت رائحة الروح المعطرة من الأوراق العنبرية .

ـ ان كل قطرة كانت أقوى من المسك الصافى .

ـ من خوف ضرب سهم قوس ذو القرنين .

ـ تذهب الشمس كل ليلة فى أى مغرب .

ـ هذا الطريق مأمور من الغرور .

ـ أخشى ألا تصل للمنزل من بعيد .

ـ نتكن بلا لسان لترى أن القلم .

ـ حيث تجد اللسان فان رأسه فى خطر .

لم ترى عينى كاتبا مثله	لكل شيء شاء وشاء
يبدع فى الخط وفى غيره	بسحره الانشاء ان شاء .
تأمل فى نبات الأرض فانظر	الى آثار صانعها المليك
عيون من لجين فاترات	وأجفان من الذهب السبيك .
زلال ذاك أم صفو العقار	وزهر اللفظ أم درر الدرارى
كنشر القطر فاح بكل قطر	وكالدارى عطر كل دار .
بنفس كتابا أرانى عيانا	أجل وأشرف نوع المقول
فألفاظه ولمعانى جميعا	مراثى العيون مراعى العقول .

٦ ـ السمة السادسة ، الاسراف فى استخدام المحسنات البديعية والبلاغية ، مثال ذلك :

(أ) الكناية : (لم يجعل الفلك من الشمس دعوى صاحب القبعة) . الواضح أن المؤلف أورد كلمة « قبعة » كناية عن الشمس ، وأيضا صاحب القبعة كناية عن الملك .

ـ بدء العمل بفتح قلعة مينا « قلعة مينا » كناية عن زجاجة الخمر .

ـ أوج نير اقباله منذ ظهور الشمس حتى انقضاء نصف النهار ·
هذه الجملة تجمع بين الكناية والطباق ، فهى كناية عن قصر حكم الملك (محمود السجستانى) ، كما أن هناك طباقا بين ظهور وانقضاء ·

(ب) الطباق : فرح بلا غم ، وفرج بلا ضيق، ورحمة بلا بلاء وعناء ·

ـ ويشرب بجائزة الجهل من شراب تحسين العظماء والصعاليك·

ـ كأس تصديق « بل هو شاعر » · الطباق هنا بين عظماء وصعاليك ·

ـ استراح فى مهد عهده الملىء بالنفع الأبيض والأسود ·
الطباق بين أبيض وأسود ·

(جـ) الجناس : أساس هذا الادعاء فى خلد الخلد وجنان الجنان. تفتح عقد اللؤلؤ · الجناس بين خلد الخلد ، جنان الجنان ·

ـ صار الرأى سديدا والعزم شديدا ·
جناس بين سديد وشديد ·

ـ واعجباه (قمقامة حكت بجنب الباذل) ستكون شبه شبه خزف الحرف المزخرف لنفسه ، كيف ستسحب مع الجواهر النفيسة جوهر سوق زينة البلاغة بعقد واحد ؟

ـ لست موجة بين البحر الأحمر وعمان ، بالالحاح واللجاج: أين كل نطف المنوطه بى ؟

(د) الاستعارة : أظهر (التركمان) أيضا يد التطاول من الجيب ·
استعارة تصريحية ، حيث انه أراد أن يظهر مدى التطاول. فاستعار اليد وصرح بها ·

ـ واقتربت من طلب الليل والنهار الظلمة والنور معا ·
استعارة تشبيه الظلمة استعارة عن « الاوزبك » ، وشبه الفتيات الايرانيات بالنور ·

٧ ـ السمة السابعة ، حشد الألقاب والصفات والرتب ·

تحرك من « قزوين » تجاه « شيروان » ، جعل قلعة « شماخى » الشامخة مقر جند (شماخ) الشوكة الشوامخ العظام ، كان (بنوك) الحرية ، و (زوبين) الشجاع ، « كيوان المعركة » · « كيو » القدرة ،

وبطولة (كيوان) ، مهابة البطل العاقل الذى كل واحد (جهن) العالم والمتميز فى الأكوان ·

(حدث فى الأوقات التى نزل فيها جماعة مالك العالم لحدود « داغستان ») ·

(دخلت مفاتيح قلاع « آذر بايجان » الأربع بقبضة ملك الأقاليم السبع) ·

(ملك الملوك ملك القدر الذى كأسمه ندر وفى سماء السلطنة بدر ملك « ايران » زينة صولة ايران الذى كان فى ميدان قتاله « باورد » أقل من نسا) ·

٨ ـ السمة الثامنة ، المبالغة فى المدح · مثال ذلك :

(أظهر بقدم الشجاعة الرأس بالسرور واليد لقذف العدو « حتى يتميز الخبيث من الطيب » ، وصار من قبل الرجولة والعلم لاكتساب التأييد ، وبحد السيف الحديد المستخدم لفتح البلاد ، وقاد جواد العظمة من طبع الكريم على العطاء ، سخب للاكتساف أسوء أراضى الا طراف ، وأحاط الا طراف والجوانب ، وقطع أكتاف وأطراف أهل الخلاف ،ربط السيف لقائد الجيش وقائد العدو ، وبسط الساعد وفتح الشبكة وعلق يد الفتنة على الظهر ، وأوصل لأذنه حجاب باب الملكوت) ·

(ألقوا بخاطره الخطير ، كان حسن المظهر ، جميل ، مخلص ، أسد الصولة ، وسيم ، واضح الصوت ، امتلك مصيدة العدو لصيد صقر قوى الشكيمة ، سلوكه يوافق مسلك كل فرقة وطبقة (وافق شن طبقه) ، ومحبته سلسلة قلب الضعفاء والأقوياء (كأن قلوب الناس فى حبه قلب)، كانت له وجاهة وجيهة ، وذاكرة قوية ، ووجه موثق ، وبأس مهلك) ·

(وتشبع واقفى مجالس الحضور المبارك من مبارك لطفه وصنائع احسانه ارتدى السفلة والعظام من لباس الأنعام العام ومجمع عطاياه وكرمه ، وشربوا الشراب وامتلىء مجلس الملة المحمدية برائحة المسك المغربل ورائحة روح اثارة صيانته العطرة ، ووصلت شمس الدنيا المصطفوية فى شهر فروردين دولة ثباته بمحاذاة خط الاستواء وافتتح مداحو العهد السعيد الباسم لسان أعداد التهنئة بشكل جميل ، وبارك الدهر الانتصار على نصيب وحظ الملك زبرجد العرش ناشر الجوهر) ·

ـ ٥ ـ

ملاحظات على نثر « درة نادرة »

اذا نظرنا الى « درة نادرة » ، نجد أن غرض (ميرزا مهدى خان) من تأليف هذا الكتاب ليس التأريخ ، بل رغبتـه فى تملك ناصية اللغتـين الفارسية والعربية ، وكذا أظهار مهارته فى الانشاء الفنى والمتصنع ، والذى ينبغى أن نوضحه هو الى أى مدى استطاع أن يوفق فى تحقيق غرضه ؟

منذ الوهلة الأولى ندرك أن لـ (مهدى خان) حصيلة كبيرة من مفردات اللغة الفارسية والعربية ، كما أنه تمكن من فهم المعانى الحقيقية والمجازية ٠

ويذهب البعض الى أن (مهدى خـان) اسـتخرج الكلمـات التى استخدمها فى كتابه من القواميس ، لكن من يدقق النظر فى « درة نادرة » ، يتحقق من بطلان وجهة النظر هذه ، فلو أن مهارة (مهدى خان) تقتصر على استعمال الكلمات الغريبة فان احتمال تصديق القول السابق يكون واردا ، لكن نلاحظ أن عبارات « درة نادرة » فى الوقت الذى تحتوى فيه على كلمات صعبة وغريبة وقليلة الاستخدام ، فانها لا تخلو من الصنعات اللفظية مثل الجناس والتضاد والتضمين ومراعاة النظير ، وما الى ذلك من الصنعات اللفظية الأخرى ٠ مثال ذلك :

(ينبوع بخت أهل الحرب جاء مثل كثرة عيون أرم الصافية ، وهيكل المحاربين « العثمانيين » من تفتح براعم جروح غصن الورد الأحمر ، صارت الجماعة فريسة للسيف الشهير ، أسروا لسير سيرج عناق الخيل ، صارت رؤوس الجنود فى ساحة القتال من أسفل جرعة غنائم الثمل ، وفى طرف اضطراب نوق أحوالهم حاملة الأناقة الجميلة ، وبمدلول « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، بدأ الأمر بشرح عادة الايعاظ بأمر قلم صحة البيان ، أصدر منشور يقوم على قلع شجر التشاجر) ٠

فى الفقرة السابقة نجد أن مهارة المؤلف ليست فقط فى استخدام الكلمات ومشـتقاتها بل انه اسـتخدم أيضـا صنعة الجناس والتضمين والاسـتعارة والتشـبيه ، حتى ان الشخص الذى لا يكون له سابق معرفة

بمفردات اللغة ، لا يدرك مواضع استخدامها من حيث الاطلاع على آثار الأدباء السابقين ، ولو اراد المؤلف أن يرجع للقواميس ، فانه لم يكن ليلقى أى توفيق ، بل انه فى مواضع استخدام مترادفات أو بعض أقسام الجناس بحيث أنه يلفق الكلمات لصياغة جملة .

اذن فان مما لا شك فيه أن ل (مهدى خان) معرفة تامة باللغة من حيث صرف ونحو ومعان وبيان ، كما أنه قرأ النصوص الادبية المشهورة ، وجعلها تستقر فى ذهنه واستفاد منها جيدا ، واستخدم كثيرة من الكلمات العربية والفارسية « ثمان آلاف كلمة » أما من ناحية تركيب العبارة فهى تشتمل على محسنات وصفات لفظية بكثرة ، خاصة أنواع الجناس ، بل أن الركيزة الأساسية فى صنعة كتابه « درة نادرة » جناس الخط ، وأحيانا ما كان ينشىء من أجل هذا الجناس عبارات لا تخلو فى اللفظ والمعنى من ثقل وركاكة . ومثال ذلك :

(جمال منظر السهم المحكم هى طريقة صنع كل جوهر ملون صافى) .

(لو أن الله الوهاب لم يرفع عرش فلكه لمرتبته درجة على الفلك) .

كما أكثر أيضا من استخدام صنعة بديعية أخرى وهى السجع ، وقد أولى هذه الصنعة أهمية خاصة ، بحيث أنه أحيانا ما كان يورد جملا تحتوى على سجع رغم تأثير هذه السجع على استقامة عباراته . مثال ذلك :

(أنواع جواهر الترصيع وأجناس الجناس البديع فى درج درج املائه الصافى صواف وأصناف وشائع التوشيح والتلميح فى درج انشائه الضافى على مواقع وقيع التوقيع طواف ابن فضل الله أبى الفضل عبد الملقب بالوصاف) .

وهكذا نجد أن المؤلف ذكر كل هذه التكلفات من أجل أن يذكر (الوصاف) ، كما يبدو ذلك فى هذه العبارة . فرح بلا ألم ، وفرح بلا ضيق وعوز ، ورحمة بلا تعب ومشقة .

ومن جملة الصنعات اللفظية التى أكثر المؤلف من استخدامها التضمين ، حيث ضمن مؤلفه الكثير من الآيات القرآنية والأمثال العربية وأبيات الشعر العربية والفارسية ، وهو فى هذا المجال يمتلك مهارة كبيرة . مثال ذلك :

(حتى فى مراقى معرفة الله ، أيقن تكميل جوهر النفس والايمان بدلالة « أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض ») .

(كان من شمس حسنه بلا زوال ملقى شعاع « مالكم من زوال ») .

(ظهر مثل صباغى آثار « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ، فى ألوان الرياحين والأعناب) .

(فضاء البهجة الزائدة « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ومنزوى المجلس المطلوب ، « متكئين فيها يدعون بفاكهة كثيرة وشراب ») .

(ظهر فى الأرض دخان من تراب وغبار موكب قرين الفلك آثار « يوم تأتى السماء بدخان مبين ») .

كما أنه ضمن « درة نادرة » الأمثال العربية لتوضيح المعانى المختلفة وتكميلها .

(ارتدى مرتدى الملابس الخشنة أصحاب العمامات رداء « أبرق من رداء الشجاع ») .

(كان ذكاء « أزكن من أياس » الذى كان دائما مثل أشعة الشمس على البطحاء وسفح الجبل وسهول وهضاب عالم المعانى اللامع) .

(ووسط البحر الأحمر وبحر عمان محيط العدم ، وبالحاح وسؤال وطلب كل لآلىء هذه البحار أين أحاطوا بى ؟ « لو كان عندى كنز النطف وما عدا ») .

(لم ينشغل فى نفس ظلمة الليل بحمل الأحمال «أجبن من نهار؟») .

كما أورد التضمين على سبيل التشبيه .

(قفز لتلك الناحية بجناح السرعة « كاختطاف الخطاف واستلاب الحدأة » وأشاع سفيه الاختلاس وبغايا الاختطاف بغنائم النعم وأسلاب النهب) .

ولعل من مظاهر براعة (مهدى خان) فى الصنعات اللفظية بصفة عامة والتضمين بصفة خاصة ايراده فقرة واحدة تضمين من شعر فارسى ومثل عربى وشعر عربى مثال ذلك :

ــ هذا الطريق الذى بدأته من الغرور .

ـ أخشى ألا تصل الى المنزل لبعدك عنه ·

من صنف فقد استهدف والصمت أحسن من عى النطق والسكوت ستر ممدود وفدام على الفدامة ·

ـ لتكن بلا لسان أما ترى أن القلم ·

ـ منذ وجد لسانه ورأسه فى خطر ·

ثم توسل بوسيلة « ما لا يدرك كله لا يترك كله » وتوصل بوصلة ،

فقد تسجع الورقاء وهى حمامة وقد تنطق العيدان وهى جماد ·

نهضت بقدم الأدب وطلبت بكف التفاؤل التكفف بزاد الطريق ·

ومن الملاحظ أن معظم الأشعار التى وردت ب « درة نادرة » مأخوذة عن (أبو الفتح البستى) و (أبو بكر الخوارزمى) ، ومن المرجح أنها قد استخرجت من كتاب (أبو منصور الثعالبى النيسابورى) « يتيمة الدهر » ·

● القسم الثانى

● الفصل الأول

- ١ -

ترجمة مقدمة « درة نادرة »

ديباج (١) مقدمة كتاب الفصاحة ، المقترن بالمخطط والمديح بالمديح والثناء على خالق العالم ، قد أظهرت الدرة العقلية للعقل الأول من أعماق (٢) محيط حكمته العميقة ، فبناب الدر ومخرج قدرته العظيمة قد ظهرت فى آن واحد بحرفى « كن » وظهرت من شعاع العقل الوضاء الفياض (٣) لفيض المعرفة القيمة لظهور النفس الكلية (٤) ، بالسناء البهى والبهاء السنى ، فأزاد من لمعان ذلك المعدنين الثمينين ، ومن ضياء ذلك النجمين اللانهائيين وأجلى قيمة جرائد الجواهر المجردة (٥) المزينة بزينة التكثر (٦) ، وتزينت مفارق النفوس المفارقات (٧) بأكاليل التعدد ، انفعلت الأجرام العالية كلها بالفلك من شوق أنوار جماله البديع ، كذلك ظهر من الشمس المضيئة من عدم قرارها ، التى هى متحيرة لهذا المعنى ، وظهر من جدرى القدم المليء بالنجوم ، الذى طوى صحراء هذه الأمنية ،

---

(١) قماش من الحرير الملون ، محمد كريم ، برهان جامع ص ٢١٥ ، تبريز ١٢٦٠هـ ش.

(٢) العقل الأول أو الصادر الأول فى رأى الحكماء أن أول صادر من الله تعالى العقل الأول ، وهى تقوم على ثلاث اعتبارات .

(أ) وجوده فى نفسه .

(ب) وجوبه من جهة وجود علته .

(ج) امكان ذاته ، وتصدر ككل واحدة من هذه الاعتبارات الثلاث باعتبار وجوده يصدر العقل الثانى منه ، وباعتبار وجوب أن يصدر غيره من ذاته ، وباعتبار أن ذلك الجسم صادر منه . محمد بن على التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون . ص ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ . بيروت ، ١٩٦٦ .

(٣) المقصود من العقل الفياض العقل العاشر أى العقل الفعال وهو العقل المؤثر يفيض فى هيولا العالم السفلى والصور والنفوس والأعراض عن عناصر ومركبات هذا العقل . المرجع السابق ، ص ١٠٢٨ .

(٤) وهى فلك الأفلاك . المرجع السابق ، مج ٢ ص ١٣٣٩ .

(٥) مقابل المادى كما قيل فى المجرد أنه يمكن أن يكون غير متحيز كما قيل عنه أيضا انه مفارق ، المرجع السابق ، مج ١ ص ٢٠٥ .

(٦) يقال متكثر للموجودات التى تشترك فى الوجود وتختلف فى الماهيات والعوارض . المرجع السابق ص ١٤٦٤ .

(٧) قيل فى تعريف المفارق انه يمكن ان يكون غير متحيز وليس حال فى المتحيز . محمد بن على التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ١١٣١

وعندما رفــع قبة هذا الرواق المنقوش ، ورسم بشــكل الشمس الذهبية صور الكواكب الفضية ، جعل من تأثير أفلاك تلك المجموعة الشمسية كل مقدار من الاسطقسات (٨) الأربع رغم انفصال الأين (٩) وتباعــد البين ، وبعضهم البعض دائم قابلة قابليتهم لتوليد الكيفية الخامسة (١٠) وحدت تراكيب المواليد الثلاثة (١١) لقبول هيئة (١٢) الصورة · كان التركيب الأول المعادن خط قلم قدرته على الماء فصار جوهرا صافيا وصب قلم صنعة اللون بالتراب ، فأصبح ياقوتا لامعا ، وأشتعل موقد معدن الكون من لهيب شوقه ، وأظهر الماس النارى (١٣) وعصرت قبضة ذوقه قلب الحجر ، ورشح العقيق الجــكرى (١٤) من حجاب التوارى ، وملأ اليــاقوت اللحمى (١٥) الوجه بدمع عشقه الدامى ، وحفرت شقائق النعمان (١٦) ذات النقوش الملونة على خاتم القلب · « الملك اليوم لله الواحد القهار » وارتدى الزمرد « الذبابى » (١٧) من ألوان الأخضر حرير « برمكس » (١٨) ، وطرز اللؤلؤ الطاووس (١٩) بنقش الحرير الرومى ، وتعلم طريقة التحلى والتجلى ، وغلى

---

(٨) جمع اسطقس فى تعريفات الجرجانى يعتبره لفظ يونانى بمعنى أصل ، ويطلق على العناصر الأربع وهى الماء والرياح والتراب والنار · الشريف على بن محمد الجرجانى . التعريفات · ص ١٥ ، القاهرة ١٣٢١ هـ ·

(٩) أحد المقولات العشر ، وهى عبارة عن وجود الجسم فى المكان المخصص لاثنين ومملوء به أو الهيئة التى تحدث للجسم بالنسبة لمكانه الحقيقى · التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٩٩ ·

(١٠) مقصود الكيفية الذى يظهر من تركيب العناصر الأربع ومستعد لقبول الصورة النوعية · المرجع السابق ، ص ١٢٥٧ ·

(١١) المواليد الثلاثة هى المعدن والنبات والحيوان · بطرس البســتانى ، محيط المحيط ص ٩٨٥ ·

(١٢) الهيئة تقابل المادة · التهانوى كشاف اصطلاحات الفنون ، مج ٢ ص ١٥٣١ ·

(١٣) شكل من أشكال الماس · أبو الريحان البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص ٩٢ حيدر أباد سنة ١٣٥٥ هـ ·

(١٤) نوع من أنواع العقيق الخراسانى · المرجع السابق ص ٨١ ·

(١٥) نوع من أنواع الياقوت وهو أقل من الأرجوانى وأرقى من الجلنارى · المرجع السابق ، ص ٣٢ ·

(١٦) نبات حولى معمر زهرته كبيرة ثنائى النصل · وديع جبر ، معجم النباتات الطبية ص ٢٤٣ · بيروت ١٩٨٧ م ·

(١٧) زمرد أخضر صافى وشفاف ولونه يميل أحيانا للون الذباب الأخضر الذى يطير بين الأعشاب · أبو الريحان البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص ١٦٠ ·

(١٨) نوع من أنواع الملابس الحريرية الرقيقة · محمد باد شاه ، فرهنك آنندراج مج ١ ، ص ٥٦٩ ·

(١٩) نوع من اللؤلؤ بياضه ممزوج بالأسود والأخضر والأحمر · الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى · ص ١٠٤ ·

دمه الأحمر الياقوتي في العروق من العشق ، واكتسى جبل «بدخشان»(٢٠) بالحرير الأحمر من خلعة عنايته الثقيلة ، وأصبح كل حجر في حجر عنايته جوهر ، وصار مصان من عروض الاندثار ويكون كل نوع من صلب المنجم دليلا على الخالق صلب الأساس ·

وامتلك كل من الغرر الدرر لفيض ذرات تعاقبه ليكثر خير العز القيم، زين صورة المرجان عالمي الجماد والنبات بالحليـة الياقوتية رافعا غصن امتيازه ، سك في دار الصك (٢١) « أعطى كل شيء خلقه » ذهب خالص بنقش « صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » كعملة رائجة ، وجعل الفضة البيضاء في اليوم الأسود سبب العيش الأخضر ودافعـة المـوت الأحمر ، وأظهر أن النحاس الصافي للانفاق بالليل والنهار،وتغيرات الزمان ومتطلبات الحياة المادية يلى الفضة الخالصة ، وعفا عن قلع الطريقة البسيطة وفيضان الصورة التركيبية القيمة على الرصاص ، وخلع القصدير اللباس البخارى وظهر من قناة العدم ، وجعل كرامة الحديد من أصل الحكمة السديدة « فيه بأس شديد » رعى الزنك في غصن التربية مثل وردة بلا شوك ، تكون في التركيب الثـاني (٢٢) الرسـم النباتي ، تجمعت صـفات الحجر الصلبة والمعـادن المشتملة على قوى التنميـة (٢٣) والتغذية ، واسـتكمال أقطار الجسم (٢٤) ،وخواص الأفعال النوعية والشخصية (٢٥) وظهرت آثـار (فأنبتنا به جناب وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد) وظهر معنى « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » ومدلول « ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج » ترك من فيض مرحمتـه دايـات النـدى بلا مانـع وظهرت الورود الحمراء في مهد البستان ثدى ملء باللبن على الشفاة ·

---

(٢٠) اسم نوع من الياقوت الذى لا يوجد الا في جبل بدخشان في بساحل نهر كليجه · أبى ريحان البيروني · الجماهر ، ص ٥٢ ·

(٢١) وهو المكان الذى يسك فيه النقود وهنا استعارة لعالم الخلق ·

(٢٢) تتكون المركبات من مجموعة أشياء بسيطة ، والتركيب الثاني يصدر من الحس والحركة الارادية ويتكون من نفس حيوانية وجسم مختلف لذلك الحيوان كشاف اصطلاحات الفنون ، مج ١ ، ص ٢٥٧ ·

(٢٣) المرحلة التى يكون فيها الجسم في مرحلة الكمال ·

(٢٤) المقصود من اقطار الجسم أبعاده الثلاثة ، واستكمال يعنى التحرك التدريجى ناحية الكمال د· سيد جعفر شهيدى ، تحقيق درة نادره ، ص ٧٦٥ · طهران ١٣٤١ هـ·ش ·

(٢٥) الفعل النوعى أو الفعل العام الفعلي الذى فيه يشترك لا أقل من نوعين أو شيئين مثل التنمية والتغذية نسبة للنبات والحيوان ، اما الفعل الشخصى عبـارة عن كيفيات مخصوصة تلك جسم مثل استكمال اقطار الجسم · المرجع السابق ، ص ٧٦٦ ·

حمل بمساعدة كرمه رياح الفجر وردا ناريا بالماء والضياء التام من التراب ، ومال على الصدر جمال خمائل أشجار السرو من لطف عقد اللؤلؤ وأعلام الغصن الملونـة ، أعطى أغصان الشمشاد (٢٦) المشـبعة بالماء من السخاء ، ظهرت البراعـم والزهور بالغمزات والاشارات أكثر جمالا من معشوقه « بربر » (٢٧) اللؤلؤية ، ظهر عود النرجس بثوب أزرق وثياب نرسية (٢٨) ، وظهر الورد من الطين ، والسنبل من الترب ، ونبت للصبى شعر لحية حيث أنه بلا لحية ، تدلل السعداء من اهتزاز صباه (٢٩) لطفه المرتدى القميص الأخضر ، والمشنف بالقرط الأبيض تدلل السـعداء ، تمايلت براعم شفاه الزهور المتدلية المرتدية اللباس الحريرى . وحديقة ذات ورود ومزدانة بعقود اللؤلؤ الخالص فى البستان .

تواجه طرف الصحراء الجرداء والحديقة الموردة من طرف اختراعه ، وكتب حرف ألف «سرو آزاد» ، وباء «بيد» ، و ودال «دلب» وعين «عرعر» من كتاب (كلستان) (٣٠) ابداعه و « ف » فتح الجنار (٣١) يد الحاجة من كل ورقة ، طالت من الأصابع الخمس سبابة الوحدانية ظهر النخـل الباسق (٣٢) فى أرض عشقه غائصا فى الطين ، ومرض القلب من حسرة البلح الطرى . من مطالع الأغصان طلع الطلع ، وزهر الزهرة ؛ والنور زهرة نور زهرة الزهـراء من السماء الشماء ، ومن القضب الزبر جديـة تلألأت اللآلىء البيضاء ، « ان الله اصطفى آدم » بلا تردد زينة الزينة ، ورتب

---

(٢٦) نوع من الأشجار العالية معقدة الأطراف ، جلال الدين بن محمد غياث الدين غياث اللغات ، ص ٢٨٣ .

(٢٧) مدينة فى السودان تقع على نهر النيل ، فى درجة ١٨ ودقيقة واحدة عرض شمال حاشية البرهان القاطع جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

(٢٨) نوع من الثياب ، نسبة الى نرسى وهى قرية بالعراق ، بطرس البستانى ، محيط المحيط ، ص ٨٨٧ .

(٢٩) رياح تأتى من الشمال وعكسها الدبور وهى مخصوصة بين الرياح برقة النسيم وطيب الهبوب ، أبى منصور الثعالبى ، ثمار القلوب ، ص ٦٥٦ .

(٣٠) من كتب النثر الفارسى ، ألفها سعدى شيرازى شاعر وأديب ايران العظيم عام ٦٥٦ هـ . برسم الأمير سعد بن أبو بكر بن سعد زنكى ، وهو كتاب فى التربيـة والأخلاق . زهراى خانلرى كيا ، فرهنك ، أدبيات فارسى ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(٣١) نوع من الأشجار المنتشرة فى ايران وأوراقها تشبه قبضة الانسان ويصل عمرها الى الف عام ، محمد غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ٢١٣ .

(٣٢) الاحتمال الأقوى أنه متأثر من جملـة سـعدى الشـيرازى التى وردت فى الـ « كلستان » (وتخم خرمايى به تربيتش نخل باسق كشته) . سعدى شيرازى ، كلستان ، ص ٣ . تصحيح قريب .

فى مقام « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » سائل الكثرة ، حتى أيقن فى مراقى معرفة الله بدلالة « ولم ينظروا فى ملكوت السموات » تكميل جوهر النفس وثباتها ، ظهر بسلم التسليم على غرفات العرفان ونوافذ الشرف ، وشاهد من ثقب القلب المضىء عين مناظر مفرح العالم ، واستحق جلائل القدس ، وصاروا من خمر المعرفة ثمالى الحق ، وادركوا من حدوث ذلك الاستعداد فرح بلا أذى ، وفرح بلا ضيق ، ونعمة ورحمة بلا بلاء ومشقة ونعمة مصانة من النقمة ، ومسرة عظيمة لا توصف ، ولذة دائمة وبلا حد ، وعمر مبرأ من الزوال وحياة خالية من الغم والكدر والرياء « أكبره بأصغرى » (٣٣) زايدا زايدا كبيرا كثيرا .

بعد الحمد والمدح فى الصباح والمساء ، الرائحة المفيدة الثناءات الشائعة وجماعة الروائح الطيبة المنتشرة ، التى تبتسم من نسيم الصباء ثمرات القبول ، تأخذ النفحات المسكية النسمات تسليمات بلا حصر التى من حركة شمائل مسك ثمار تلك الخفايا والظواهر ملك الملكوت الى يوم القيامة ، شمائل عنبرية الرائحة تليق بضريح البيت المعمور (٣٤) حضرة ضريح الأمة ، وقرأ من كتيبه بلاط قصره الآية الكريمة ، « ومن دخله كان آمنا » وتباهى بمساواة قدرة أصل الكونين ، كما كانت لوامع جوهر قدرته، جهل عز العرش عرش درجته من درجة العرش الملكى الأعظم ، وقلب وعين الكفر والاسلام من ضياء أسنة رماح العالى نور وضياء .

مقدار قوسين ومقدار رمحه كاشف أسرار « نون والقلم » وقطعة « وانشق القمر » شعار سارى نصنيب علمه ببرق سفينة نجاة أمة نوح ، وفلك « وحى يوحى » شمس ، أحمد اللقب الذى ألسنة حمده فى الحمد المدح ، دعاء ثناءه كثير جدا ، وغبار سالك الفلك طرف حذائه على مفرق طرف وطرفه تاج « بعثه الله على الأمم وجعله محجة للسبل » لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يعنى ذلك المبعوث للنساء والرجال ، الذى أخمد نار الانجيل ، وطهر التوراة ، ورد المصحف من معجزات فرقانه المجيد آية ، وعلم الأسماء ، « علم آدم الأسماء كلها » من المضمرات المخفيات علمه اللدنى وآية عقد عبودية أبنائه على رقبة الانس والجن لازمة ، ونعمة شفاعته لكشف غموم الأمة جمعاء متلازمة .

---

(٣٣) المقصود بأصغرى قلب المرء ولسانه . لويس معلوف ، فرائد الأدب ،

(٣٤) البيت المعمور هو مسجد فى السماء الرابعة من الزمرد والياقوت ، وهو فوق الكعبة مباشرة بحيث أنه لو سقط شىء من البيت المعمور فانه يكون على سطح الكعبة الملائكة وقد كانت قبل الطوفان مكان الكعبة وقد لقب بالمعمور لانه عامر فى كل وقت بزيارة الملائكة محمد غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ١٢٧ .

المبعوث على الأسود والأحمر ، حامى بيض(٣٥) الاسلام بالأبيض(٣٦) والأخضر ، وماحى البيضاء (٣٧) عن سواد الملة البيضاء بالنصل الأزرق والرمح الأسمر ، سيد الأنبياء ، وسند الأصفياء ، محمد صلعم ، مخمد نوائر الشرك ، ومكفر الكفر عليه صلاة الصلوات ، أطيب من نوافج المسك، وعنبر الشجر (٣٨) ، ما سحر نور الكوكب ، ونجم السحر ، ونجم النور والكوكب عن النجم(٣٩) والشجر وتالى الحمد المحمدى سعة كرم المختارات، ونجباء التحيات ببلاط النجيب ، ذو العظمة اللائقة ، الذى رفع راية النصر لضرب سيف الغزو فى ميادين الدين والملة الغراء .

أيثار نثار الحاجة ببلاط الأوصياء على حق المناسب الذين حرقوا كومة عمر الأعداء حقيرى الأصل ، المغرورين من برق السيف الدامى البتار لمهلك بنار الهلاك ، أعنى خلفاء العصر وحلفاء العهد ، وباقى أهله وأصحابه ، الذين كانوا أمطار رحمة الرب الجليل ، وعلى الصالحين ذو العظمة والشأن المحمدى ، أدلاء السبيل ، كل واحد منهم والى الولاية وملك الدين « ونحن على ذلك من الشاهدين » على أرواحهم السلام من المهيين السلام ، وعلى أفواه أعدائهم السلام والسلام والسلام .

وبعد فأنه لما كان كاتبوا العناوين ذوو الشأن قد كتبوا « خلق الانسان ، علمه البيان » منشور ذات بدائع (الفاضل الفاصل ، الباذل البازل ، الفارع البارع ، والصيدق الأشدق ، المصدع المصطع ، اللوزعى البلتعى ، والوعوعى اليلمعى ، الفالق النحرير والحبر الخبر الخبير الفائق فى التحبير والتحرير والمتبحر المتمهر ، الذى لدى تلاطم فضائله الطمطام طمطم وعند لجة بحر تبحره غطماط اللجى متلجلج ومتلعثم . أنواع جواهر الترصيع ، وأجناس الجناس (٤٠) البديع (٤١) فى درج املائه الصافى صواف وأصناف وشايح التوشيح (٤٢) والتلميح فى درج انشائه

---

(٣٥) بيض جمع بيضة ومعناها ، وهو حوذة كل شىء : بطرس البستانى ، محيط المحيط ، ص ٦٣ .

(٣٦) الابيض هو السيف . لويس معلوف .

(٣٧) البيضاء هو البلاء . بطرس البستانى .

(٣٨) ساحل بين عمان وعدن .

(٣٩) النجم خلاف الشجر ، وهو ما نجم على غير ساق . بطرس البستانى .

(٤٠) ايراد الفاظ من نفس الجنس فى النظم او النثر . لويس معلوف ، المنجد فى اللغة ، ص ١٠٥ .

(٤١) فيها ايهام لعلم البديع .

(٤٢) فى اصطلاح علم العروض الصنعة التى فيها يوضع بناء الشعر على عدة أوزان مختلفة . بطرس البستانى ، محيط المحيط ، ص ٩٧ .

الضافى على مواقع وقيع التوقيــع طواف (ابن فضــل الله أبى الفضــل عبد الله) الملقب بـ (الوصاف) كانوا قد لقبوه بالطغرة الغــراء « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ·

ارتدى قلم سحر زخرفته لباس البراعة على قامات جماعــة الكلام ، وبتنميق « تاريخ تجزية الأمصار » (٤٣) « وهو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم » · سحب قلم النسخ على خطوط كتب الأشراف ، وسطور رسائل الأفاضل ، ومن هذا التأليف المتين « وفى نسختها هدى ورحمة » ظهر لأهل الدنيا « بلسان عربى مبين » برهان دعوة « انى عبد الله آتانى الكتاب » ·

انشغل فى احياء رفات أموات الكلام من نفس سحر البيان لاظهار معجزات (عيسى بن مريم) أبدع الحق من الباطل ، نشأة عمان ، تجنبت مريم للفضائل لأن الجوهر العالى أصل غالى ·

لم يسقط حاسده على التراب من البداية ثمرة بلوغ الرغبة من دوحة الأنفاس المثمرة ونفوس الكلام المدربة المرغوبــة ، أظهــر الساقى الشافى طبعه بالقرب المليئة بالكلام ، الملئ بالطيب لترطيب الرأس الجامدة ، رؤس عالم المعنى ، سلك الصديق الظريف قلمه أكواب الرحيق من زجاجة كتاب على خمر محتسى خمر التحقيق · شعر :

لم تر عينى كاتبــا مثله   لكل شيء شــاء أو شــاء
يبــدع فى الخــط وفى غيره   بسحره الانشاء أن شــاء

أحيانا يهاجم مروض خياله بمقرعة الفضيلة محجلات اللغة العربية ، ويظهر غائص فكره زمانا من بحار اللهجة الدرية درة لامعة « كأنها كوكب درى » ·

بجانب كلامه الأعجمى الأصل ، متانة قول فصحاء العرب بأعجمية بيان الأتراك غير فصيح الكلام بطريقة واحدة ، فى مقابل مقالاته السليمة الأساس سطور الأخبار شهرة الأدباء أتفه من دساتير الأساطير المكتوبة ·

قلمه البليغ فى ايراد البدائع مثل السفاح العاقل الماهــر ، وروح (أفلاطون) المعقدة من رائحة شراب المسطرات واناء ترويق جمال كتابه الشمــل ·

---

(٤٣) اسم هذا الكتاب « تجزية الأمصار وتزجية الأعصار » المعروف بتاريخ وصاف ، تأليف شرف الدين عبد الله الملقب بوصاف الحضرة وهو يعد ذيل على جهانكشاى جوينى· تقى بهار ، سبك شناسى ، ج ٣ ، ص ١٠١ ·

الشاربون من كأس حانة تلميذه مع (أبى على) ، الندماء وخلاصة فضل العلماء فى مقابل بحر فضائله قبضة كف « فاحتمل السيل زبدا رابيا » • رسم قلم بنانه المشار اليه فى اعجاز ، وحملوا ظفر قلمه مثل هلال براعة الاستهلال من الصنع •

توافه وملفوظات طبع نقوده عجائب الفاظ البلغاء ، زوائد وتنقية ذهن العاقل روائع أفضل الأدبـاء • قلم الدقائق الدقيقة صحراء زبالـة ونشارة ونخالة فنخل قلمه ، ونفائس حسن كلام الأدباء شعر وزبالة منجل قلمه المسكى الختام ، أبكار مبتكراته « لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » ، وحاصل نتائج الضمير ذهب وفضة دفينة بحر مرموزه « كأنهن الياقوت والمرجان » •

زين بزينة أسلوب صعب القبول ، صور أشكال مختلفـة المعـانى بالدلالات الجذابة من القرط الملىء بالزينة والجمال • وتحلى بواسطة القلم الواسطى (٤٤) خدام كلام حسن الصفات بجلباب التجليات • أطار الأشهب القرطاس للقلم فى ساحة الفصاحة الفسيحة على رأس علماء الدنيا ، وحمل للعرش رسول الكلام باللوح والقلم فى معراج البلاغة وأجلسه على العرش ، سلسلة شعر العبارات المتتابعة أسيرة زجاجة حبر قلمه ، وقدح شاربى كأس الخمر المقدوح ، ثمل صحراء كأس الزجاجة •

من طبيعة بلاغة العلماء السالفـين ثمل خمر المعـارف وخلق مربى الجمال قبل افاضة صورة الكتابة على هيولا حوامل معانى ونطف المعـانى المعروفة ، لآلىء بحار أقلامه المتلألأة درة تاج بلاغة (حسان بن ثابت) (٤٥)، وجمال عفاف كلامه فى « نمارق مصفوفة » سطور « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان » (يتصف عند حسن لسنه ولسنة (٤٦) كل اللسن بكل اللسان ، ويختص من احاطة أحضان أحصان عميم أفضاله بالعجز عموم الخصان ، در اللبن وشير العسل من أنابيب بنانه ، وصادف الصدف الدرر الفريدة من صدف بيانه) •

حتى نسخه القرون والدهور صارت محط أنظار الأفاضل ، ولم ير

---

(٤٤) نسبة الى واسط وهى مدينة بالعراق تقع بين بغداد والبصرة ، وينتشر فيها البوص الذى يصنع منه أجود الأقلام • جلال الدين بن غياث الدين ، غياث اللغات ، ص ٧١٧ ، ٧١٨ •

(٤٥) حسان بن ثابت الأنصارى شاعر معروف ومن الشعراء المخضرمين توفى عام ٥٤ هـ ، يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات ، ص ٧٥٢ •

(٤٦) الفصاحة • المرجع السابق ، ص ٨١٥ •

نظير كتابه التاريخي في أي تاريخ ، ولم ير الفنانين المجربين مثله بالعين الناظرة .

وقد باع نفس مشتري أسواق كلام أنسة هذا الكتاب الواضح فقط جماعة عبد الدرهم ، الصخور المضيئة انضاف السطور ، و « سنكلاخ »(٤٧) كلامه الصلب كلها در وجواهر نفيسة .

وجنادل الألفاظ الجميلة المحببة ، والصخر المدبب الحاد بالأرض الصلبة طريقة تلفيقه كل الجواهر الملونة صبافية ، كل جزء من أجزائه بنثر اللآلىء (٤٨) رابطة كلية ، وهيكل فقراته مع كتاب « نضد درر » (٤٩) قرابة صلبة .

زلابية (٥٠) الكلمات الحلوة في طبق عطر العنبر ، كأس وكتاب ورقة كله ممزوج بخلاصة الروح ، وموائد الجمال وطعام المعاني السائغة ، وقطف العنب ، وقطائف المضامين السابغة التي كتبت بالقلم الأسود ، حروفها كلها مليئة بالمسك .

ثمل مستمعو المعاني والبيان المشروع من خمر شروح كلامه الموجز مجيئه أفضل من الاستماع للأنغام والاستمتاع بالغواني ، كل لفظ منها يعتمد على شاهد الجمل اللطيفة ، وفحوى « العلم نقطة شامل كل نقطة » ورسم دوائر حروفه ، ومتكأ بنات أفكاره ، وقرط وغرفات لطائف البيان ونقاط بنان مقدمة الحسناوات اشارات الأفكار البكر ، كل معنى مغنى معبىء في لفظه ، الحياة في ظلمات السواد .

وما هية كل حرف قمة للفصاحة قمر مضيء على الوجه كما هو مثل ليلى ، عباراته الغريبة العربية لم يقصرها في سواد خيمة « حور مقصورات في الخيام » . الذين في نجد (٥١) ورق ارتبط الحبل في الطناب « من نظر اليها فلقى نضرة وسرورا » .

---

(٤٧) في هذه الكلمة ايهام لأحد مؤلفات ميرزا مهدي خان باسم « سنكلاخ » الذي يعد قاموس فارسي . مقدمة جهانكشاي نادري . تقديم سيد عبد الله انوار ، ص ١٠ .

(٤٨) هناك عدة مؤلفات تحمل اسم نثر اللآلىء أحدها من مؤلفات محمد بن أبي جمهور الاحساني المتوفى بعد عام ٨٧٨هـ وموضوعه في الفقه ، كما يوجد كتاب آخر بنفس الاسم تأليف أبو علي الطبرسي .

(٤٩) جار « نظم الغرر ونضد الدرر في ترتيب غرر الحكم » ترتيب عبد الكريم بن محمد يحيى القزويني المعاصر للشاه سلطان حسين الصفوي وهو كلمات قصيرة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام .

(٥٠) نوع من أنواع الحلوى .

(٥١) هضبة . في الكلمات ليلة ، عربية ، سواد الخيمة ، مقصورات في الخيام رعاية صنعة مراعاة النظير .

واستعاراتها النادرة الدرية فى كل باب من المعانى المحبوبة ، قصور بلا عيب التى « يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا » تمثيله وتشبيهه بلا نظير « كأمثال اللؤلؤ المكنون » ، وايهامه وتلميحه بلا ابهام « وجنا الجنتين دان » •

ما أعجبه من تأليف لكساء الكسناء كأس وكأس « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » • مصحفاته مع اخوان الجناس على كراسى القرطاس « اخوانا على سرر متقابلين » وصفحاته صحاف « وكأس من معين » تحكى عن « خمرة لذة للشاربين » •

زلال ذاك أم صفو العقار — وزهر اللفظ أم در الدرارى
كنشر القطر فاح بكل قطر — وكالدرارى عطر كل دار

يا أيها الذين من أفنان فنون الافتتنان تجتنبون ، « أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » « ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون » « أفبهذا الحديث أنتم مدهنون » •

نظرا لأن نسخة العجائب هذه التى من أوصافها حارت العقول ، وكلت الألسن « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » ، نظر بعين التحديق والتدقيق ، ذهب بعين حدة النظر والتأمل الملحوظ ، وفى معانى هذه المنازل الامعان الكامل والتدقيق والتأمل الكافى ، أغلق قاطف الورد الحدقة الناظرة من رياحين حديقته الناضرة ، علق على الظهر عدة شيلان ، بدأ كأس التزيين المزخرف والطريقة سريعة الأثر عبارة عن زينة فى العقل الخاطف والمسرور بالعقل المتعقل ، فصنع الشراب الخالص والمسك المسحوق •

ـ فاحت رائحة الروح المعطرة من تلك الأوراق العنبرية •

ـ ان كل قطرة كانت أقوى من المسك الخالص •

أدرك طبع المشتاق بلا مشقة من سياق كلامه شراب كأس ، « ويسقون من رحيق مختوم ختامه مسك » الذى « فى ذلك فليتنافس المتنافسون » •

مسحوا بالماء ملامة التلميح ، وفصاحة التلويح ، وبراعة الترتيب، وطرافة التركيب وسلاسة التلفيق ، ونفاسة التلميق ، ومتانة التربيق ، ورزانة الترميق ، ورصافة التنبيق ، ونزادت التنميق ، ورشاقة التشقيق ، وسياقة الترقيق ، وافاضة الرائعة ، والتشبيهات

الرابغة ، والتشميلات الرافعة ، الأدباء المهرة ، أوراق صحف تأليفاتهم من عرق الخجل • « لمثل هذا فليعمل العاملون » •

بنفس كتاب أرانى عيانــا أجــلى وأشرف نوع القول
فالفاظــه والمعــانى جميعا مرائى العيون مراعى العقول

بعد ذلك فى عهد الدولة أكثر سلطان سلاطين الشرق والغرب ، الذى سخر سيفه الأرض كالشرق من الغرب ، عسل أسل وضرب ضريبته أحلى من العسل والضرب ، ومطربى جدالــه أفضــل من قصور الطرب ، ارتقى (كيومرث) الشأن الذى صيت عدله وانصافه من صوت شهرة(البيشمداديين)، و (كيقباد) المكانة الذى نصب قبة خيمة جلالــه ، ختم على قلب الكيان ، واعتبروا (فرخ زاد) الملك الذى كان (الساسانيون) فى بلاط فلكه مثل الشحاذين ــ و (نرسى) الشوكة الذى يلقب (الأشكانيون) كل منزلا يصل لخدمته وينشر الدمع « أشكانى و (أردشير) القدرة الذى كان الأسد المفترس أمام خوف مهابته أقل من الثعلب ، الصــادق (بهمن) المقام الذى جــاء لمطاردة أسد تهوره فهــد أعمى فمال للعرج ، (الاسكندر) المالك ضعف خمار احسانه والملوك المنتصرين ، حجاب العين تراب غربال بلاط (برويز) شأنه ، يصبح من لطف سكنة بابه كل عاثر الحظ (أفراسياب) الشأن ، وفى بحر سطوته الهائل مشابه كأس رأس (الاسكندر) عرش «افراسياب»، مالك الرأى ، زينة عالم الزينة ، مزين التاج والعرش ، أمامه لون وعقل (فريدون) الحقير و (هوشنك) الضعيف فى ساحة واحــدة من عظمته وسموه مع (تهمتن) مثل الجسد ، وفى ميدان حربه (أسفنديار) معزول من الشجاعة ، ببلاطه العالى عظمة (جمشيد) (٥٢) الشوكة جميعها مثل الجماجم •

فى سلوك طريق طاعته عصاة العالم أجمع مثل القلم رأسه لأعلى ، قصة عرش (جمشيد» بجانب قصة عرشه كحكاية غناء وصوت طبل وعسكر « الترك » و « الهند » فى ساحة صحراء اقتداره ، الحصبا أمام عرشه الحجرى كأجرام الشمس والقمــر وبساط فلك مائدته حرير الفلك الأعظــم تحت مقياس « فنعم الماهدون » ، حديــد سيفه قرين الطالــع التيمورى (٥٣) ، ولضرب يده من خالــق الروح صانع سيفه مثل الهــلال فى ترطيب شهر

---

(٥٢) جمشيد يتكون اسمه من جم بمعنى كأس وشيد بمعنى ضوء الشمس وقد حكم ايران بعد والده هوشنك • زهراى خانلرى ، فرهنك أدبيات فارسى ، ص ١٥٥ •

(٥٣) الملك المعروف بالجرجانى الذى حقق فتوحات كثيرة ، وهنا اشارة الى معنى الكلمة اللغوي فان الحديد باللغة التركية يعنى تمر وفى المغولية دمر •

أغسطس ، ومقبض هراونه المضيئة لوى يد الفلك وقبضة الشمس ، سحبت أفعى شجر الخدنك قلب تنين وجود الخصم سيء الأثر رأسا على عقب ، وشكل مقبضه تنين فى أنظار الثعبان نائر النار .

يتعارك بطرف سهم قوسه « الثير » مكسور الجناح مع النسر الجارح، ويصب من سهم ذراعه الممزق مهدم القمر فى عش الفلك المضيء ، وجلاد سياسته حديث حادثة يوم القيامة من المطيعين ، والقوس المشدود وتر عقوبته القاء السهام بقلوب الملاحدة .

من صوت فتح باب بلاطه وضع الفلك قطن من السحاب فى الأذن ، ومن صولة حد السيف العابرة قبع الأسد المفترس فى عرينه ، وسكنت أطراف البعوضة ، وفى زمان دولته يعانى العنكبوت من البطالة اذ كان يحمى بجناح حمايته كل بعوضة ضعيفة ، دار الفلك وفق مراده ، وصارت ممالك الشوكة خاضعة لدولة ممالك ملوك احتشامه ، سحق عبيد العجم والعرب رأس العظمة على الفلك ، واستراحوا فى مهد العهد الملىء بالنفع الأبيض والأسود .

فى زمان بهجة آثاره من غناء السعادة صار طائر الكباب عازف ربابة على سيخ الكباب ، وفى أيام سروره صار سحاب أول الربيع من كأس الفلك الزجاجى على وجنة الريحان الجميلة ورائحة الياسمين وشراب ماء الورد .

فى عهد حاجز رغبة الدلال انشق قلب الصقر من غابة الأوز ، وبعد رفع الظلم لو كان منافقا فان صدره يكون مشقوقا ، لو لم يرفع الله عرش الفلك درجة فان مدار الفلك قدم على الفلك ما لم يجعل الفلك من ختم دعوى الشمس،ولو لم يرتفع من قوس ملكه الصلب سهم هدفه المريخ«٥٤»، وسهام المشترى (٥٥) على هدف متحرك على السماء ، لم يحتم فلك عطارد والفلك المقوس من الخوف ، حبه وعطفه للسماء منشأ الشمس والشفق ، وخوف قهره ظلمة ليل لعالم البلاء ، زبرجد عقل السعى فص خاتم جلاله ، وفيروزة النصر فص خاتم اقباله ، بجانب سطوة شجاعته (سام نريمان) مثل البرص ، ومع ضوء طلعته المنيرة وجه القمر أبرص .

فى ميدان حربه من فرط الدهشة طرأ على « زال » الورم على الصدر والرأس ، سرى فى مجلس شرابه من حرارة الخجل على شمع مرض ورم الرأس .

---

(٥٤) كوكب من كواكب المجموعة الشمسية .

(٥٥) كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ، لويس معلوف .

فطر من ضرب هراوته دم الجمجمة · وامتص فى مرعى عدله العاجز المسكين لبن الثدى · ينبغى لتشبيه نعل الحذاء بالهلال لو أن الرأس على السماء سائدة ·

وينبغى وزن جود كف كرمه فى ميزان الوهم والقياس ولو كانت بثقل جبل « آرارات » (٥٦) ، كل من يتجرع جرعـة من ماء لطفـه النمير لا يموت ، ولا تقبل المرآة أى أمنية بدون اهتمام حضرته صورة الحدوث ، طين مزاجه الأقدس نارى الطبيعة تراب حافره الأشهب عنبرى الرائحة ، عقدة تجعيدته الجذابة همة ثنايا ضعفـه المخطىء ، وخيل قدرتـه شمس الركاب ، ومروض جلاله السماء البراقة ، وشجر الصفصاف نصل الورق المدبب الثمار ، ولجام خيله النشيط زينة تاج للقياصرة والسلاطين ، لم تتمكن أدق الأقلام الوصول لدقائق حصر مناقبة ، كتب بالرجولة صفـة سباق القلم الذى لم يتمكن تراب الصحارى استيعاب نعتـه بقلم العجز ، ملك ملوك تلك الشجاعة الذى سار فى الصحراء البيضاء لحصر مدحه وذكر عظمته ، وأطارت الحمامة الورقـاء القلم المقصوص الجناح حيث أن تلك القدرة التى فى علياء هواء الورق بهواء تفصيل تفضيله عالية الجناح · عندما جعل الفرسان أصابع الخيل السريـع للقلم فى مرعى « قصيرة من طوياة ، قصر حبل الاطناب وربط قدم الخيل ، أمال اللجام ناحية الاختصار والتقصير » صرخ القلب أن لاسمه السامى العزة التامة بورقة الرسالة ، وأورد اسمه الشهير بالعزة فى رسالة الكتابة ، ثم قال القلم بالرأس والعين، أولا طهر الفم بماء جوهر المعنى ، أبحث بحركة القدم جبين طريق تحيتـه الضيق وكتبت الأرض للورق « ماشيا على رأسه » وكتب ملك الأفق ونادر الآفاق ·

من خـوف ضرب سهم قوس ذو القرنين

تذهب الشمس فى أى مغرب كل ليل معكوسة

اللهم أيد أياديه لاغاثة الأنام وأيد أياديه لاعانة الأيام ، بالهام ماهم التأييد ، وتلقين ملقن التوفيق ، هذا السائح ملازم الشدائد ، والسباح غريق الدوامات ، يعزف البلبـل بنغمـة نشاز ريـاض ضعيف التـأوه · والفاختة صارت من الرياح كسير الجناح ، كاتب هذه الأطروفة التى بلا نظير « محمد مهدى بن محمد نصير » رزقهمـا الله فى الدارين الرزق الدريـر والعيش النضير ·

---

(٥٦) الجبل التى استوت عليها سفينة سيدنا نوح وهو موجود بتركيا وهو أحد جبال أرمنيـا ·

أساس هذا الادعاء فى جنة الخلد وجنان القلب ، هكذا تفتح عقد اللؤلؤ ، حيث جمع جميع درر وقائع عصر ملك هذا العصر والأوان فى نظم النثر بسلسلة الضبط ٠

أعطى عصا الطلب لسلوك مرحلة هذا الموضوع ، الرسول سعيد الأثر للتفكير من القلم ، والقوتين المفكرة والناطقة (٥٧) ، أن نظر بالبثرودلى بدلوه ببئر القلب لجريان ماء معين هذا المعنى بحكم (ألق دلوك فى الدلاء) (٥٨) انحى جانبا القلم والمحبرة والدواة وسحب الدلو من البئر ٠

عندما تركزت جرعة بيان مستغنى الأوصاف ، « الوصاف » الصافى صفاء الصهباء ، جلس شاربى الصبوح على مصطبة النزول والصعود لقمم الجبال العالية ، عباراته نابعة من مقياس أقدام الصعود للجبل والتوغل لكن بمدلول (الحق أحق أن يتبع) ٠

أحكم الرأى وثبتت النية التى تبحث فى طريق طرائف تزيين طرق صناعات الكتابة والجمال بالتساوى ٠ جعل الحصان السريع (حذو النعل بالنعل) يقتفى أثر قدم حصان قلم بلاغته الأسود (وان لم يدرك الضالع شأو الضليع) ٠

عندما قلم كاتب الهمة الأظافر ، بدأ الترقيش والترشيق والتعليق والتمشيق ، أصدر حرض البلبل من صوت القلم نغمة جميلة ، ونشر الضمير المشوش والخاطر المضطرب طرف التحمل باغراء خاطر (من استبد برأيه فقد خاطر) وقرأ باستهزاء هذه القصة ، اذ لم ينتظر مطلقا الانشاء من رسم البيت ونعش فقيد الأدب ٠

لم يتوقع أحد من القمر المقنع والفرس المصنع (٥٩) عمل البدر التام وسير الجواد المتبختر ، ولموسيجه (٦٠) من الاعجاز الموسوى تنفس شبكة هزل الدوران وللوجه القبيح بحسن جمال (بهنانه) بمساواة التزيين أضحاكة « ما جئتم به السحران الله سيبطله » ٠

---

(٥٧) المقصود من القوة المفكرة النفس المفكرة حيث قال ابن سينا عنها : يقال عنها القوة المفكرة أو القوة المتخيلة وهى موجودة فى التجويف الأوسط من المخ ٠ ابن سينا ، رسالة النفس ، ص ٢٢ ٠ طهران ، سنة ١٣٣١ هـ ٠

(٥٨) جاء هذا المثل فى فرائد الأدب « الق فى الدلاء دلوك » الأب لويس معلوب اليسوعى ، فرائد الأدب ، ص ٩٦٩ ، بيروت سنة ١٩٦٩ ٠

(٥٩) يقال ان هناك شخص اسمه عطاء أو الحكيم ومشهور بالمقنع الخرسانى ، وهو من مرو ، خطرت له فكرة سيئة وهو أن يضع على وجهه نقاب من ذهب وقد احضر قمر من بئر نخشب وعندما يراه الناس من بعيد يظنون أنه قمر ٠

(٦٠) طائر شبيه بالفاختة أو الصعوة ٠

ـ تعرض ألوان الفنون على جاهل ٠

ـ تبيع الجواهر بقيمة خرزة كبيرة ٠

ـ أخشى ان تفضح النار الدخان ٠

ـ الأم تبيع شجرة العنب للناس حطب رطبا ٠

هيهات فى مقام الترجمة والبيان بضم الأصابع والبنان يصف لك أن (بنان كف ليس فيها ساعد) تلك اليد التى بالساعد القوى ، الأقوال الجميلة الساحرة مثل كذب (بازور) الساحر ، هاجم بقبضة التمزيق الدرية وطبيعتك الجامدة وذكائك الخامد فأين قدرة الهجوم ؟ ، هاجم الذى يصف أعجمية اللسان مقابل ذلك الفارس كعرين الأسد مقابل جياد العرب ، وأعجباه (قمقامة حكمت بجنت الباذل) ستكون الخرزة البراقة شبيهه بخزف الحرف لنفسه ، كيف ستضع جوهرة سوق زينة البلاغة بعقد واحد مع الجواهر النفيسة ؟ ، وكم ستزن خرزات الباطل أمام جواهر تاج الملك الثمين ؟ « لا يستوى الخبيث والطيب » ولا يشبه الضباب بالصيب ٠

حصى الصحارى الشاسعة بجوار اليواقيت الحمراء والجواهر المتلألأة من آفق الاحضار قليل القيمة ، والزمرد المزيف والكلام الباطل والواهى مع الفيروز (٦١) الثمين والبهرمان الرومانى(٦٢) مثل دليل مبهم ، ومحسن الكلام يشبه الى حد كبير مهاجر الحكم ، ويتشابه الى حد كبير ملح الغضب الحاد مع جمال لطائف الكلم ، « ما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » ، بيان رث بث ، وكلام غث ونث ٠

مع تلك الأعجوبة « كتابا متشابها » قراءة قلب مجروح وخرزة رخيصة وزجاج عمل جوهر البحث تبن قليل القيمة مع حجر كهربا الوزن ، الضال وسفينة ارادة خاطرك الحر فى هذا البحر اللجى مجداف سفن ، « ما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور » ٠

ـ هذا الطريق تصدرته من المغرور ٠

ـ أخشى الاتصل لمنزل لبعدك عنه ٠

من صنف فقد استهدف والصمت أحسن من عى المنطق ، والسكوت ستر ممدود وفدام على الفدامة ٠

---

(٦١) حجر كريم لونه مائل للاخضرار ٠ أبو ريحان البيرونى « الجماهر فى معرفة الجواهر » ، ص ١١٩ ٠

(٦٢) نوع من أنواع الياقوت ويأتى فى المرتبة الأولى ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ٠

ـ لتكن بلا لسان أما ترى أن القلم •

ـ مذ وجد اللسان ورأسه فى خطر •

بعد التوسل بوسيلة (ما لا يدرك كله لا يترك كله) ، والتوصل بواصـلة •

فقد تسجع الورقاء وهى حمامة وقد تنطق العيدان وهى جماد •

نهضت بقدم الأدب ، أردت بكفك النظر جيدا بالكفاف زاد الطريق ، كان الذكاء يلمع دائما مثل أشعة الشمس على السهول والجبال والسفوح وتلال عالم المعانى (أذكن من أياس) (٦٣) ، حجب بتراكم سحب الحزن واليأس ، واعتبر الدهاء (أدهى من قيس) (٦٤) ، أن بلاغة قيس « أدهى وأوهى من القس ، قال نور تجلى شعاعه للدهاة « لعلى آتيكم منها بقبس » أغلق فم النطق ، أسف شاهد فكر الرؤية ، أخفى الخجل فى بيت العروس خد نقاب الاخفاء والتجنب • بأى حال فان الوجه الجميل لم ينل مطلبه ، كشف القناع بالرضاء عن طلب الوجه ، أظهر طبع الشجاع أيضا الشعاع الباقى من مرآة البـاطن ، قال باستحسان أن لم يضعف بيداوسى (٦٥) الكيانيين وكنز (قـارون) بخزانـة الروح ، لم يختف كنز (جمشيد) وكنز (خسرو برويز) فى مخبىء القلب الحزين ، لماذا يوجد فى خزانـة الطمع عدة سبائك فضية وذهبية ؟ ألست موجة بين « البحر الأحمر » وبحر « عمان » ، بالجدال والمناقشة أين لآلىء البحار الخاصة بى ؟ (لو كان عندى كنز النطف وما عدا) (٦٦) •

الزمان عدو الفنانين ، وأهل الزمان مئات عدة ، الورد النارى الباسم فى هذا البستان نار موقدة على أهـل العلم ، وعلى مائدة مليئة بسـدم فلك فاتحة الترك والتجريد للكلام ، تكون الليالى فى ركن الصفة بصفاء الخيال لا حراق العلم والعالم أحرقت مصابيح كثيرة الرأس ، أشعلت بمساعدة

---

(٦٣) المقصود من اياس هو اياس بن معاوية بن قرة المزنى كان قاضيا زمن عمر ابن عبد العزيز مدة عام له نوادر مجموعة فى كتاب •

(٦٤) هو قيس بن ساعدة وهو من الحكماء والعقلاء العرب وبلاغته مضرب الأمثال ، وهو أول من قال (أما بعد) كما أشاع قول (البينة على من ادعى واليمين على من انكر) •

(٦٥) العملة المتداولة فى العهد الكيانى •

(٦٦) النطف بن الخيبرى رجل من بنى يربوع كان فقيرا يحمل الماء على ظهره فينطف أى يقطر ، فاغار على مال بعث به بازان حاكم اليمن الى كسرى ملك الفرس فأعطى منه يوما حتى غابت الشمس ، فضرب العرب به المثل فى كثرة المال •

قيد القلم والأنامل المشتعلة القوة المتفكرة والمتخيلة بالسراج المضيء في غرفة مساجين البيان وأسرى غم سجن الكلام ٠

حطمت غوامض المعاني وقلت بقوة الموضوع المتصدع ، ذهبت بقدم التدبر ، وكنست سطح رقبة الكلام العالى ، تأثرت العبارات الموزونة من القلب المحترق بنار طبع الذهن المشتعل والفكر المنشغل وتعلق « بالعشى والابكار » لابكار الأفكار في كوشة القلب المعذب بصحبة زينة القلم النشيط ، الوشائح المتوجة بالهيكل والصدر جعلت في مغزل القصة ومقابلة الحكايات لغزل النساج الماهر بقلم اعداد النسخ والروايات ، أورد الشعراء الغزليات عذبة النغمات ، وناظمى العبارات الجميلة من صحراء الكلام العذب بحركة اليد جلفة الكتابة ومصيدة التحرير ٠ فى عين الجاهل الجبان الذى لم يركز النظر الا على العيوب ، كان (أقبح من عشوة العشواء ودلال العثواء) ٠ لم يقيموا الوجه المشرق وجمال بشرة تلك المطلقات الجميلات ٠ والزوجات المحبات لأزواجهن صغيرات الفم اللواتى من حسن وجه الجميلات حور العين ٠

أظهر (أنكر من هيأة البرخاء وهبات العرجاء) (قسيمة أطيب من القسيمة) فى عين تمييز هؤلاء الناظرين ، مع العجوز العاهرة والفاجرة الجهول على هودج الجمل ، جلست بكر المقاناة « أغنج من مغنقة » (٦٧) مع الرميمة القبيحة والشمطاء الحقيرة فى هودج واحد (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) ٠

ـ أما هذه الجواهر التى فى هذه الأسواق ٠

ـ قيمة الحل كانت أغلى من جوهرنا ٠

ثم بدأ خيال آخر صنع بقلم الأديب بشكل الأسطورة ، أن يا أيها الأخرس المزخرف للكلام ، وأيها الصامت الذكى ! ويا خضر المتتبع أثر منبع حياة الظلمات ! ويا حاكم حدود الأقليم ومقلمة الدواة ! اجعل رأس المغلوب دائما من الأمانة فى طريق محبتى ، ومزق بسيف صداقتك صدر طريق الوفاء ، وجدت بقبضتى خطاب «هى عصاى أتوكأ عليها» من ترجمان ضميرى ، أسرعت فى تلبية مطالبى باشارة الأصبع ، سالك القدم وقت الكتابة مثل الثعبان المارق الأرقط من الكلمات الشاذة على الأعداء سم قاتل ، يظهر وقت الحرب الهجاء مثل ضرب الحراب من طعنات الحراب على الأعداء يكون الهجاء فى معركة الكلام أمر مؤلم ، أخرج حدة العقل

---

(٦٧) المغنقة وهى المرأة الناعمة ٠

لحظة من الرأس ! امتلك أمنيتى خطوة ! أكتب شطر من سطر حاجتى ! أرسم جزء من ألمى الدفين ! من هذه الأمنية فتحت برعم وردة القلم براعم التعجب ، وتضرر من صوت الزفيرو « يضيق صدرى ولا ينطق لسانى » وقال « أنا لنريك فى سفاهة » عندما كنت مزين فتاة راحة بالك ، ومن المداد الأسود خصل العذراء المجدولة على كتف الحسناء مثل القمر ، وشكل حسن دلال الحسناء جذب القلب الخالى ، وقد أثرت الذوائب الجعدة كثيرة الثنايا من مسك «نجم» (٦٨) على محيا حسناوات « الصين » والختن »(٦٩)، تدلت ضفائر لائقة وذوائب عنبرية ــ التى كان عنبرها مسك خالص ــ على وجه الابكار العارى ، وخلطت من وسط زجاجة المسك زجاجة مزاجها المسك والكافور الجاف ، وصب اللسان من السيل المدرار قطرات عود جميل الرائحة على قطر الورق .

وعطر حسن جمال البيان توأم حسناوات آذرى (٧٠) بلا تعلل ، وسحق على الورقة البيضاء مسك أسود بلون الكافور ، وقد جعل مثل خطباء ذو الشقشقة شق علم اللواء العظيم شقوق الكلام ، وكشف ببرق العلم صنوف البيان ، وبسطت بأجنحة الديوك المفتوحة المليئة بالعلامات والاشارات حسن جمع المظلة الطاووسية (كرفرفة الرفراف الرفيف) على رأس خيل المعانى ، لم يتوان عن سلوك طريق رضاء الجند ، وأسرعت بدخول أى مكان بدون اذن ، وظهر بخاطر نهرك النهار والليل بالورق والحبر من باب الخلط ، لم أدر الوجه ، ماذا كان جزائى الا العتاب والتلوث بالحبر ؟ لو تحدثت بعد ذلك معك بكلمة ، ووضعت لصداقتك القدم على سطر الورق ، لتسحب السيف على رقبتى ، وتقطع القيد عنى « فلن أكلم اليوم انسيا » ، عندما قرأ قلم الغاب رقيق الشكل الذى يشبه الطائر المغرد ضعيف التأوه هذه الحكاية بالجراح ، وهذه القصة المليئة بالشكوى ، قال للدواة : يا من أنت ريشة اللياقة ، ومداد حسن الشمائل على ذوائب شواهد شهد الكلام العذب ، ونواهد زهرة وضع العبارة ، امتزج العبير والعنبر ، وتدلى فى قصر رائحة مسك الاوراق الخطائية (٧١) طرف وجه غريب الأصل لبيان الزلف السوداء ، لو ضرب القلم عديم الخبرة يد الرد على الصدر ، امنع الصداقة مرة أخرى ! واقبل أملى من ناحية المحبة ! .

عندما استمعت الدواة لهذه المقالة ، اعتذرت ، وقالت هيهات اننى مضطربة الخاطر أكثر منك ، وليلتى المظلمة امتدادا لليلة الطويلة السابقة .

---

(٦٨) مدينة مشهورة بالمسك .

(٦٩) مدينة بتركمان بين كاشغر ويوزكند ، لويس معلوف المنجد فى الاعلام ، ٢٦٧ .

(٧٠) نسبة الى آذر والد سيدنا ابراهيم .

(٧١) نسبة الى اقليم الخطا بالصين ، محمد كريم برهان جامع ، ص ٥١ .

ــ الزمان مضطرب أما من زلفتك أومن عملى •

سواد منزلى من كثرة الحزن صار مجمع عزاء ، وتراكم داخلى غبار الغم والحزن تلال بل جبال •

تكوم الغم فى الصدر ، واستقر غبار الهم على الوجه ، لو انه رسم منى بقلـم النرجس الخط الريحانى ، يراه خـط غبـار ، ذبلت من تعب القلب ، صار عصير قبضة الألم والتعب ، وبقى قدر من الطراوة فى حلقى وفمى ، حيث أن ظل قلم الكاتب بمائة تدبير مبلل الشفاة من أجل الكتابة •

أنظر ! دع هذه المعاملة من أعماق القلب ! ولا تضع القدم على هذا الوادى ! « فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا » بمفاد أن :

ــ لا يكون أكثر سوادا من اللون الآخر •

احتجت الى اعادة العرض : أن يا صاحب بلد العاصمة ، ويا من يتوأم فى ظلمة اليوم مع يومى الأسود ! يا من حبر دواتك من مواضع السعادة ، ورسم بـلا عيب ، حبر الدواة مركبات عنصر أساس السرور ، دخـانك الأسود من دخـان مشعل جبـل الطور ، وحبرك المسكى اللون سلسلة ذؤبة الحور •

كأنك من كل النفوس مركب وأنت الى كل القلوب حبيب

ندى من البحر وقليـل من جود الكثير ، قلـة ألمك دواء شافى لى • قطرات قولى ! لم تنقص الدواة من عين الحياة ، أظهرت ظلمات المداد الأبدى القول ليست الا الحياة ؟

اليوم الحكيم « مردود » بكل مكان ، فقد تنافست النفوس بنفائس الكلـم •

للزمان الآن كساد سوق الأدب ، وبسيط الأرض بائعا للجهل المركب

ــ ليلة الجهل المركب لها الدرع الذى من العمى •

ــ اذا تحلى بحلية من الشمس لايرى •

كل أديب عاقل يظهر الأدب بشأن فنون أدب (السيوطى) بأسواط التوبيخ ، ويعتبر (الأخفشى) أخف من الحذاء ، و (ابن الضايع) الذى هو أبو فضل النحاة يظن أن اسمه مثل معناه ، و (الشجرى) الذى يفر وقت المشاجرة ، و (الحريرى) يجعل بضاعة الكلام كاسدة ، و (الفراء) يمزق اللبـاس الصـوفى بالكزلك الصغير ، لم يشتر (ابن الأنبـارى) شعيرة ، اقتلع (التاج) الجلد من القفص الصدرى ويحطم (الزجاج) مثل

الزجاج ، وعندما قرأ فى استكشاف آداب أدب الأدباء بمأدبة التحقيق ، يأخذ (ابن السكيت) جنون السكوت ، ويتجه (النمرى) لوجه البهاء ، ويهرب (الثعلبى) صارخا للحجر ، ويصعد (سيبويه) من فرعا لفرع ، ويعبر (الفالى) وجه صحارى الحيرة ، وينسب (عنبسة الفيل) لضعف الرأى ، وينكس (الأعلم) علم العلم ، ويسحب (نفطويه) الدخان الأسود على الجبين ، وينسب (لابن خالويه) نسبة (عموا صموا) ، لا يستطيع (أبو الأسود) أن يصبح أبيض ، لم يتمكن (لحيانى) من التكبر ، يخط (الجاحظ) هناك ، ولا يعرف (ابن الهرى) القط من الفأر ، وعندما يزين مدرسة تتابع الكلام ، يستحسن من الكلام افـادات لتسلسل (المبرد) بترحابه ، ويكتسى (الكسائى) بكساء الشرف ، اعتبروا كل حرف من حروف كلامه مصادر اشتقاق فروع العلوم من وجه الخلاف مثل قريحته الجامدة ، واعتبروا من فهمه الناقص قول صحيح ومثلات سالمة لفيف (٧٢) ومهموز (٧٣) ومن المعنى الأجوف (٧٤) · وجعلوا تغيره مضاعف (٧٥) ، وظهرت لأوقاته صرف الا علال (٧٦) والجحد (٧٧) ونفى (٧٨) أقواله التى هى مثنى ومغرد من جمع نحاة الزمن الماضى والحال والاستقبال ، نسبوا أفعال مدحه للذم ، وهكذا يعرف كل صاحب رأى بليغ أن حوليات (٧٩) (الزهير) واعتذارات (النابغة) ، وهاشميات (الكميت) ، ونقائض (جرير) ، وخمريات (أبى نواس) ، وزهديات (أبى العتاهية) ، ومدائح (البحترى) وتشبيهات (ابن المعتز) ، وروضيات (صنوبرى) ، ولطائف (كشاجم) ، وبدريات (المتنبى) ، وبديعيات (بديع الزمان) ، ورسائل (صبائى) ، ومقولات (ضبى) ، مثل كلام صبى فى حجرة النسيان قرين للدمامة ، وكسر فى معرض المعارضة رباعياته الكاملة ، فاقتلع رباعيات (درست) بقبضة التوبيخ من الأساس ، وأعاد مخمساته المتينة لقبضة (أبو سعيد الرستمى) بقوة المعنى وأمعن فى طريقة تناسب بدائع كلام (امرؤ القيس) مخالف القيـاس ، لم يعتبر فصاحـة (صخر) الا آلة

---

(٧٢) فى اصطلاح علم الصرف كلمة حرفين من حروفها الأصلية حروف علة ·

(٧٣) فى اصطلاح علم الصرف كلمة أحد حروفها الأصلية همزة مثل سال ·

(٧٤) فى اصطلاح علم الصرف عين الفعل حرف علة مثل قال ·

(٧٥) فى اصطلاح علم الصرف كلمة حرفين من حروفها الأصلية من جنس واحد ·

(٧٦) تبديل حرف علة بحرف آخر مثل قال أصلها قول ، سماء أصلها سماو ، بناء أصلها بناى ·

(٧٧) الفعل المضارع المجزوم بلم التى وضعت لنفى الماضى فى المعنى وضد الماضى ·

(٧٨) انكار وقوع الفعل من الماضى حتى حدوث الفعل · بطرس البستانى ، محيط المحيط ، ص ٩١٦ ·

(٧٩) اسم القصائد التى انشدها زهير بن أبى سلمى وهى تنتشر فى اربعة شهور وتهذب فى اربعة شهور وتنشر بعد عام ·

تسخير ، لم يتحدث (جرير) الا على الاعتراف « هو أفصح منى لسانا » ، يرى منظومات (حسان بن ثابت) من منبت الأشواك ، وظن أن عذوبة كلام (سحبان) طراوة لسانه ، ويعتبر المخضرم فى أنساب البلاغة مجهول النسب ، وينسب عدم الاكتمال ل (أبى تمام) ، وينثر (طرفة) ، فى (طرفة العين طرئف النظم ونظم الطرائف ، يجعل (سمرة) لقذف كلام الأسطورة ، ويلقى (أسمر الحيض) بالضجر والضيق ، وجعل (كثير عزة) بلا عزة ٠

تأثر (الأخطل) بالخطأ والخطل ، ويعتبر (ذو الذجاج) دجاجة بياضة ، يحطم (ديك الجن) ريش وجناح الطيران العالى ، وتعتبر قلائد (المتنبى) مبنية على التقليد ، ويجد رباعيات (المعرى) خالية من السلاسة، وتصبح أشعار (معزى) منسوبة للسوء ، وعندما يجعل فى ساحة البلاغة بلوغ زمام المبالغة ، ويرتجل بسرعة ارتجال (أبو فراس) ، ويلقى فى أسلوب الصيد والفروسية من فرس الفراسة ، ويبحث (لبيد) (٨٠) عن بلاد البلادة ، ويصبح (ميكال) (٨١) فيلسوف ، ويقطع فصاحة (ابن حسام) (٨٢) ، ويصبح صوت شهرة (راعى) (٨٣) (وذو الرمة(٨٤) صوت راعى الغنم ، وتظهر لطائف كلام (مبذول) (٨٥) مبتذلة ، لم يتمكن (البحترى) فتح الشفاة من الحيرة بشىء من القلة والكثرة ، لم يستطع (التبريزى) (٨٦) الشاعر فى مقام التفوق على الاقران في فن ملء الكأس ، لم يستطع (راجز) (٨٧) أن يتجنب فكرة مدحه من البحر الزاخر ، انشغلت مكة العربية فى حرم الفصاحة ومنتدى الشعر بلمس أركان كعبة البيت ، وسعى المروة بصفا شعره ، وردت أقاويله فى لوح الظن « كما ظن فى لوح الهجير الذباب » (٨٨) يجعل عمره (أسير من

---

(٨٠) ابن ربيعة بن مالك بن جعفر العامرى ، من الشعراء المخضرمين مات فى أوائل الخلافة الأموية ٠

(٨١) محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن ميكال ٠

(٨٢) هو مولانا محمد بن حسام الدين الخوسقى القهستانى ، من شعراء القرن التاسع الهجرى له قصائد فى مدح آل البيت ٠

(٨٣) عبيد بن حصين النميرى ، من فحول الشعراء ، كان يعيش فى العصر الأموى ، (م ٩٠ هـ) ٠

(٨٤) غيلان بن عقبة بن مسعود المكنى بأبى الحارث ٠

(٨٥) هو أبو غنيش شاعر جاهلى من بنى مبذول ٠

(٨٦) مير حسين التبريزى ، شاعر مشهور عاصر الشاه عباس الأول وتخلص بسهوى ١٠٠٣ هـ) ٠

(٨٧) فضل بن قدامة المكنى بأبى النجم من بنى عجل من شعراء العصر الأموى (م ١٣٠ هـ) ٠

(٨٨) مأخوذة من شعر أبى فراس الحمدانى ٠

شعر) بعيد عن البلاد ، ويلقى بالأفواه مثل حرف اللغو ، وصار فى تزييف المنظومات الجيدة ، وتشويش الخيالات الدقيقة (أدق من الدقيق) وينسب للخطأ كلام بلا نظير جماله بسخرية لحن « ولتعرفنهم فى لحن من القول » ، ونغمة « وما هو بقول شاعر » للسان حاله فى هذه الدنيا الفانية ودار المحنة ، ذخيرة مناسبة لطبع وازن الكلام سرا وجهرا ، ويثير هذا البيت الحزن :

وما أرجى من حياة دميمة　　　مقسمة بين النوى والنوائب ٠

ويكون كل (ناظم) (قدسى) الخصال (صائب) الرأى ، الذى يصمت أمام جودة كلامه نطق (الناطق) ، ويتحطم (شوكت) و (شاهى) و (شانى) ، ويبتعد بطراوة بيانه بستان بيان (الفردوس) من النضارة ، وبجوار (اشراق) ضمير تكون شعاع (تجلى) الشمس مثل شمس التصوير بلا نور ، (خسرو) لا يتكلم من عذوبة قوله ، خجل (سحابى) أمام أشعاره الرطبة مثل سحاب الربيع وبانشاد مقال الروح واهبة (جامى) من فيض شارب خمر الثراء ، وأمام كلام معشوقة نظم معروف ومجهول بلا معنى ٠

عذوبة منظوماته جعلت (زلالى) (٨٩) من عرق الخجل يلقى سجل الكلام بالماء ، ويجعل (هلالى) (٩٠) مثل الهلال أصفر اللون ، ونقص بدر شهرة المدينة المشار اليها ، ويسحب (كليم) (٩١) البساط على رأس الكلام فى قدر جبل طور بلاغة ، يسقط فى مجلس بلاغته الممتد طبع (سليم) (٩٢) مثل الثعبان اللاذع بساحة جوكان الاضطراب ، يقرأ ل (مكتبى) (٩٣) طفل الابتدائى ويعتبر (أهلى) (٩٤) مبرأ من الأهلية ، لم يستطع (قوس) (٩٥) سحب قوس كماله ، ولم يستطيع (نظيرى)(٩٦)

---

(٨٩) زلالى الشبرازى من أصحاب النظم المؤثر وله أشعار جيدة ٠

(٩٠) هلالى جغتائى ، أصله تركى ولد باستراباد وحصل العلم هناك ٠ أهم مؤلفاته مثنوى شاه ٠

(٩١) أبو طالب كليم معاصر للصفويين ذهب للهند وعاش هناك فى خدمة شاهجهان ٠

(٩٢) محمد قلى سليم المعاصر طاهر نصر آبادى (م ١٠٥٧ هـ) ٠ عاش فى طهران وقزوين ٠

(٩٣) من شعراء أواخر القرن التاسع الهجرى ٠ صاحب منظومة ليلى والمجنون ٠

(٩٤) أهلى الشيرازى ٠ (م ٩٤٢ هـ) ٠

(٩٥) قوس الهروى ٠ ليس هناك معلومات عن أحواله غير انه عاش فى مشهد وعمل بصنع الصحون مثل والده ٠

(٩٦) نظيرى النيشابورى من شعراء العهد الصفوى هاجر للهند ومات فى أحمد آباد (١٠٢٣ هـ) ٠

أن يكون نظيره ، ويكون (اختری) (٩٧) نجم سوء حظه ، و (آذری) (٩٨) أشعل النار بروحه ، فی النهاية تخلص من نكبات الدهر (نزاری) (٩٩) اللقب ، (حزنی) (١٠٠) الخطاب ، (هلاكی) (١٠١) يجعل الشعار لذكر أحواله تذكر هذه الأشعار :

ـ حظی مثل عين خسرو كلها نوم

ـ عينی مثل حسن شيرين كلها رونق

ـ جسمی مثل روح المجنون كلها ألم

ـ روحی مثل ذؤابة ليلی كلها عقد ٠

الحق أن العالم كلامه عجيب ، والبليغ كثير الكلام ، حيث أن قلم علم التربية فی طلاقة البيان وفصاحة اللسان وبداهة الذكاء ، وحلاوة البيان ، وقبول تقريره فی بيان المعانی ومعانی البيان (أحلى من البديع) ، وأركان (١٠٢) بيت ذو قافيتين (١٠٣) ، وجود مع جود وجودته فی فن بديع الابداع بحسن تناسب التركيب ، ونسج نساج القدر ثوب عاداته المخطط ، والثوب ذاته بلا شوائب الا لتباس بصنعة نسج الخيمة المخططة والتدبيج والغزل ، والقاء الأحمال بنسيج المحسنات الذاتية واللطائف العرضية ، وألبس القامة الموزونة الرقيقة نظم جميل ، وثياب لطيفة ، وروی عطش شفاة الكلام من معانی ساقی ماء المعين ٠

لو كتب القلم ذو الحدين ألف حكاية ، لا يمكن لو أحد من ألف أن يقول قصة بلاغته بمائة حيلة ، ولو يكتب من الأشعار الغث ، يمكن أن يسمع عن قرب معانی ذلك الصوت شلال من صوت القلم الجاف ٠

وعندما يلقی مزين طبع البداهة وزنه بمشط دقة النظر فان تجعيد سلاسل شعر الأشعار اللطيفة يكون برسم المثنی والمرسل من مفرق النظم المتتابع ، تعلق شعراء شعری العظمة الماضية بقدم شعره لو هو من الشعر أدق ومن السيف أرق مثل الذؤبة ٠

---

(٩٧) شاعر العصر الصفوی معاصر للشاه عباس الاول ٠ له باع كبير فی علم النجوم ٠

(٩٨) نور الدين حمزة بن عبد الملك البيهقی ، شاعر وصوفی العهد التيموری (م ٨٦٦ هـ) ٠

(٩٩) نزاری القهستان معاصر لسعدی الشيرازی (م ٧٢٠ هـ) ٠

(١٠٠) صلاح الدين حزنی تلميذ محتشم كاشانی ٠

(١٠١) هلاكی من شعراء العصر الصفوی عاش فی خدمة بهرام ميرزا الصفوی ٠

(١٠٢) الأركان من اصطلاحات العروض ، وتشتمل علی السبب والوتد والفاصلة ٠

(١٠٣) تكون هذه الصنعة بأن يقول الشاعر قصيدة أو مقطوعة ويجعل لها قافيتين ٠

وصب فصحاء القرون الآتية والماضية الروح بسن قلمه ، وصارت نهاية غزليات أحواله من المطلع حتى المقطع مختلة ، وتصدع توارد مصائب الزمان ، وتضييق وتشديد توارد الأفكار الفاسدة ، وصار بقوافى غموم المتكاوس والتراكب وأسجاع هموم المتدارك والمترادف المقفى والمردف ، بالاضافة الى ذلك فقد صار دخيل نيران المحن والمقيد بقيد مصائب الزمن ، ونثر منظومات وسائل معيشته من استدراك التنافر والتناقص واستتباع التغيير والتنـاقض ، وجاء من السبب والوتـد المقطوع والمهجور ، ويرى تسهيل واستكمال اموره تحت طباق السماء الملمعة والفلك المرصع بالنجوم، ظهر نموذج السهل والممتنع ، وكانت مقاصد مقاصده مقترنة بسوء حظ الترجيع وباعنات الكروب المستزادة ، وكانوا يختارون ركن بيت العزلة مثل الروى ، فينتج تركيب غير منتظم ، حاله من الصدر حتى العروض موصول بالهم ومذيل بالغم ، ومنذ ابتداء الحياة حتى نهاية الأجل يكون له جمع المهالك وتفريق السرور (جمع من تفريق) ، ويكون غم الدنيا ودنيا الغم اطراد عكس لمجموعة أحواله ، وكان ظهور هلال براعة الاستهلال فى بداية الشهور من الألم المؤلم وضعف اقباله ٠

عقود مسمطات أمره أكثر تعقيدا من الشعر المعقد ، وبجرم موزون مثل البيت المشجر ، قيد السرو قدمه بقيد أبدى ، والشاعر ذو المشاعر الخاملة خفيف الوزن وذو الوجهين المتزلزل البيان حيث أنه تجنس بجنس شعراء التجنيس المشوش والمذبذب ، لم يعرف الشعر المشجر من الشعر المجعد ، والنجم الشعرى من المرأة الدميمة ، والغزل من المغزل يمكن قول أبيات الملامة غير الملائمة له من اللطائف المتداولة المشهورة ببيت اللطف بل أن أقواله لا يمـكن قولها ، لم يـدرك فى البحور الأوزان الثقيـلة من الخفية ، والأركان السالمة من الأزاحيف(١٠٤) ، ويظهر من فرط التعمق والمعرفة لو ألحقنا تجويف الكتف على الرقبة وألصق الصدر على العجز ، وعجز عن فهم (رد العجز على الصدر) (١٠٥) ، ويضحك دائما من الخاطر السعيد بضواحك الهزل على الشـعراء الفصحاء ، ويغازل بغزالة عيون الشمس الساطعة فى خلوة العزلة ، تقاربت دائرة حياته فى ساحة الأرض المتقارب بالهزج وبنشاط وافـر وسرور كامل تضمين مزدوج ، ويسعى التفات (١٠٦) الزمان فى تنظيم المراد وتأسيس المرام ، ويشرب بجائزة الجهل من كؤوس شراب تحسين الأقاصى والأدانى كأس تصديق (بل هو شـاعر) ٠

---

(١٠٤) تغيير يلحق التفعيلة بتسكين متحرك فيها أو حذف ساكن منها ولا يقع الزحاف الا فى الحشو وهو مفرد ومزدوج ٠

(١٠٥) وتكون هذه الصنعة بان يذكر الكاتب او الشاعر فى أول كلامه المنثور أو المقطوم لفظا معينا ثم يذكره ثانيا فى آخر البيت أو العبارة ٠

(١٠٦) عبارة عن نقل العبارة من المخاطبة الى المغايبة أو العكس ٠

(يوسف العروضى) (١٠٧) لو يعاصر هذا العصر ، لما استمع فى معرض التعسف وموضع التأسف الا (يا أسفى على يوسف) ، ولو قارن (الخليل) (١٠٨) بهذا القرن كان من ظهور الأحداث لتجنيس اسمه الخليل ولسان حاله القائل (يا دهر أف لك من خليل) .

ويكون كل طبيب حاذق ماهر يشعر بأن (جالينوس) (١٠٩) كاتب روشنه أفادته ، ويرى جماعة الفصحاء تحت طى قلقى مهارته ، وفى علم العلاج يكون (الا يلاقى) (١١٠) مقابل الجهل ، ويصف فن تشخيص المرض (أرسطا طاليس) بالبطالة ، ويعتبر عالم الخمر يعنى (أفلاطون) جاهل ودنىء ، ويأخذ (ديوجانس) من نفس جنس الشيطان والوحش ، ويجد (شفائى) فى شفا حفرة الحماقة والهوان ، ويتصف (أبو البركات) بضعف الرأى ، عندما يبحث (ابن سينا) عن ضالته بشعب طور سيناء يقول (هو أعلم بمنبت القصيص) ، ويبصر (أبو بصير) من زرقة قلمه ، تلازمت نفسه القدسية بأنفاس المسيح،وخلق بطينته طبيب طينة بنى آدم يمتلك خاصية معرفة الأشياء ، ارتفع صنيت مهارته عاليا ، ويحتاج فى معرفة كل الآلام وكل أدوية بقراط قيراط من وسائل البحث ، ودرهم من تراكيب بحثه ، صاح من صوت عالم ضمير عالم السموات الفلك عالى الصوت ، ومن افاداته المختلفة القانون والشفاء المقنن . موجز عن كليات مهارة الكاملة وكافية الحاوى ، وأسباب وعلامات النجاة ، وفضل عن تذكرة فضل المغنى وشافى ذخيرة العلم ، ومنهاج فنون العلاج ، لو شرح بالجبهة رأس القلم على خط مؤخرة الرأس (تنتهى الحروف قبل أن يصل الى المقصد) . ولو يشرح بمداد البحر على سفن الدهر من كمال العلم بعظم الزورقى « لنفد البحر قبل أن تنفد » .

رتب ذهنه دقة النظر على العروق الرقيقة موضوعات رقيقة . بطريقة سحب أوتار الارتباط من واردات الضمير على أوردة وأربطة المعانى الرفيعة، ويشرح بالقلم السائر على البرى من نفس مكان ريحان الجمال (١١١) ، وجه بستان أفروردين ضوء السنا جزء من قمر بروين (١١٢) ، ومن جمال نطق بيانه صار سم الفئران (١١٣) حنظل مثل العسل ، رائحة حكماء

---

(١٠٧) من شعراء العصر السامانى .

(١٠٨) الخليل بن أحمد بن عمرو الأزدى اليحمرى المكنى بأبى عبد الرحمن أستاذ سيبويه واضع علم العروض .

(١٠٩) اسم طبيب يونانى شهير عاش فى الفترة ما بين (١٣١–٢٠١م) .

(١١٠) شرف الدين يوسف الايلاقى المكنى بأبى عبد الله ، قتل عام ٥٣٦ هـ .

(١١١) طبيب يونانى يلقب بأبى الطب ولد عام ٤٦٠ ق.م.

(١١٢) عشب طبى له استخدامات متعددة .

(١١٣) هى عبارة عن ستة نجوم صغيرة مجتمعة ، تظهر أيام الشتاء أول الليل .

اليونان مثل المسك الأفرنجى المدهون بقرنفل كمالـه ، وورد السفطة الزانبيل الصغير علم خرفة (١١٤) حديقة أفضاله ، لم يعالج رأى الحكيم قارون قدرته مرضاة العاجز الا بقارون (١١٥) . لم يمنح الخالق الكريم خطا وهبة عدم قدرة المفاس إلا فلوس الدينار ومعجون(١١٦) العطاء ، يعود من دقة نظر حكمته ظفر النسر (١١٧) من كف الأسد (١١٨) .

أراد تزيين أعماله الباهـرة ظفرة العجوز بأصابـع فرعون (١١٩) بظفر اليد ، يجعل المتألم الذى شم رائحة المسك خلقة (١٢٠) ، ويبحث برائحة العود الجميلة والروح السقيمة التى تداوى من الأنفاس ذاتها ، يرقد بالفراش عند عودة العود والصندل مرة أخرى الجمل العجوز والجمل الضخم ، ومسح باليد على المرض وكأنها دواء ، جاء الشفاء لطالبه قائلا « لا مرد لحكمه » ، وعندما يعالج المريض ويـداوى ألم رأسه ، ويتبدل المرض بصحـة ، ويجلس أسرى مرض النقرس آملين ان يأتى لهم العلم بفرس الصحة ، وينثر غبار الاساءة من طرف القلوب الرحيمة من حسن المواساة ، ويجلب بالحكمة اللبن من الضرع ، ويسحب بلسان أملس وناعم، « زيت بلسان » (١٢١) من الطوب النى .

كأنــه من لطف أفـكاره ... يجول بين الدم واللحـم
ان غضـبت روح على جسمها ... أصلح بين الروح والجسم .

أخيرا يأسر بورم اليوم الأسود وأقسام الأسقام المهلكة ، لم يدرك أن عدم السعى لا يأتى بالمال ولا الدواء ، كان التمرجى مجهول مثل غضروف الرقبة ، وعرق عرقوبـه مثل عرقوب اليمامة (١٢٢) أيام ، والحشائش وخسة الأخلاق وعرق السوس كاملى النميمة ويكون جيبـه الملىء بعيوب ضميره وعاء الأينسون (١٢٣) والقرفة والبسباس (١٢٤) ، وحلاوة صنيع أعماله مشروب رياء لكل الناس ، لم يعلم أن النبض من المنبض (١٢٥) ،

---

(١١٤) عشب طبى . طعمه مر ورائحته جميلة . ينفع فى سم العرب .
(١١٥) اسم دواء يسمى أصل السوس .
(١١٦) عشب طبى ذو رائحة طيبة .
(١١٧) دواء يسبب دفع سرعة الانزال .
(١١٨) عشب ورقه مثل ورق الزيتون وثمره مثل الحمص .
(١١٩) نبات مثل اللفت .
(١٢٠) عشب ينمو فى اليمن يعالج نزيف الدم .
(١٢١) اسم شجر ينمو فى مصر . وهى يشفى أوجاع ألسنة الحيوانات .
(١٢٢) اسم رجل من العماليق . الميدانى .
(١٢٣) نبات أوراقه مستديرة طارد للغازات .
(١٢٤) قشر جوز يوا رائحته عطرية تطيب رائحة الفم .
(١٢٥) المنبض هو القلب .

وأن القرفـة من التوتيـا (١٢٦) ، والزنجبيل وماء الورد من زنجبيـل الكلام (١٢٧) ، لم ينمو الترخون الذى من مهجة القلب وصميم خاطـره إلا من الحضرة الباطلة ، ويكون الوعاء الخشبى ضمير الخصومة ، ويخمد في الصندوق خداع الرجال وقاتل أبيه ، ويزهـر داخله وخارجه نبات الرتيلاء (١٢٨) وترياق العقرب ، رأى العصفور شـجرة الزقوم بشجرة الورد ، ويظهر ماء الورد خداع خلطه فى كلية المريض بدلا من الشفاء كعمل سن السكين .

كان دائما سعيدا فى الحديقة والمرعى مثل المرج دائم الخضرة ، وكان بحمايتها كل نعناع ريحان ، ألقى جناح النسر (١٢٩) الفارغ البال الظل على فرقه ، حلبت الأم فى الدهر الأسود من الثدى البرقوقى لبن التوفيق فى فمه ، وكل رصاد الذى هو منبع الفضل ومنجم الاستقامة ، وقمة سماء الوحدانية ، كوكب فرد الانفراد (١٣٠) فى صغر الصناع المهرة ، فى مرصد عطارد القوم،ويعتبر علم الحكماء الفلاسفة سفه ، ويشتهر (بطليموس)(١٣١) بكتابة الباطل على ورقة تقويم الكوكب ، علق (كوشيار) (١٣٢) قرط فى الأذن المحبوب ، يشـكر (فاخـر) (١٣٣) الحكيم تلميذه ، ويفاخـر (شاهى) (١٣٤) بكاتبه ، ويزين رأى (المجسطى) (١٣٥) ، ويثبت تماثيل ممثلات (١٣٦) الأفـلاك ، ويزيل ذهن قيـاس المشتبهات المتشابهات من

---

(١٢٦) أصل معدنى يميل للزرقة يشفى من الأرق المزمن والجرب .

(١٢٧) بقلة لا نفع فيها .

(١٢٨) نبات له زهر كالسوسن .

(١٢٩) ويسمى بالحرشف ورقه كبير اكبر من ورقة الخس ويفيد فى حالات هضم الطعام والانتفاخ .

(١٣٠) الكوكب الذى يولد فى منزل بمفرده .

(١٣١) من الفلاسفة الافلاطونيين الجدد ، صاحب كتاب المجسطى ، نظريته مبنية على مركزية الأرض وحركة الافلاك توفى عام ١٦٨ م .

(١٣٢) هو كيا أبو الحسن كوشيار من علماء الفلك .

(١٣٣) عالم من علماء الفلك .

(١٣٤) المقصود هنا كتاب الجامع الشاهى تاليف أحمد بن محمد بن عبد الجليل السنجرى ، وهو كتاب فى البروج والنجوم .

(١٣٥) اسم هذا الكتاب فى الأصل بمعنى الترتيب العظيم من تصنيف بطليموس عربه حنين بن اسحق فى عهد المأمون .

(١٣٦) سطح منطقة البروج كلها يقال لها الكواكب السيارة ، ولكل كرة دائرة موازية لمنطقة المرور وتكون تلك الدائرة فلك ممثل تلك الكواكب .

التداوير (١٣٧) والحوامل (١٣٨) وجوزهر (١٣٩) ومائل الأوتاد (١٤٠)، والزوائـل ، تتحطم بجـودة الطبـع الثـاقب النجوم الدائـرة ، تتزين العذراء بطوق تطويق الرقبة ، توضح قدم التفوق على فرق الفرقدان (١٤١) « فلا أقسم بمواقع النجوم ، وأنه لقسم لو تعلمون عظيم » وكان كوكب طالعه (أنكد من تالى النجم) ونجم اقباله نموذج « ادبار النجوم » ، ويظهر دائما من النجم كأس اليتامى الفقراء ، ويصب ساكب الماء شرف عزته ويسعى دبران (١٤٢) فى سوء الحظ ، ويصبح سماك الاعـزل (١٤٣) لطعنه رامح ، وصار ممسك الأعنة (١٤٤) للايذاء مطلق العنان ، وتتجرع الحية (١٤٥) والتنين (١٤٦) بسم ظلمه ، ويرقص الراقص (١٤٧) بدق القدم على رأسه ، ويتصلب الصليب (١٤٨) فى عداوته ، وتتحزم منطقة الجوزاء (١٤٩) بنطاق (١٥٠) عداوته ، ويقدم قرن الثور (١٥١) الرأس للمناطحة ، يضرب السهم (١٥٢) بسهم جفائه ، وألقى السفينة بدوامة بلائـه ٠

---

(١٣٧) فلك صغير يدور على دوران الأرض مثل فلك الاوج لكن الأرض خارجه ٠

(١٢٨) فلك مثل فلك الأوج مركزه خارج عن مركز العالم وسطحه مائل للفلك ٠

(١٣٩) عند ميل سطح الفلك عن سطح منطقة البروج يتقاطع الفلكان فى موضعين متقابلين ٠

(١٤٠) تنقسم منطقة البروج لأثنى عشر قسم ويسمى كل قسم بيت ويكون هناك أوتار لأربع منازل من هذه البيوت ويسمى المنزل الأول بالافق الشرقى الوتد الغارب ، والمنزل العاشر الذى فى النصف أعلى دائرة نصف النهار وتد السماء والمنزل الرابع الذى اللضف الأسفل لدائرة نصف النهار وتد الأرض وهذه المنـازل الاربع تسـمى الأوتاد الأربعة ٠

(١٤١) العذراء اسم برج السنبلة ٠

(١٤٢) كوكبان منيران على صدر الدب الأصغر ٠

(١٤٣) كوكب كبير مضىء عليه عين بقرة تنظر جهة الشرق ٠

(١٤٤) كوكب كبير مواجه لنبات النعش ورمحه نجمين من صورة الجاثية ٠

(١٤٥) الصورة الحادية عشر من الصور الشمالية وهو صورة رجل ممسك فى يده عنان وفى الأخرى سوط ٠

(١٤٦) الصورة الرابعة عشر من الصور الشمالية ٠

(١٤٧) الصورة الثالثة من الصور الشمالية ٠

(١٤٨) اسم نجم فى فم التنين ٠

(١٤٩) صورة فلكية كبيرة من نصف الكرة الجنوبى ويتكون من أربع كواكب سيارة ٠

(١٤٩) أحد صور السماء الجنوبية ومنطقة الجوزاء ثلاثة نجوم ونطاق الجوزاء نظام نظم ٠ نظم الجوزاء فقاء الجوزاء ٠

(١٥٠) فيها أيهام بمعنى مصطلح نطاقات فى علم الهيئة ٠

(١٥١) اسم البرج الثانى من الابراج الاثنى عشر ٠

(١٥٣) اسم الطائر المعروف والصورة الخامسة عشر من الصورة الشمالية ٠

ويرفع العقاب (١٥٣) العصا لعقابه ، تشتعل نار زبانا (١٥٤) على بيدر بخته ، وكان أبد الآبدين ودائما ووسط نجم اقبالـه وآخر الشهر الاحتراق ونجم دولته فى عين الاحتراق سيجعل هذا البيت يرد على لسانه ٠

ــ لم يعـرف أى منجـم كوكب حظى

ــ فليا الهى بأى طالع ولدت الدنيا الأم

وكان كل رصاد (خرقاء ذات نيقة) وخطوط جبينه عقرب (١٥٥) النحس ، لم يعـرف أن الجوز من الجـوزاء والشعير من الشعرا (١٥٦) ، وعندما يسأل عن السماء يتحدث عن الحبل ، وعندمـا يتكلم عن الفلك يجيب عن كرة الخيط ، وكان دائما الفلك قليل الملاحظة من بخور النجوم الحمـراء المحيطـة بمجلس أنسـه ، ويعـطى لـــه من ورم كبره رونـق الدرفيـل (١٥٧) ، يطول ساعـد السـعدين (١٥٨) لمساعدتـه ويلـقى النحسين (١٥٩) لتحسين حاله ، ويجلس ذات الكرسى (١٦٠) على كرسى رفعته ، ويقول الكلب الجبار (١٦١) حارس عتبته « كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » ، وتمنح الرأس (١٦٢) ، رأس فخره ، ويحـل الذنب (١٦٣) عقدة من عمله ، ويأتى القلب لمحبوبة ، وتصبح جبهة الجبين صيقل حاجته ٠

دائما يستل الفلك الأزرق سيف العداوة على رأس العلماء الأفاضل ، وترفوف خيمة السعادة على رأس الجهلاء ولا أمطار المذلة الا على قصر عزة أهل الكمال ، ولا يثور فى هذا البحر الطاغى طوفان الأحداث الا بتعاقب دول أصحاب العلم ٠ المستظلان بقباب الفلك لو عالية أو السماء دائما فى طريق سوق العالم فـانهم يميلون لايـذاء العادلين ، طالب المتاع الضائع والراغب الشجاع عالى الهمة مستغرق فى الهموم ٠ وكل الفنانين مستظلين بسحب الغموم السوداء ٠

---

(١٥٤) المنزل السادس عشر من منازل القمر ٠

(١٥٦) هناك نجمان بهذا الاسم احداهما الشعرا اليمانى أو العبور الذى على فم الكلب الجبار والآخر شعرا الشامى أو العميصاء الذى فى الكلب الأصغر ٠

(١٥٧) الصورة الثامنة عشر من الصور الشمالية ٠

(١٥٨) المقصود هنا المشترى والزهرة ٠

(١٥٩) زحل والمريخ ٠

(١٦٠) الصورة العاشرة من الصور الشمالية وهو على شكل امراة تجلس على كرسى ٠

(١٦١) وهو الكلب الأكبر وهو الصورة الخامسة من الصور الجنوبية ٠

(١٦٢) المقصود هنا حامل رأس الغول وهو الصورة الشمالية الحادية عشر ٠

(١٦٣) رأس نقطة التقاطع الشمالية الفلك المائل مع سطح منطقة البروج وذنب نقطة التقاطع ٠

وجه بخت العالم الباحث تحت نقاب الخفاء ، وطائر أحوال جماعة الثقاة فى موبقات الدهر مقيد حوادث الجفاء ، دائما الذل والحزن مع الغم وعدم الراحة والكدر والضيق ممهدة لكل العظماء ، شراب السعادة وحياة النعيم والهناء وشراب الحياة الهانئة نصيب الحقير ، يد القضاء دائما تحل العقدة من أمر الزمان ، ولا يفتح سوء الحظ ، ويصبح التغيير دائما برغبة الجاهل والحكيم ، ولا تصبح النفس سيئة الحظ لحظة ، زاد نصيب أبناء الدهر من الفلك ، نسى الفلك نصيبنا ، قطف كل فرد من أرض النخيل وقت طرف الطرف ، أعرضت الدنيا عنا فى ظرف الزمان هذا ، كل حقير نمام (آنم من الزجاج) ، من دوران الفلك الأزرق لم يشرب كأس الشحاذ الا خمر السعادة ، لم يرتد كل مكار أخس من الخسة وأحقر من الحقارة

حيثما يكون الأحمق ثملا من شراب العقل خاطف السعادة ، يجد وجه من نفائس ملابس الدنيا الا الحرير والديباج والبرد المنمنم ٠

الحال بحلية العيش الخالى من الفم مزين ومنير ، وحيثما يصبح الأبله مقترن بالحياة الهانئة يكون اثاثه يغلى وقدره عالى ، أى جاهل حقير العمل لم يمتلك الهناء صباحا ومساء كؤوس خمر الراحة على كفه ! وأى فاضل كامل وافر العقل لم تتساقط — من شدة الحسرة — دمعة من العين الحزينة أيام تكدر العيش !

يفضل أهل الزمان الخنازير الكسولة على الأعيان ، يضعوا أهل الغلط والجهل فى ميزان التساوى مع أهل العلم والمعرفة ، يعتبروا العظيم السخى ممل أذل من الذل ، ولا يفرقوا الفاسد من الطيب ، والمسيخ من المسيح ٠

يكون ميسر لضعيف الرأى خاصة محبة قلوب الناس ، ويتساوى أمام هذه التفرقة الظالمة غزال الجبل مع عاقل المدينة ٠

ارتدى (دلاورد ستان) (١٦٤) الأسطورى الذى فى ساحة معركة الكلام شكل الكلام ملابس (رستم) العسكريــة (١٦٥) ، يختص بثباب اليأس ، ويتحدث أبطال اللغة البهلوية (١٦٦) بصولجان القلم عن أحرار العرب والعجم بكلام مناسب للهجة الجهل ، ويكون الأحمق الذى كلامه جارح للقلوب وحديثه خالى من اللباقة ، ويتخيل أنه مالك ملك الكمال ،

---

(١٦٤) زال والد رستم ٠

(١٦٥) يزعم فى الشاهنامة أن رستم قتل عفريت يدعى اكوان وصنع من جلده بذلته العسكرية ٠

(١٦٦) لغة ايران الشائعة فى عصر الاشكانيين والساسانيين ٠

ويقيد ملك الكلام الحسن الذى هو حسن النطاق على وسط أهل النطق ، يحضر انشاء انشائه فى دائرة النسيان ٠

حقا ما فائدة البط على الماء من كأس الشراب ؟ وما ثمل ديك البرارى من وعاء الخمر ؟

ماذا يعتبر الأبكم طريقة القول الفصيح ؛ وما فائـدة ايصال ملل ونحل (الشهر ستانى) (١٦٧) للبدوى ؟ ٠ لا تستمع للحن (داود) فى الاستماع للزبور (١٦٨) مثل حكاية حرف الحق (كن) ، ويتجرد مرسم (مانى) وكتاب « ارتنك »(١٦٩) واتيليه (مانى) من لون الفن العارى ، فكيف يكون كلام صوته نشاز والحديث يكون بلا لحن ونغمة ؟ وسواد خط الرسم حرك سواد القلم حـاد السن ، ثار مـكر الرسم الأول على بياض الورق ، نثر الفلك المظلم الذى ينشر يد الكاتب من ناحية رصاص القلم على الكتاب « انهم عن السمع لمعزولون » ، وعن البصر لمحجوبون ٠

ـ اليوم قيمة الخشب والعود واحـــدة

ـ فى نظر العالم الخليل والنمرود واحد

ـ فى أذن الناس الذين فى هذا السوق

ـ صوت الحرير ونغمة دواد واحـدة

يخرج أحيانا الشخص العاقل وعقل الشخص بقدر استعداد المادة ومادة الاستعداد وفن الكمال وكمال الفن ، وأصل الخلق وطبع الجوهر ، ويجعل من بلاغة الطبع وطبع البلاغة بطلاقة اللسان واللســان الطلق ، حيث يكون اللؤلؤ الناضح من مشتقاته الماء الجارى وجريان الماء ، غرق الخجل ؛ وكتب بواسطة قلم التحرير وكتابة القلم فى رسالة الورق وورق الرسالة ، حيث أن حسن صنعـة هذا النوع من الكلام ليس فى صنعـة حسنه ، المعلوم أن الضمير هو القلب والقلب مطلع الضمير ، وكيفية الجودة وجودة الكيفية أمام العقل حاد والفهم والادراك حاد العقل مستغنى عن كتابة

---

(١٦٧) الملل والنحل كتاب فى بيان المذاهب المختلفة تاليف محمد بن عبد الكريم ابن احمد الشهرستانى المتكلم الاشعرى المكنى بأبى الفتح (٤٦٧ ـ ٥٤٨ هـ٠ق) ٠

(١٦٨) اسم كتاب داود ٠ وهو عبارة عن مجموعة مختارة من مزامير داود النبى ، وهى مبوبة حسب الأيام والمناسبات

(١٦٩) اسم الكتاب الذى يحتوى على رسومات مانوى ٠ ويقال له (دستور مانى) ٠

الكاتب وكاتب الكتابة،لكن المتطرفون يصفون الانصاف بالركاكة،وعندما يسمع هذا اللون عبارات قارع سمع الأذن وحلقة الأذن ، ويجمع من رمح اللوم وطعن الرمح كلام وسائل جماعة الملولين ، وأساس اضطراب الخاطر، لم يسمع فى هذه الصورة لطف الكلام لهذه الفرقة ، اختلط المسك الخالص بماء البحر ، وصب النبات فى مخلاة انبات الكلأ ، ويقرأ من اللسان الممتلى بنفس لسان القلم ٠

(ان نصيبنا نصيب النصب والنصب) ٠ « ولن يصيبنا الا ما كتب » كيت وكيت ، كان قد اضطرب القلب المضطرب الحال من اضطراب بستان صداقة الأصدقاء القدامى الذى يعرفهم ٠ شم رائحة الخيانة ، وسيدرك رائحة اليأس بحسن الفهم ، كان يطلب لقلم من المقلمة ، والقلم الذى كان طائر اليد معلم الأصابع ، ارتبط الحب بالحجر ، ولم يحمل اسم آخر رسالة ودواة تقدم سر امتناع (بواعث العادة كالطبيعة الثانية) عقب ذلك بمفاد (من قرع بابا ولج ولج) من باب الاصرار ، وصارت حلقة الدق فى اليد ، أسرع باللجوء لبوابة الصادقين الملاطفة حضرة حصن العقل ، جعل أولا للببغاء لسان صيد معرفة العظمة ، وأوصل بعرض حاجب حجاب الجلال وبواب أبواب الاقبال ، حيث يرفض فكرة عادة الكسل ، جاء راكبا على كتف الضعيف والعاجز من العجز ٠ احتضن القلم الثرثار حاد اللسان مثل الشوك لسان شكوى حاد وقميص ورق ٠ ومزق التلابيب مثل أهل المتوفى من يد الأرض والزمان ، ومزق الصدر ، وأخذ الحبر من الفم ، ارتدى السواد ، كان يصب الحمر من العين بدلا من الدمع الرمادى ، تصويبهم وايعاظهم وتهذيبهم وايقاظهم محول برأينا القيم ، حيث أن القلم والدواة تركا حالة الجدال والمناقشة ، وسارا على الطريقة الظريفة من حيث الدقة والمساعدة ٠

ضرب العظيم المن البارىء تمويل النار ببضاعة الصبر والسكون ، سيحضر الرأس للعشق ، وسيجعل كل قانون خادم للوطن ٠ « فلما جاء وقص عليه القصص » وربط على نفسه النفس اللوامة مثل فتيلة الشمع ، وانهمرت دمعة حارة من العين من شدة الوجد ، وفتح الشفاة بكلمات الحب ٠ قال عزاء : يا قلب لا تعجز ! واترك ألم القلب ، كان يجعل القلب الحزين وفق العادة اعادة التحدث بالعجز والألم ، وفى الأرض الحجرية حيرة التضرع وعدم الاستقرار ، ويظهر العقل مثل الأسلوب المحبب للنفس وهرج حركة المواضع ، واضطراب القلب بسبب انقطاع محبة الأحباب ، ورق له أيضا من شدة الوجد ، أرسل حال النفس الرؤم التى هى قرينة الروح وأعز من الابن الوحيد ، وأرسل طالب الدواة لاحضار الخاطر والقلم، وحثهم على السلام والتحالف ، ورهبهم وأرعبهم ونحاهم عن عيب القسم والانكار واللؤم والتأنيب ٠

وأعطى بالنية الصافيــة ، والنصيحة الخالصة اختلاف العــداوة والخصومة بفحوى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ، صار نازعا شعيرات النزاع ودامغا شدة قبــح القلم والأصدقــاء ، ارتدى الثوب المزركش من الحب ، وأشرق ضياء وجمال وطهارة داخلية ، وزال الغم وخوف القلب ، أخذ خاطر الوفاق والاتفاق وطريق اتفاق الرفاق ، ازدهرت بساتين الألفة وخرائب القرب بالنضارة ، ووجد اليأس والبؤس شكل الألفة • وتبدلت المصــاخبة لمصــاحبة ، والمفارقة للاقتران ، والغضب بالوفاق ، والنــور للتقارب ، والغربة للوحدة ، والنفاق للاتفاق ، والشقاق للاشفاق ، والتجنب للحب ، وبدل قول هــات دواء الأنفاس الى دوات الأنفاس وهلم الملقــاط والقرطاس (وقال من المحبرة والمحبرة للملماس ساعد بنــانى واسع فى تزبير بيانى بالرأس) رأى القلم القدير بالشوق الكبير أصبح القبول ، ووضع القدم فى طريق المشاركة والحديث ، فى بدء العمل قال من ناحية الاخلاص دعاء « رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأحلل عقدة من لسانى » •

ـ اشارة من الحبيب واستجابة سريعة منا

« ستجدنى انشاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا » ، وألقى المحبرة أيضا من وسائل الخداع وآلات التقصير ، نثر الأحزان التى هى مخزونة فى الخاطر والقلم ثلال فى الخاطر • وكتب بهذا المعنى وبحكم « أسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء » وخطاب « الق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا » وتكلم بلا رياء وبالسلام ، وظهرت المماطلة التى بوصف التشجيع فى القيادة ، واندفع التأخير الذى كان يحدث فى كتابته ، وارتفع برفع العوائق والصعاب من وجه الفتيات والنواهد المحبوبة •

بعد ذلك ألقى فكرة المفكر وبرفع الوسوسة والهمس من وجه الضمير ، وانشغل بهوى وصل معشوق المراد مع الشوق المتزايد بلا تساهل بالمرؤة • (كمش ذلاذله) وجعــل الضمير المحجوب وجــه المنع لحجاب معذرة نقاب العذار الثرثارة « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » • ورسم طبع اللبق حسن الخلق ، وذهن المتقدم الحاد بالقلم الخائف الحاد من الحبر جميل الرائحة الأسود على البياض الناصع شديد البياض ، ويظهر الخاطر العابث الضعيف أحيانا بأمنية يوجد فى الاسقاط ما لا يوجد فى الاسقاط• ظهر حمل الشوق بعزم سوق قيادة كلام حمل مطية الهمة • علق الجرس الأهوج على رقبة جمل الأمل • (قد وضع الحلس على بكر غلط) •

وصار بقدم التوكل (كالحادى وليس له بعير) بركبة ضعيفة وعين عشواء ، فسحق هذا التل الترابى والأرض المستويــة ، والتقط الحصى

والزلط من صحراء « دشت بياض » بلا فائدة ، وارتبط بعدم الربط فى حبل عدم الانتظام والبطلان ، وسميت بـ « درة نـادرة » أصبح الأمل أن يكون من فيض أنظار أهل النظر نفس سلك الجوهر اليانع ، نحاس وجهك هذا الحزين من النحاس الخام باصطلاحاتهم الكيميائية ذهب خالص ٠

ـ أولئك الذين يحيلون التراب بالنظر ذهب

ـ هل كان من الممكن أن ينظروا لنا بطرف العين ؟

فى زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريـه سوء تعبير

تقول هذا مجاج النحل تمدحـه وان ذممت تقـل فى الزنابير

تمت الديباجة بحمد الله وحسن توفيقه والسلام ٠

● الفصـــل الثـــانى

ترجمة نص « الدرة النادرة »

ـ ١ ـ

بيان احتلال ممالك « ايران »
بتقدير مالك الملك المطلق

« نقص عليك من أنباء ما قد سبق » « هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود » مصـدوق هذا الكلام حال (ميرويس الغليجائى) (١) و (أسد الله الابدالى) اللذان أثارا فتنة فى البدايـة بادعـاء الرئاسة فى حاشية الملك ، قاما باشـعال نار الظلم ورفعا راية الحرب ، فقد كان (ميرويس) من رعاع « قندهار » ، وأسرع بقلب مجروح وعين باكية ناحية القصر الملكى فى عهد الخاقـان السعيد الشهيد (الشاه سلطان حسين) شاكيا سوء سلوك والى تلك الولاية ، وتسلط الجماعات المسلحة بسلاحهم الشاكى ، متظلم ومتألم ، وعندما لم يجد معينا ومغيثا فى بلاط فلك المماس، عاد ناحية « قندهار » ، وساح فى أنحاء الملك متمردا ، فى عام ١١٢٠ هـ قتل بالمكر والعداوة (كركين خان) (٢) والى « قندهار » ، ورافع رآيـة الطغيان (قد لقى ويسا) ، بعد ذلك تطاولت يده للأنحاء والأطراف ، خدش وجه حسناء الممالك بظفـر النصر ، وجـرح تلك النواحى « دلخك » (٣) و « دلارام » (٤) من ملحقات المملكة ، احتضن المعشوق مراده ، وتجـرع جرعة من منهـل النجاح ، (انما خدش الخـدوش أنوش) (٥) بعد ذلك اختلط « الغلجائيون » بالفساد من حقد الدنيا .

فى عام ١١٢٣ هـ جهر (أسد الله الابدالى) ـ الذى كان قد استقر فى منطقة « هراة » ـ بمـكنون ما فى ضميره السىء ، وأظهر المكر الباطن بالظن الباطل ، وحطم قيد العبودية ، وقطع حبل الطاعة ، واستولى على قلعة « هراة » ، أظهر العداوة والحقد متغافلا عن يوم القيامة ، أشاع ظلم

---

(١) الغليجائية قبيلة من اصل ايرانى تسـكن افغانسـتان فى منطقتى دخـان وبدخشان وهم يتكلمون بلغات ايرانية عن الفارسين .

(٢) هو شاهنوازخان كان حاكما لقندهار فى تلك الآونة .

(٣) اسم عين تبعد عن واشير بولاية كرشك :حوالى ٨٩ كم٢ بالجنوب الغربى .

(٤) مكان بأفغانستان يبعد عن قندهار بـ ٢٤٤ كم ، وهو مكان خاص براحة مسافرى القوافل .

(٥) يضرب فيما قدم عهده ، محمد على الميدانى .

قوم عاد وثمود « فاؤلئك هم العادون » بمرور الأيام والسنون تغيرت أحوال الأنام ، ظهر التقصير فى قصور الدولة ، ووضح الخلل والقصور فى حمى البلاد الخالص ، وصارت ساحة البلاد عرضة للمهالك ٠

وأظهر للرؤساء والعظماء الرأس من فتحة جلباب العصيان والخلاف، واليد من كم قميص التطاول ، وعصى أقاصى وأدانى الرعاع الأشراف فى القلاع والحصون والأنحاء القريبة والبعيدة في الدولة العظيمة ، ثارت جماعة الأشرار مستترى أسرار السرائر وخباثة الطبع وخيانة الذات على الأعيان ، ورفع الصعاليك عديمى القيمة القد والقامة لاثارة الفتن ، قامت القيامة من افسادهم فى الساهرة ، وصارت أعين الفتن النائمة من ايقاظهم وغلبت سنة السمنة على عيون الأعيـان ، وانقلبت السنة والسنة فى كل مكان ومعان ، وأصلى الدهر سكينة على السكان مسنونا مرج حماء البلاء بالحماء مسنونا ، وفوافر الفواقر زهرت ، وعناقد العناء قد ظهرت ، وخلاف الفتن قد تفنن ، وشجر الخلاف قد تغصن ، « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ٠

- ٢ -

بيان استيلاء الأفغان الغلجائية « على أصفهان » نزهة البنيان

« ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد » . كان (محمود ابن ميرويس) الذى كان محتالا فاجرا ، ومتكبرا مزهوا بنفسه ، خداعا غادرا ، أسفل من فعل أبيه ، تركز فى ضمير نيته تخريب أمور السلطنة ، وجد خيال الملك أمل الغرور الطريق لرأســـه ، وسقط هوى صاحب السلطنة على رأسه ، وزين له دعاة طبع الفتنة رسم العرش والتاج ، فى شهور عام ١١٣٤ هـ سمع بشارة من سفير القضاء « ذلك يوم الخروج » ، ارتقى فى فلك « قندهار » على مركب خروج الملك ، وارتكب المفاســد والفتن ، فى بادىء الأمر جعل قلعة « كرمان » مقر جيوش الاستيلاء ، وسياج الاستعلاء ، ومنزل نزول المصائب ، ومحل حلول النوائب ، وتقدم من « كرمان » بفوج (أقوى من نملة) و (أغوى من غوغاء) و (أجرد من جراد) ، ووجه عنان العزيمة تجاه « أصفهان » .

غفل أعيان الدولة الملكية عن العادة القديمة «ومن يكذب بهذا الحديث» قوس خيال مجىء الخصم لركن النسيان وشجرة سهام الاحتياط بجعبة غفلة المذهب والعصيان ودرع العقل بالظهر ومن رأس هوائـه الملقى من اشارة (قبل الرماء تملأ الكنائن) واتصف من رامى سهام القضاء وسهام أقواس الفلك أن (الرامى الكنانة بالنبل) صارت تلك اللحظة قرينة الندم والأسى من ثمل خمر غرور العقل بالخاطر المدهوش ، وانشغلوا باعداد وسائل الدفاع ، وحضر جمع غفير وعدد كبير من الناس بالرماح والسهام والسلاح والعتاد بشجاعة ، وجعلوا كل فرد (كنجداة فى جلد سبنتاه) مثل الذئب والكركدن (لبسوا جلد النمر) .

يا بارئي القوس بريا لست تحسنها   لا تفسدنها واعط القوس باريها .

تبين الزمان هذه الأقوال بلسان حال (رب حال أفصح من لسان) فقال :

فقد يظن شجاعا من به خرقا   فقد يظن جبانـا من به زمع
ان السلاح جميع الناس يحمله   وليس كل ذوات المخلب السبع

وأظهروا خارج المدينة بأربعة فراسخ فى مكان معروف ب « جلون آباد » التفاف الحشود وترتيب الصفوف وتجريد السيوف ، وأظهروا من بوارق المدافع والصواريخ الصاعقة على أصحاب الرعد والبرق (١) تلالا البرق البراق ، فانكسفت شمس طالع (القز لباشية) (٢) ، وانكشف سر « اذا الشمس كورت » ، وارتفعت بيراق رايات اقبالهم مثله مثل البدر فى السماء ، انقلبت الأرض ، وأسرت جماعة من قواد الدولة فى يد (الأفغان) سنة ١١٣٤ هـ ٠

من البديهى أن يكون لكل محارب سيف مغمود وعصا على الرأس وشوك فى الجفون ، بعد ذلك عبر (محمود الأفغانى) نهر زنده ، وتوقف الجيش فى « فرح آباد » (٣) ، واحتل جميع الحقول والبرارى والقرى والكنائس ، وارتعب نصارى « جولاهـه » من خطر الصولة الأفغانية ، واتفقوا على مخالفة شريعة الحيوانات وتجولوا معهم كأصدقاء ، واكتفى الجيش الأفغانى بتسخير « أصفهان » بعزم أكيد ، وحوصرت تلك المملكة ثمان أشهر بجيش لا حصر له ، أظلمت أيام المملكة ، انخسف وأظلم قمر مدينة « أصفهان » ، وصارت جميع المعالف والمشارب والمراعى والمراتع محط الرحال ولسكن رجال تلك الجماعة (الأفغان) ، وفسد أمر الدنيا بأولئك الفاسقين ٠

لا تعجبوا من صيد صعوة بازيا   ان الأسود تصاد بالخرفان

قد غرقت أملاك حمير فارة   وبعوضة قتلت بنى كنعان

بعد وقوع هذا الأمر المرير ، جعل الأمراء مرايا الضمائر منقوشة بصور الاختلاف والوساوس ، « ركبوا بنيات الطريق » و « ترهات البسابس » (٥) ، وأخيرا اخترعوا برقاع الخوف ، وأجمعوا وعزموا على

---

(١) أصحاب الرعد والبرق هم جيش ايران الذى كان فى مظهره مهيء ومجهز بينما هو خالى من الشجاعة والجراة ٠

(٢) كلمة قز لباس مكونة من مقطعين قزل بمعنى احمر وباش بمعنى راس اى ان قز لباش تعنى الراس الحمراء ، وهى قبائل تعاونت مع السلطان حيدر وابنه الشاه اسماعيل الاول فى ترويج المذهب الشيعى وتاسيس الدولة الصفوية ، وقد اطلق عليهم هذا اللقب لانهم كانوا يرتدون قلنسوات حمراء ، وقد شغلوا مناصب هامة وقيادية خلال العصر الصفوى ، لكن الشاه عباس الاول كسر هذه القاعدة وجردهم من مناصبهم العليا ، وانعدمت اهميتهم تدريجيا ٠

(٣) اسم مدينة تبعد عن أصفهان بثلاثة أميال ٠

(٤) من اشعار ابو بكر الخوارزمى فى نكبة المزنى ٠

(٥) يعنون المفاوز ، جاء هذا المثل فى ذيل مثل جاء بالتره ٠ محمد على الميدانى ←

اصطحاب الأمير العظيم لنسب (طهماسب ميرزا) ، وعندما كان ينضم كل زمان ــ منذ عصر كسرى ــ للدولة الممتدة ، نصبوا بعزم أكيد الأمير لولاية العهد ، وأرسلوا لولاية «كاشان» (لاطلاعهم بذلك)٠، « عسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنـده » ، هب فى « أصفهان » ــ التى هى دائما بـلاد العظمة ــ ريح البلاء ، وعز القوت وارتفعت الأسعار ، وتغلب الصعاليـك وزاد المتطفلين ، أظهرت شدة الجوع آثار « لا يسمن ولا يغنى من جوع » ، وكان كل من يفقد قوت القوة يموت ، لم يستفد الآكل والمأكول من أكل المأكول الذى هو كفيل ببقائهم ، كان جنود « أصفهان » الذين من أنعام عطايا الدولة الكريمـة « وما لهم من دونه من وال » كان مطعمهم حسن المآكل والمطعم ، فقطعوا الطمع عن مرسوم الجيش ٠

وثار من ظلم الأعداء (أسم الله صـداهم) (٦) بـدلا من تسجاع الفواخت وصوت البوم ، على تلك المملكة الخربة ، غنى بوم شرفة القلعة والنافذة فى قصور بلا حراسة ، وأبنية بلا سيدة بخطاب (أين بانوك ؟) ، ارتدى الغراب فى المأتم السواد ، وبدأ بانشاد أغنية حزينة ، قال غراب البين للأقحوان تأوه بلحن « صوت العنقاء » (٧) ٠

يظـل غـرابها خـدم شـذاه   شبج بخصومـة الذئب الشنون

ورحل أهل الديار عن ديارهم ، وعشش البوم فى مساكنهم ، وتفرقت طيور الفارغبالى ، خربان أرض صقورهـا أملت ، وأصبحت كل الأطعمـة (أعز من عنقاء المغرب) ، وصل الأمر الى حد أنه يمكن القول أن الثلاثين يوم وهى أيام الشهر « سيمرغ (٨) جبل « قاف » القحط ، وانتهى شدة البلاء الى حد يمكن معه التشميل بشأن أهل المدينـة بمثل (طارت بهـم العنقاء) و « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين » ، وبيوت عالية حادية آثار « خاوية على عروشها » وصارت مرآة منـازل المحبين من هذه الواقعـة مظهرة معنى (واقعـة على عرسها وعروسها) ووجدت تلك الساحة مليئة بصياح حكم وادى الموت « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » وامتلك الخونة منازل مثل الملوك ، بدأ الفلك الخائن بأسلوب (زال) ، جعل ملك الفلك البساط الذى من حيلة الفلك الشطرنجى والمتعرج وزين الدهـر

---

(٦) وهو عبارة عن دعاء على الانسان بالموت ٠

(٧) احد الالحان الموسيقية ٠ محمد باد شاه ٠

(٨) سيمرغ اسم حكيم عظيم مشهور بين عامة الناس بأنه طائر عظيم كان يعيش فى جبل قاف ولا يخلط بالناس ، وقدر بزال والد رستم ، وكان معلم وحامى رستم فى حربه مع اسفنديار ٠

بفيتك بالفيل أسير الحيرة ، والفارس مترجـل وفي الحقيقـة من حصان الدولة ، توجهوا لمنزل (محمود) الذي كان قد وضع فى ساحة الشطرنج والوزير ، جعلوا لتحريك عسكري الشطرنج بلا خوف رقعة شطرنج خصم الجفاء المذهب في أول ندب الجلوس الصحيح ، انتزعوا يد النصر مثل يد مسند السلطنة ، لم يجدوا مرادهم ، جعلوا أساس لغة سلطنة الندب والعويل وانشدوا هذا البيت :

لئن كسفونى بـلا عـلة	وفازت قداحهم بالظفـر
فقد يكشف المرء من دونـه	كما يكسف الشمس جرم القمر

بعد ذلك دخل (محمود) بتاريخ ملء بالمشقة ــ الرابـع عشر من المحرم الحرام سنة ١١٣٥ هـ ــ وضع مع قواد الأفغان القدم على كرسى العرش ، رفع فى هذا الدير الأزلى يد العدوان (كان عنزا فاستتبست) و (كان كراعا فصار ذراعا) ٠

قالوا تصاهلت الحمير فقلت اذ عدم السوابق
خلت الدسوت من الرجاج ففرزنت تلك البيادق

وجعل من هبوب رياح الظلم العاتية ، وريح الجفاء الشديدة ، رياض جنة الأثر لايران صحراوية الأرض وقاع السهول التى بلا أعشاب ، وزين ساحة « أصفهان » بالصفاء والنزاهة ، « لهدمت صوامع وبيع ومساجـد يذكر فيها اسم الله » ، أعطى من رداءة الذات وقذارة نفس الملك العادل الرأى والحكم ، أورد تقلب زينة العصر الحزن من الأسرة ، أصبح بسوء الطبع وحقارة الطوية مالك عرش (جمشيد) ومغتصب حق ملك العالم ، حدث خلل فى نظم الجند والجيش ، وتعطلت رفاهية ورخاء مسيرة ملك الملك وسلسلة البحر والسفن ، اختلت مكانة وعظمة المملكة المعظمـة ، وأهمل وتعطل استعداد وتهيوء الجيش المظفر ، تكبر واغتر متقلد سلسلة السـلطنة ، والمتكفل بتنسـيق وتنظيم المملكة ، من كلام (أردشير) أن (أسوأ الأشياء رأس صار ذنبا ، وذنبا صار رأسا) ٠

وثب الصغير على الكبير وقد	يطفىء التراب حرارة الجمر
لا تعجبن فـرب ساقيـــة	قد كدرت طرفـا من البحـر
هذا الحسام يفـله حجـر	وبـه قـوام النهى والأمـر

لم تقصر طاحونة السماء مثل دوران الفلك فى طحن عظام الأصلاب وصدور العظام وأصلاب العظماء الدقيقـة ، جلس الفقراء مكان الملوك ، وقفز الفحامون والفخارون على فخامة الفخار الأعلى ، جعل « الأفغان » الذين بدون لحية الشنب الذى مثل لحية (بو نجم الشهلابى) الكثـة شبكة

مضحكة ، وزينوا مجلس الشراب بالوجوه القبيحة ، كانوا يعتبروا البدناء مذمومى الخلق فخذ « بو سعد البوشهرى » مقياس يدخر هيكله الشخص ، ونهض لمجالسة الحسناوات رقيقى الخصر جماعة مكروهة ذميمة الشكل « كأنما اغشيت وجوهم قطعا من الليل مظلما ؟ » ، كانوا يلقوا من القاع بسوء المعاملة للتعساء الذين كانوا يفتحوا حوانيتهم للبيع من غمزة ، وكانوا عفاريت مخيفة وغيلان منفرة « اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » ، كان ابعاد الوجه عن الوجه الحقير بياض بشرة الجوارى اللواتى من خجل عين اللطافة ولطافة العين عين جارية بل حور عين جارية ، وناموا على فراش المصائب ، كان ينثر فستق الشفاة الذى ثمر النقل من حسرة شفاههم الضاحكة نقل باكى ، وصاروا كالحيوانات المستأنسة والمتوحشة فى منازل التقبيل ، كانت الحسناوات اللواتى لو أن جزءا من غمزة العين أغضبهم كن يرين الورقة ستار ثمر اللوز الرقيق القشرة ، زرعوا النقل بلا تآلف ، كان اصطياد ذى العيون الغزلانية التى مثل عيون الأسد البطل على أنه غزال خطأ وعيب ، وصار الصائدون مثل (كالبهائم بل كلب هائم) ، وصار حسن نظرات اللواتى اخضرت من تأثير نظراتهم بقلة الغزال ، استراحوا مع (الأفغان) مثل الشوك والورد بغصن واحد ، سحبوا على الأرض سلسلة الشعر التى هى من الدلال ذؤابة ، نما كا كل للأبد ، جاءوا لحى وضاحية ساحب الطرة ، تشابكت ذؤابة وطرة الحسناوات باختيار اللواتى تشابهت ذقونهن ببرتقال شهر « مهر » (٩) ، أظهرن ثديهن بمفرق بستان الذؤابة ، تركوا وجه السلامة ، أراحت الشمس بال العذارى حيث أن شمس الحسن بدون زوالهم شعاع « ما لكم من زوال » ملقى ذلك الشعاع ، سقطوا مثل أشعة الشمس مشردين تائهين هائمين .

كانت الحجلة سعيدة مثل الطاووس الذى من خجل الطيور المقدسة صار بمقتضى الدهر ديكا ، ودوران القمر مثل القمرى من جناح العشرة بجناح صعوبة طيران ساحة الموت وحمام برج الفناء ، مات ملك وجود حور اللقاء الذين كانوا يتخلصون من الصفة الملائكية فى سبيل حب الروح من الأنس والقلب ، عقدوا عقد ارتباط الأصل الذى من عرق وجه خجلهم اللؤلؤ الصافى لصدف الخجل خرزة سوداء كبيرة فى العقد ، كان قد صهر زمرد الحسناوات البللورى الشكل الذى أمام در أسنانهم تشقق الماس النيرانى بياقوت شفاههم ياقوت رمانى (١٠) ، وجرحوا قساة القلوب بأحجار الجفاء ، كانوا يحتضون الحسناوات الجميلات اللواتى فى الشهر والسنة مثل ظل نور نظرة الشمس ، وصار مجلس الأحضان والقبل

---

(٩) الشهر السابع من السنة الشمسية .

(١٠) نوع من انواع الياقوت .

مجلس نواح وتأوه على مصيبة شراب الخمر ، وصار قمر الوجوه الذهبية التى شعاع جمالها موضع دهشة عين الشمس ، انشغلوا مع أهل السوء باحتساء أقداح الخمر ، وسقطت الديوك بشراك الوحوش والحسناوات بقبضة أولئك الأشرار ، اقترنت كل امرأة ببطل ، وجلس كل ملاك مع شيطان ، هتك البنين والبنات زهرة الجبين حيث قفزت وجوه المحبين على بدور الرفعة من تأثير النجوم والكواكب ، وصار الوجه مثل نور شمس الحور ، صارت حلاوة الشفاة من سيل شفاة الآخرين قبيحى الطبع ، ضربت شمس الظلم ، تفتحت أبكار زهر العذارى فى كل ورود الأرض من تموج نسيم هواء العابدين شقائق النعمان ، قال الزمان أسرار الحرمان فى أذان القلوب الجريحة ، صارت حديقة « ايران » من شوكة اقتدار الأعداء مثل الشوك حقيرا وذليلا وضعيفا ·

تساوت عروش ومساند السلطنة بالصحراء الجرداء ، وتفاضلت المرتبة العليا على كومة التبن العلية ، وزلزل الدهر أساس قصر الجلال السلطانى الذى هو قبلة أقبال أهل الدنيا،وصار مثل كعبة « نجران »(١١)، وتداعت حوائط الأركان والشوكة المحكمة والدولة الثابتة المظفرة فيروزة العرش ·

ـ ذلك القصر الذى يطاول الفلك ·

ـ وكان الملوك يتوجهون الى بلاطه ·

ـ رأينا ان طائر القمرى جالسا على شرفته ·

ـ وكان يقول أين أين ؟ أين أين ؟

نسى القائل كلمة الانبساط من الخاطر فى هذه السماء البعيدة البساط ، نست أسود الصولة من الثعلب صقر الفلك السنجابى ، وولى الزمان الذى قال كبوده من (افراسياب) الذى كان ! وقال جاء الزمان الذى فيه من بلا وطن حقير ، وقال متى كان (فريدون) ملكا ؟ أثار تأثير دوران النجوم الثوابت والسيارة المصائب الشنعاء ، غربل تراب الخذلان على رأس أهل « ايران » من قبور الأجداث ، (ان الدواهى فى الآفاق تهترس) ·

كان ظهور هذه الأمور أساس العلل وموجب خلل نظام الملك ، حيث أن القواد من أئمة المجاهدين الذين هم رافعوا أعلام الجاه والدين ، وأخفوا العين عن عين الجهل ، واعتبروا القواد المقاتلين مخلفات دورات المياه ، وسعى الأبطال فى الفشل ، وسحبوا يد المحاربين من مقابض السيوف ، وحملوا

---

(١١) نجران أقدم بلاد اليمن ، وكانت لها كعبة يحج اليها الحجيج . فخربت وصارت مضربا للأمثال فى الخراب وزوال الدولة ·

اليد لرقبة الحسناوات هلاليات الحواجب بدلا من السيف ، وذهب لابسوا الدروع بهوى العشق للدروع التى كانت تتزين بها الحسناوات بدلا من المغفر والخوذة ، كان العظماء والملوك الذين يعزفون على الربابة التى هى خراطيم الأفيال ، وعزفوا على نغمة ربابة الشراب ، كن الأبطال ينظفون بالسيخ فوهة المدفع والبندقية ، وارتدى المخادعون الثياب الحريرية . وصار الزهاد والعباد جالبى العار من الزهد والعباده ، وأظهروا آثار « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » ، و « ما رعوها حق رعايتها » ، وصار العلماء جهلة « يأكلون أموال الناس بالباطل » ، وصاروا رهبانا فى ترك الصوم والصلاة ومصلى خيل الرهان ، واتجهوا للبيع والصوامع « وما قدروا الله حق قدرة » ، وأصبح الكاهن مثل الراهب صاحب النفس الشرسة ، وتراجع المصلون عن رعاية الطرق الشريعة ، وصار القانتون وكل الأخيار مفتينين ، وتقدموا لطريق الافساد والاجبار ، وذهب أهل اليقين « وقليل ما هم » لوادى الشك والريب والشبهة بلا شك ، عبد المصلون السجادة الخوص ، وعبد تارك الصلاة مائدة العصيان ، وعبروا من طريق الحق ، وتألف أصحاب المعارف والأقلام بالطنبور والناى ، وصاروا بالخمر والزمر فى تعداد يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ، أخذ شارب المفتى طريقة الصفاء ، وصارت ذقن القاضى شبكة للرشاوى ، وتساوت محاسنه بمساوئه ، وتزى لابسو الخيش وأصحاب العمامة برداء (أبرق من رداء الشجاع) (١٢) ، وفتح الخسيس والشريف أبواب خزائن المقابح بمفاتيح هواجس الفكر ، واختار مشرقو الوجه الفسق ، عشق المحاربون الغزاة العاهرات الفاجرات ، وصار الأحرار رستموا اللقب مبتلين بمرض تورم الرأس من شوق الذهب الأبيض ، وصارو من غم الفضة والذهب شيوخا ، وصار أحرار مذهب التجرد عبيد أحرار فى الاختيار ، وزينوا الجسد بالحرير والكتان ، كان الصوفية الذين فى التجرد الثانى بانى مسجد قباء (١٣) ، وتقدموا وظهروا فى لباس التلبيس ، كانوا يعتبرون الزاهد العابد إلى مالك الدينار ، اختاروا وادى النار لحب الدينار ، واتجهوا للحرام فى عشق الذهب ، (وللناس فيما يعشقون مذاهب) .

وبعد مضى فترة من الزمان صار الزهاد البسطاء المرشدين محبوبى الوجه فنعمى النوم ، يموتون من حسرة الأمر ، كان فضلاء البلاد ـ من الجهل ـ يعتبرون أن جماعة المسلمين (أذل من بيضة البلد) ، لم ينشغل

---

(١٢) رداى الشجاع هو قشر الحية يضرب مثلا للرقة .

(١٣) قباء بلدة تبعد عن المدينة بميلين ، وقد بنى فيها المهاجرون والانصار مسجدا وقت هجرة النبى الى المدينة ، وقد بنى هذا المسجد على التقوى فى العام الأول للهجرة .

العارفون بأفكار أهـل السوء ، حيث كان عملهم شرب الشراب الصافى ، ونسى الناس ذكر الله ، وجعلوا مطية الخلد بمظنـة « أن ماله أخلده » ، فى الصحراء الشاسعة كانت طول الآمال محمولة بحب « أشر المال مال لا يزكى ولا يذكى » ، ونعموا فترة بنعم بلا غم ، ورأوا نعمة الله العظيم أمر من آلالا ، وبدلوا عين حلاوة سـكر الشكر بشكر الكفر « ورزقـكم من الطيبات لعلكم تشكرون » ، صارت « ايران » من كثرة الفاسقين حقيرى الصنعة غابة « فاسقون » (١٤) ببلاد الأتراك ، وقطعت بلطة الشقاء أساس مقذوف قلوب العظماء •

قطع سلك الملك قصة « وان هذا لهو القصص الحـق » ، بمقتضاء الدهر الظالم المشؤوم وسوء سلوك الملوك ، وهاج وماج بحر الهوج والمرج، وسقطت سفينة الملك من قمة موج المصائب بدوامة الفساد ، وخص الزمان الطيب والقبيح بالذم والمدح ، واقترن المنحوس بالبهجة والسرور ، وصارت الشريفة العفيفـة من نصيب اللئام ، ومنح أربـاب الحسد المقصود « فى جيدها حبل من مسد » بعطية (الدراهم مراهم لجروح الدهر) ، واختار العظام الكرام والعظماء ذوى الصفات الحميدة المأوى فى مقام اللادى •

وصار الاشراف كواكب المواكب أسرى شباك الشدائد والمصائب ، وجاء الصغير والكبير والأجير والحقير ، جمع كل خائن كاذب وجهول جبان الحظ الأوفى من عقارات وأطيان وزروع ومراعى ومواشى ، وجمـع كل كاذب متردد وشـارد وهارب النصيب الأكبر من الأطايب والمسـتطاب والزخارف والمخارف والعطايا والمطايا ، اقترنت سيدات العظمة والمجد ـ اللواتى هن بلا بخل منه ينابيع ومنابع العطايا والهبات ـ بالمحن المتواصلة وشدائد الدهر ، وجلس أربـاب الحيل والمكر فى وكر المكر ، وأخـذت الشدائد التى بلا عوائد أمنيتهم كاملة من عطايا الموائد ، ونشروا الحزن وسحب الغم فى التلال والسهول والجبال ، واستبدل الفرح والمرح بالتعب والملل،وغربلت المزارع (من زرع الأحن حصد المحن) سنابل وتراب الثأر من غربـال الفلك الحقير « ظهـر الفسـاد فى البر والبحر بما كسبت أيـدى النـاس » •

---

(١٤) غابة تقع فى تركيا • محمد باد شاه •

ـ ٣ ـ

جلوس الشاه « طهما سب ميرزا »

« ان الأرض لله يوارثها من يشاء » بعد انتشار خبر استيلاء « الأفغان » على « أصفهان » ، جلس الأمير العظيم الجاه (طهماسب ميرزا) فى « قزوين » على عرش السلطنة فى آخر شهر محرم الذى هو قرين الشباب ، كان عام ١١٤٥ هـ تاريخ جلوس عظمته المأنوسة ، نهض « الأفغان » لدفعه ، فانسحب ناحية « تبريز » بكامل سرعة الحصان بمقتضى النشاط اللازم للشباب ، (وان سكر الشباب أشد من سكر الشراب) ، وقابلت أبواب التدبر أقفال الاغفال ، وظهر أول الأمر مع جماعة الشمالى بمصباح الهداية وزجاجة الخمر ، استهل الأمر بفتح زجاجة الخمر ، وأظهر الخمر المر من حدود « بلخ » حتى خط « بغداد » (١) فى الكأس المطلى ، وضم لـ « تبريز » ملك « ساغر » ومدينة « خمار » (٢) ، وأظهر آثار « وترى الناس سكارى » فى جماعة الدنيا ، وانهال الزمان بالتوبيخ من كل جانب بطنين (ما شم خمارك) بقصر أذنه ، صارت الخمر فى قصور الجنة خمر الشاربين وبصولة (منوشان) شارب خمر الكؤوس الصافية ، كان يظهروا بهذا النظم نظام العمل ٠

ــ ربما عندما نضج الكأس من النار

ــ يصبح أمرنا مفتضحا من الندم

وأظهر من كف البللور مثل السقاة ياقوت الشفاة التبريزى بامتلاء الكأس مثل ياقوت أظهار معنى سفك الدماء ، وكانوا ينشدون هذا الشعر للمحبوب ٠

ــ عندما كان يمتلىء الكأس بالخمر كان يبدو مثل البدر

ــ نتعقب الفيل بحربة واحدة ٠

---

(١) اسم الخط الثانى من كأس جمشيد ٠

(٢) اسم مدينة بمملكة الختن ٠

أحيانا يمتلىء الكأس الهلالى من ضوء خمر الشمس المضيئة مثل البدر ، كسروا كأس الشمس على رأس الفلك ، « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » ، يشرب أحيانا « سرخاب » (٣) الشراب الأحمر مع الغلمان ، كانوا يتذكرون بالنبيذ وجهه (سهراب) محطم القلب ، (ويزعمون أنهم ملكوا النجد والصنعا) ، عزف الزمان بنشاط جميل الأداء فى ركن الطرب على الربابة والعود ، وكانوا يفتحوا فى كل باب العشرة ، وكانوا يلقوا أوانى الاستلذاذ على البط لصيد الصقر الحاذ المخلب فى الحقيقة كانوا يفقدون صقر الدولة من الأيدى ، كانوا يتفاخرون كل بكرة وعشيا من البكر ، وفاكهة لذة التفكير بالعيش الوافر مزيل الهم ، كانوا يصنعون الخمر ويتجرعون الشراب صباحا ومساء من الكأس الذهبى ، وأوصلوا بصحبة كأس الخمر صوت الشعر والناى نواحا فى الصبوح والغبوق لقمة كوكب « عيوق » (٤) ، ونثروا حب المحبة حبات (أخلف من نار الحباحب) بانسانية على أرض القلب ، حيث انهم سحبوا اليد مرة واحدة من المنثور « وهم فى غفلة معرضون » ، لووا لبلاب عشق الغلام حناء مغلق فم المعشوق ، ولبلاب شوق الجوار وجدال المطربة الفاتنة (فحب الغوانى كسير السوانى) كذلك على القلوب والأرواح ، أن جعلوا الندى شعار المملكة ، وتجنبوا بالهمة حماية الملك ، « ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون » .

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلم تلم الصبيان فيه على الرقص

« بالحق والحق أقول » نجح فى ركوب الخيل السريع وكأس الخمر ومداومة الياقوت المذاب ، ومنادمة الحسناوات ذوات الشفاه الياقوتية ، جعل للدنيا ثمل الشراب من وعاء القار (الزفت) أسفل وأعلى ، واستخدموا الشرف بالافراط فى الشراب ، وصرفوا ثمن العقار على الشراب ، وزين النبيذ الأحمر حدود المملكة ، فى النهاية ذهبت أراضى « ايران » أدراج الرياح من النبيذ والكأس ، لم يبق أثر لهذا البلد الملىء بالفوضى والفساد ، الا آثار الحانات ، وعزل العمران عن العالم الخرب .

— لو يخرب قصر الكون والفساد

— يصبح الريح حانة العمران

« وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

اتمام ذكر ما سبق

---

(٣) ابن رستم . كما كان معروف أيضا بسرخاب .
(٤) اسم نجم على ساعد ممسك الاعنة .

« هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق » عندما تفشت هذه الأمور السيئة ، بالاضافة الى الموبقات السابقة ، على كل حال فقد انتشرت المفاسد فى جميع أرجاء المملكة ، وطرأت على النفوس أمراض الحسد والحقد التى لا دواء لها ، وشاع أثر الفساد فى مزاج الغنى والفقير والبخيل والكريم ، وشاع اختلاف العقود وأنقاض العهود ، وحدثت أحداث مهلكة غير متوقعة بلا داع ، « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » .

وصار من خمر شراب ساقى العصر وضيق كأس سكير الدهر ، صار كل حقير ثمل من الحقد ، وأصبح كل فرد من الظلم (رستم دستان) ، وتمرد فى جميع أنحاء البلاد متمرد قوى الشكيمة ثار مثل الشجر المشاجرة ، وجعل لحنه ونغمته (قد استنوق الجمل) .

مجمل ذلك أن (الملك محمود السجستانى) الذى كان من أولاد ملوك «سجستان» ، تمتعت شمس اقباله منذ السطوع حتى الزوال أبا عن جد من وجه التملق فى ظل قصر هذه الدولة الوارفة الظلال (أزمولة فى الملق المنع) (٥) ، جذب مخلب جواذب الحوادث من تلابيب حاله الممنع فى نهاية عهد الخاقان الشهيد « وانه على ذلك لشهيد » ، جعل خواتم امارة وولاية « تون » (٦) فى الأصبع ، وبعد انتصار «الأفغان » جعل من ترتيب بعض المقدمات غير مفيدة والقضايا المستحيلة بالتخيل ، فتلك القضايا قياساتها معها ، هيىء الخيال لاستنتاج التاج والعرش ، ومن عودة الحظ اقترح بمنتهى الحب رئاسة طريقة قطاع الطرق ، وأسرع من قلعة (تون) عن طريق الحق جاهلا وجاحدا الى « مشهد طوس » المقدسة ، وسلك مضيق المعصية - على غير المتوقع - رويدا رويدا ، وأخرج رقبة العبودية من العقد المفتول ، وقطع حبل الطاعة بلا سبب لانه « سجستانى » الأصل ، وجعل لنفسه صفة الحجر بالحسب ، وأثار « التاتار » أيضا غبار الفتنة فى (مروشاهجان) ، وداع العصاة للدولة الشاهشاهية ، وأخرج « تركمان » الصحراء يد التطاول من الجيب ، واحتلوا من سوء السريرة ولاية (درون) ، وزينوا عروس (نسا) بالعقد ، وقد اقترنت هذه المصائب وظهور تلك الشدائد من جانب السلطان « اسكندر » شأن الروم بتمزيق حبال المواثيق وقطع عقد العقود ، تحطمت وتهدمت سدود المعاهدات ، وتحرك القواد « العثمانيين » بجنودهم تجاه « ايران » لاظهار الحملات القاهرة مثيرة الحمى ومرجفة قلوب أهالى « تبريز » ، طووا الصحراء بسنابك خيول النصر

---

(٥) يضرب للضعيف جاور القوى .

(٦) مدينة بخراسان تبعد ٤٢٦ كم عن مشهد و ٧٢ كم عن كناباد ويقال انها مقامة على الطراز الصينى مستديرة وبقلعتين وخندق عميق .

لصحراء « آذربايجان » ، ووصل آنين أهالى « قراباغ » الى عنان السماء من استيلاء العصاة البغاة ٠

أسرع أعيان « ايران » الى قلعة « تن » وأخلوها من الأرواح ، لم يدر أهالى « أردبيل » و « طارم » من العضب ، وأوصلوا دخان التأوه للسماء الرابعة ، فقدت « خلخال » التى كانت خلخال ساق حسناء الممالك ، فرغ القدح الكبير والوعاء من الخمر والخل ، « زنجان » التى كانت ريحانة حديقة البلاد قطفت ، وجدت حديقة الشوكة « سلطانية » خالية من الخضرة والأزهار وقصبة سراب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء » ، وصار متاع « أهر » عرضة للسلب والنهب ، ضغط « أفشار أرومية » بيد المحن ، تمرغت « مقدام » فى تراب اليأس ل « مرواغة » الشدائد ، ونصب « الروس » الآثمون شراك الهلاك والخدع وحبال الاحتيال والفساد ، أسرعوا بسفنهم تجاه « رشت » و « كيلان » بنية ضعيفة وهمة فاترة دنيئة ، جاءوا عن طريق البحر بمدافع نارية ، ووهبوا تراب « رشت » و « لاهيجان » للرياح ٠

لم يتطاول أحد على « العراق » ، لكن احتلوا ساحل بحر « دراز » بسوء الأصل ، توقفوا بساحل البحر ، وأنزلوا سيوف القهر للميناء ٠

صارت المملكة المحروسة قبيحة من قوة قبضة « الروس » الماكرين الطبع ، وصارت « كيلان » من كثرة الغبار تراب ، وجد فى أنحاء وأطراف « لاهيجان » مادة بلا اثارة ، ورأى الدم من عيون عظماء « كيلان » مثل عيون الجبل ، أسر أهل « ديلم » بالمحن ، وسقطوا فى بحيرات الحيرة ، وصارت « دار المرز » دار آلم وشقاء ٠

خلاصة وملخص ذلك أن « الروس » ضموا توابع « مازندران » لملك التملك ٠

لمح ورأى (طهماسب) طريقة « الروس » الواضحة والظاهرة والظالمة واعتدائهم الصارخ ، ووقف على رأس سلسلة الجبل وحبال خيال الجنون ، خالط تلك الجماعة الفاسدة الخادعة ، واحتار فى دائرة « دائرة السوء » ، ودار حول عملهم مثل الفرجار ، وأسرع من «آذربايجان» ل « مازندران » « لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا » ٠

ـ ٤ ـ

خاتمة أمر محمود وجلوس أشرف وقتـل الخاقان الشهيد

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ». أشاع (محمود الغليجائى) فى تلك الآونة آثار « فهى كالحجارة أو أشد قسوة » من قلب قاس ، فقد قطع رأس احدى وثلاثين من الأمراء كرام الأصل زمردى الجسد بللورى الأعناق ، عاد بمقتضى (كما تكيل تكال) جزاءا وعداوة ، كانت مصائب هذا الظالم تظهر وتبرز أمره يوما فيوم ، قذفت أمطار وشدة هذه المصائب شدة الهزائم فى قصر رفعته ، وصـار تتابع النوائب طبيعة حاله ، وانقلاب الزمان معانق الدولة التعيسة ، يعنى سقط سهم تأوه السحر موج الصانع ، فطار عليه جنون قوى ، هرب ذلك المجنون بالدعاء ليلا « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى » ، ورفع ابن عمه (أشرف) (رماه الله بليـلة لا أخت لها) ، وفى الحال علم الاسـتيلاء ، وتزوج المحتال خيلاء السلطنة (أسرع من نكاح أم خارقة) (الجبارى خالة الكروان) ، وجلس على عرش السلطنة فى ١٢ شعبان عام ١١٣٧ هـ . « كذلك أورثناها قوما آخرين » .

أقول لدهر قد توالت صروفه　　　أليس لهذا يا زمان زوال ؟
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت　　　لكل زمان دولـة ورجـال

عندما راجت عملة شهرواى (١) الشاهية ، بدأ الحرب والقتال مع « العثمانيين » بأسطورة سيف المبارزة والعداوة ، وامتزج فى تضاعف هذا الحال خلال أحوال هذا الدهر الفاسد ، وتزوج أبو جهل الغفلة بأم رأسه ، وانشغل باحياء عادات ظلم قانون ابن العم ، يعنى جعل السواد على وجه الخاقان السعيد بالسيف الأخضر الوجه الأبيض أحمر .

ـ لو أن القصاب ذبـح الهمـا

ـ لحصل على ريشها لا على عظمتها .

(١) عملة ذهبية مغشوشة كان قد فرضها أحد الملوك الايرانيين بالقوة على شعبه وقد كانت غير متداولة فى غير ملكه .

عندما سحب الملك العادل المغفور له كأس الشهادة من يـد ساقى القضاء ، تبدل بساط العرش لنعش ، نقل القمر التام عمره لمنزل غفـر الغفران ، اكتسى الزمان العابس فى هذا المأتم بكساء العباسيين الأسود ، صرخ لابسو زى الحلاقيين ، وحكوا وجه النائحيين ، وناحت منقبات مريم السيرة بأمنية « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » ، شق الصبح الحار الصدر ، وسالت قطرات الأنجم من العين «وابيضت عيناه من الحزن»، وكانت عين الشمس والقمر من الشفق والكواكب وقت السطوع تظهر آثار الغروب « وترى أعينهم تفيض من الدمع » ، أثبتت هذه الأبيات بانشاء (ميرزا قوام الدين محمد القزوينى) قول القائل الالهام الغيبى :

أظلمت الأرض لقتل امرء — احسانـه قد ملأ الخافقين

الشاه سلطـان حسين الذى — قد جاوزت أعلامه الفرقدين

أنشاء فى تاريخـه هـاتف — فقال تجديد لقتل الحسين

وأقبر المظلوم فى قسم لدى — أبائـه الأطهـار المجتبين

أسـكنه الله بغفرانـه — فى جنة الخلد مع المصطفين

حقا عندما يحتقر نجم الطالع ، ينظر البدر الساطع للقمر بلا دهشة، ويبدأ الزمان العصيان حيث أن الفلك بلا شمس ، لم يضى كوكب الجوزاء بصدق ، وعندما يجعل الفلك المقوس قوس الحقـد وتر ، يصبح درع (زره) (٢) فى حضن (سياوش) (٣) ، وعندما ينشغل الفلك المدرع بالحماية ، يصبح فلك الدرع مصدعا من الطريق ، (اذا وقع سهم القضاء نثرت حلق النثرة القضاء) .

(٢) اسم شخص من أقارب افراسياب الذين اشتركوا فى قتل سياوش .
(٣) هو سياوش ابن كيكاوس ابن كيقباد ، من أمراء الدولة الكيانية .

ـ ٥ ـ

بيان تدرج حال وترقى أحوال « نادر شاه » بتقدير الله القـدوس

« فلا كفران لسعيه وأنا له لكاتبون » ، أثناء هذه الأحوال شاهدة التقلبات المليئة بكثرة المفاسد المستترة تحت أفخم الملابس ، صار الزمان المثير للغم موجب سعادة للمحبوب زعيم « الايرانيين » ، حان وقت بزوغ فجر الفرج وميعاد زوال أيام البؤس والشقاء كما قيل (عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج) ، ورغم أن المصائب لا تنتهى الا أنها انتهت ، وتبدل النواح لأفراح ، فلاح الفلاح ، وتيسر يسر النجاة ، وتبشر بشر النجاح .

اذا بلغ الحوادث منتهاها فرج بعيدها الفرج المطلى
فكم كرب تولى اذ تـولى وكم خطب تجلى حين جلى

الشاهنشاه ملك القدر الذى كأسمه ندر ، وفى سماء السلطنة بدر ، ملك « ايران » ومزين قوتها ، الذى كان فى ميدان حربه « باورد » أقل من « نسا » ، الذى كتب فى عـام ١١٣٦ هـ بالقلم الواسطى الفصيح نـاثر الجواهر تاريخ دولة قبيلة (الأفشار) الجليلة ، كان من « درة جز » من توابع « باورد » التى هى مسقط رأس سرور الزمان والذات التى بلا نظير، يوجد فيها دواما نزهة مجلس الصدر وسرو البستان ، عرج على مراقى الغزو لاحياء العالم الخامل واعلان الامارة « فأحيينا به بلدة ميتا ، كذلك الخروج » ، أظهر بقدم الشجاعة الرأس بالسرور واليد للعدو الملقى « حتى يميز الخبيث من الطيب » ، وصار من قبـل الرجولـة بالعلم لاكتساب التأييد وبحد السيف لفتح البلاد ، وقاد جواد العظمة من كرم الأصل على طريق العطاء ، سحب للاكناف أسوء أراضى الأطـراف ، وأحاط الأطراف والجوانب ، وقطع أكتاف وأطراف أهـل الخـلاف ، حزم السيف لقائد الجيش وقائد العدو ، وبسط الساعد ، وفتح الشبكة ، وعلق يد الفتنة على الظهر ، أوصل لأذانه حجاب الملكوت بشرى :

أرى النصر معقودا برايتك الصفراء فسر وأفتح الدنيا فأنت به أحرى
يمينك فيه اليمن واليسر فى اليسرى فبشرى لمن يرجو الندى بهما بشرى

وألقى بخاطره الخطير ملهمى العالم الغيبى مفهوم :

فسد الزمان فلا يرى   الا ذ بابا أو ذ نابا
فابسط حسامك فى الذنا   ب ولا تدع ظفرا ونابا
واصلت على الذبان من   عذبات مقرعك العذابا

كان (نادر) حسن المظهر ، جميل ، مخلص ، أسد الصولة ، وسيم، قوى الصوت ، امتلك مصيدة العدو لصيد الصقر ذو الشكيمة القوية ، سلوكه يوافق مسلك كل فرقة وطبقة (وافق شن وطبقة) ، ومحبته سلسلة قلب الضعفاء والأقوياء (كأن قلوب الناس فى حبه قلب) ذو وجاهة وجيهة ، يمتلك ذاكرة قوية ووجه واثق وبأس مهلك ، لم يستطع الفغفور(٤) أن يفرق أمام عقدة جبينه بين اليد والقدم والصواب والخطأ ، لم يستطع القواد فتح الفم ب لا ونعم من تعقد حاجبه بمفاد « لا يتكلمون الا من آذن له » ، لم يتلألأ الحق من صدف « درة جز » « درة نادرة » الا جوهرة نفيسة على بساط القدرة ، وجعل كوكب جناب الحياة المحظوظ بحسن التأييد مضىء وثابت ، ورفع بيرق علم ضيائه ، عندما أضاءت الشمس الساطعة فى ساحة الآفاق من تنمر الطبع مع كمال التأسد ، لم يبسط ذات الأسد فرش البساط والسرير فى الفراش ، كان يبحث عن طعمة من رغبة النمر ورغيف من عرين الأسد أظهر بمساعدة المساعد عرين مخلب ادراك (حظ جزيل بين شدقى ضيغم) كان يعمل مد لول (ارتفاع الأقدار باقتحام الأخطار) ، لم يكن لحظة بدون قتال ، لم يسترح سيفه الحاد لحظة فى منام الغلاف من سفك الدماء ، كان يعمل من الفلق حتى الغسق مثل شمس الدنيا المضيئة من وجه الحب والرأفة بجال البعيد والقريب ، كان يصل بنفس الكريم الأصل بالثياب المزين ، ويلبى حاجات الفقراء المعدومين فردا فردا ، لم يكن يؤجل اليوم لغد :

ولم يعتمد دارا سوى حومة الوغى   ولا خدما الا القنا والقنابلا
ولا حاجبا الا حساما مهندا   ولا عاملا الا سنانا وعاملا (٥)،

منذ أن ألقى فى القصر المشيد دولة المسند ، واستقر عمله الصحيح، استعلى بالتدرج والتدريج على مدارج العزة ، وانتصر على الأعداء ، حتى صار بموافقة القضاء ومواتاة القدر قدرة رفيع جدا ويلى السماء ، أصبح مفتاح ولاية « خراسان » أول مفتاح ملك يمينه وحوزة جمعه ، وضم لسلطنته « الرى » و « شهريار » بعون ومساعدة البارىء ، وقهر الأعداء

(٤) لقب ملوك الصين . وأصلها فغ بور أى أبن الصنم أو الاله .
(٥) من قصيدة لابى سعيد الرستمى فى وصف الماء الجارى .

المقهورين من سطوة بطولة قهره ، صار قواد تلك الدولة العاجزة قواد دولته الثابتة ، وعصاة تلك الناحية بلجام الحكم ، وطوقهم طوق جنابه مثل الخيول المطيعة ٠

وبعد عدة أيام بسط باليد اليمنى الميمونة (حفه الله باليسار) بساط التوسع على وجه الارض ، وأظهر بالقوة قبضة الرجولة ، بسط يد النعم رحمة على العباد ، ومنع أيادى الظلم والعناد عن البلاد ، أدرك حجة « بل يداه مبسوطتان » ، وسحب بالقلم سن خطى قلم النسخ على نسخ أعمار خطاطى الأقاليم ، اقتطع أرض الفساد من الأرض المستوية ، وعلق على رقبة الموجودين عديمى الأصل بضرب سيف كهدباء اللون قلائد الياقوت ، وأضاء بضوء خنجر الشمس نور شمس الشعاع من مرآة حال الدنيا من الدخان وربع العالم من ظلام الظلم المبرق حافر حصانه ، وارتبط العدو والصديق معا (حتى يؤلف بين الضب والنون) (١) ، واختلطت معا الفرق المختلفة مثل أضداد العناصر (حتى يجمع بين الثلج والنار) ، أصبح عصاة وطغاة الدنيا بضرب عصا تأديبه قليل وكثير (عبيد العصا)، « قالتا آتينا طائعين » ، وعلّم عتاة وطغاة الدنيا بتعليم عصا التنبيه حده ومقداره ، « قد علم كل اناس مشربهم » ، وكان بعون الله المعين والصحبة الألمعية اللامعة ، بوار مثير الممالك التى هى نموذج الجنة ، وأظهر البساتين بصب ماء السماحة وقطرات سحب الرعاية للشيوخ والشباب ، وصارت لنافذة البلاد سعة السعادة والخير ، وأصبحت الأطلال الخربة قصور ضيافة وأسوار سرور ، وظهرت ساحات الأرض بالسيوف المهتزة وقطع لاقطاع التمليك ، وأوصل لحدود العالم دبيب (بجدى علوت لا بجدودى) ٠

وكاد يحكيه صوت الغيث منسكبا   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يحن والشمس لو نطقت   والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

- ٦ -

بيان تسخير « مشـــهد المقدســة »

« نحن نقص عليك أحسن القصص » عندما صنع الله القدوس جل شأنه ماشطة ظل ذلك العظيم ، صانه الله مما يضره ، مزين شرفـة طرة أضطراب الأيام أولا بحكم :

سافر فان الليث لما غاب عن   غـاب حـواه أشـبع الاشبالا

كان قد ارتبط لاخماد نار الأشرار الذين من العصا العليا والسـفلى شرارة الأشرار ونار وحديد طلب الليل والنهار فى تراب « مرو » ، بكرة النار ، أسرع مع الجماعة المائجة أسرع من الماء لتلك الناحية بفكرة (ان الفرص تمر مر السحاب) . تصور (الملك محمود) وتخيل — نظرا لشدة اختلال أمور « مرو » — صورة انصراف موكب العظيم فى مرآة التمثيـل (حتى يجيء نشيط من مرو) ، وظهر بساحة الأنانية ، وطار حصان الشجاعة حتى قصبة « جوين » ، وعين حكاما على تلك المناطق ، ونفذ مثل (جدع جوين من سويق غيره) وعمل بمفاد (عاط بغير نواط) ، أما الحضرة النادرية فقد قدرت بالسيف المشتعل أمور « مرو » بالقدر المقدور ، منع ودحر يمانع البذرة المروية حكمة عملية وبكمادات التدابير الماهرة بؤرة دمامل الفساد وبثور الهلاك من أبد ان الملك ، وجعل حصان شهاب السير « رجوما للشياطين » بجانب أرض الفلك مقترن بالعودة ، لم يجد (الملك محمود) فى « جوين » الفرع المقصود من جدول الوضوح ومنهل حدوث الرى ، ان رؤى وسمع خبر انصراف موكب العظيم من « مرو » ، اعتبر أن الزمان لا يجارى سير أحواله ، وان الدولة بمخازى أعماله محاربة ، وأغار المسرعون من « جوين » ، (شر السير الحقحقة) حتى لا تسحب اللجام لـ « مشهد طوس » « فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا » .

حضرة الشاه (طهماسب) الذى كان قد جعل — فى تلك الآونة — من « شاهرود » و « بسطام » مركزا للدائرة الملكية ، بعد سماع هذا الخبر نشط لتسخير « خراسان » ونشط عازفو الشاهرود ، واستعد بالقدر الكافى فى كافة أنحاء الولاية بمساعـدة وقوة جيش جرار (أفرس من بسطام) ، أشعل بوادر المعركة بشعلة ذو العزم المتأجج وألجم الجمل

سالك الصحراء الملكيـة بلجام مزين بالمرجـان ، ضرب بلابسى الدروع الفولاذية ــ الذين بلا حصر ــ بخيول طاوية الدنيا ــ مهما كانت ــ بحدوة العزيمـة ، احتشدت أيضا فى حـدود « جاجرم » الطـوائف الخرشاهية والخراسانية ، ودار من طريق « اسفراين » مثل الشمس الخراسانية التى على مدارات فلك درع القاعدة ، أسرع ناحية مقصدة ، ودخل ملك البناء الجميـل يعنى « خبوشـان » (١) ، بعد ذلك وصل خبر توجـه الشاه (طهماسب) ناحية الأراضى المقدسة بالعرض المقدس ، دخل حضرة الشاه بشكل عاجل مع المشاه والفرسان من « مرو » لـ « خبوشان » ، ونزل فى الموكب الملكى مع المحاربين والمقاتلين مثل سيل العـرم والنمور الزائرة بقصد انتزاع الملك من الملك (محمود) ، جعـل بيرق العلم مثل اللواء المزين ، طال ريحه ناحية « مشهد طوس » ساحقة الفلك ، أصبح ذلك المتمرد ضالا ظالما يتحرى الظلم ، فتح باب النفاق وأغلق باب المدينـة ونهض للمخالفة ، وجلس فى الديوان ٠

عصى السلطان فابتدرت اليه	رجـال يقطعون أبا قبيس
وصير طوس معلقه فصارت	عليه طوس أشأم من طويس (٢)

بالنسبة للأذكياء فأن الطريق المستقيم مضىء ، أى نور يكون نصيب القمر النخشبى (٣) فى مقابل الليلة القمرية الرابعة عشر ؟ ماذا يفعل الخشب أمام السيف المصقول ؟ أى عظمة يظهرها العشب القصير أمام السرو المتشابك ؟ وماذا يصنع عقل ناقص مع رأى سديد ؟ (الحق ابلج والباطل لجلج) ، طالت أيام الحصار ، حيث أن القمر ــ على اتساع سطح هذه السماء ــ ثلاث مرات فى ركن حاجب الهلال ، وملأ ساقى الفلك الكأس ثلاث مـرات من ذهب مثل الضيـاء ، وسقى المخمورون من نشوة عـالم الامكان ، فى ليلة ١٨ من ربيع الأول عام ١١٣٩ هـ دخلت « مشهد طوس » بحوزة التسخير ، وهرب الملك (محمود) الضعيف ، فلو أنه ترك الحظ العاثر وشجرة طالع النمو ثمر وورق ، فان طريق النجاة يجب أن يكون قد فتح فى وجهه ، ولم تصبح المصائب هدف السهام يظهر حفظ الشرف والعرض ٠

---

(١) بلدة بناحية بيشاور ٠

(٢) كان طويس يقول « ولدت يوم مات الرسول ، وفطمتنى أمى يوم مات أبو بكر وبلغت الحلم يوم قتل عمر بن الخطاب ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لى يوم قتل على لذا كان مضربا لأمثال العرب فى الشؤم ٠

(٣) كان هناك شخصا يدعى عطاء الحكيم من مرو قد صنع شكلا قمريا من الذهب ، ووضعه على وجهه ، ثم يظهر للناس من بئر ويتحدث اليهم ، وكانوا يسمونه القمر المقنع النخشبى ٠

بعد هذا الفتح المبين ، أدى الخاقان الذى بلا نظير صلاة شكر لله ، ودخل مع الجيش المنتصر لأنحاء القلعة الأربع بقبضة الحصار ، فألقوا ضوضاء النشاط بجهات العالم الست ، وصاروا فى نفس الليلة فيوضات القبلة باب القبلة السابعة والكعبة الثامنة التى لباس نقابها حرير الفلك التاسع والخادم الكناس فى نقص العقل العاشر ، فى اليوم التالى هجموا على قمة الحصن ، كان يتصور مثل عرق البلاء فى سيف الجنود المنتصرين المرصع بمفاد « اذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه » أسرع الملك (محمود) لعتبة ملك حراس ملك الأنس والجن ، وتوسل بجانب خيمة العطف الملكى ، أضاءت شمس العفو على ربوة روحه ، لو أنه وجد فى هذه الساحة الجناح مرتفعا ومنخفضا بسبب نسبة تشبث سخاء عطاء الملك النسيب أيام قدرة بقاء النصيب ، لكن بناء على بعض البواعث الأخرى المكتوبة والمنحوتة بسيف القهر ، وكتب صحيفة عمره بقلم الفناء ، وبستر موضوع :

ــ لا يمكن الفوز بأماكن العظماء جذافا

ــ أأعدت أسباب العظمة كلها ؟

فهم على الوجه البليغ ، وانشد قلم البلاغة :

يا ذا الذى ركب الفساد وعنده   انى أسود اذا ركبت فساد

أضللت رأيك عاندا أو ساهيا   من هو الذى ركب الفساد فساد .

ــ ليس كل من أضاء وجهه يدرك الحب

ــ وليس كل يصنع كأس يعرف الانقلاب

ــ ليس كل من يعوج رأسه ويجلس متكبرا

ــ يعرف القلنسوة قانون عظمة الرئاسة .

« حبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (سحابة صيف عن قليل تقشع (٤) بعد ذلك صار الجناب النادرى على الوجه المضىء والعالى فاتح وفالق جميع المهمات والمصائب الملكية والملكية ، سعى فى حل أمور الممالك المعقدة بعقل ، استخدام الحكمة الصائبة فى اصلاح الملك السقيم ، وأعطى للعالم المضطرب ضمير الشمس المريحة ، بحيث أنه لا يمكن القول بأن ساحة الأرض فى عهده وآوانه مضطربة ، وزين ذلك العالم برأى

---

(٤) يضرب هذا المثل فى سرعة انقضاء الشىء الميدانى ، مجمع الامثال ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .

العالم المحلى بالرأفة ، اذ لم يستطع أن يسمع فى محرابه بعـــد تكفل الأمور الا خبر مرضى عن العالم :

يا من أعاد رميم الملك منشورا وضم بالرأى أمرا كان منثورا

أنت الأمير وان لم يـؤت منشورا والملك بعدك ان لم تؤتمن شورى

لم تمر الشمس فى تلك الآونه من طريق « خراسان » ، وأصبحت هكذا مطابقة لامنية الأمن ، ان السماء كانت تحمل كل يوم طبق ذهب ، وتذهب من المشرق الى المغرب وكانت قافلة الفلك تسير كل ليلة منسجمة، وكان الخراج يحصل من صاحب القافلة الليلية ، وجعل الوشم من سيف انتقامه (الأبدالى) مثل (الأبدال) ، وحرر (الغليجانية) الصدر من حقد القلب وحب العصيان ، وطوق الرقبة بطوق الطاعة ، وطهر طغاة « لر » من منبع العبث ، وصنع طغاة (الأكراد) خوذة المطلب ، وجلسوا فى ركن الحرمان ، وحصنوا القلعة المحكمة من لصوص « خلج » ، وسحب قطاع الطرق شاطىء الوجود لخليج الفساد ٠

أصبت العلا عطلا فخليت جيدهـا فخلنا العلاجيـد وخلناك عقـدة

وما نلتـه بشرى بما ستنا لـه اذا الصبح وافى كانت الشمس بعده

أما الحساد وأهل الفساد « أم يحسدون الناس على ما أتيهم الله من فضله » كان يجعل من اعتلاء نجم حظ النصر النادرى ــ الذى كان يوما بعد يوم ــ مثل شمس العالم المضيئة تنشر نور فتح العالم (بيضاء لا يدجى سناها العظلم) ، وكانوا يستدلون على هبوط كوكب طالعهم ، كانوا يسعون فى اذلال وتقليل أعوان (نادر) واستدلال واستقلال أعيان المملكة ، كانوا يعرقلون تقدم أمور الدولة بإساءة الصداقة من الجيران ، « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » ٠

من رام طمس الشمس جهلا أخطأ الشمس بالتطيين لا تغـطى ٠

مع أنه كان من جانب ذلك الجناب الذى كان خمر الاخلاص الصافى والمصفى ، الا أنه كان محددا للشاه (طهماسب) ، لكن كان يحـدث من حضرة الشاه التوجيه من قبل الأقل شأن ، لم تتجمع مرايا مزايا الألفة من جرس فم المحبوب بلذة الصفاء لم يتجمل جمال شاهد الالتئام من التحمل والخمول ، كانت سـعاية السـعاة ووشاية الوشـاة سبب التجنب من الجانبين ، حرك الشاه (طهماسب) لجام الثورة ناحية « نيشابور » ، مزق العباءة التى كان يرتديها ، وارتـدى الدرع ذا الوجهـين فى رداء الاستتار ، لم يتركوا تلك الحضرة بمثل (ان دواء الشق أن تحوصه » ،

رفا بسلسلة دقة الرأى وإبرة حسن الطبع ثياب طبيعة الالفة المزركش كاشفة الأمور المستترة ، كانوا يحولون العـداوة الى اختلاط والمخالفة الى قسم والنفاق الى وفاق .

فى تلك الأثناء سارت جماعة من « الأفغان » ل « هرات » بقصـد الاغارة ، ثبتوا سروج الجلادة ، وأسرجوا الخيول الجامحة ، دخلوا أطراف المملكة ، جعلوا تلك بتعقبهم مثـل هجوم الخراف ، وعنـدما لم تر تلك الفئة الماكرة سبيلا غير الفرار ، لم يغيروا ويهجموا وغنموا (السلامة احدى الغنيمتين) ، (خيرهـا بشرها وشرها بخيرهـا) وأوصلوا أنفسهم لمأمن النجاة ، وسار الموكب المظفر قاصدا قلعة « سنكان » ، وتعاركوا هناك مع « الأفعان » معركة عنيفة ، وظلوا أعلام النصر بدم الأعداء ، وأستولوا على غنائم بلا حصر ، واتجهوا ناحية « مشهد المقدسة » .

ـ ٧ ـ

بيان تحرك رايات المباركة ناحية « هرات »
خلد البنيان بهدف تأديب « الأفغان الأبدال »

« الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد » عندما نكث « الأفغان » الأبدال عهد الطاعة من قبل ، وكان أساسهم النفاق والعراك مع الدولة البهيــة الصفوية كانوا يخــربون ويفسدون فى أرجاء الأراضى المقدســة (أفسد من الأرضة) ، لهذا فان نية تأديب تلك الجماعة تخمرت فى خاطر الخطير ، فى ١٤ من شوال سنة ١١٤٠ هـ جعل معدات الهجوم والسلب تتقدم الموكب المعظم بالعتاد والقــادة المحنكين والجيش المظفــر ، تحركت الأعداد الكثيرة بقصد تدمير الأعداء ، كان يلقى « مرج ياقوتى » الذى كانت خضرته الزمردية شعاع على الفلك الفيروزى ، وصار مضرب القباب المرصع بالجواهر ، سارت من هناك رايات النصر تطوى المسافات وتقطع المراحل وادى القهر والعداوة الحقد ، رحــل أيضا « الله يارخــان أفغان » حاكم « هرات » للانتقام برأى ناقص ناقضا اللواء ، أعد معدات المواجهة والقتال، واستعد فى مكان معروف بـ « كافر » بجيش مثل البحر الهائــج للقتال والمكر ، بعد ذلك عزم جيش الأسود الرحيل من « قلعة كافر » فى ظلمة الليل ، وتبدل بأسه وهيبته الى يأس ومهانة ، عندما لم يجد الاستقرار أدار الوجه وأعطى الظهر ، وضغط قدم الصبر فى قمة جسر «شكيبان»(١)، أسرع الشجعان ثعابين صولة الجيش النادرى مثل تنين الأنفاس « أسرع من السيل » ناحية مجرى الوادى ناحية نهر « هرى » عندما ألقى ثور الفلك اللعاب من الفم ، أثــار سنجاب الفلق « قندر » الليــل من الخيمة الرمادية .

ـ اذ ابوا الزنجفر على الأزرق

ـ فتنبح عنه السمور الأسود للثعب الأصغر .

---

(١) جسر يقع بين تيريل وصوفيان بالقرب من هرات .

تنفس نفسا فى النفير ، تخيل الأبطال النمور انها ضوضاء الحرب، وكانوا يجعلون طنين الذباب وأسنة سيوف الصيد للفهود والذئب ٠

أن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

بصفة عامة فقد استعدت جميع الصفوف للمبارزات مثل النمر الحيوانى الشرس يقفز ويهجم ، مثل الفهد واللبؤة المحاربة بقوة الأسد وبعدد النمل ، كل تمساح غزال أسفل صنم « كورسرين » ، السهام الفولاذية سنان فى المخلب مثل الذئاب المتوحشة بساحة قتال الخنازير ، سحق ثور الفلك وثور الأرض من صعود وهبوط قضيب « فريدون » عليهما من الوسط والخلف ، تشابه حوت السماء بسمك البحر من ثورة غبار الحرب « فتشابه الخلق عليهم » ، اعتاد « الأفغان » فعل الحقد المعيب الذى هو من الأعمال غير اللائقة لايران واشتغلوا بشراب الثمل والتهديد ، كانوا قد نسوا فى أذن الفيل النائم أرنبا وضربوا بيد « يلان » (٢) البطل ، مع ذلك وضع اللجام على اللبؤة ، وضع السرج على الثور ، « كأنهن حمر مستنفرة فرت من قسورة » وأصبح من موقع القتال المزعج فاتح جرح الطامع ، روى تراب « باد صبا » السيف ناثر شرر الحقد ، رفعوا راية الاستقرار ، أقام جنود قيامة الأثر بأمر العظيم فى حوالى ساعتين بمحاذاتهم خيام الاقامة ، أظهروا براية الفتح علم لواء السماء الساحق آثار « اقتربت الساعة انشق القمر » ، وألقوا على قلوب المخالفين رعب « ان زلزلة الساعة شىء عظيم » باعلان الغضب والقسوة ، بمجرد تحرك غبار الحرب هبت رياح عاصفة وعواصف قاصفة ، أن اتخذ من شدة تلك الأرض الكروية هيئة الغبار وأسفل وأعلى صفة « سواء العاكف فيه والباد » ، غطى السماء من ظاهرة عيون الشمس والقمر بفوطة سوداء مظلمة ، تقارب نهر « هرى » ونهر « صرصر » من هبوب الرياح المخيفة ، حيث أن ذهبت كرة التراب للرياح ونسى عالم الأمكان ثلاثة عناصر ، وغطى طرفى الليل والنهار من كثرة الغبار ، وأخفت شدة الرياح العين عن القتال ، لم يستطع أحد أن يبدأ القتال ، حتى تخرج رياح النخوة من رأس الفلك ، كان « الأفغان » عند ملاقاتهم بالجيش المنصور مثل مقابلة الظلمة بالنور ، عند طريق الخداع والتحايل سلكوا منهج الغدر والحيلة ، وبعد لحظة تهيئوا مرة أخرى للهجوم ، تركوا السلام وركبوا فرس التبارز والتراشق ، وانشغلوا بالعراك والنزال والقتال والمبارزة ، كان من هناك يد وساعد الدولة القوية والحظ بقوة وقيادة الهمة الملكية ، بمجرد توجه الحصان ناطح السحاب ،

---

(٢) محارب تورانى قتل على يد بيزن ٠

نقبت سدودهم المحكمة ، وتصدعت صفوفهم الثابتة ، شاهدوا فى نفس الوقت المقدمات الأولى ، وصار العاجز طالبا لجوهر الأمان ، وتوجهوا جميعا لمنجم الرحمة الملكية ثم فوض ولاية « هرات » بالأمر السابق « لله يارخان » ، بميعاد « أن يوم الفصل كان ميقاتا » وأقام الخيام المحكمة وقوض الأستار الثابتة ، توجه من تلك النواحى المهدئة ، تحرك لواء النصر عائدا ناحية الأرضى المقدسة .

هذى مخائل برق خلفه مطر جود ووری زناد خلفه لهب

وأزرق الفجر بيد وقبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

اتمام حال « هرات » من بعد ، سيصبح تعويذة ساعد البيان ولؤلؤ قلادة المقال « سأتلو عليكم منه ذكرا » .

ـ ٨ ـ

بيان تسخير « أصفهان » بعون الله سبحانه القدير

« ذلك هو الفضل الكبير » فى مدارج هذا العمل ، ومعارج هذا الأسلوب ، كان (أشرف الغليجانى) ـ الذى كان العدو اللدود للأسرة السلطنية ، وغلاف عداوة سيف الحد ـ « يحسب أن لن يقدر عليه أحد » ، انشغل الملك الأسدى الصولة بالحرب مع « الأبداليين » فى « هرات » ، وجد ساحات الممالك عرينا بلا أسد وبحيرة بلا تمساح وجبلا بلا نمر بمضمون بيت :

ـ عندما تختفى الشمس المضيئة

ـ يصير الخفاش سيد الميدان ·

طار مثل الخفاش عاليا فى غياب الشمس ذات الملك ، أمر بحشد الحشود وتقوية الجنود وجمع العرب والعجم ، وأرسال الخفاف والثقال ، واستعداد الفرسان والمشاه وركوب طالبى الشهرة والأبطال،واستحصال الخيول العربية والأعرابية ، واحضار الجمال والخيول ، واعداد الخيول المعاندة والمشانق (زنخر بمنخره) ، وصل من « أصفهان » بصولة الأسد بالكثرة اللائقة وفدائية الجرأة التى لم يستطع أن يحصها حصباء الصحراء (كمبتغى الصيد فى عريسة الأسد) (١) ، صمم على التوجه ل «خراسان»·

اذا اعترضت كاعتراض الهرة أوشكت أن تسقط فى أفرة

عاد مقارن حركته من « أصفهان » عقاب النسرين طائر لواء الملك أيضا من مصيدة أعداء « هرات » دخل الأرض المقدسة ، وأذنوا بعودة الكتائب الصامتة ل « خراسان » الى الأوطان ، عندما شاع هذا الخبر الطيب الأثر قارع الآذان وهذه البشرى السائغة ، وصل لحضرة العظيم كان يرفع أعلام الحب لا علان بشرى التحرك ·

وسامية الأعلام تلحظ دونها سنا النجم فى آفاقها متضائلا

---

(١) يضرب لمن طلب أمرا مستحيلا ·

مرة أخرى أصدر الأوامر بالعظمة والتشريف لأنحاء الممالك وجوانب المسالك ، وحضر بهدف احضار القبائل الكبرى لدى حضرة ملك الملوك ، أسرع بالكميت المسرع للولايات ، عزم على الحرب بالصبر الثابت ، الجم الكميت السريع الخفيف عظيم القيمة ،

ومطهم ما كنت أحسب قبله ان السروج على البوارق توضع

وكأنما الجوزاء حين تصويت لبد عليه والثريا برقع

جعلوا للأفواج الثقيلة اللجام الخفيفة ، جهز كتائبه وأبرز مضاربه وضرب سرادقه وعرض فيالقه ونشر بيارقه وحشر رواعده وبوارقه وأنفق خزائنه وأنفذ دفائنه وبذل فى صون الملك ديناره ، وأشعل فى حفظ ماء الملك على العدى ناره ، وبنيت القباب ، وطفا على يم المعسكر من الخيم الخباب • بعد ذلك رفع العظماء بالعظمة والجاه فى كل مكان قبة الخيمة على بيدر القمر ، كانوا يجعلون وجه الأرض من خيام الآفاق المضيئة شمس القباب وخيام نجم وجه مجرة الحبل المسحوب لحية معسكر النجوم الفلكية •

كنائس ناطت بالنجوم كواهلا وعادت فألقت بالنجوم كلاكلا

وفيحاء لو مرت صبا الريح بينها لضلت فظلت تستنير الدلائلا

متى تراها خلت السماء سرادقا عليها وأعلام النجوم نمائلا

ولو أصبحت دارا لك الأرض كلها لضاقت بمن ينتاب بابك سائلا

ثم التقى الجمعان فى منزل « مهما ندوست » (نادر) و « الأفغان»، رفع (أشرف) راية الجلادة بالقهر والسلاح ، واشتعلت نار الحرب (جاء بالطم والرم) ، لوصف هذا نقول لم يكن لمدد وعدد العدو عدو لأجله ، زين أيضا الملك الموفق بالجيوش الثائرة والجنود المندفعة والجحافل المجتمعة والجماعات المقاتلة فى ميدان التراشق والمبارزة وساحة الشدة والعداوة ، دعى الأطهار بدعاء الله معك ، وفتح الأبطال اليد بالأسنة والطعن •

فى بداية الأمر كان المدفعجية يثيرون البرق مثل الرعد مع مدافع راكبى الجمال بقذف المدافع ، أشعلوا الحرب فى جزر القتال وغابة العراك بقذف المدفع والبندقية ، وانسحب بمدفع الثعبان اللادغ فى لحظة صاحب العلم مع عدة أشخاص من أبطاله مقدمة الجيش «الأفغاني» بالتأوه والألم ، ضربوا راية (أشرف) المنكسة (ضرب الجبابة بالجاهض) « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ، صارت قلوب

الأعداء ـ عداة المذهب « تبالهم » ـ ضعيفة وعاجزة من قوة ضرب المدافع ، وخرب وأفسد حد السيف البتار أساس ثبات جمعهم « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » ، عندما رأى « الأفغـان » أن عراكهم وقتالهـم مع جنود صاحب العزة مثل لهو العصفور مع الصقر والشاهين ، وعراك صغير الجمل والغزال مع الأسد ، أمالوا اللجام لسلوك بداية طريق التقهقر ، وألجموا حصان الجوزاء بلجام السرطان من برج الأسد ، بل ترجى الأسد أساس الهرب من القوة النادرية الى « درة خوا » ، وكانت المرة الثانية فى ذلك المكان الذى كان مضيق ضيقا جدا ، واستعدوا للحرب ، أنزلوا العداوة بمكان ضيق بين جبلين ، « بل لجوا فى عتو ونفور » وأصبح بين الجبلين ملتقى الجيش الغازى ، كان الملك الذى بلا نظير فى ساحة القتال والقيادة جبل راسخ (أثبت من أصم رواسى) اعتبر « غرر بين الصدفين » ، لؤلؤ بين الصدف ، جعل بعون الله خالق الجبال العظيمة بالجند العظيم ٠ فى بادىء الأمر أنه من عين التهور استئناف القتال فى جانبى الجبل ، أظهروا من حد السيف البتار وحد الرمح الدامى مدلول « هذا عارض ممطرنا » على وجه الصحراء والطرق الجبلية ، بعد ذلك أظهر المشاه عزم الجبال بمضمون (همة الرجال تقلع الجبال) ، جعلوا نقل مقدمة الجيش الثقيلة لطريق قمة الجبل ايقاد نار الحرب ، وصارت القمة المجمرة من فم النار المضيئة لقاذفى بطل كرة النار ، وصار تراب الأرض الواقعة بين الجبلين بالسيف الريحانى بستان وحديقة ، هلك جمع كثير من الأعداء فى ذلك الجبل كثير المهالك من دخان المدفع الذى مثل الزهرة فى الفلك الأزرق ومثل طرة الشعر الأسود والذؤبة، تواجه جسد التمثال فى جوانب الجبال من صدمات جبل القاء الشدائد بأرض الصحراء بعد اضرام نـار المبارزة والمنازلـة ، وتأججت نار القتال والعراك ، رأى (أشرف) مع ياجوج صفات « الأفغان » مثل السيف الفولاذى جسد الملك الذى بلا نظير (حافظ النفائس) ثابت ثبات سد (الاسكندر) ، وجد أن قوة المقاومة والمواجهة وقدرة البارزة والنزاع من المستحيلات ، ظهر أعلى الجبال منكس العلم ، ترك الخيـل والخدم والكبرياء ، أسرع ناحية « أصفهان » مضطربا ومتهالكا وخاسرا ومغبونا وخائنا وخائفا (ذهبوا اخول اخول) ، ذبحوا جماعة من الفرسان والمشاة والأشراف فى الحال مثل الخراف البرية ، ومزقوا بالخناجر الحلق الممزق للمناخر وحناجر أصحاب المتاجر والعظماء فى أطراف المملكة ، كان قد شاهد هذه المرة معركة المدفعية التى دارت فى (مهما نلوست) من الملك حبيب الله ، طلب أن يبدأ بالمناوشة والقتال وينشغل بساحة الحرب والمواجهة والتحرك والنزال ، وأقبل فى النهاية بمعدات القتال ، وانشغل باشعال نيران الحقد ، وتوجه بالثبـات والنصر الى أرض المعركة ، كانوا يحيكون بالجيوش الناثرة ألبسة كثيرة من النمل والجراد حتى (مورچه

خورت) ، حيث أن درع الجراد فى ظلمة الليل بأسنة السهام الجارحة للقلوب، كانوا يتعلمون بنجم سماك الرامح والأشعة البيضاء آداب الضرب بالسهام والمبارزة بالسيف ، تقدموا بهدف القتال ، جعل بحر النار ـ أى المدافع ـ التى كانت أمامها الفلك الأزرق عنيد (كالحلقة المفرغة) محيط ذلك البحر الدامى ، وأستعد للحرب والقتـال ، سيمتلك الغافل عن لهيب المدافـع والمنجنيق الصاعق بالسيف والسنان أبطال حكم مضاهاة النـار بالماء ، أسنة سهام جلادته مع صلابة أفواج العدو مدمرة ، فما فعل وتأثير الزجاج فى الصخور الصلبة ؟ « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » ، بعد ذلك ظهر ملك بحر القلب الوهاب بقلب سعيد ، وحزم اقتداء التسنن بطرق وأساليب أهل اليقين والتحلى بأسلوب أصحاب التوكل ، وأظهر البعض والكل من وجه المعرفة وطاب النصرة من الخالق ، وأصبح أهل الكر والفر فى كمال الشوكة والعظمة بالجلال والترتيب برتبة الأسد والثعبان فى جملة المهاجمين ، وألقت صلصلة السيوف وخلخلة الصفوف نواحا على الفلك الأعلى وزلزلة على جسد التنين ، أظهرت هجمات أبطال الاغارة زلزلة فى أرجاء الأرض ، بدأ هجوم الجماعات وتصاعد غبار وتراب قيام الساعة وساعة القيام مظهرا (القيام قائم فى قائم سيفهم) ، كان الملك السعيد الوجه المؤيد اليد مثل (فريدون) العظمة و (هوشنك) العقل ، أحاط جيشـه الشجاع العظيم (بيزن) المنتصر دامع العـدو مثل (سياوش) المحاط أيضا بأسنة رماح (زرة) ، وكان أبطال زحل محارب (كيو) القدرة وبطل (اكوان) المهابة البطل العاقل الذى كل فرد يعد (جهن) العالم وزعيم الأكوان ، وألقو بأسنة رماح (زوبين) فى قصر (روبين) ، وظهر من ضوء المدافع حسناوات محترقـات فى أجساد أقويـاء كالأجرام الفلكية ، وسالت الدماء الغزيرة من ساحة المسامات ، وتنفس من كثرة طعن وضرب أسنة الرماح بالانوف الدامية من المصادقة ، وأبتليت الأرض من الثورة الدامية بمرض الطاعون ، وضرب ودق رقاب الرؤساء والقواد العظام بالسيوف المسلولة والأعمدة الثقيلة ، وقد تجدرت أرض « مورجة خورت » من صدمات قوائم الخيول السريعة وضوضاء الأبطال الكثيرين ، وزاد النبض من كثرة الدخان ، وفى النهاية أسرع الجنود جميعا السير لردع مادة الفساد ب « جند بيد ستر » ، سكنت حركة العـدو المشلول باقبال ملك المشرق والمغرب ، وطوى (العدو) رايته المنكسة من الانطواء على نفسه ، عندما ارتدع (أشرف) أسوار وشواطئ الاقبال ، وأصبح طريق النجاة مسدودا ومغلقا من بأس الأسود الكاسرة ، أسال فى لحظة دما أحمر من خيانة الدولة الفانية على الوجه الخاسر ، وعاد مرة أخرى فى كمال الأدبار على ظهر جمل قوى دخل « أصفهان » ركابا مقيدا وقت العشاء فى ظلمة الليل ، ظهر فى ظلمة الليل أصبح الكوكب شرارة (أخبط من

خاطب الليل) ، أخذ الأصيل والمختار المال الحديث والقديم من الاشراف معدن جوهر الحقير الوقح المختفى فى الكنوز والمستور فى الارجاء وحمل مع الأعوان الأشرار الرأس علىسرير الاختيار ، وملأ من غم التيجان العاجزة والمشوشة يد الحسرة على قساة القلوب من الألم ، ولطخ الوجه بالدمع الدامى :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فآب بلا أذن وليس له قرن

هرب ناحية « فارس » ، وأهال تراب الخذلان على مفرق العزة والشرف •

خنازير ناموا عن المكرهات فنبههم زمن لم ينم
فياقبحهم فى الذى خولوا ويا حسنهم فى زوال النعم

بعد ذلك ظهر الملك عالى القدر مثل البدر وسط المدينة ، وانعم بالشكر على هذا النصر بالذهب والفضة مع هناء العيش للأنصار الكرام ولكل أبطال الجيش وهمة منعم نعمة الأنعام لطيبة ، وصار كل بطل من الأبطال « طوس » (طوس نوذر) (٢) من الفضة والذهب ، و (زراسب) من الذهب والخيل ، وصار كل مروض خيل (افراسياب) (٣) ، وكل فارس صاحب عزة وكرامة صاحب خيمة وواسع الثراء •

الحاصل أنه فى السفر وزع على الجنود الأموال والغنائم التى غنمها ، وشرب أبطال النصر نخب التوفيق مع أسد العظمة ، ووفى العظيم والحقير نصيبه كاملا ، وجاء مجمل نصيب المقتنيات والغنائم أعنى من التفات الملك مالك الرقاب (أغنى من التفات عن الرفات) وصاروا سعداء وموفورى المال هنيىء العيش ، ثم أصدر أوامر منشورة وفرمانات مبشرة بشأن الفتوحات الميسرة لاحبار وسرور العلماء والعظماء ، وكان من جراء هذه البشرى المميتة للقلوب عمر مخضر وعيش سعيد ، ودخلت عروس « اصفان » من بين صفوف اللطف ، وزال الدهر الذى كان ينتظر ذلك اليوم الأبيض ، طوى العصاة أقوياء اليد القدم لطرف الثوب ، وسحب الطغاة والعتاة المتخمين بالأذى الكافى رغبة الكراهية والحقد ، وتطييبت الأفواه من فوائح ذكر محامده ، وسرت الأرواح من روائح رياح نشر مدائحه السارة •

---

(٢) اسم ابن منوجهر الذى أسر على يد أفراسياب وقتل مع معظم قواد الجيش •

(٣) إبن نودز وهو صهر كيكاوس ، كما أنه اسم مبارز ايرانى •

(٤) وردت فى مجمع الأمثال (أغنى عنه من التفه من الرفه) التفه هو السبع الذى يسمي عناق الأرض ، والرفه التبن ، ويضرب هذا المثل للذى نشأ فى نعمة فاذا وقع فى شدة لم يصبر عليها •

- ٩ -

بيان استئصال « أشرف الإفغانى »
بقهر القادر القدوس

« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » بعد أربعين يوما كانت « أصفهان » مقر جيش النصر ، وصل خبر انطفاء مصباح بصيرة (أشرف)، ونسى نتائج الحرب هذه المرة بمصداق « استحوذ عليهم الشيطان فأنسيهم ذكر الله » ، وأشعل مرة أخرى مشعل الجلادة بهدف التلافى والتلاقى فى « شيراز » ، انشغل بالثورة وجمع جيش المرتزقة والجنود الأشرار ، تحرك الملك الفاتح من بشرى هذه الغنيمة المريحة ، تجمد من شدة البرد حيث أن شدة بردة الشتاء نارى المزاج للمخمورين ، ونسج نساج الدهر لونين بسلسلة مطر أمطار الثورة المنسوج •

ويوم برد مد أنفاسه   تعبس الأوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده   لو جرت النار الى قرصها

ابتليت الدنيا فى عالم البرد بكابوس من الثليج ، كان يظهر خطوط أرض حدود بلاد الثلج •

امتنع الماء من المس   وأمكن الجمر من الجس
فلا يرى غير ذوى رعدة   أو مسلم يسجد للشمس

أظهر من كرة الثلج شكل برج الأسد نموذج الأسد الثلجى ، وحوصلة العالم معترفة بقلة الأوانى •

وشتاء يخنق الكلب فلا يعلوا هريره   كلما رام هريرا زم فاه زمهريره

فى يوم يجمد جمره ويجمد خمره ، صار البرد القارس مع جماعة الفرسان مثل « أفرس من تميم الفرسان » (١) بهدف تسخير « فارس » ، أصبح الفارس فرس الفراسة والذكاء ، وجعل نغمة افتراس فرائسه بسطوة الأسد المفترس ، ودخل « زرقان شيراز » •

---

(١) وردت فى مجمع الأمثال (افرس من سم الفرسان) وتميم هو عتبة بن الحارث ابن شهاب فارس تميم •

في يوم آخر ظهر (منوجهر) جنة أصل الشمس على عرش (جمشيد) الفلك ، جعل (الأفغان) « شيراز » ــ أشرزهم الله ــ لتشحيذ الحاقات الحديدية والاستعداد للصراع الجديد ، وأظهروا خيل الشجاعة بهدف التصارع والقتال وركوب الفرسان ، تعلقوا بأمر ملك الفرسان العبقرى والبطل الشجاع لتلك الطائفة بالسهم السمهرى والسيف السريجى والرمح الرديني والسهم الغيداقى والقوس الجاجى والخيل الختلى ، فاحت وراجت من زهور أسنة سهام ذلك الجيش الظالم الشجاع رائحة النصر ، وفاحت من الورود النارية لسيف الجيش المنتصر رائحة الفتح ونافة النصر ، وطلت الدماء الحمراء الأجساد البيضاء فى ساحة « زرقان » الحمراء ، ومن سهم الأبطال الأصفر أخضر الوجه مثل لون الكهربا واليرقانى بصنع الصانع الذى أشارة كافه ونونه من عين قدرة مبدع قاف حتى جبل « قاف » العالم كان يفتح بتأييد آل (طه) و (يس) الذى وجودهم علة انشاء «نون والقلم» ، في حرب ذلك اليوم كل ريش العقاب من منحنى دائرة القوس ، كان يجعل قامة العدو بشكل الدال ، كان يسحب كل همزة الخنجر التى هى قلم بنان المقاتلين ، كان يلقىّ بجماجم رؤوس العصاة المكسورة بخجل بجبل « قاف » مثل كاف النسج فى كل شق ، كانت أسنة السهام تمتص دم المخالفين من العطش ، كان يظهر سعة جروح قلوب الأعداء أضيق من حلقة الميم ، كانت قامة الطغاة مثل الألف الكوفية معوجة من طعنات السهام الواسطية ، حك قفا رقب البغاة حصاد موقعة الشجاعة بسيف ملامة طول الدهر ، أخذ السهم القاتل صادق الهدف مثل التالف مع عين الأعداء ، قلب راية العدو المنكسة ، صار ضعيف الرأى فى ساحة قيامة الزاى « كمن باء بسخط من الله » من حملات الأبطال بصورة الياء ، صار حاجب عين العدو من امتزاج الدماء الغالية ساكبا للدمع ، انحنى القمر تحت أقلام أسنة الرماح وقوائم المراكب بشكل دائرة النون حتى غروب الشمس المنيرة بدون كلام « ومن الناس من يعبد الله على حرف » ، كانت كلمة الحرب والقتال بحد السيف الحاذ الذى فى الوسط ٠

حروف هجاء الناس فيه ثلاثة　　　جواد ورمح ذابل وحسام

كان يترك البراهين القاطعة والحجج الساطعة فى ابطال وجود الأعداء بالمحاجة من حد السيف وفوهة المدفع وطرف السنان الحاد ، أصبح صوت القلم سريع الكتابة لرشق ورماية الأبطال فى ساحة التدريب الميدانى ، كان يسمع لأول مرة روح الأعداء من صوت قلم السهم ومساعى قامة سيف الكلام ، وكان يكتب بحد السيف القاطع يد وساعد السعداء ، وكتب لوح طالع كل انسان تجاه العدم ٠

عندما رأى الأفغان أن التبن لا يمكن أن يعلق على طريق الماء الجارى وبخيال عصا مسقط الشمس ، هزموا من حملات رماة المريخ مثل رمى (آرش) (٢) وأسلوب (كسعى) (٣) ، ومن المتمكنين من رماة جعبة (شغاد)(٤) وفن (آهوز) (٥) مهارة الوجه مثل الشيطان مضيىء القلب محترق الروح من ضرب ورجم الشهب اللامعة ، عادوا هاربين بالثناء مع الفئة الباقية ، ودخلوا « شيراز » ، ثم ظهر (أشرف) من شرفة التدبير، وتقدم من تلك الورطة الهائلة لطريق الخداع « يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا » .

أسرع (ملا صديق) و (ملا زعفران) للعتبة (النادرية) لطلب النجاة والعفو من الزلات البادرة منهما ، تحصنا بحصن الامان ، كانا يقولا كيف حالك فى ظلمة المساء ؟ وقت انسدال ستار سواد الليل يكون غراب اللوم حالك السواد ، جعل طائر العهد المرفرف يطير ، فقال غراب البين لهما الدولة (ركب جناحى الطائر) ، هرب أول الليل مغنى الأنحاء ، فى نفس ظلمة الليل (أجبن من نهار) لم ينشغل بحمل الأحمال ، نثر بلا تحمل وسائل التجمل ، ودع الجنون بجيش الملائكة ، واتباع واشباع بلا روح وعقل وحب وامنية السرور من ناحية الألم والجراح ، هاجم الحمار هجمته (وهو أشأم من حميره) ناحية الفرار ، هرب من طريق « نسا » (رجع على حافرته) .

أدرك حراس القلاع والقواد (أبصر من زرقاء اليمامة) (٦) وعقاب الملاع هزيمة « الأفغان » ، وأوصلوا طبيعة الموقف لمسامع العظيم ، بعد ذلك أظهر (ميا صديق) (٧) الصبح الصادق بطريقة الهنود من شفق الزعفران على الجبين الصندلى ذو اللون ، الأسود .

كان موكب الملك فى بداية بزوغ الشمس ، وظهور نور الصباح مثل سيل الأمواج والبحر العجاج وصوت السحب والرياح المتهدجة والمتعاقبة ، عندما وصلت الروائح الطيبة لديهم والمسك المشؤم لأنوفهم ، ضغط (ملا محمد مياجيو) بجماعة « الأفغان » الأبطال فى جسر « نسا » بقدم

---

(٢) اسم رامى سهام ايرانى أسطورى ، حيث قيل انه قذف رمحا من آمل فوصل حتى سارى لتحديد حدود ايران وتوران .

(٣) اسم محارب من بنى كسع .

(٤) اسم شقيق رستم بن زال .

(٥) اسم رامى سهام عاش فى عهد نو شيروان .

(٦) زرقاء اليمامة من قبيلة جديس ، وكانت تبصر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام

(٧) وردت فى النسخة الأصلية (ميا صديق) ويبدو أن أصلها مياسين وهى جمع ميسان بمعنى النجم المضىء ، وقد أرسله أشرف الأفغانى محملا بالهدايا لنادر شاه .

الثبات بمفاد (أشدد حظبى قوسك) (٨) ضرب يده على جعبة الجلادة ، عندما كان السهم الفائق مشغولا بالدفاع بساق سريعة (أصرد من السهم) ، وأصبح مثل قوس الظهر للعدو فى ضوضاء القتال ، تزين المقاتلون الأشداء بالسيف البتار والسنان المصقولة للضرب والنزال ، وأظهروا فزع اليوم الأكبر قتل عدد كبير من جنود الأعداء وانسحب بـاقى الجيش من فرط الخوف الى النهر بمدلول « فخسفنا به وبداره الأرض » ، وظلوا فى الوحل مثل الحمير ، وقتل البعض بحد السيف البتار ، وقلة تأخر أجلهم حيث أنهم نجوا من الطين والوحل وحد السيف ، وفروا من معركة الحسرة ، وهلك الجميع من فتيات وجوارى وغنائم حتى الأطفال الرضع والكهول فى تلك الكارثة المخيفة الطافحة بالماء والتراب والذل ومساقط الهلاك ، اقترن أبطال السرو جكل العالى بالطين والوحل ، وأصبح النساء العجائز بمضاجع (رودابة) ، فهم الأبكار نموذج الضربة القاتلة ، تصادف أن يكون كل أنثى للذكر الذى كان متذكرا لتهديد « فهل من مدكر » ، كان يخبر كل حسناء فى غمرات الهلاك أن مضمون « بئس الورد المورد » ظهر بموضع « ان الله مبتليكم بنهر » ، كان قد أسقط لفافات حريرية أصلب من الصلب فى ساحة القتال « فأهلكوا بالطاغيـة » ، واختلطت أثواب حرير جسد الشريفـات مثل الحصى بتراب الصحراء « فهل ترى لهم من باقيـة » ، وارتبط بالحسرة على المتاع والأصدقاء صياح وعويل « الأفغان » بالفلك الدائر ، بسط قديسو الفلك ــ فلك الحامدين والراقصين ــ بساط النشاط وفراش الانبساط ، وفى ذلك اليوم انطفأ نار عمر (مياجيو) الذى كان على الحصان ذى الحافر النارى فى ساحة صحراء « آذربرزين » بنار معبـد « آذر مهربرزين » فى تراب الهلاك بحد السيف ، أسرع (أشرف) الشرير من طريق « كوير » (أنزى من ظبى) ناحية « سجستان » ، أمال العنان من هناك بالرجاء والخوف لأطراف وأنحاء « خاران » و « رخشان » من توابع « بلوجستان » ، أرخى لجام الخيل ، وأسرع الى ذلك الاتجاه خائبا ومجرما ، سار فى أواخر شهر جمادى الثانى عـام ١١٤٢ هـ لحدود « كرمسير » بحالة سيئة تجـاه « بئس المصير » ، أحس أن الموت من سيف جماعـة (البلوج) واضحا مثل السكر الأبيض ، أوصل الى الثريـا من التراب أغنية (العجب كل العجب بين جماد ورجب) ، وظهر بشأنه وبشأن أعوانه صورة بمصدوق « تلك أمة خلت » « ولولا دفع الله للناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

---

(٨) يضرب عند الأمر بتهيئة الأمر والاستعداد .

وازاء هذه الخدمة أضاء صبح اقبال (البلوج) ، وصار طالع أهل « خاران » و « رخشان » من شعاع شمس عناية الملك الراعى ، كان قد نظم فى ذلك التاريخ — تاريخ قتل (أشرف) — الفاضل النحرير (ميرزا قوام الدين محمد القزوينى) ، كان ينسلك فى هذا البيت المنثور :

الأشرف ســل سيف بغى وسرف   واشتدت به المحنة فى كل طرف

لما أفضت المدة لم يستأخــر   أرخت هلاكه ب « قتل أشرف »(٩)

— الساقى يمــلأ منهــا الانحــاء

— يفرغ المملوء ويلء الفارغ ٠

بعد ذلك وجد أن نسخة نثر أوضــاع « شيراز » محبوكة النظــم ، فسار ناحية « شوشتر » لاعلاء لواء البطولة للدولة العظمى ، نظرا لهجوم العرب على بلاد العجم ، فقد اتجه أبطال تلك الطائفة من « هويزة » الى ضواحى « خراسان » ٠

---

(٩) عام قتل اشرف الافغانى بحساب الجمل ١١٤٢ هـ ٠

- ١٠ -

بيان فتح أروميه وتبريز

« لينصرن الله من ينصره أن الله قوى عزيز » ، لما كانت « نهاوند » مجمع جماعة من العظماء والأعداء الأتراك ، بعد دخول حدود « بروجرد » ، جعلوا أساس موكب الهمة الخيول الهوجاء ذو العقل المدرك في صحراء العزيمة ، عندما عاد طائر الشمس الذهبى لوكره من فضاء الدنيا ملون الوجه ، وأحضر غراب الغرب ضياء الشمس تحت الجناح ، ظهرت صغار الأنجم في جناح الليل بجناح الظلام وأجنحة العقاب بهدف معاقبة الأعداء ، بسط ظل ملك الفأل جناح علم الهما والأبطال العظام الذين ضياؤهم ألمع من الكواكب فى ظلمة الليالى ، وجعلوا ركض الخيل برق اليمين وريـاح الشمال .

تسرع حتى قال من شهد الوغى لقـاء أعـاد أم لقـاء حبائب ؟

عندما امتزجت رائحة مسك « والليل اذا عسعس » برائحة كافور « والصبح اذا تنفس » :

سل سيف الفجر عن غمـد الدجى وتعـرى الصبح من ثوب الغلس
وانجـلى فى حـلل فضيـة ما لها من ظلمة الليل دنس

وهرب جيش ليل الظلمة وجيش سواد الليل ناحية الاختفاء .

كأن سواد الليل زنج بدالهم من الصبح ترك فاستكانوا الى الهرب

وصلوا لحدود « نهاوند » ، ونفخوا فى النفير ، وتركوا بوصة السهم الآزنى للعزف على الناى الرومى ، ررفعوا يد الانتقام ، ومشقوا السيف اليمانى بالصولة والعظمة انتشر « الأتراك » بمجرد تحرك خيول الأبطال » كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف » ، واختار ترك الصبر والسكينة (والقيام بحملة لمحو عار الفرار) ، وبالهجوم أصاب الجميع عار الفرار ، وأداروا الوجه لوادى التوارى والبوادى ، وأصبحت « نهاوند » و « همدان » فى حوزة حـدود الاقتـدار ، واختير لتسخير « كرمان » جماعـة أبطال من « همدان » الذين كانوا يعتبرون ماء نهر السيف فى حلق الحقـد نهر ماء

صاف ، رغم أنه لم يظهر وفقا لتقدير اقبال المعين ، لكنهم تغلبوا آخر الأمر بيمن الدولة العلية .

بعد عدة أيام وصل لمسامع الاقبال أن الجيش « العثمانى » جعل « مياندواب » — التى كانت مسكن الطائفة الأفشارية — مرتعا للدواب ، ونصبوا فيها معسكر اقامة الفرسان والمشاة ، وأصبح المهدم مثل غراب الليل وقت ظهور القمر بفحوى (سر ولك قمر) (١) (أغشم من السيل) و (أسرع من فريق الخيل) ، توجهوا لقطع الوادى المقصود « بقطع من الليل » منحوا بسوط الهمة خيل العزم وومض البرق وحركة ريح الصبا ، فقال الزمان :

أبدر ترائى فى دجى الليل طالـع   أم الشمس أم نور لروضة ساطع

عندما ظهر صياح ديك السحر من دجاجة الليل الداجى ، ألقى راية عقاب الجسد ظل الوصول على أنحاء « مياندواب » ، وأصبحت تلك الناحية مركز مراقبة مقدمة الجيش المنصور ، عندما رأى جواسيس الجيش « العثمانى » ، عرفوا ذلك الغبار ، وأدركوا دخول جماعات الغزو ، بدأ « العثمانيون » القتال بصورة جماعية وبسيوف مسلولة وبتارة ، فلما فجر الفجر أنهار النهار ، ونفر نفير غراب الغبار ، وظهر فى الصديع الصدع ، وانكشف قناع النقع ، ووفد وفود الطليعة على الفود والطلع ، فيومئذ وقعت الواقعة والواقيعة فى الوقع ، وتيقظت عيون الجعاب من تغيظ الأوتار ، ورنت المرنان ، وغنت الأوتار ، ورقصت مران المراد كجلاء عرايس الجلاد ، وبرزت حدود البيض كالخدود البيض من ملائها فى الملاء عارية ، ورتعت السمر فى كلاء الكلى راغيبة وراعية ، فلما سل غرار السيوف سلب قرار الصفوف ، وكلموا جرحوا وبرح بهم حر الحرب فبرحوا وأعجزوا وأزعجوا ، وكلما ساروا وشدوا وأسروا وشدوا وذلوا وخاروا وضلوا وحاروا وناشبهم النشاب ، فعادت أسودهم قنافد ، وضيقهم السهام فوسعت فهيم الخرق النافذ فحسف بدورهم وحصر صدورهم ، وأحيط بهم من حواليهم بمن حولهم ، ودارت دائرة الدوائر عليهم بحيث ما دبت منهم نملة ولا ذبت عنهم حملة .

ضرب الجنود « العثمانيون » بسيفهم العجمى على الماء الصافى من الخوف ، بلغ للبعض سيل الماء من الرقبة العابرة ، وجاء للبعض قطر ماء نار السيف من الرأس العابرة للرقبة ، لم ينطفىء جريان السيف الذى هو بادرة الشر الا بذلك ، جرى نهر الدم ، زين حوض الدم بالسيف الوضاح ،

---

(١) يضرب فى اغتنام الفرص . الميدانى ، مجمع الأمثال ، جا ، ص ٣٣٥ .

أسرع الفارون من الموت تجاه « تبريز » ، عاونت الخيول العربية كثير من « العثمانيين » ، حيث أن الخيل السريع استطاع أن يوصل القلم لنهاية صحراء حكمته ، خدع (فرخ خان مكرى) طائفة « مكرى » ، وأظهر فجأة مراده من الظلم الباطن ، حيث ظهرت (آثار غش القلوب يظهر فى فلتات الألسن وصفحات الوجوه) ، كما قال الزهير :

متى تك من صديق أو عدو يخبرك الوجوه عن القلوب

طهرت ناصية أمرهم فى مثل (عينه غلبه فراره) ، لكن ظهر فى مدارج ذلك الحال صحف مبنية على النفاق ومظهره للشقاق ، أعطوه فى الحضرة الملكية « اقرأ كتابك » عندما لم يستطع انكار ذلك الأمر — رغم أن المترجم لم يظهر العجز عن الترجمة لخيانته وجرمه — صان دمه من اثم الاراقة ، لكن عندما رأى أن قلع عينه واجب فرض ، فضل العين المبصرة على صرة الذهب ، جعل الناس يبصرون بباصرتهم لحظة اراقة الدم ، مال فى لحظة ميل نفاق عين مقصده ، ونال وجه مراده بأمنية نيل المرام ، توجه فى اليوم التالى الى « تبريز » بهدف قتال « العثمانيين » الذين كانوا فى « دهخوارقان » :

ان اللديغ لحاذر متوحش يخشى ويرهب كل حبل أبلق

بمجرد أن تحرك الخيل الأبلق ، كان الفرسان يلقون الشباك ، حيث أن كل فارس منهم (أشهر من الفارس الأبلق) ، سحبوا أنفسهم لجبل « مرجان » ، نشروا بالسيف أجزاء من زمرد الجسد بطرف حافة المرجان لسطح جبل « المرجان » ، وسال من يواقيت أسنة السهام الياقوت السيلانى ، وارتفع ثمن العقيق الجكرى فى سفح الجبل ، كان يسير كل سائر (سام) الفارس أحقر من (زال) من خيل الوجود ، كان يأسر كل شجاع وحقود (كالجمل الأنف) ، لم يدرك « العثمانيون » أن نهاية قوة السيف نار مضرة لـ (يلان) ، وهزموا ، وصارت حدود « تبريز » محط خيمة العز والشأن ، وفوض ولاية ذلك المكان لـ (بيستون خان) الذى كان من قواد « الأفشار » ، بمدلول (اذا تولى عقد شيىء أحكمه) ، انشغل بفهم واستقصاء الأمور ، وقضاء وانهاء مصالح الجماهير ، وتجميل الأبرار وتخميل الأشرار ، ورفع الأحمال والأوزار ، والجام الأشخاص الطامحين ، وتعقيل النفوس الجامحة ، وتقصير الأيادى المتطاولة ، وتطويل الأيادى المنعمة ، وتخويل وتفويض ذهب الجيش المهزوم لـ (بيستون خان) ، وتوزيع غنائم « العثمانيين » على جيش الركاب ، كما ذهبت بقية الأمتعة والأموال — التى من اسقاط الفئات فى أطراف المجتمع للخزائن الملكية — لـ (بيستون خان) .

في ظاهرة هذه الأمور ومصادر هذه الشئون ، جاء (أحمد باشا)
والى « بغداد » ل « كرمان شاه » بالمدد والجند لاغاثة « العثمانيين » ،
تزعزع من سماع خبر الجيش الجرار من مقام الاقامة (أسرع من الزعزع) ،
أنشد بحال مضطرب وبال خائف وروع مشتت وقلب عاجز حزين نادم ،
وبأنفاس باردة ، ودموع ساخنة أغنية (العود أحمد) ، عندما رأى أنه
بعد عن جده وجهده المقصود ، أسرع ناحية « بغداد » .

كان نجم قصد تسخير «ايروان» قد ظهر فى أفق ضمير الملك البارع ،
بعد عدة أيام أصبح خبر الحادث المؤسف والواقعة السوداء ل « خراسان » ،
قارعة قاع مقارع الأسماع ، وباعثة على الفزع والجزع ، وتعين وجوب
عودة اللجام وإياب موكب النصر .

- ١١ -

بيان حرب « ابراهيم خان » مع الأفغان وهزيمته من تلك الطائفة اللئيمة

« ذلك تقدير العزيز العليم » ، رغم أن (ابراهيم خان) كان شقيق الخاقان السخى ، الا أنه لم يكن له حظ فى أمر القتال ٠

ليس قدامى النسر كالخوافى ولا تـوالى الخيـل كالهـوادى

وفى المثل (ليس قطا مثـل قطى) ، نصف ذلك فنقول : تغـاضى الملك الفاتح فى عام سابق عن أفعال « الأفغان » العصاة ، عامل الجميع بالحسنة ، وأخمد لهيب الجـدال والقتـال ، كان قد أعاد وفقـا للعهود والمواثيق زمام شئون « هرات » لـ (لله يارخان) غير أن هذا الجمع الماكر أسر العداوة والبغضاء فى القلب بمؤدى « بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » بخداع « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا » ، وأصبح مصدر مداول « ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجو فى طغيانهم يعمهون » على خلاف انهاء « لا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم » آثار « وما وجدنا لا كثرهم من عهد » ، وأظهروا مع الجميع وقـع أقسام القسم ونقض الايمان من نقص الايمان « يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون » ، واتجه فى نفس العام بقصد مهاجمة « خراسان » ، وسل السيف المؤذى وبسط ايوان دولـة الفلك البساط القالى « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » لم يتفق ويتعاون (الله يارخان) مع هذا المكر « قال انى لعملكم من القالين » « وما آمن معه الا قليل » ، فأخرجه « الأفغان » من الولاية ، وأحضروا (ذو الفقار خان) من « فراه » ، ونصبوه على رأس حكومة القـدرة ، وصار وسط النـاس صاحب العزة ، « واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون » ، وصل لأذن (ذو الفقار خـان) صوت بوق « وجعلناكم أكثر نفيرا » دوى مثل طبـل الريح ، وعزف نفير المنافرة وطبل المناقرة ، وتجرأ سيف العداوة القديم بيد « الأفغان » ، وتحركت سلسلة الرغبة لديهم لغزو الأراضى المقدسة ، وأظهر « الأفغان » بشرى « ان جندنا لهم الغالبون » ٠

« الأفغان » أيضا « فالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين » ، بعد ذلك جمع (ذو الفقار) جمعا غفيرا « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » من سوء النية نزل فى ناحية مزار « خواجة ربيع » الذى يبعد فرسخا عن المدينة ، قيد ناقة العزم بقيد التوقف ، وألقى المدينة بمضيق الحصار ، تطاول وهاجم بأماكن خارج المدينـة جميع قـرى وضواحى مجال خيـل التطاول والقهر ، وأغاروا فى الدير والدار والكهف والغار بجيش مهلهل ، وأشاعوا الوقاحة والشناعة للنساء والأطفال المسلمين السبايا والمولودين ، وأشعلوا شرارة الشر ، واحترقت الأنفس والبيوت من اشتداد لهيب الحقد ، وجرت أنهـار من الدماء ، واحمرت الناحية من دماء الزراع والفلاحـين ، وأشعر ذلك على فحوى « من أصوافها وأوبارها وأشعارها » ، وصار نهبا للأحداث ، وأصبحت جميع المزارع والبساتين « من جنات وعيون وزروع ومقام كريم » مداس أقـدام خيول البغـاة ، ودخل الأبرار تحت وطـأة الأشرار ، وسقطت بذور الحبوب من الأرض ، خطف وسرق قطيع الغنم والخيول (كلابر متها) .

- الناتج من هجوم تلك الجماعة أن اتصفت أطراف المدينة بصفة أرض جرداء ، لم تخضر من سلاميات خيولهم قطعة الأرض بسلام ، وكان يختفى كل يوم بنفس الطريقة فى مكان الضرب والصيد ، وكسبوا الغنم والغنائم ، وأثاروا الشر فى ناحية الوادى وجوانب من الوجه الوقح بجرى الخيول ، كان يظهر دائما فى سهل وجبل الفساد والمكر والنهب والقتل من مشاة وفرسان تلك الجماعة الماكرة ، رغم أن (ابراهيم خان) قد سمع آنفا عن قمةسما ء ضمير الهام قبول الطاعـة الملكية بشأن المواجهـة خطاب « يا ابراهيم أعرض عن هذا » ، كان قد أمر بأخبار العارف العقل الملكى عن أنهاء المنازعة ، ولاحظ حكم (أن المحاجزة قبل المناجزة) ، فى اشهار السيف احتياط ، وصار وحفظ أصل المدينة ، كان يتعامل مع تلك الجماعة بمضمون «فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى كانوا يوعدون» سيجعل ساحة « خراسان » عما قريب مخيم سرادق الجلال ، (لتجدنى بقرن الكلا) ، وسيتموا قصر الدولة المكافأة اللائقة « سيجزون بما كانوا يقترفون » .

ـ كانت العديدات غمزة ودلال سهمى القد

ـ تأتى بجـلال سرو الصنبور تتبخـتر .

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا ... على فضـــاء الله ما كان جالبـا

ويصغر فى عينى تلادى اذا انثنت ... يمينى بادراك الذى كنت طالبـا

لكن (ابراهيم خان) بمضمون « لا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم » كان يعتبر أمر العظيم فى مذاق الحقيقة (أحلى من الناصح) كان (أمر من وعظ الناصح) كان يلزم لآلىء سلك هذه النصائح (أحسن من شنف الأنضر) التى قرط حافة الأذنين والقلب وحلقة القلب ، صنع حلق أذن النسيان ، بل بعد ذلك ألقى بالأذن ولم ينشغل بالمتاع ، رفع فى أنحاء « كوه سنكين » راية النزال والمبارزة كل من هو فهد فى البر وتمساح فى البحر ، ونمر فى الجبل ، وأسد فى الغابة ، وثعبان فى الغار ، وسمندر فى النار ، وعنقاء فى جبل قاف ، كان خائفا من بأس أبطال « خراسان » مثل شعاع الشمس ، لكن عندما كان مقدرا فى تلك المعركة أذى الغزاة ، لم يرض البعض فى مقام فداء نقد العمر بلا بدل البذل بحقارة الفرار من ساحة القتال الذى هو أسلوب أنذل النذلاء ، وصاروا من بحر حسن النية جالب عقد اللؤلؤ (التجلد لا التبلد) و (والمنية لا الدنية) ، وألقى البعض من الخوف الحرية المشبعة بالماء لرأسها بجوف قناة الماء ، وأغرقوا مكتسب الشهرة والشرف ، وجرى بدلا من الماء دم الجناة الحقراء من مدخل القناة ، ونظم عقد وقنوات الخراب والعمران بلآلىء الأبدان المستديرة ، وشاع من المضاربة الضارة جدا هذا العراك فى ناحية « خواجة ربيع » بيع جنس الروح من سيف جيش العدو ، وسقط من تجارة بلا تجارب هذه الحرب نقود الأعمار من عملة الاعتبار ، وأصبحت فى طريق الفناء صرف مصارف الصروف ، تنازلت مخازن الوجود للشاب والعجوز وحبات الحياة الصغيرة والكبيرة باشعال نار حرب الأسعار ، وأوصل المساكين من ثمل الحقد صياح العويل والأنين للفلك ، وفتحت الأرامل الصائحات من حوادث الزمان اللسان المشبع بالسب واللعن وفم الملامة غير الملائم (قد ذل من بالت عليه الثعالب) .

- ١٢ -

بيان انصراف الموكب النادرى ناحية « خراسان » بهدف الاقتصاص من الخصوم شديدى الخصام

« والله عزيز ذوانتقام » عندما كان قواد « خراسان » الذين اشتهروا بالمبارزة مثل الشمس فى الآفاق ، كانوا يخافـون من جواب هذه الغفلة الصماء من اللوم المشرف ، جعلوا الأمير (رضا قلى ميرزا) واسطة العرض ، فى أوائل شهر صفر وصل هذا الخبر بأن خيول الأمير تتقدم تجاه الملك ذو الطالع الحسن ، عادوا بهدف المكافأة على تأديب هذا الفوج المعانـد ، ساروا بجيش ثائر وجأش ثابت وقلب دائب ورأى ثاقب وحزم شامخ وعزم راسخ ٠

عزمات يرصـد منها رضوى ويكاد الوليـد منها يشيب

فلشمس النهار منها وجوب ولقلب الزمـان منها وجيب

شقوا الراية السعيدة وسلكوا مرحلة وادى « فانا منهم منتقمون » ، سلك بدر لواء محطم الفلك بحكم « سيروا فيها ليالى وأياما آمنين » للمدن مثل القمر المنير للدنيا « غدوهـا شهر ورواحهـا شهر » برسم الاسراء والتعريس والتأديب والتغليس ، جعلوا فى أواخر شهر ربيع الثانى التقدم ل « مشهد المقدسة » بالطلعة البهية ثانى الربيع السعيد ، تبختروا لمأنس الدولة ، بعد ذلك اهتموا باصلاح مصالح الأهالى وابهاج قلوب الصعاليك والأشراف ، ونظم سلسلة « أفشاريـة » « آذر بايجان » و « خراسان » واحياء قبائل الأطراف والنواحى ، ومن هذا القبيل القبائل والطوائف على الوجه الكامل ، عاش من لطف شهرته اسم عشائر « العرب » و « العجم » ، وطوى من كف يدى جواده عـادة (حـاتم الطائى) ، ومر كل رئيس من رؤساء العشائر من أعلى لأسفل وفقا لعادة دستور من النظر مثل الشمس ، وانسلك جمع كثير منهم فى سلك ملازمى الركاب ، وحددوا وعاينوا بقية الأماكن التى وصلت اليها الشمس والتى لم تصل اليها والأماكن المشمسة والمصياف والمشاتى والمراعى والسدود والعلفة والمعلوفة والمعالف والمراعى « ولهم فيها منافع ومشارب » ومواضع « رحلة الشتاء والصيف » ، « وربوة ذات قرار ومعين » فى الوادى وسفح الجبل ٠

اذا حضر الشتاء فانت شمس وان حضر المصيف فانت ظل ٠

- ١٣ -

بيان عرس رضاقلى ميرزا بلطف الله جل شأنه

« وان علينا بيانه » عندما كانت درة العظمة جوهر صدف السلطنة وابنة عطارد منظر أسرة العصمة والعفة ، شقيقة قدسى الحضرة (الشاه طهماسب) ، خطيبة الأمير (رضا قلى ميرزا) ، تدلت فى شدة برودة الشتاء زينة عقد اللؤلؤ البللورى على قامة الصنوبر والبلوط وهياكل الورود (وما أحسن شمائلها وكلاكها) ، تزين وجه الأرض ببياض ماء البرد ، وأحاط كوشة العالم بمرآة الأسر ٠

الثلج على ذوائب الأغصان قد قرطها قلائد المرجان
ان مر بها الصبا تهاوى بددا كالنور تساقطت على الأفنان ٠

زحف من شدة البرودة العرش تحت الكرسى ، وسحب الفلك السنجابى صوف القاقم على الرأس ، ونهض المحكومون بحكم العظيم لاعداد طعام العرس ، وزينوا مجالس الضيافة المليئة بما لذ وطاب من أنواع الوسائل التى تطلبها القلوب فى كمال الحسن والكمال ، وتيسر فى محفل هذه الدنيا الطرب وعيش « الأتراك » و « الأوربيين » بلا مشقة وعناء ، ورأى (ابن طباطبا) (١) — القائل فى الأيام السالفة — ليلة ليالى هذا العرس فى مرآة الاستقبال ، واظهاره بهذه الأشعار وصف حال :

وليلة أطربنى جنحها فخلتنى فى عرش الزنج
كأنما الجوزاء فى جنح الدجى طبالة تضرب بالصنج
قائمة قد حررت قصفها مائلة الرأس من الغنج (٢) ٠

اقترن فى ليلة أجمل من نهار الربيع وأكثر جاذبية من صباح العيد وجمال الغيد من يوم ربيع جميل وأحب من صباح العيد الجميل الرقيق ، وزمان مقترن بالفرح ، وساعة منزهة عن الضيق والغم ، اقترن برج

---

(١) ابن طبا طبا العلوى ابو الحسن محمد بن أحمد ، من نسل الحسين بن على ابن أبى طالب ، ولد فى أصفهان وأخذ العلم عن أئمتها وتوفى بها عام ٣٢٢ هـ ٠

(٢) هذه الأبيات من أشعار ابن طبا طبا العلوى ، يصف فيها ليلة ممتعة ٠

السعادة بالزهرة الزهراء • تمت هذه الزيجة فى ليلة الحادى عشر من رجب ، حيث سارت عروس « الصين » الجميلة بالبركة والشرف ناحية (رضا قـلى ميرزا) ، ازاح الدهـر العابس ثنايـا الجبين عن ذلك العيش المحبوب •

قد طلع البدر من الزهـرة فى دولـة مونقـة الزهـرة

فأضحت الحـرة مقرونـة بالحر فى دولته الحرة

لا اعقبـا من فرحـة قرحـة كـلا ولا من حبرة عبرة

كان قلم المؤلف قد أنشأ خطبة فى هذا الموضوع ، وجاء انشاؤه لائقة بهذا المقام ، وهذه هى : تظهر حمرة الحمد حيث تكون عذار العذراء للورق بأجمل وجه ملون ، وتتزين حمرة الشكر على وجه العروس المحبوبة بأجمل صورة ، الجمال الجميل لائقا بحضرة ذو الجلال الذى تصبح السماوات السبع فى حرم حريم صنعته شاهدة كل زينة من قمره وشمسه حلى ذهبى فى الجبين ، وشرف شمسه فى الرأس ، والبدر المضىء فى خلوة قدرتـه محبوب قمرى الطلعة ، يكون الليل المظهر للنجوم والفلك المكوكب مثل النسيج الحريرى المتموج بالألوان خيوطه الذهبية فى صدر طرة ظلمة الليل من العبير المنثور مزين صنع لامثيل له ، كان يظهـر حمرة الشـفق وبياض الصبح من وجه صورة شمس عذار النهار من مسك صنع زينة لطفه الدائم ، ومزين عنايته لعروس الشمس الجديدة ، فى منظر فلك الرواق العالى يطل كل صباح على رأس وعاء الأفق الفضى ، كان ينشر مزين الكوشة مرحمته كل ليلة من نجوم السماء وكواكبها مثل الدرر والجواهر على هيئة الشوبـاش على رأس الكواعب الأتراب ، وكان يصب على رأس خليط لبن وسكر الفجر من ضوء شعاع الشمس ، ونثر على طرف الخدود عظمة وشأن الفلك من سلك تريا العقد المتدلى صورة زينة ابداعه حليـة ذهبية من النور والعبير المسكى من الليل المظلم بجبهة ذؤابة المحبوب فاتن العالم ، ومنحب زينة ابداعه من كأس الشمس الذهبى على حاجب سلمى الهلال ، وجعـل الشمس المنيرة فى محفل قدرته وميض النور من ظلمـة الليل الكحلى كحل بعين المعشوقات ، جعل شاهد الديباج والحرير وزهر جبين القمر فى مجلس شهود آثار جلاله ، زين كف الخضيب من لون هبة حناء عاطفته دائما فى خضاب ومزين مكرمته فى قبة فلك الشمس رسام قبضة الشمس زواج الأباء العلويين (٣) بالأمهات السفلية (٤) من نتائج

---

(٣) كناية عن الكواكب السبع ، وهى زحل والمشترى ، والمريخ ، الشمس ، عطارد ، القمر ويعتقد القدماء أن لها تأثير فى مصير الانسان •

(٤) العناصر الاربع هى الماء ، الريح ، التراب ، النـار •

حكمته البالغة ، والأطفال المواليد من رحم العدم وليد صنعته الكاملة مصورا صنع بديعة بمصداق « وصوركم فأحسن صوركم » وصور مادية الذكور والأناث ونقاش فيضه المنيع برقع كشف خفاء وجوه عرش العدم « الذى يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » فى قصور بلا قصور وجود طالع المولود جسم بلا روح عقد الارتباط فن ، وفى غرفات مناظر الوجود أخلاط أربع حسن الاختلاط منه ، ومن لطفه الجسيم آنسة نبات كل عشب معروف لتراب الأرض ، ومن فضله العميم ابنة كل شجرة تحمل ثمر حمل فاكهة حلوة ، وقوائم جميلة للأشجار زينة الجمال والخضرة فىالحضن وبرعم شفاه الثمار والأزهار خيمة بيضاء عصمة منه فى الرأس •

- القى نحو البحر قطرة من السحاب
- قذف من خلفـه نطفـة فى البطن
- ليجعل من تلك القطرة لؤلؤة امتلأ لنا
- ومن هذه الصورة سروا باسقا •
- وليمنح النطفة صورة ملائكية من قد شكل الماء •

« سبحان الذى خلق الأزواج كلهـا مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » زينة صور وكتف انسان الفكر وحلية رقبة وأذن غوانى المعانى البكر حلية ظاهرة للعظيم وأصـل نادر الوصف ومنقبـة الجناب العالى النسب ، الأسمى اللقب ، الذى تحمر وجه الكونين بحمرة زينة شفاعته، وتكون العالم وولد بنى آدم من بطن العدم بطفيل الحضرة المفترض اطاعته•

- لو لم تكن ذاته الطاهرة سببا للخلق
- لكانت للأبد حواء عاقر وآدم أعزب •

أعنى النور الطاهر والضياء المنير ، أفضل أبناء أم التراب ، وعظيم سليل أسرة الأفلاك ، سيد ولد آدم وأصبع النبوة ، أشرف خاتم (خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء عليه من الصلاة أزكاها ومن التحيات أنماها ما دام الأثنان زوجا والنيران يدوران حضيضا وأوجا) وتحف تحيات صـدق الانتماء ودرر ثناء مظهر الدر،وناثر بلاط درر أربعة فلك الخلافة (٦) والذرية الطيبة الأصلاب رسالة الريح ، أن عرائس العزة والجاه تدوم ذاتهن المقدسة

---

(٥) المواليد الثلاثة هى الحيوان ، النبات ، المعادن •

(٦) المقصود هنا الخلفاء الأربع •

في العقد ، مفرح الدنيا ضوء قمر في جناح حرم جـلالهم عيب الجاريـة الجميلة المشهورة ، لم يسمع حجاب قصور الملكوت عن قصورهم في آداء خدمتهم في حجـاب كوشة الخجـل ، رجال الطـريق الأحـرار عقيدتهم تستوجب تزوجهم من حور العين ، العجوز القبيح التي هي أم الفساد مثيرة الفتن ، القبيحة تخمن وجود الزوج ، نفوسهن المقدسة مطلقـات بثلاث طلاقات ، وبيمن ايجاد وجود جوادهم العنبرية وحلية جوهر رسم الليل ، ومرآة الصبح البللورية ، وسوار القمر الفضي ، وطرق الشمس الذهبي ، وتاج المشترى الذهبي ، وبرج وسور فلك الأفلاك ، وجارية وغلام الزهرة وبهرام حق الصداق لأمهات العنصر ، وبعد الغرض من رسم هذه اللوحة الجميلة ، وإيضاح زينة هذه الصورة السارة ، أنه من حسن معنى طعن لوح لجبين الفضي للحسناوات الجميلات ، ومن نقط وحروف غرور أمـر خط وخال وجه الحوارى الملائكيات الوجه ، تلك التي مثل وحدانية مختص ذات الله الصمد ، وفردية تناسب وحدانية بلا زوج ولا ولد « الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحـد » ، وقوام سلسلة الوجود المتعلقـة بالزواج ، وانعقاد سلك البقاء مرتبط بالتزاوج ، لذلك فان الآباء والأمهات، الأفراد والأزواج ، ايجاب وقبول ، العلة والمعلول (٧) موجب حدوث عقد الزواج ، ونتائج صور المواليد الثلاثة في تولد المزاج بقابلية المادة (٨) والمادة القابلة للمساعدة ، لو لم تصبح القوة الباصرة في مرآة بيت العين خلف النقاب الزجاجي معانق العدسة ، لم تضيء العين برؤية قرة عينه ، وحتى لا تقترن الحورية المسكية النقاب ليلا في هذا القصر العتيق بنظام حديث باحتضان القمر ، لا يحتضن خلف الصدق الصبح الصادق (٩) ، ما دامت قطرات السحاب النيساني لا تستقر في قلب طبق الصدف ، فان البحر لن يخرج الدرر النفيسة ، حتى أن شمس العالم الظاهرة لا تضيء من أوج السماء بالصخرة الصماء ، يتدحرج الجوهـر من صلب المنجم ، ولا يولد الياقوت المتلألأ من بد خشان ، ويتعلق الغصن الجديد بالقديم ، لا يمكن لثمرة الفؤاد أن تحتضن الفواكه اللطيفة ، وبدون القوة النامية لا تظهر بشائر الحبوب من باطن الأرض لساحة النمو والظهور ، بناء على كل هذه المعاني في حالة أن شاهد كل ذلك الحسن ذوائب مضيئة من زلف الليل متدلية على وجه شمس العالم المضيئة ، خلطت الحسناء جميلة الوجه

---

(٧) الايجاب والعلية من أوصاف الآباء والقبول المعلولية من صفة الأمهات ونتيجة هذا التأثير والتأثر يظهر في المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن ٠

(٨) المادة التي هي قابلة للصورة ٠

(٩) المقصود من الصبح الصادق اقتران الليل وقمر النهار وظهور النهار من الليل وهذا التعبير شائع في اقوال الشعراء والأدباء ٠

الصباح بحلاوة الابتسامة الصغيرة كخلط السكر باللبن الأبيض الليل المضىء مثل يوم شاب مقترن بالسعادة ، ويوم سعادته مثل ليل وصل الحسناوات بسعادة المبتهج ، السماء كانت مظلة زينة خجل الطاووس ، كانت الأرض الغبراء مثيرة غيرة كوشة العرس ، شمس رب البيت ، وقمر صاحب المنزل والزهرة الزهراء مشغولة بالجنك والجغانة ، طالع من المناحس والمناقص البعيدة كانت تدور الأوتاد الأربع (١٠) أوتاد طنبور السرور دوران القمر من البيدر ، أمسك عطارد بالقلم وكتب خطبة ، كان يغنى لحن ناهيد ، كان يستحسن أثناء الطرب الحاد وكان لائقا ، كانت تتبدل صورة (بهرام) بصورة غلمان الخدمة ، وأخذ مكانه ، تزين المشترى بالعمامة الذهبية ، القرط العباءة منيرة الرأس ومزينة الصدر صدر المجلس، ألقى زحل متاع الاقامة فى ركن قبة الفلك من أجل الناظرين ، استعد الفلك من منطقة الجوزاء لاعداد وسائل الاحتفال بالعرس ، وضع قيقاوس (١١) التاج الذهبى على الرأس لمزيد من الزينة ، ووقف جبار العصا (١٢) باليد لحفل الزينة ، حمل الدلفين (١٣) كيسا على الكتف ، كان الفالك يشرب من ماء النيل ، ربطت الكواكب السحابية (١٤) كعب السحاب على الوسط، كان يسقى ظمأى المجلس بكأس الشفق من وعاء الفلك الأزرق ، كانت « عوا » (١٥) تصميح صياح السرور لسكان العرش ، كان لسان ز بانا (١٦) يغنى ، كان يدمر رأس (١٧) القمة على السماء ، كان يفك الذنب (١٨) العقدة من القلب ، فقد قلب القلب ، ويقف المقدم والمؤخر (١٩) من هجوم المنجمين الأوائل والأواخر ، كان يضرب نهر رود ، وكانت مجمرة العود تحرق الكف الخفيف ، وحرك الجناح الربابة الرومية ، ووقع النسر الطائر (٢٠) فى موقع فراغ البال ، ورفعت السفينة شراع النشاط ، وانشغل الغراب من وجه خفض التواضع بسرعة الخدمة ، كان يرقص

---

(١٠) الطالع والغارب ووسط السماء ووتد الارض .

(١١) الصورة الرابعة من الصور الشمالية وهو على هيئة رجل مرتدى قبعة .

(١٢) الصورة الثانية من الصور الجنوبية وهو على هيئة رجل متمنطق بسيفه وبيده عصا .

(١٣) الصورة الرابعة عشر من الصور الشمالية .

(١٤) خمس كواكب من طرف بحرة مثل جزء من السحاب .

(١٥) الصورة الخامسة من الصور الشمالية .

(١٦) المنزل السادس عشر من منازل القمر .

(١٧) نقطة التقاطع الشمالية للفلك المائل من سطح منطقة البروج وذيل نقطة التقاطع الجنوبية لهما .

(١٨) المقدم والمؤخر فرغ أول والعرقوة العليا الفرغ الثانى أو العرقوة السفلى وهما المنزل السادس والعشرين والسابع والعشرين من منازل القمر .

(٢٠) من الكواكب الثانية .

الراقص ، كان الجاثى على ركبتيه يدق القدم ، كانت بنات النعش تنتعش ، كانت قصعة المساكين تحدد اللطف والنعمة على قبعة الفلك الذهبية ، كان يصنع كأس الشراب ، كان يعلق ثريا العقد ، كان يذبح بنفسه الشاه المذبوح ، كان الأسد ينظر من جبهة المشتاق جدا ، كان السهم رغم ذلك سهم وجه اهتزاز أضواء الفلك ، كان يجعل من حسرة التطلع الى سهم الآه حامل رأس الغول مع رأس الخدمة ، كان يقرأ آية الكرسى وذات الكرسى لدفع ضرر عين الكمال ، ألقت المرآة المسلسلة السلسلة لحمل الصليب من لطف الحبل الذهبى ، فقد ممسك الأعنة الصبر والقدرة ، رحب سهيل بأهل المجلس ٠

وشاعت من كثرة الخلط الأضداد ، صنع القمر خيط كتان (٢١) فرش عمارة الفلك ، وصار من كثرة نزهة قصر الفلك لائقا للنزهة ، ومال أيضا الحجاب للتنين (٢٢) ، ألقى البرقع من قلب العقرب (٢٣) ، كانت تسير الثوابت معا ، ومحت السيارات الرؤية ، وكانت تثبت فى مقام الحيرة ، أصبح الفلك من الكواكب بآلاف العيون لطريق التنزه ، كانت الشمس الأشرفية تثير الشاهجانى ، كان قد احتضن فى الحضن الضيق القمر من الاتصال بطريقة الزهرة ، لو أن يتحدد القمر لا يخلو الحضن ، كانت الزهرة تنظر بحرارة لوجه المحبوب ، انه لو مر عام لم يرفع نظره عن المحبوب فقد أظهرت السماء مخلب الشمس فورا من تنور الأفق ، أعد طعام الافطار ، نثر الفلك بذور كواكب اللآلىء الجميلة ، كان يلقى الشهاب الصاعقة للفلك الصغير ، كان يشعل ضياء القمر ، عقد مجلس زينة العصر على قبة ظهور أطباق السماوات من نجوم الفرع ، « ولقد زينا السماء بمصابيح » كانت تشتعل من أنجم المصابيح ، كان لاعب الدنيا يلعب خلف ستار الليل طائر الليل من وجه قمر لعبة الأطفال ، كان البدر يظهر هندى الملاعب من بياض الصبح طائر نار نور الشمس ، كان الفجر يوصل الشمس للنهاية مثل حبل لعبة خطوط المدارات ، كان يتجه للباب من طوق الفلك ، كان يفقد المشعوذ ساحر الفجر مثل البساط الظاهر فلك الشموس الفضية النجوم ، كانت النار المحرقة والجمر المشتعل تظهر حرارة الشمس من تحت الثياب ، أحيانا كان يسلم ذهب الشمس لعشاء المغرب ، كان يخرج الأفق من جيب المصرى ، كان الزمان يلقى فى السماء والفلك الدائر الأطفال ذوى العيون الباسمة للنجوم ، صب فى روضة التراب أيضا ريح منعشة ماء على نار القلوب ، يختلط أحيانا نسيم سحر

---

(٢١) برج الحوت وهو البرج الثانى عشر ٠

(٢٢) الصورة الثالثة من الصور الشمالية ٠

(٢٣) المنزل الثامن عشر من منازل القمر ٠

رائحة الروح والريحان برائحة أهل الدنيا ، لم يدخل الرقبة فى القميص من الانبساط ، لم يظهر فم البرعم من الضحك ، لم تنم عين النرجس من السعادة ، وافترش ورد المخمل فى جميع أرجاء الأرض ، وجلس الزنبق ذو الرأس الطرية ،اتكأ البنفسج بالساعد من التدلل ، وألقى الياسمين من القلب ، ونام الورد على الغصن من اللطف ، وقالت السوسن قصة بمائة لغة ، وكانت البراعم تتفتح وردة وردة ، كان يثقب الندى عقد وجه ورد الدر (٢٤) ، حسن يوسف (٢٥) مثل حسن يوسف العزيز ، وزلف عروسان مثل ذوائب العرائس الجميلة ، فقد الصنوبر القلب ، وقفت شجرة الحرية بعبودية ، كان العرعر شمشاد عازف الحفل الخاص ، وعزف السرو بصول الفاختة ، نهض رقاص الجنار راقصا باليد الثائرة ، وزين الصفصاف نفسه مثل مجنون ليلى بالطرة المعطرة ، كانت ريح الصبا تدق ، كان النسيم ينقل أوراق الشجر المثمر ، كان يقطف عنقود العنب من فرع كل نبات فى مجمع البستان ، كان يهيىء شجر الورد من أوراق الشمندر ، كانت الزهور بطهى الطعام ، كان القمرى يعد طعام (كوكو) ، كان طائر السحر يعد وجبة العشاء ، كان الفاختة (٢٦) يلقى الملح من جناحه الفاختى ، كان الطاووس يرفع الخيمة من ريشه الملمع ، كان الببغاء يعزف على الطوطك (٢٧) ، كان البلبل يغنى بشفاة الناى ، كان صوت كل بط عود جميل اللحن ، كانت نغمة كل طائر عنقائى الصوت ، كان السار(٢٨) مسرور ، كان الحبارى سعيد ، كان الديك يصيح ، والحجل(٢٩) ينغم بنغمة ولحن جميل مستمر ، صوت الغراب كله موسيقى ، كان يجعل جكاوك (٣٠) فاتن ساحة البستان ، وكان تسجاع البلابل يزيل الهموم ، كان صوت العندليب يزيل عناء القلب ، كان صوت عوادى القمارى يلقى شعلة نار فى روح عوادى القمارى ، كان مينا يلقى ضوضاء الصياح على الفلك الأزرق، كان البوم يظهر فى لباس الهما من فرط السعادة ، ويحتضن اقبال ملك الهما قميص شديدى السعادة ، كانت الدمية تتوكأ على وسادة من الريش مثل عرائس التتار ، وقال الكروان بصوت بش « لك الحمد » ، وأطال القدم للراحة ، كان الكبك الدرى يغنى (٣١) على الفلك باللغة

---

(٢٤) كناية عن قطرات الندى .
(٢٥) عشب مائل للصفرة طعمه سيء .
(٢٦) طائر جميل الصوت لذيذ الطعم .
(٢٧) يطلق على آلة الارغون او الناى .
(٢٨) طائر اسود اللون جميل الصوت .
(٢٩) طائر جميل الصوت يكله الهنود .
(٣٠) طائر جميل الصوت .
(٣١) نوع من انواع الحجل كبير الحجم .

الدرية ، وكان الهدهد يلقي بقبعة النشاط في الهواء ، وحضن جبل قباء الرخامي ، ودق الطرف على الوسط بكمال العظمة والشموخ ، وكان يصنع سيف اللهو ، وأخفى نبع ثياب الموج الأزرق ، كان يعزف على رود (٣٢) من الشلال ، وكان ينشد ما وراء النهر (٣٣) ، وضع قانون السعادة في أركان العالم الأربع ، كان في خمس أماكن الجهات الست سبع أقليم ، كان الحزين يعزف من قمة السعادة في عرش خسرو برويز قانون العالم الجمشيدي واللحن الخسرواني (٣٤) ، كانت نغمة رهاوى تخلص عشرات القلوب من نقرات الغم ، وعلو فرح الشام والحجاز (٣٥) والعراق (٣٦) نوروز العرب والعجم ، كان المخالفين غير متألفين في آشكار ونهفت ، مغلوب آنين الليل وتأوه السحر ، وخارج ألحان مقام راستى الباكين في دائرة الحيرة المحيرة للصغير والكبير ، كانت صفاهــان (٣٧) وتاجيـك وترك نيشابور بياتا ونهارا من اليوم المبارك على شهناز (٣٨) وفراغ عقل الرأس الصلبة مثل الطنبور بأظافر الحسرة ضارب المخلب في صدر المحنة ، عزف عازف القمة والقــاع أسفل وأعلى ، رأى مخلب النشاط حجاب في حـزن منعزلى فيلى ونهاونـد مثل عشاق الوصــال ، موسيقار زمزمـة السرور وزنكولة (٣٩) بند ان زابل ونيريز من دولة رغبة الملك الخسرواني المقام في رفقة البهجة والحبور من شور (٤٠) سماع سامعه في قلعة أذن الموله بالسمع والوجد ووجدى سامعي منشدين حب الرقص قلوب ليلى وشأن بستة نكار (٤١) وادى الحجاز (٤٢) ونجـد نغمة سلمك بسماك وبرج الحوت وأغنية ماهور (٤٣) وكردونية لشمس الفلك ، لم يسمع عشر $\frac{1}{2}$ عشير ذلك الوقت ومقام عشيرة ذلك الوقت في دوكاة (٤٤) الأزل والأبد أذن الزمان ٠

---

(٣٢) آلة موسيقية ايرانية من ذات الأوتار ٠

(٣٣) آلة موسيقية مثل آلة السنتور ، ويعزف عليها بالضرب على أوتارها ٠

(٣٤) نوع من الانشاد المسجع الذى كان يقوله بابد في مجلس خسرو برويز ٠

(٣٥) اسم نوع من النغمات الايرانية ٠

(٣٦) اسم مقام موسيقى ينشد وقت الغذاء ٠

(٣٧) اسم آلة موسيقية يعزف بها آخر الليل ٠

(٣٨) نغمة موسيقية ايرانية ٠

(٣٩) اسم نغمة موسيقية ٠

(٤٠) اسم نغمة موسيقية ٠

(٤١) نوع من الموسيقى ٠

(٤٢) اسم نوع من النغمات الايرانية ٠

(٤٣) اسم لحن موسيقى ايرانى ٠

(٤٤) اسم نغمة موسيقية ٠

ـ كان الدم يغلي في عرق الكرم

واحتضن كأس الشراب وفقـــد الكأس وتدحــرج الكأس للرأس ·

ـ من تلاطم السعادة التي كانت في الدنيــا ·

ـ كان للأرض تفاخــر على السماء

ارتبط في سلك الزواج ، انخرط في فرع عقد الدوام فلان بألقابه وفلانة بألقابها ·

- ١٤ -

بيان تسخير « هرات » قرينة النزهة ، وقلع « الأفغان » الأبدال من ذلك الاقليم

« كذلك يفعل الله بالظالمين » بعد النوروز لعام ١١٤٣ هـ بثلاثة أيام ، جمع بطل الطبيعة بقصد تسخير حدود البلاد ، انحدر المقاتلون ذو القرون لكسر فرع شيخ الشيوخ سابقى التهديد ، واحتضن الشباب المعربد الربيع المنير على الرأس ، وأخذوا من الثلاثة السريح والدرع والسيف ومن الخضرة النامية للسيف والخنجر ، انتشت الهامة المرفوعة كالسرو من قصف سن قلم العدو ، ورفعوا الراية عالية فى ساحة الرياض ، وأسرعت القوة النامية بمعارضة المخالفين بنصل رماح شجر « البيد »، كان المفسدون الأشرار مثيرى الزوابع الذين نثروا الشوك لايذاء الجيش على الطريق ، أبادوا البلد من الوجود ، وحطم عظمة (فريدون) ، وألقى (فرورد ابن بهمن) ، كان عصاة شباط (١) الذين فى ساحة البستان قد تزينوا من شوك الشوكة بفرك ورق الأشجار ، تعطرت كل ورقة ورد برائحة المسك مثل عرق الرقبة ، أشهر الزمان سيف الملك الهلالى على أعداء الهلال (شهرا ربيع كجماد البوس) (٢) .

أظهر الله شمس التاج بمقتضى القوة الغاضبة والملكة (٣) الحمية والعصبية من شدة الغيظ والقهر هدف تسخير « هرات » ، برق فى ١٥ رمضان من الفلك فيضان شق رايات الشمس ، دخل (أبو طالب خان الألوئى) (جام) (٤) بجحافل غفيرة مع أخيه (عبد المطلب خان) حاكم « تون » وفى أطراف المملكة كانت نسخة سوء العقيدة تماثل المتون ، عندما عاد الحظ المجهول وملأ الكأس ، تجرعوا فى « جام » كأس الهلاك من سيف

---

(١) اسم آخر شهور الشتاء .

(٢) يضرب لمن يشكو حتاله فى جميع الأوقات أخصب أم أجدب .

(٣) الطبيعة النفسية التى تظهر فى النفس وهى ترسخ فيها نتيجة للممارسة ولا يمكن أن تمحى بسرعة .

(٤) من توابع نيسابور سابقا ، وهى الآن احدى مدن مشهد ، وهى تقع فى طريق مشهد على حدود ايران وأفغانستان .

القصاص ، بدل طائر « دوادران » (٥) جسد هذين الشقيقين صيد صقر الأجل وعشب ذلك الوادى من دمهم بدم الأخوين (٦) (ان الهزيل اذا شبع مات) (٧) ، وفى الرابع من شوال صار المكان المعروف ب « نقرة » (٨) مثل الفلك الفضى مقر الأفواج الذهبية الخضر ، وضربت تجاويف رقاب العصاة بسيوف المسلمين بلا رحمة ، وأصبح الأعداء من كل صوب فى الفضاء الفضى مثل صغار الحيوانات طعمة للأسود · خفق قلب « الأفغان » من نار حدة السهم والسنان وبرق السيوف القاتلة ، وأصبحت ساحة الصحراء الشاسعة الواسعة من وجود المقاتلين والأعداء محط الصقور والنسور ، وأسرع برج الثور فى مرتع خضرة الفلك بسرعة من سطوة الأبطال ، وهرب الخروف السريع قائلا لبرج الجدى (أطرقى وميشى) (٩)، وأخذت ساحة الصحراء الواسعة صفة (وشيعة فيها ذئاب ونقد) (١٠) ، وصارت الصحراء من كثرة غنائم الأغنام مليئة بأصوات الخراف ، واستغرق العالم فى سواد البقرة مثل النور فى ظلمة العين ، واحترق فلك بخور الأنجم على خراف ذلك الحى ، وزينوا اليوم الثلاثين بأمر قائد الجيوش الأعظم بدرع لباس حصان جميل السير ، حزم الحزام على الصدر ، أظهر (ذوالفقار خان الأبدالى) والى « هرات » جوهر الجلادة من الغلاف بميدان القتال ، (جاء بشر وعر وبالقض والقضيض) ، ظهرت قوارع المدافع من قوارع فرقان الحرب بقرع الحرب ، فى بداية الأمر قرأ آخر سورة القارعة على الأعداء بصوت عال ، وصاحت المدافع النارية بآية « انا اعتدنا للظالمين نارا » وتقدمت قدم البطولة خلف الأبطال ، فأشعلوا نار الحرب بشعلة السيف والسنان الحادة ، وادارو رحى الحرب بطاحونة الدم ، وجعلوا للنسيم من رائحة طرة الذؤابة المجعدة للرمح والطرة الملتوية علم للسهم صانع عبير ميدان القتال ، كان القوس يوصل لأذن الأعداء بلغة سفير قوة القنبلة رسالة الأجل من كل مكان ، لم يترك السهم الجارح فى القلب المضطرب يد الحكيم على صدر البعيد والقريب ، لم يسرع السهم العالى فى الطعن لقلة الفرص ، كانت أفواه المدافع تلقى ترابا من طلقاتها على وجه العدو ناقض العهد ، كان حد السيف البتار يقطع العهد بحدة عقابا للأعداء ، وانشغل الأبطال السفاكون بالقتال مع تلك الجماعة الغادرة (أشأم من قدار) حتى وقت العشاء ، عندما اتجهت شمس المشرق نحو المغرب ،

---

(٥) طائر صيد أصغر من العقاب ·

(٦) صمغ أحمر مائل للون البنفسجى ·

(٧) يضرب لمن استغنى فتجبر على الناس ·

(٨) مكان فى أفغانستان قرب (تخت صفر) ·

(٩) مثل يضرب للخلط فى القول ·

(١٠) يضرب لمكان فيه الظلمة والضعف ·

تصدعت حدة سيوف المقاتلين من الطعن والضرب ، فرفعوا راية الانسحاب، وكانت قد حدثت اتفاقيات برجية فى طريق النهر خارج المعسكر بحكم المعلى ، بعد وصول تلك الحضرة لمعسكر الفلك ، ظهرت جماعة لتفقد معسكر ذلك البرج العالى الأساس ، فوجدته صلبا ، فجعلوه نموذجا لبرج الأسد ، وانكشف حجاب عين أولو الأبصار بعد غشاوة العشاء ، مضى جزء من الليل ، وقد جعلت تلك الطائفة الشريرة المحتالة فى تلك الليلة لزوم الموت للنفس العزم على الهجوم ليلا ، ظهروا من وسط النهر الضعيف ـ الذى كان قد ارتبط بمعسكر فلك العظمة ـ بفتائل النار المنثور مثل خيل النجوم من مجرة كهكشان، حاصرت جماعة منهم البرج مظهرين الشجاعة فى البداية، غير أن الملك الشجاع ـ الذى هو أسد الفلك فى برج السماء وكانت الزهرة تدور من مهابته ـ أحضر جماعة من الخواص ـ الذين كانوا فى ذلك الوقت فى الخدمة ـ فانشغلوا بالدفاع ، وانقلبوا من بوارق السيف ومدفع ذلك الحصن الترابى للبرج النارى ، وأحضر حراس زحل الشكل وحراس مريخ الفعل صدور تلك الجماعة بالسيف فى ظلام أيام متعاقبة ، ومزقوا فى منتصف تلك الليلة بالسيف القلب الممزق وبرمح الزهرة المحطم للأكثرية من وسط الصدر حتى الوسط ، رأوا تلك الفرقة القوية ـ التى أقوى فرق الأعداء ـ مصفرة مثل جبين الحظ ، وقدم القدرة مسلوب من يد التملك ، فاضطربوا وعجزوا وأداروا الوجه (ان أخا الخلاط أعشى بالليل) (١١) ، كان المقصود بذلك المكان أن كانت هوة السماء وسعت بتضييق حال سكان القلعة •

بعد عدة أيام أمرت جماعة من الأبطال بحراسة ناحية « نقرة » ، وسلك موكب العظيم تجاه جسر « مالان » بخفة ونشاط ، وعندما طغى نهر « هرى » أمر بالجنوح ناحية « زنده جان » ، ولم يبقوا على حياة أحد من « الأفغان » هناك ، وابتعد جمع من قادة « زنده » عن مرحلة الحياة ، وأصبحت « ده نو » المكان القديم منزل الأبطال الجدد ، وظهر « الأفغان السود للجيش مثل الكحل للعين ، وتصوروا من عين الجهل أنهم جماعة القواد ، وزينوا المقدمة للقيادة والسقاة للمؤخرة والجيش للقلب ، ظهر الملك عالى الشأن فى الحال بحسن الطالع السعيد على مائدة خيل طهر الخيل المسرج ، وصاروا بالسيف البراق مثل نور النجم صاعق قلوب الأعداء ؛ صنعوا من العون الآلهى على الحصان الفولاذى الحافر خيل المعركة السريع ، وبدأ الحرب على الأعداء بالقاء سهم سوء القصد ، وجرح بمضراب السيوف وآلات الفناء سلك واوتار وشرايين العدو شرير النزعة ، وحملوا السيف الأعوج والسهم المستقيم للمخالفين وأصبح طرف الصحراء مهلك روضة

---

(١١) مثل يضرب للمريب الخائن •

الشقائق بالسهم والسنان ، وعبر صوت الطبل الفخارى الكبير من ثنايا وجه الفلك ، وهزم المخالفون بقليل من الكر والفر ، وألقى من سهم عطارد ثلاثة ريشات أصابت المهزوم بسوء الحظ والخزى والندامة ، وفروا عابرين الصحارى بلا سيف ولا درع ، وامتلأ الوجه وتلطخ بالدماء ، وألقوا بأنفسهم فى الأنهار الجارية خوفا من السيوف المسلولة ·

أسرعت طائفة من هؤلاء الأذلة نحو الماء أسرع من الريح ناحيه النار، أحبت النار جريان الماء ، وطفئوا شموع أعمارهم من السيول الصغيرة ، وصمت الجميع بالصمت الساطع من أسنة الرماح والحد القاطع من أطراف السهام والسيوف المهندة من ادعاء الوجود سحب المحاربون اليد خلف الحصن وأسفل القلعة لقطع الرأس ، وطهروا الدم للطريق من الخنجر الحاد مثل العرق المقطوع ، يحتمل أن تكون قد فتح باب القلعة وأسفل الحصن بحد سيوف عرق الحياة وعرق القدم ، وضرب من الأعداء خبيثى الأصل من بقى فأله مخذولا ، وفتحوا بطبيعة انسان العين من عين الحسرة « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل » ·

فى يوم آخر أمر الملك (فريدون) بتحريك رآيات النصر ، وانزال الأحمال فى قرية « ناكهان » بالعظام والصعاليك ، وانشغلوا من ناحية الاحتياط بحصار واحتلال « قلعة كيان » ، وطوقوا « الأفغان » بالحيرة من الجهات الأربع ، وسدوا عليهم طريق المؤن والذخيرة « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » ، ضعفت همة (ذو الفقار خان) من شدة الحذر بفحوى « لا يقاتلوكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر » ، ولم يجرؤ على النزال والقتال ، وسد ثغور المدينة وأنحاء الموانع بأسلحة الحرب ، ولم يعارض غبار الميدان ، كان يوميا يركب جمع من الأبطال على ظهور الخيول للقتال ودفع الأعداء الظالمين « والعاديات ضبحا » ، وكسبوا من مقادح أقدام الخيل « فالموريات قدحا » بايقاد عداوة الانتقام ، وأظهروا بتجوال « فالمغيرات صبحا » آثار « فآثرن نقعا » ، وكانوا يلوحون ويظهرون لأفواج الأعداء من طعنات الرماح الواسطية مفاد « فوسطن به جمعا » ، قدم « الأفغان » الذين ينطبق عليهم مضمون « ان الانسان لربه لكنود » هدية مساعدة ذلك السرور لعصاة « وانه على ذلك شهيد » ، سعى (ذو الفقار خان) فى التناوب على حراسة « وانه لحب الخير لشديد » ، ذلك الذى كان مدفونا من عظمة المكيدة الرميم فى قبور قلوبهم المليئة بالكره ، كانوا يظهرون « أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور » كل لون من ألوان البغضاء التى من الهواجس الفاسدة فى خاطر عداوة سوء التكبر المضمر ، كانوا يوصلوا للصدور « وحصل ما فى الصدور » ، واعتقلهم العاقل فى مضيق المعقل ، ورفيق تدبير « ان ربهم بهم يؤميذ لخبير » ، فى نفس الوقت كان

القائد ـ الذى كان مأمورا بغزو ناحية « فراة » ـ يتنازع من ناحية الذكاء والعظمة وربط الجأش فى ولاية « خاش » مع « الأفغان » الأنذال الذين كانوا يحبون (ذو الفقار خان) نفسه ، وتعاركت طائفة منهم مع قائد تلك الجماعة ، واحتلوا قلعة « خاش » ، وهكذا أمرت جماعة من الجند المنصور بغزو « كرشك » التى كانت مركز البلدة وجعلوا باقبال ملك الأرض العادل غياب قمر كثير من « الأفغان » الأعداء المقترن بظلمة آخر ليلة فى الشهر فى أنحاء قلعة « بست » ، ودخلت « كرشك » و « زمين داور » بحوزة التسخير ٠

فى نفس الوقت الذى رأى فيه (حسين خان الغليجائى) والى « قندهار » أن سفينته أسيرة موج الهلاك ، أراد أن يسحب تمساح الشكر بكذب الشراك التألف ، تخلص زورق الأحوال من ذلك أليم الملىء بالفتن والشرور ، وتحركت صورة الحيلة من النفوس المترددة وللخداع فريقان « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » وأصبح عاملا بمدلول « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم » ، وأرسل جماعة من خواص حاشيته بأسلوب خدمة التفكير للبلاط العالى ، وأرسل (سيد آل) ـ الذى كان قائد الجيش الأفغانى ـ بناء على حيل الطبيعة بخيل (أشأم من الأخيل) لمساعدة الطائفة الأبدالية ، بعد ذلك بفترة لوث يد القوة والعظمة النادرية يد سيطرة « الأفغان » العصاة ، وسلب القوة والقدرة منهم ، واقتلعت تلك العظمة (ذو الفقار خان) من « هرات » ، وطردوه ناحية « فراة » استدعى (الله يار خان) للحضور لحضرة العظيم، وتعهد بتسليم القلعة « ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات » بل (اتخذوا حمار الحاجات) ، يأس (سيدآل) مما رآه من تخاذل وهوان أهل القلعة ، فأنس للوحشة ، وخرج مع جيشه وجنده فى ظلمة الليل من مضيق الهلاك بمركب النجاة ، وأسرع من ناحية المكر بلا تكلف ولا تحمل ناحية « قندهار » ، بناء على طلب البغاة أصبحت قلعة الولاية والايالة غاية (الله يارخان) (ناركى خيلت نارشيئى) ، تركزت فى طبيعته حيلة الطبع ، اعتنى (الله يارخان) مرة أخرى بفتح باب حاكم القلعة ، وسحب القدم من العتبة واليد من الكم ، وانشغل ببسط بساط الاحتلال والطغيان وقبض مقابض سيوف العصيان ، أصبح بضياع الحظ العاثر متحصنا بقوة برج القلعة ، ورجال الخيل مرتان ومال ناحية البعد ٠

عندما امتدت حدود « هرات » وضاق حصار الحصن (قد بلغ الشطاط الوركين) (جاوز الحزام الطيبين) ، وتمهل التخليط والتغليظ حتى غرة شهر رمضان وعمل بمثل (يدخل شعبان فى رمضان) ، فى بداية شهر الصيام أظهر محافظ قلعة الفلك الأعلى براعة الاستهلال بشأن

فتح أبواب القلعة طوعا أو كرها من مفتاح الهلال ، رأى الأعداء نجم الطالع مثل قمر « سيام » (١٢) المعتم ، ودخل « الأفغان » « فراة » أيضا من باب الطاعة ، وصارت « فراة » و « هـرات » بفضل الهمم الباهـرة من جملة الممالك المحروسة ·

عنـدما رأى (الله يارخان) طريق النجـاة مغلقا ، وحبل الحيـل مقطوعا ، وتعلق من ناحية الذل بأسفل ذيل الخلاص والتحصن ، وأظهر من موقف الحسن والبشرى بجمال اشارة « فاليوم ننجيك ببدنك » ، وحصل على اذن الذهاب لـ « مولتـان » ·

(١٢) يقال أن قمر سيام يطلق على القمر المقنع الذى صنع بالشعوذة فى مخشب وسيام اسم جبل بنخشب ·

- ١٥ -

بيان توجه حضرة الشاه « طهاسب » ناحية « ايروان » وعودة نجم اقباله من تلك الرحلة

« انما يوجهه لآيات بخير » بعد ذلك جعل الملك عالى الشأن بالعزم الأكيد لتحطيم وقطع دابر المخالفين ، وفتح « العراق العجمى » و « آذربايجان » ، وجعل دفع فتنة « الأفغان » نصب عين الهمة ، وجعل رآيات الشوكة وآلوية النصر منتصبة تجاه « جراسان » ، وأصبح مكنون ضمير أعيان دولة حضرة الشاه (طهماسب) أيضا قبضة شوق الانتزاع وارتجاع قلعة «ايران» المغتصبة وادعاء الملك ربطوا حزام الاجتهاد على الوسط مقلدين الجناب النادرى (هيهات هيهات الجناب الأخضر) ، واجتمع الأبطال العراقيين النجباء ومحاربى « آذربايجان » أقوياء العزم والرأى بعدد لا حصر له ومعدات وفيرة .

فى شهر جمادى الآخر عام ١١٤٣ هـ ارتفعت راية النهضة تجاه المقصد ظهر (على باشا) قائد جند العثمانيين من القلعة حيث صدرت له الأوامر من الدولة العثمانية بالحفاظ على « ايروان » ، فأغلق جانب نهر « كرنى » بسد حديدى من الجنود فولاذى الجسد ، وجلس ينتظر الجماعة الملكية ، وعبر الجنود الملكيون من النهر (أسرع من السيل) ومال الجيش ناحية ذلك البحر ، فانقلبت وغلبت الصفوف الممتدة والألوف المسودة والجيوش العثمانية المجهزة بالمعدات والكثرة بضربات ، وسلب الثبات من جماعة « العثمانيين » بوثبات جلادة الأبطال ، واستولوا على مدافعهم وعتادهم وخيامهم وسلاحهم ، وادارو العنان تجاه القلعة ، بعد ذلك تجاوز الموكب الملكى خارج القلعة بالجمهرة والضوضاء والصياح والعويل ، وثبتوا فى جانب القلعة العربى حبال العتبة بأوتاد الفلك المليئى بالكواكب، عندما كان للجنود خيل ذو طبع جامح وعارض ، اشتاق شوقهم لرغبة فتح القلعة ، بعد عدة أيام — بلا حذر وتردد على خلاف طريق الرأى والعقل — ساقوا الخيل الشجاع لميدان الحرب حتى استعادوا زمام القلعة ، حارب أيضا « العثمانيون » من أعلى الحصن وخارج القلعة بالمدافع والمنجنيق ، أظهروا العداوة وبوادر النصر ، فأوسع « القزلباشية » مضيق اليأس ،

وأداروا عين الحظ الملاصق لعين الوجه ، وعاد صقر المراد الملكى حزينـا من مصيد العدو صائدا مثل القفاز بلا يد ٠

مكث العثمانيون هناك فترة من الزمان وأنزلوا اناء حقدهم الذى كان يغلى بالنار المبتدئة بادامة ماء القلب باردة من الغليان ، وصار حدوث القحط وشيوع الشدة علة ذميمة ، ورجح تحرك اللواء واهتزاز راية العظيم على التوقف ، حيث أنهم توجهوا ل « تبريز » عن طريق « دوقوزيولوم » ٠

علم (أحمد باشا) والى « بغداد » بالتحرك الملكى ، وتلألأ نجم مقصده من مطلع الفرص ، فتحرك بالجماعة المجتمعة والسيوف المجردة والخيول السريعة العدو ، وكان الموكب الملكى قد توجه ناحية « زنجار » و «سلطانية» بسبب تشتت الجند وتبدد العسكر ، بعد دخول « أبهر » التحق (محمد على خان) حاكم « فارس » بفرسان تلك الديار والجماعة المهيئة ٠

من هذا المعنى حدث للشاه والجيش سلوة الصدر وقوة الظهر وشد الآزر ، وحضرت الجيوش المشتتة والحشود المتفرقـة ومتفرقو الفـرق والمقيمون فى المدينة من الممالك القريبة ، وساروا بالرايات المرفوعة من « ابهر » ناحية « همدان » ، وأعدوا فى منزل « كرد جان همدان » حراب العراك وعدة التراشق المهلكة ، وزينوا أرض المعركة ومعارك الخصومة ٠

أولا ظهر (محمد خان بلوج) بين الجنود الملكية لاظهار جوهرة الظاهر حكم السيوف بجلاء ، وأظهر بجماعته بدايـة التصادم والعراك ، وجـد بمحض الصدفة والتزاحف المضاعف للضعف والشعر المزاحف للزحف صدع الأبيات الثابتة واجتثات نظم القول الذى كان بحر الهزج ، (رب عجلة تهب ريثا ورب فروقة يدعى ليثأ) ٠

عندما رأى (الشاه طهماسب) صفوفـه المنتظمة متناثرة وهالكة ، وعقوده المنضودة متفرقة ومقطوعة ، دخـل « أصفهان » بقلب متفحص للمحن وطبع مغموم وقلب محزون وحال منفعل وخاطر مهموم وروح متحسرة وضمير مضطرب وباطن ثائر وصدر حزين وفى الداخل ألم فياض ، ورغم هذا لم يجد أمور الممالك منتظمة وجروح القلوب غير ملتئمة ، وأصبح هذا الضعف بالاضافة للعدل السابقة يد توبيخ جديدة على الرؤوس المحطمة (هو يقرع سن النادم) ٠

عندما ذاع صيت الشوكة النادرية ، آثار شوك طريق التفكير ، كان أعيان الدولة « العثمانية » يبحثون بارشاد الفكر الصحيح من الجموح الجانح بملاذ التصالح والتنصح ، وفتحوا أبواب الكلام من القيل والقال ، وأبعدوا العداوة العمياء بأظهار التصالح ، بعد ذهاب وإياب السفراء وتحادث وتناقش الباشوات وأمراء الولايات التى كانت مطوية وموطأ مطايا الموكب

النادری ، واستقروا بالدولة البهية الصفوية ، تعلقت قلاع الجانب الغربی لنهر « أرس » بالدولة العثمانية ، وانفلق صبح السلام والصلح بين الدولتين ، بعد انطفاء نار العداوة وانعقاد أمر الصلح ، أرسل حضرة (الشاه طهماسب) صورة كتاب الصلح مصحوبة بعدة أشخاص من الأعيان البارزين للبلاط النادری ، وأطلعه على طبيعة الموقف ، وفی أثناء الاستيلاء على « هرات » التی كانت أعمالها فی شرف الاتمام ، أظهر سفراء المملكة ادراك الشرف من تقبيل بلاط زحل الأمان ٠

نظرا لأن هذا الصلح فی الحقيقة (أغرب من السراب) بل جسر طرف النهر ، لم يجد فی صدر مجلس الضمير النادری رونق الرضاء ، ولم تضیء لذلك الناتج غيره القبول ، نصح رسل المملكة بترك السلام والمحبة ، وجاء أيضا سفير من جانب وزير « العثمانيين » الأعظم ووالی « بغداد » للصلح ، توقف فی الأراضی المقدسة ، أمره بالعودة والاياب بخطاب « أرجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة » (١) ، أوقفوا حركة الرايات المنصورة وجعلوا مقصود الضمير خاطر الانصراف بهذه الكيفية من الكلام العدائی الممقوت أن فعلكم مد الظل ، وشأنكم شنآن وغل ، وصلحكم فساد وخطل ، وسلمكم جهام غير وابل بل هو أمر لا يبرك عليه الابل ، ولا يترك هذا النزاع الا بلبس اللبوس والدروع وقبض السيف وبسط الذرع ويحصل بها المطلوب ، ولك وعد غير مكذوب ٠

بعد ذلك أسرعوا لا بلاغ هذا الخبر للسفير المذكور بجانب « بغداد » وسفراء الملك ببلاط فلك المماس (انما يجزی الفتی ليس الجمل) ، رغم أن عزيمة تسخير « قندهار » رسخت فی الضمير المنير لكن بحكم « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون » ، جعلوا عاقبة ذلك الأمر رهينة « الأمور مرهونة بأوقاتها » ، أعلم وأشار ل « حسين خان الغاجائی » أيضا بمفهوم « انك من المنظرين الی يوم الوقت المعلوم » ، كتب فی الرسالة عبارة بمفاد « شحمتی فی قلعی » عندما كانت الخيل الضامرة تنوی السفر الی « العراق » ، كان فی ميدان ضمير السعادة مضمر الناشط الأبهة بمفاد « شوال عين يغلب الضمار » ، فی يوم عيد الفطر الميمون ترك فلك الصولجان الفضة الخالصة مثل هلال شوال لقبة الشمس الذهبية ، وجعل ناقة الشمس الأصلية بداية مرحلة سلوك منازل البروج ٠

لقد عاد عيد والهلال تهللا وبدر الأمانی قد تبلج وانجلی

تحركت رايات النصر المزركشة ناحية فلك « طوس » ، وفی منتصف الشهر وفی الساعة التی كانت تجعل من نعمة سعادته التامة هلال شوال

اقتباس السرور والعـالم من وجهى اكتساب الشرف والحبور ، ودخـل الأرض الواسعة والفياضة بالروضة المباركة ، عندما تعرف الملك الهمام بالهمم العالية على أحوال كل الولايات التابعة لايران ، حيث أن « تركيا » و « روسيا » فى ساحة الحراسة ، صمم فى خاطره العظيم القصد وعزم فى صميم القلب ، فأرسل سفيرا ل « روسيا » لطلب ولايات « دار المرز » التى كان يخبر فى ذلك العهد عن حالهم (أى الروس) بمدلول « انى وجدت امرأة تملكهم » ، اقترن وصول موكب العظيم للأراضى المقدسة وحول عريضة السفراء ان سلموا ولايـة « استارا » و « كيان » ، وزينوا وكلاء الدولة الروسية بحليـة الجلال والرحيل ، وسلكوا طريـق الصلح لكن امتلكوا « دربند » وباقى ممالك الناحية الشماليـة لنهر « كر » وجعلوا « قلعة ايروان » فى قيد التسخير .

- ١٦ -

بيان تحرك الموكب النادرى ناحية بغداد خلد انتظام

« والله يدعو الى دار السلام » بعد ذلك بمصداق (الروم اذا لم تغز غزت) ،أعد عدة السفر ناحية الغرب ، وتوكل بفضل حصن الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، توجه من مقام العزة « لعراق العرب » ، فى السابع من محرم الحرام ١١٤٥ هـ ، تحرك من الأراضى المقدسة لواء نصر البيرق ، توجه من طريق « نيسابور » الى « عراق العجم » وعرش جم ، وجعلوا صوت حركة الرايات الملكية مثيرة ضوضاء ملك « العراق » و « الحجاز » بعد أن استقر الملك بعد هزيمة العثمانيين ، كان يغنى فى العلن والخفاء مع الصعلوك والعظيم لا سيما مع الملك الذى بلا نظير فى اللحن النشاز بحركات خارج اللحن المخالف ، أنزوى (الشاه طهماسب) فى « أصفهان » وأجلسوا الأمير الحسينى النسب (عباس ميرزا) ابنه ـ الذى كان فى المهد صبيا ، ومهاد الصبى بحكم و « أتيناه الحكم صبيا » ـ على عرش السلطنة ، وأسسوا فى أواسط الجدى ناحية « بغداد » شق لواء النصر ، وتركوا الأحمال الزائدةفى « كرمانشاه » ، وجعلوا من ذلك المكان الصحراوى « ماهيد شت » منزل القمر شكل القمر وبرج الحوت فى الدلو ، « أن هذا لشىء عجاب » مقام نير الأعظم ، قرأ الشجاع من الدهشة « انى نسيت الحوت » من خلال منازل البروج ، ونسى أسد الفلك من صولة الأسود شدة حربه ، عندما تقصى الجواسيس « أعدى من الظليم » مسير الجماعة ونعل الأعداء ، عادوا « ركب جناحى نعامة » ، أخبروا أن جماعة منهم فى طريق « طارق كرا » الذى كان قد اختاره العابرون فقاموا لمراقبة هذا بمدلول « من اشتاق أدلج » ومضمون « شمر ذيلا وأدرع ليلا »، وجاء وقت العشاء حيث راج العالم روائح من المسك المسحوق العنبرى الأسود ، ظهر على جبهة سهيل جبهة مثل القمر بمنزل الجبهة ، أسرعت فى الليل الخيول كالنجوم المضيئة والخيول السعيدة سالكة صحراء مجرة السعادة (أجود من الجواد المبر) وذهب من خلاف المسير والطريق ناحية « ذهاب » فى تلك الليلة المظلمة أثار العالم من برق بريق السيف والسنان وغيرة جبل الطور ، وهى ليلة ذات أهوال مظلمة مدلهمة كافرة مكفهرة باردة مقشعرة ، أنوارها بائدة ، أنواؤها جائدة ، وذقها لجى ، وجنحها دجوجى ،

وسخها سجم ، وأقطارها دهم ، وصيرها حبيب ، وضيرها مشيب ، لا تفرق فيها السماء من الأرض « ظلمات بعضها فوق بعض » ٠

عندما وجد الحافر مثل البدر وسنبك حدوة الخيول الفضية النعل فى أرض الصحراء ذلك الجبل من سعى وجهد وسرعة وخفة ماهية القمر الجديد ، وانضم ظلام « والليل اذا سجى » بغشاء « اذا يغشيكم النعاس آمنة منه » ، وهلك أكثر الأبطال مثل أعيــاد الجاهلية التى بلا أصــل ، وتفرقوا مثل مجموعة النجوم ، وسقطوا على أودية « يجد فى الأرض مراغما كثيرة » ، « ذهبوا تحت كل كوكب » ظهرت بقية الجيش فى ظلمة الليل وبلا حدود للطريق بارشاد « والله جعل لكم الأرض لتسلكوا منها سبلا فجاجا » ، وظهرت شعلة « وجعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا » ، بعد أن وطأ عدد من جنود طليعة الجيش الهضاب والسهول فى ضوء الصبح وطلوع الفجر وصلوا ل « ذهاب » فى وضوح النهار ، حيث أن الشمس كالذهب من بريق السيف البتار ، وامتشقوا السيف الحاد ، وكروا على الجش « العثمانى » ، وتلازمت آشعة شمس وجود هم مع آشعة السيف اليمانى ، وجعلوا « ذهاب » لارواء السيف الظمآن من بحر الدم ، أظهروا الأنجم والكواكب فى ظلمة التراب والغبار من أثر الطلقات النارية (أراهم من الصبح الكواكب مظهرا) وحلم كثير من المخالفين بكابوس الحظ ، وأسرعوا للنوم الذى لم يكن له استيقاظ ، مضوا اليهم الناس ركود والأنفاس خمود والحراس جمود « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » والسيوف أسرار أضمرتها الغمود ، والرءوس راقدت على الظهر متكئات على العمود ، أجفان البواتر نيام فى الغلاف والبواتر فى الأجفان ، كاشحات عن المصاف والمصاف ، فقصروا عن الامتناع ، ولم يقدروا على الدفاع ، وارتجزت رواعد الأبطال، وانتجزت مواعد الآجال ، وجالت فى مضامير الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت النوازل بتوازى الأهوال ، وضاقهم الرعب وضاق بهم الرحب ، المثل السائر أن (من نام عن عدوه نبهته المكائد) اعتقلوا وأسروا (أحمد بيك باجلان) حاكم « ذهاب » مع الأصدقاء ، كما قبل (صواب الرأى بالدول يبقى ببقائها ويذهب بذهابها) بعد ذلك دخــل أنحاء « بغداد » الملك العظيم الأصل ٠ بعد السير لذلك المكان اختار المكان المعروف ب «سيران تبه » ليكون مقر المعسكر الملكى ، ومستقر القواد ذوى الأساس العالى ، رفعوا هناك سرادق فلك القباب على قباب الفلك، عندما تجاوز «العثمانيون» شط الظلم والوقاحة ، خطر على خاطــر الخطير فكرة العبور من « دجلة » المليئة بالمخاطر ، وقطعوا من أرض نخيل « بغداد » النخيل قطعا قطعا ، بعد انقضاء جزء من الليل جعلوا حمل جمال الناقة لحبل السفينة سير قوى الخلقة ــ ومظاهر بدائع « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » عبروا من

أنهار عميقة ، ووصلوا ناحيـة « ايروان » ، كانوا قد بحثوا طلب السفير الأجنبى الذى كان يسعى فى تلك الأونة لدخول معسكر السماء ، (وهو يرقم فى الماء ويشيد القنطرة بلا أوتاد على الهواء) ، وارتبطوا معا فى عرض يوم واحـد •

كانت القرب الكثيرة التى كان تتضارب قرينة برأس غرور المتكبرين، وابتلوا بالاستسقاء الزقى عليهـم السطح المغلـق ، يعنى سحبوا بالآلات الخشبية الماء على الوجه بعرق التعب ، وثبتوا على الأرض من كلا الطرفين بأوتاد متينـة •

بعد ذلك وجدت تلك الحضرة امكانية العبور بأربعة الآف من الأبطال رجال المشاه والفـرسان ، وقطعت رقبـة الشموخ المفقودة جسر مقصود الاستقرار تحت قدم الأبطال ، وخلط مقارنـة تلك الحجر النـاعم بزلط الشفق الأحمر ، يعنى جعل سواد مدينة الشام الظاهر وحاجز طريق عبور الجنود ، لم يفـكر الملك الماهـر من قلة الجنود (انـه لرابط الجأش على الأغباش) ، انحدر بالأبطال الشجعان ناحية « بغداد » القديمة ، بعد مضى جزء من الليل ظهرت الأفواج فولاذية الدروع الباسلة حادة الخاطر فى درع جيد ثورته بالصراخ والصياح ، وأقاموا فى «ارومية» حيث أن جماعة منهم فى فناء وحظيرة حضرة الكاظمين عليهما السلام ، والبعض فى معسكر نصرت الاحتشام بجانب الشط بغرض حفظ المقام ، وثارت الخيول فى المقام الذى كانت ترى فيها المشاهد الشريفة من كلا الجانبين فى تلك المظلمة •

كأن الدجى هيجاء حرب نجومه   أسـنتها والبرق فيها حسامها

كأن النجوم الهاديـان فوارس   تساقط ما بين الأسنة هامها

كأن سنا المريـخ شعلة قابس   تلوح على بعد فتخفى ضرامها •

أشعلوا مشاعل الحـرب ، تبدل اشـعال نيران سيف وسنان الليلة الظلماء بالنهار المنير ، جعل وقت انغلاق الصبح حيث صياح وصهيل الخيول ذو الجبين الأبيض شدة ضرب الحرب لا سماع مسامع القلاع ، وظهر الجيش العثمانى بالمدافع ، واستعد للدفـاع ، واستقرت صفوف الحـرب بالمشاه والفرسان ، رغم هذا كان الجنود البواسل آيات « بغداد » أكثر من تعداد تلك القرون ، سحب الملك الشجاع بالقلة القليلة يد الشجاعة من الكم ،ورأى مصـداق « كم من فئة قليـلة غلبت فئة كثيرة » ، وقرأ بسيوف السحاب المعدم :

بيض تصافح بالأيدى مقابضها وحدها صافح الأعناق والقمما
ضحكن من خلل الأغماد مصلته حتى اذا اختلفت ضربا بكين ما

وبسهام مثل النيازك :

منقفات سابن الروم زرقتها والعرب سمرتها والعاشق القضما
ما ان رأيت سواما قبلها هملا يرعى فتهدى اليها رعية عجفا

انشغلوا بالقتال والعراك ، وسال من مجرى السيف الدامى نهر دم مثل « جيحون » فى شاطىء « دجلة » ، جرى الدم من السيف ، وصار خارج « بغداد » الدم مثل الصبغة الحمراء التى تجرى بدل « نيل مصر » ، وظهر « نهر دجلة » آخر من السيف فى فضاء الصحراء ، تحصن (أحمد باشا) والى « بغداد » بعد حدوث هذه المصيبة المنكرة بالقلعة المحكمة ، وجعل القلعة ملجأ وملاذ العافية ، وقطع جسر الجسارة ، واستولى الجيش النادرى على توابع « بغداد » وربوع « كربلاء » الأئمة السبع عليهم ألف التحية فكانوا كالجنان الثمانية تحت السماء التاسعة ، كانت من معارك الحرب وهياج الجمال السريعة سناهى الريح السريعة أثر الجمال المهرية شمس الفلك وحظ الفلك الحامل خامل بجانب هيكلهم ، كل الفلك العظيم وجبل الأسنام وكل جانب سنم وجبل ضخم روح نموذج الجسر والشط الجارى ، كل واحد تحت سرج الجمل نموذج من حصن القلعة ، كانت تأتى أجسادهم السبعة مقترنة بالنجوم السيارة السبع ، صارت ساحة السلب والأموال المنهوبة والسفن المحملة بالتمر التى كانت تأتى من أرض نخيل « البصرة » ، كذخيرة لأهل القلعة من ناحية « شط ذخار » ، واختلسوا مذاق الرغبة واغتنموا فتات المذاق (أصاب تمر الغراب) ، وتسلطوا على جميع الحدائق والبساتين « مما تنبت الأرض بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » مثل جماعة الجراد ، وأظهر الجميع الخراب والهلاك وعلامات « واد غير ذى زرع »، نهبوا عقارهم فى عقر دارهم ، وضيعوا ضياعهم فى بحبوحة قرارهم ، وارتعوا زرعهم ، وضاقوا ذرعهم ، وأهلكوا حرثهم ، أجعفوا غرسهم وخلوا من كل نبات ، وفرغوها من جميع أقوات — قوات حتى خلالها من الخل والخمر وجلا جلالها على الزبيب والتمر وما بقى من حمزة الأقصتة فى أفواه زيد وعمرو ولا جزر فى تربها ولا عجم فى عربها ولا جزر فى الرمق ولا شلجم للرمق .

وأعدوا بأمر العظيم فى أيام قليلة جسرا ممدودا على « دجلة » ، عبرت جماعة من الأنجم الكثيرة من الجسر ، وجعلوا مخيم المعسكر المنصور بجوار الامامين الهمامين ، وحدث فى « بغداد » زمن من الحصار الطويل والقحط الشديد ، وانتهى أحتياطي الغلة والحبوب ، واستحكمت فيدة القحط وقلة

الغلة على أهل القلعة ، واشتد أساس اليأس ، وانسد طريق الرخاء والرخص ، عادت لطمة عسر وجه حسن المعيشة والحياة ، كأن الأهالى فى فصل الصيف الدائم والشتاء يتغذون ويعيشون على دم القلب ، وكانوا يشقون الصدر مثل القمح من أجل قرص الشعير ، وأظهروا من الداخل الحار آثار « وفار التنور » ، كانوا يغتنمون أمل خبز قرصى حار وبارد للشمس والقمر ، كانوا يحصون الأيام والليالى ، كانوا يصلون النهار بالليل للحصول على الغذاء ، كانوا يخلون القلب من فقدان حبة البلح الأحمر ، كانوا يكبرون أربع تكبيرات فى حب بلح الفرض وبلح السنة والواجب والمستحب ، كانوا يتمنون لقمة طعام الأسد الأحمر ، وكانوا يطبخون خيالات فجة برغبات الطعام النيئ ، كانوا يأكلون بالتخيل اللحم المقدود ، وكانوا يتسمعون فى طلب الجزر من حصاد مزارع (تسألنى براميتين شلجما) ، وكان قوتهم اليومى حساء وحشيش جاف، كانوا يجدون من شدة الجوع فى طلب الطعام ولو بقطعة طوب ، كانوا يصنعون سد الحنك الذ من حلوى الخشت ، كانوا يبحثون من شدة الجوع حتى ولو من حجر ، صنعوا عصا الفقر ، وجعلوا حجر القناعة لمعدة الطمع ، كانوا يرددون باشتياق أنوع لغلة فى شط التعب بعدة حيل ، كانوا يخسرون منازلهم فى خانة شطرنج الغم (المحل العيش ومورث الموت) ، كانت قبضة الحبوب التى تأتى لأيديهم – يخفوها فى الجيوب – أغلى من حبات اللآلئ ، كانوا يجعلوها حارسا لحياتهم (ان الجوع مانع الهجوع وموت الفوات) ·

كان محاربو « بغداد » – الذين هم (أجرأ من الماشى بترج) من شوق الحبة الغالية طالبين أرض « ارزنة الروم » ، وصاروا من شدة التوحش متوحشين ، وظهروا مع (أحمد باشا) بصدد الفساد والاعاقة ، وكانوا يشبهون (يضرب الماش بالدرماش) وصاروا فى طلب الحمص – ليس هم فقط بل أعزة الملك – (أذل من قيس بحمص) ، وجاءت كل حبة علف فى غلائها أغلى من حب العدس الغالى ، وبقيت فتحة الطاحونة مغمومة كالحبة اليابسة ، وسقط الوعاء من القدر ، ووضع الوعاء فى حسرة الديك ، وشجم الصدر على النار مشعل القبائل التى كان لسان نيرانها يصل الى زبانا (كثير الرماد) ، وجلس بغم الصمت والحزن (هذا أمر لا يفى له قدرى) وجد دم وجه الوجوه من غم ماء الشعير وجز الشعير والردة ، يعنى لم يجد خبز الشعير حبة من نفس النوع ، لا يمكن القول بأن كل طائر وحسن ، وسقطت بيضته بالمقدار الذى يمكن سماع صوت الصياح والديك من الدجاجة (أخرجوا بيضتهم) ، واختار قدم العدو من المضغ والقضم الى حد الفشل ، ألقت جماعة يوميا بصورة الفقر طريق الهروب رويدا رويدا عدم قدرة المفلس في طريق الله القائل لهم من حض الخروج ، دخلوا

معسكر النصر أثر « وفى ذى مسغبة » من موائد (ألذ من السلوى) بدون من التوفيق والحظ ، اختار كل واحد طريقه « يتيهون فى الأرض » ، وكانوا يفرون (أجرى من السيل تحت الليـل) ، كانوا يلتقمون لفـم الحلق المحترق من الرصاص المذاب « لا يأكله الا الخاطئون » ، كانوا يشبعون من الحياة (رب أكلة منعت أكلات) ، الحاصل أن أهل قلعة « بغداد » الخربة ـ أفسد الخراب حالهم ـ (أرعن من هواء البصرة) ، وصاروا فى هم شديد صباحا ومساء نقص القوت الغذاء ومات بعض أهل دار السلام من شدة الجود بذل أساس الحياة ، وكتبوا (أهـل السلام مرد) بهذا على لـوح التصريح ، وعد (أحمد باشا) المسكين فى تفويض ذلك المعقل فلك الأساس حتى آخر شهر صفر « وها نحن مؤخر الصفر موعدنا السحر » .

- ١٧ -

بيـان الحرب مع توبال عثمان باشا قائد الجنـد وحدوث خلل فى الجيش بعد الفتح بتقدير الله القدير

وانكشاف مدلول « غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون » عن دولة فلك صولة « العثمانيون » ، اشتهر (عثمان باشا) الصدر الأعظم السابق الذى اصيب برصاصة فى حرب الفرنجـة بسبب ثباته ، بـ « توبال » أى الأعرج ، كان قد أمر بقيادة الجيش تجاه « بغداد » فى أثناء هذا المقال وظاهر هذه الأقوال ، وصل خبر وصول الباشا المذكور من ناحية « الموصل » المتواصل ، وحلت لقلوب أهل القلعة الخائفين من هذه البشرى المرغوبة سكون وهدوء ، وأظهروا وفاء العهد لرئيس من رؤساء التمرد ، كان يسير (عثمان باشا) على ساحل الشط مثل الطرة المجعدة ، كان يريح القلوب الواجلة ، كان يسلك طريق الاستبطاء بقدم (يقدم رجلا ويؤخر أخـرى) ٠

تبختر اخفاء لما فيه من عرج وليس لـه فيما تكلفـه فـرج

فى وقت العشاء ظهر بجيش مرتفع المعنويات ، راغبين فى القتال لمقابلة طليعة جيش الملك كريم الأصل (وفى الظهر جاء بالعصر) حيث أن افواج الأبطال تصادمت وتقابلت وتلاقت والتحمت ، كالوحوش الكاسرة ٠

صقور على اثباج جرد عوابس وأسد اذا ما كان يوما نزولها

بدأوا الحرب على نغمة حرب مخلب ويد الاقتحام والخطاطيف البراقة الحادة ، كان نفس اليوم الذى هو السادس من شهر صفر بشاطىء نهر « بط » (كصقر صاقر يلاقى البط) وطاروا بمخالب الهمة وأسنة مخالب الجلادة ، فرقوا جماعات ومقدمة الجيش « العثمانى » ، وحطموا الأعناق والقلب والجناح والأطراف والريش والمكانة والعضد « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه » ٠

وتدرى سباع الطير أن كماته اذا لقيت صيد الكمـاه سباع

تطـير جياعـا فوقهـا وتردهـا ظباة الى الأوكار وهى شباع

آمنت الجماعة التي هي في صحراء الحرب من يد أمير القهر ، وبدأوا الهرب من نفس دار القتال بالغم والحزن ، وهرب جميع القواد «العثمانيين» لطريق (الأوب أوب نعامة) ، جزم قائد الجند عندما التقى الفريقان كسر طائر الأقبال ، وعلم علامات الجبن والخسة من جبين جيش الخنس ، كانوا قد رافقوا بقايا طلائع الجيش ومتمردى السرايا الذين كانوا في موقف المساندة في الحرب ، وأنزل الخيام بنفس المكان المتصل بالشط ، وارتبطت أطراف معسكره بأبطال القنص والمدفعجية الشجعان ، بعد ذلك انشغل الجناب مع جماعة المشاه الذين اعتادوا على شرب الدم انشغلوا بالنزال والمبارزة ، امتد وقت الحرب وزمن الطعن من العشاء حتى العصر ، واشتدت الحرارة في هذه الصحراء المقفرة الى ما يفوق الحد ، بحيث أن استوى الحوت في الشمس ، وعين الشور ظمأى من رغبة أسود غابة الحرب ٠

وهاجرة حرها واقد تصيب لحاجبها حاجبي
تلوذ من الشمس اطلائها لواذ العزيم من الطالب

جعل ضياء الشمس صاقل مرآة الدنيا كذلك صوت الحرارة ، ان لم يتصور من ملابس الحرب الجسد العنصرى والقالب المادى للأبطال الا صورة الموت ، وجعل الشمس القاسية من نفس نوع الجود وكبد السماء بالنار الساخنة ، حيث أنه لم يظهر حجر تحت سنابك الخيل ذهبية النعل الا الفضة المذابة والمصبوبة ، كان يبرد سهام أشعة الشمس فى ذلك الهواء الساخن حديد ساخن فى صدر الأبطال ، كانت تستخدم أسنة السهام الحمراء في الأجساد البيضاء للسيف لعمل حلقات الدروع ، كان يظهر للوجه من لوائح السموم المتعاقبة حرورة «انها لظى نزاعة للشوى» ، كان يتحدث عن هواء المهاوى وماهية صحراء الهاوية ٠

« وما أدراك ما هى نار حامية » ، كانت تهدأ برودة ذلك الشخص الذى كان فى تلك المعركة فى ظل حائط العدم ، هنيئا للمبارز الذى يتطهر فى ذلك الوادى من الماء الجارى ٠

– تصبح الشمس ياقوتية من نور ضيائها

– ويصبح قرن غزال الصحراء مثل الخلخال النارى

– لا توجد سفينة الماء من هواء نار الطبع

– صار جلد السمك الناعم فى مسام سمك دال ٠

في عين اهتزاز الهواء الحار وحرارة الصيف الشديدة التى لم تجد الماء الا فى حد السيف انتهت طاقة الأبطال مثل عطشهم ، بل لم يبق ماء فى عين الشمس ، وجف اللسان فى فم الخيول الراكضة وصار مثل السنان ، وتخلفت عن العمل قبضة المحاربين الياقوتية عن استعمال سيفا شبيها بالماس بلون قبضة المرجان ، ذاب الدرع القصير فى الجسد والترس فى البدن من شدة القيلولة والهواء الحار ، وأصبح ذلك الجيش الثائر مثل القلب الظامىء من آفة أشعة الشمس المضطرمة ، ووضع الأبطال القاب على الموت من كثرة اضطراب ميدان القتال ، وأصبح الأبطال الذين كانوا من سيفهم اللامع رغبة العدو المشبع بالماء من جفاف الحياة المنفرة ، الأبطال الذين كان يذوب السم فى أبدان الأوباش المقهورين من هيئة هيبتهم ، كان خيال الشيخ والشباب يتضاءل ، كان العطاشى يشربون من ماء الحلاقة والسيف البتار (سقوا بكأس حلاق) ، واضطرم نار جماعة ومحترقى القلب من شدة العطش بضوضائهم بذلك الخضم ، وشبعوا من نهر السيف البتار ، وسقطت جماعة الظمأى والعطش مثل السمك فى الشبك ضعفاء (أعطش من حوت) ، اتجهوا مثل الماء ناحية نهر « دجلة » ، اشتعلت واضطرمت نيران العراك والقتال فى ساحة الالتحام والصدام وحومة الاضطراب والاضرام ، وانقطعت حبال تثبيت الصبر ، واشتعل وارتفع الغليان فى الصدر والقلب ، وتحدث الحرير والنسيج تحت درع الحديد من الكرة الحديدية ٠

رب يوم هواؤه يتلظى فيحاكى فؤاد صب متيم

قلت اذ صك حره حر وجهى ربنا اصرف عنا عذاب جهنم

كلام مختصر بمدلول « كل شرب محتضر » ، أحيانا كان الأبطال يحتضرون من حد السيف الحاد ، وأحيانا يطلبون من السيف البتار شربة ماء ، كانوا يعتبرون العرق الذى يسيل من عروق الخيل ماء حياة ، وجعلوه أساس الروح ، وكانوا يبللون الحلق من الماء الذى فى سن الخنجر الحاد المقوس ، كانوا يخافون من غم عطش سقف الخلق ، ظهر فى ذلك اليوم الشديد الحرارة آية « يشوى الوجوه » من جبين عظماء الجيش : وماتت جماعة منهم فى أماكنهم من شدة الرياح الساخنة ، « فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » ، وانتهى عمر الساقى فى مجلس ذلك الهواء الحار ، كان يحدد شدة حرارة شراب الموت ، حتى سقطت جماعة الثمل فى التراب (وردوا مياه عطيش وحياض غتيم) ٠

كلمتا جاء السهم الصلب وطالع الخوف المغتنم ومرامى المراد وأمل « العثمانيين » أولا على الأرض (فاز بالسهم الأخيب) ، صار مثل السهم الزاحف والحابى بشدة القاء الفلك ، ضعف ظهر القوسين ضارب (رمية من غير رام) حيث أن (مع الخواطىء سهم صائب) ، كان يفوق سهم عمل الأبطال المخيف الذى فى قوس التفوق (هو أعلاهـا ذا فوق) ، وصـار القوس المنطلق وعين مقصد الجيش المنتصر ذو الأظافر ، كما قيل (أهل الحرب والجدل بين الحرب والجذل) ، وصار ظهور هذا الحال فى سـباق وثاق رباط سباق مضمار الجلادة (شخب فى الاناء وشخب فى الأرض) ، وبمضمون (الحرب سجال) اشتغل بعض أسود الصولة فى ارض الحرب الواسعة بالمواجهة والقتـال ، انشغلوا بالاستطلاع ، وانتقـل البعض من المواجهة للالتحام والقتال ، وفى الحرب كتب الأبطال على صحيفة الوجود كتاب الهزيمة بضرباتهم ، وقال القضاء على حال الأبطال مفاد « لقد جئتم شيئا ادا » ، وخلال ذلك الكر والفر فترت الهمة الفريدونية ، وألقى على حكم تقدير خيل درع اللباس الملكى الذى من الركاب المحكم لجام الشمس الذهبية على صهوة جواد الفلك على سبيل الزينة ، وتقابل (نادر شاه) بشخص ضخم من المشاه « العثمانى » العصاة ، فسقط تحت قـدم الملك القدير ذو الدراية السكندرية (ان الجواد قد يكبو) ، وهبط جنابه على الأرض من السماء ، ونزل من لجام الخيل الملىء بالجواهر جبـل ضخم ، وعاتب الفلك المزركش على هذا الغرور الوافر ، وكان يلمس التاج مثل الشمس من فرق الفرقدن الذى وضع التاج بدلا من القلنسوة ، قبل شفاه الأرض ووشاح ترائب أتراب التراب ، الغلمان الذين كانوا مثل السعادة والاقبال صاروا حلقة بأذن الركاب ، ووضعوا القلنسوة والتاج على رأس ذلك السرور ، كان الجواد الخاص يتقدم مع الجياد التابعة الأخرى ، تلك الحضرة التى كانت ذكاء حائر من حقارة الفلك ، وظهر مرة أخرى بحراسة الاقبال على ظهر خيل جبل الهيئة ، وواجـه الخصم ، وانطلقت عليهـم الأفواج الخبيرة بالسيوف المجردة ، وقتلوا عدة أشخاص من « العثمانيين » بأسنة السهام وحد السيف القاطع وبنبال الأبطال الملقاة فى ميدان القتال « فراغ عليهم باليمين » ، وسار بالحصان السريع أخف من رياح الشمال ، وأخلى الوجد من العيش الهانىء والخيول ، أصبح الزمان الذى فيه جماعة سلطان العصر يعنى الشمس قريبة الافول وسيف الأبطال الفولاذى مفلول من الحرب والضرب ، وهزم الجيش الذى أغلبه أسود الصولة ، وقصت ذؤابة العزم وانعطف عنان الخيل من ساحة الحرب ، واتجه ناحية « بهريز » مثل الماء الجارى (آب وقدح الفوزة المنيح) .

لا خـير فى الغـازى اذا آب سالما　　الى الحى لم يخرج ولم يتجدد

رحل أهل المعسكر أيضا من جانبى الشط ، وانضموا لموكب العظيم ، رأوا وقت السحر أن « عثمانى » « بغداد » مستعدون بالسهام والعداء فى « بهريز » ، فأعتدل مزاجهم وصاروا مثل فوج الذباب الذى أسرع تجاه العسل أو مثل الخيـل الذى أسرع هاجما على وعاء التبن ، وفرحـوا من التقاط الحب والسنبل والغلة والزاد المتبقى على الأرض من معسكر الملك ، وانشغلوا بالحمد والثناء « الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » (اذا أخضب الزمان جاء الغاوى والهاوى) .

(١٨)

بيان توجه الموكب النادرى للمرة الثانيـة ناحية « العثمانيين » وقتل (عثمان باشا)

« ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ، بعد ذلك قـدم شتـات الجيش الشجاع الشكر الجميل ، وجـاء جمع الأشتات والمتفرقين « من كل فـج عميق » ، والتحقوا بركاب العظيم ، وحفل زحف النصر بالخائفين والمشتتين والمضطربين (« من كل حدب ينسلون » ، وظهروا باشارة « وشاورهم فى الأمر »فى منزل « منداليـج » للهجوم والقتال بقلة كلام المشاورة وحسن الحديث ، وعقـدوا مجلس مناقشة وتفاوض وجلسة تبـاحث وتشاور ، وفتحوا أبواب الأمـل أمام الأبطال بمفتاح بشرى « فأثابكم غما بغم كيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » .

وليس الفرار اليوم عارا على الفتى اذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

رأوا شدة وجد الجيش وطلب تقوية الجند الطموح ، ورأوا لو أن الحصان السريع لطم الدولة على الوجنتين ، يصبح موجب تفتيت وتحطيم الجنود القاهرة ، وانكسار وتصدع الشـوكة الباهرة ، وسقط باعث الهبوط من قمة العظمة من فوق الحصان الضخم وصارت دواب وأموال الجنود فى ميدان الحرب والقتال عرضـة للسلب والنهب والضرب والطعن ، لكن بتأييد الله القيوم كان عوضه بأضعاف مضاعفة (ان ذهب عير فعير فى الربـاط) .

فيوم علينـا ويوم لنـا ويـوم نساء ويـوم نسر

أوصل القواد الشجعان للحبيب والصديق عرض :

لك الخير أبد الدهر ما قد علمتـه ومالك فيـه والتوغل فى الغـم
تهاد بما تهدى وبت متسليـا فقد طرق السراء فى ليلة الهم
مكانك ما تدريه من أنق العلى فخذ مأخذ الأقمار فى النقص والتم
فما أعقب السبك النضار مهانة ولا حط ميل النجم عن شرف النجم

حيثما ضرب الملك مزين الدهر غزاة الممالك كانوا يحضرون خيلا من الحدود الأربعة لآفاق الأقاليم السبعة ، صار بصحبة التوكل لجام الهمة على ظهر مركب الفرس الشره والسيف الحاد على مفرق الغنيمة غير الطاهرة من المتصف .

السيف والخنجر ريحاننا أف على النرجس والآسى

شرابنا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الرأس .

بعد دحر الفتنة والثورة ، وازالة آثار الوحشية من الجيش ، قوى الجأش بغرض القتال والعراك ، صارت (همدان) فى ٢٢ صفر مقر الموكب المنصور ، وصدرت الأوامر المطاعة بناء على حكم « أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ، ومشتملة على أمر « انفروا خفافا وثقالا » ، ومنطوية على قول (هذا آوان الشد فاشتدى زيم) ، أشار الى أن من الولايات الواسعة ركبت مدافع فلك العظمة على مركب رقبة الفارس، وحمل بقدر الكفاف البارود على ظهر الناقة وأوصلوه ل « همدان » ، أمر بجمع العساكر الكاسرة والقساور القاسرة ، والبواتر الواترة ، وتعتيد البيارق البوارق والفيالق الفوالق ، والمخاريق الفوالق ، والفوارس الفوالق ، والأفراس السوابق وآلات الرواعد والصواعق ،والمدافع الحوارق ، والمناسف الخوارق ، والمقاليع السواحق والمقاريع والمطارق والمقامع والمحالق .

بعد أن احشد جماعة أسود الصولة وخاصتهم بهدف دفع العدو الملتوى الأفعال ، اوتجمع فى ذلك المكان الصحبة والجمع من ليوث العرين وأعمدة القتال ، وحرص على التألف وجمع الأبطال الشجعان واختيار أفضل الجياد والاجناد ، وتحديد وجمع الجماعة المجتمعة والاستعداد بأبهة لا تحصى ، فى ٢٢ ربيع الثانى يوم السبت بعون الأحد الذى بلا شريك ، رأوا بجيش شجاع الجمعة من صوت الخيل السريع حدة عنان آثار الدهشة على قلب الشاب والشيخ .

خميس لشرق الأرض والغرب زحفه وفى أذن الجوزاء منه زمازم

تحركت جماعة المتلازمة بالنصر بعزم حازم ورأى جازم ناحية « كركوك » ، قد حرك أبطاله وطلابه ، وسحب على وجه الأرض سحابه ، ونقل من الثرى الى الثريا ترابه ، وأطار الى النسر الواقع من الغبار غرابه ، وقد فض فضاض الجبال من تصادم جند المقدام ، ومن سطوع القتام اشتبه على الناس انه قام يوم القيامة وشدة الشدائد كتبت الكتب على حمام

الحمام ، وحنت ضلوع الحنايا من الأحنة ، باصابة صوائب السهام فصار اليوم كالليل عجابة والليل كاليوم ابتلاجا • وكان لسان الدهر يقول •

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل

معطي الكواكب والبيض القواضب وال جرد السلاهب والعسالة الذبل

فنحن في جذل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل

جعل قائد الجند بحسن حصافة الحس اصرار في المقاومة ، ودارت آلة الحرب خارج دائرة « كركوك » بهدف آخر ، يعني أعطى الظهر للحائط، أرسل الفوج الذي كان في مقدمة المعركة وخلف قوة الجيش لمعركة الحرب والقتال •

خرج من البلد رجال الى الموت عجال ، فتلاقوا بسلام السلام ، وكلام الكلام ، وتصافحوا بالصفاح ، وصفحوا الكفاح ، وتواصلوا بالقواطع، وتعانقوا بالمقامع ، وتسارعوا الى المواقع ، وتصارعوا في المصارع ، تناوحوا وتنافحوا ، وتكادحوا ، وتكافحوا ، وتواقحوا ، وتقارعوا ، وتقادعوا ، وتناجزوا ، وتناحروا ، وتعاقروا ، وتنافروا ، وتناصلوا وتناضلوا ، وتجاولوا ، وتجدلوا ، وتجلدوا ، والبيض نقد ، والرماح تخللت ، والقلوب تململت ، والصدور تقلقلت ، والأكباد تدلدلت ، والأحشاء تجلجلت ، والأجسام تخلخلت ، والطعنات تكاثفت ، والصفوف تخلخلت والمنصل الصادي يصد وبالدم يروى ، ومقداح الحرب في قدح حزب الخصم يقدح ويوري •

في النهاية انعكست في مرآة السيف العروق المفتوحة بصورة الشاهد المطلوب لقائد الجند في مرآة الحصول على صورة ، يعني جاء أبطال ساحة القتال بمساعدة الاقبال بضربات العقل المشوش ، سحق المحاربين الأعداء في ساحة القتال ، تعرضت جماعة من العثمانيين لسيف عدم الأسف ، وسحبت بقية الخيول لساحة الفرار •

اغتنم قائد الجند جوهرة الحياة الغالية ، تدثر برداء التفكير ، وتحصن بحرز الأمان ، انثنى عن عزمه بصوت تحذير (اياك وصحراء الاهالة) وبمضمون « وأوجس في نفسه خيفة » ، ذهب بالرأي الضعيف ناحية الخوف ، أصبحت صلابة نخوته مقترنة بالضعف والقذارة ، سحب الرأس لجيب الاجتناب ، ذهب للقلعة ثم كتب رسالة مثل الثعبان الأرقم كلها سم باسم قائد الجند الذي ظهر من خطوط حركته رسم (جاء بالرقم الرقماء) ، أمر بأن يصل ذلك الحكم رسالة واحد الأسرى بحكم « أذهب

بكتابى هذا فألقه اليهم » ، دعى قائد الجند لميدان القتال ، وأشاروا لهذا الموضوع فى مضمون رسالة ٠

فان باشر الأصحار فالبيض والقنا   قراه وأحواض المنايا مناهله

وان يبنى حيطانا عليه فانما   أولئك عقالاته لا معاقله

حدث وقت العشاء أن ترك ضياء مقدمة الجيش بياض خوذة القتال وساحة الفلك ، موضح سيف الشعاع فى غمده ، وأصبح الملك حسن العاقبة مثل أسد الغابة المنحدر للأدغال بمنطوق « جعل لكم الليل لتسكنوا فيه » ، كانوا قد تنعموا بالحياة المرفهة ، « ولا تمار فيها » ، استقلوا واستقروا مثل الجبل الصغير الذى خارج قلعة « كركوك » ، ذات يوم وجد كتف فضة الفلك الأعلى البيضاء تزينت بسرج الشمس الذهبية الساطعة ، ظهر بجماعة (بهرام) وصولة الأسد على ظهر الحصان العنبرى السرج ، ونثرت قلوب الأعداء مع السهام العابرة مسك الجراح ، وجعلوا يوم المعركة عليهم ليلة مظلمة ، ولم يكن فى وجه أمر قائد الجند مثل الصفاء ، لم يجيبه بملء الأحواض المليئة بالماء ، وطبق مثل (لا أفعل ما غرد راكب) من ضعف القوت من القوة ، الملك مقيد العدو فاتح الممالك بعد ظهور هذا الحال أسر رقبة أسود ساحة الوغى بسلسلة المنع عن الاغارة ، هاجم عدة آلاف من قبيلة « بيات » بالبنين والبنات الذين كانوا يسكنون ويقيمون فى تلك النواحى ، وأظهروا فحواى « وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا » ، بعد ذلك استيقظ العدو بقلب يقظ بارشاد العقل المحكم من ناحية « سور داش » التى كانت تتميز بكثرة الغلة والحشم ، لم يكن نجوم الفلك المقيمون فى الخيمة السوداء فى تعداد عشر عشير عشيرته ، تقدم طريق الانهزام ، سخر قلعة « سور داش » ، وصارت قلعة « جولان » منتزه خيل الجيش الفيروزى الأثر ، وخزنت غلال تلك الأرض فى طريق « بغداد » ، وظهرت جماعة من أبطال ساحة الشباب بهدف الاغارة على الأنحاء والجوانب على كتف خيل الجلادة ، وأغاروا بالخيل والجمال من الأطراف ، وأصبحت كل أطراف تلك الحدود عرضة للنهب ، ودخلت جمال كثيرة وأغنام وفيرة من سفوح الجبال وأواسط القرى بحوزة الاستيلاء ، لبس أكراد « بلباس » لباس الطاعة ، وأطاعوا ، أمر الفلك المطاع ، أثناء هذه الأحوال وصل لمسامع معتكفى بيت الله الحرام حلال وصفاء مدخرى مروة الجلال ، وبظن ظهور الفتور فى هذه الناحية تقدم وظهر الخيل الأصيل النشيط فى ميدان حربه ، أسرع عشرون ألفا من الجيش الجرار بقيادة « ممش باشا » على التوالى بصورة فرق ودوريات للعراك والمواجهة ، وجاءت تلك الجماعة فى مكان معروف ب « آقدربند » — الذى يقع فيما بين

جبلين شامخين — ، واستقروا على قمم الجبال ، وانشغلوا فى الكمال من جهة الأمن والاطمئنان بالتجسس ، جعل الملك المنصور النهار فى منتصف الليل المظلم مع جماعة من الأبطال المهـرة من سرعة طبقات الخيل طبـق « والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق » ، أضاء قمر لواء شمس ساحة ضياء الفلك المطبق ، وصاروا بصحبة ركاب البخت العالى بالنصر وحسن الفال على الخيول المسرعة بجمال وجه عفريت المهابة (انه لحثيث التوالى)، وصار الراكب على جناح السرعـة سالك طريق وادى الحرب والقتـال ، ارتفعت من خيول مراكب النيران الملتهبة ألسنة نيران جبال وفضاء العالم، تراكم اللهب بحد فائق بحيث أنه كانت ترى النجوم الشهباء فى تلك الليلة مثل الكحل من عين الظلمة الناعسة والمكتحلة ·

كأن نجوم الليل خافت مغارة   خمدت عليها من عجاجته حجبا

وارتفعت من أقـدام خيول القواد البواسل أعناق ريح الغبـار على السماء ، كان يجد الظلمة الملونة بمائة لون من ثقب عين الانطباع ، كانت تشبه حبل المسبحة ·

تسجت حوافرها سماء فوقها   جعلت أسنتها نجوم سمائها ·

اذا لم تمنع أشعة سنان المحاربين شمعا أمام طريق المجرة ، لما حملوا أثر كواكب السحب المقطرة لمنزل الأفق حتى صبح الأبد ·

عم السماء النقع حتى كأنهـا   دخان وأطراف الرماح شرار

ولـو لم يشعل مشعل بروق السيوف البراقة فى سـاحة الدنيا لما خرجت خيل الكواكب من تيه الوله حتى يوم القيامة ·

فكنت سماء والعجاج سحائبا   وخيلك أبراجا وجيشك أنجما

مع أنه جعل مكان وزمان سواد الجيش المنصور مكان ظلمة الليل الداجى ، لكن هاجمت عدة ألوف من الشموس والأقمار المضيئة من صورة الدروع المتلألأة على ساحة الأرض وساحة الأفلاك ·

وقد أطفأوا شمس النهار وأقدوا   نجوم العوالى فى سماء عجـاج

عندما قبل من آثار غبار الخيول السريعة عين النجوم أضواء فلك الغبار ، لكن رأى غبار تلك الأرض بتأثير قدوم الملك فى الأنظار حكم كحل التراب ·

أما الغبار فانه مما أثارته السنابك والجومنه مظلم لكن أنارته السنابك الذى حدث فى تلك الليلة أن خيول الأبطال كانت تسلك مصباح الصدق من شدة الظلمة ، كان يصنع خاطر المحاربين برغبة الشمع من حجاب القلب فانوس الخيال ، بعد انغلاق الصباح وانبلاج ضوء الصباح ، وصل المحاربون الأبطال بعظمة تامة لبلاد « آق دربند » ، وسار المدفعجية مثل المريخ مرتدى الحرير المدبج ومطلق الملابس حديد كسوة « كركين » حقد وحيد القرن على الديك وأرسلوا من كلا الطرفين الجبال العالية والوعرة وأعالى الجبال ، أظهر الفرسان الحديد واللباس ما ضغى الفولاذ فحوا « زبر الحديد » ، وأظهروا أحكام الأطراف واحاطة الجبال وقممها ، وحاصروا « آق دربند » ، فى نفس الوقت أنارت الشمس الباهرة الساطعة من تلك العظمة من أعلى جبل كوه الأفق وتلال التراب وهوة الأرض ، أضاء أيضا نور لواء الشمس المضيئة فى بدء السطوع وظهرت آشعة الشمس ، ولمعت شمس عالم ضياء الطلعة الملكية أعلى الجبل والفضاء ، واستيقظ « العثمانيون » من ثبات الغرور ، ورأوا الأجل وسادة والنهار السعيد مقترنا بظلمة الليل ، فلما رأى الشمس بازغة « رأى الكواكب ظهرا » ، لاجرم اتجهوا من ناحية سرعة المصارعة ، واستعدوا للمعركة والقتال ، لكن قائد الجيش لم يتخيل بعد ارسال تلك الجماعة أن الملك حسن الخصال وقت الانتصار يرمى بالسهم والسيف الحاد وخطف الخصل من عظماء العالم وهرب ، وفر (ممش باشا) نادما ، وانشغل مع فوج أبطاله من ناحية التكبر بسن السنان واصلاح للرماح واحماء السهام وسن السيوف الحادة بهدف أهلاك وقتال عدو طريق الخصومة باقدام (نزق الحقاق) (أسرع من البراق) ، وتحدث لسان حاله فى ميدان الشوق للحرب والجدال بمقال :

اذا ما غدونا قال ولدان أهلكنا　　　تعالوا الى أن يأتينا الصيد يخطب

جلس على جواد العزم المهيىء وفيل الحرب ذو العاهات ، وأصدر (ممش باشا) أمرا بالقتال ، وأغار بجيش به القوى والضعيف ، وكان رسول « آق » قد ذهب هامسا فى أذن الأجل :

الى حتفى سعى قدمى　　　أرى قدمى أراق دمى

وفى أثناء الأخذ والرد ، ظهرت مقدمة الجيش (النادرى) من ناحية « كركوك » ، وآثار هجوم جماعة (بهرام) الحرب غبارا كثيفا على الفلك، ولم يفقد أبطال العصر الاستقرار فوق العنان ، وأظهروا الثبات فى الحرب

(رباعى الابل لا ترتاع من الجرس) ، ورأى جند (ممش باشا) أنفسهم فى مهبط الاضمحلال ، فلم يجدوا بمكان المجالدة والحرب فرصة للمحاولة والمناورة ، وتحركوا لحدود وسهول وتلال الفرار ، وفروا ناحية الهزيمة من بأس الأبطال أسود الصولـة ، وفقدوا الزمام ، وأداروا الوجـه من ساحة القتال ، ذهل قائد الجند من مفهوم « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت رعبا » ، فسند الظهر على وسادة الاطمئنان فأسرع للعرش ٠

عندما رأى الحصان الحاد القدم « شبرنك » (١) والجواد الأبيض العاصى هذا الحال المتقلب لأيام هادىء الطبع صاحب ربابة النصر ، وجد اليد والقدم عوجاء وعرجاء والصحراء مليئة بالأفاعى ، اقترح على الجيش المذكور والجنود المصفوفة الانسحاب والعودة ، وجرى بسرعة الروح من العرش ، وانتسب لمثل (الفرار بقراب أكييس) وبذيل ٠

أقاتل حتى لا أرى لى مقاتـلا وأنجوا اذا لم ينجو الا المكيس ٠

هرب على عجلة بسرعة الخيل السريع ، لكن قيدت عقلة الغفلة عمله ، أمسكت قبضة القضاء عنانـه ، وحدث مصداق « اذا فرحـوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » يعنى وصل اليـه فى نفس الأرض الموحشة (الله يار) البطل المشهور من قبيلة « كرايلى » ، بسط اليد العليـا ونزل من فوق حصانه (أخذه أخذ سبعة) ، وجعل رأسه على قائد السنان مظهر معنى القيادة ، وبهذه الجلادة رفع رأسه عاليـا وسط الزملاء كما قيـل (عند الاوجال تتفاضل الرجال) ، وأسرع لدار الفناء عشرون ألف جندى من الجيش العثمانى من حد السيف البتار ، وخلا ميدان القتال من وجـوه أبطال العدو ، (يوم بيوم الحفض المجور) ، بعد ثلاثة أيام تحرك لواء فاتح العالم من ذلك المكان قاصدا نواحى « كركوك » وأمر جماعة بالاتجاه لتأديب عصاة المعاقـل ، وهاجموا كل خراف وعنز ونعاج ونوق وعجاج تلك الناحية ، وجعلوا ضياع وعقارات تلك المملكة عرضة للنهب ، والأهالى آكلة الكلاب العاقرة والضباع ، انقلعت كل قلاع تلك الناحية واقتلعت وسائل تلك القلاع ٠

ووصل فى ذلك المسير بالسرى ، وسال بسيول خيوله رمال الوهاد والذرى ، وسرى ، السرية وأمرها بالغارة على الغرة ، فغلوا الجمع ، وجمعوا الفل ، وحلوا العقد ، وعقدوا الحل ، وحملوا على القلاع ما اقتلع من القلاع ، ورجعوا منصورين الى حضرة السلطان المطاع ، بعد الاغارة على « كركوك » مر ةأخرى ، حرضوا الهمة مرة أخرى ناحيـة « بغداد » ، وألقوا القلعـة بمضيق الحصار ، ودخل (أحمد باشا) من باب المعذرة ، صار متـكفل

---

(١) اسم حصان سياوش ٠

تفويض الولاية المتنازع فيها ، أظهر بقانون الدولة العثمانية أوامر مزينة بالخاتم السلطانى ، واصطحب ثقاته لدى الباشوات طالبا أن يجلو «العثمانيون» عاجلا لا آجلا ، واخلاء القلاع وتسليمها لمندوبى دولة العظيم مظهرا ٠

من الحق أن يجتابها مستحقها وينزعها مرد ودة مستعيرها

اذا ملك الحسناء من ليس كفوها أشار عليه بالطلاق مشيرها

فى سلالم هذا التسليم وصحارى هذه المحادثة حدثت قضية (محمد خان بلوج) ، صار مانعا لطريق الطلب وحائلا لحصول المطلب ٠

(١٩)

بيـــان طغيان (محمد خان بلـــوج)
وخاتمة أمر ذلك المغرور سيء الحظ

« ان الله لا يحب كل خوان كفور » كان (محمد خان) المذكور وسط قوم (البلوج) (١) منذ بداية الحال قد أظهر سوء آية وخال وجه الغواية ، فى نفس وقت استيلاء « أشرف » ، ارتقى بواسـطة مساعدتـه لمراقى الدولة ، وذهب من جانبه بهدف السفارة لبلاط شوكة المدار العثمانى ، بعد اعتلاء راية الدولة النادرية وتسخير « أصفهان » ، عندما لم يتمكن من سلوك الطريق ، أدار وجه الالتجاء والملاذ لهذا البلاط ، تطيب من رائحة الاحسان الملكى الطيبة التى تطيب مشام الأمانى ، كان يظهر فى الظاهر مظاهر المحبة والمودة ، لكن فى الباطن كان يبطن الحقد والعداوة ، حيث كان معروفا ومميزا بعلامات سوء الخلقة والطبيعة ، ، كان يتحرى طريق المخالفة ، مثل الحمار الذى كان يفضل شم رائحة الفضلات والروث ، فى نفس الوقت الذى توجهت فيه آلوية الجنود ناحية « بغداد » ، أصبح حاكما ل « كوه كيلويه » (٢) ، ممسكا بزمام الحكم ، بعد ذلك وصلت لمسامع العظيم خبر احتشاد الجيش « العثمانى » ، صار (محمد خان بلوج) مع جيش عظيم الشأن من « كوه كيلويه » ملتحقا بالركاب الفلكى ، فى الوقت الذى كان متجها لمعسكر الملك ، علم أن الجند المنصور تعثر فى « جايدر فيلى »)٣(، احتل مكانا فى مصيد الأسود الضعيفة ، وصار من فرط نشوة العقل الخاطف خمر الغرور والنخوة والاعتقاد السيء مظهر طريقة (أول الدن دردى) ، تقدم دور الكأس الثانى ، وأخرج من صميم القلب المجروح والطبيعة الجريحة ماء أول البئر المالحة والشؤم والشر سر) اتق شر من أحسنت اليه) ، وخلاف صدق قصة (من استرع الذئب فقد ظلم) واخضر الكفر فى قاع الصفصاف بلا حيلة للوجه المظلم ، وطبغ عن طريق

---

(١) طائفة تقطن فيما بين كرمان وسستان ويطلق على المنطقة المقيمين فيها بلوجستان كما يقيمون أيضا فى ملك كج ومكران ومكس وقلات وباميبور وبجوار بحر السند وهم عبارة عن قطاع طرق .

(٢) أحد اقسام بهبهان .

(٣) قرية من القرى الجبلية بمدينة حرم أباد .

سوء الحظ دموع الحسناء المعروفة والعداوة في اناء داخل الخيال النيء ، جعل دلالة الخائنين حكام مائدة مليحة للافطار على مائدة الضلال ، وأظهر مظاهر العداوة والعصيان بلا سبب ، وأبطن حسن النية ، وصحح أسباب الخلاف مع ذوى التفكير الأعوج ، وسلك طريق العداوة والمكر ، ومال الى سواد القلب وقبح النفس وسوء الخلق وشئامة الخلق وجرأة النفس وشراسة الطبع ، انحرف رأس الحصان للوجهة الصحيحة تجاه وادى الضلال ، لم يلاحظ بالعين المجردة للمحافظة على القسم الغليظ وبال العواقب ، عندما تراجع حظه أظهر من التفاخر والشجاعة جمع الجماعات والفرادى بسوط جلادة انزلاق خيل المبارزة والقتال والعراك ، كانت جماعة من سكان العرب أيضا ساكنى البنادر قد سحبت من الرقبة مثل الكلب المجنون بحب شدة النزال وغرور القيد ، ثار بالممانعة والنباح وجعل فى ناحية « بهبهان » والبنادر لنادر العصر بداية العصيان وبوادر الطغيان ، ورفع لواء المخالفة (لوى عنه عذاره) بعد ظهور هذا الحال تحرك ملك الأنجم بجيش فلك الآية من أجل قهر وهزيمة ذلك الحقير المعتوه ، وجعل حدود « شوشتر » داخل دائرة الدولة ، وعندما شرب أهل «شوشتر» كأس خمر العصيان ، وسعوا لموافقة (محمد خان) فى مخالفة هذه الدولة ، روجوا البضائع الكاسدة ، ومزقوا ناقة الفساد « انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وهم يحسبون انهم مهتدون » ، ذلك الملك المحبوب الذى كان أصل « خوزستان » عندما أظهر مصحفه مكان الظلم جعل دار النعمة مدينة السلب ، (من يمشى على أثر الغراب سيرجع الى الخراب) ، بناء على ذلك غشى سك دراهم الاخلاص ، أظهر أهل « حويزة » — الذين كانوا يسكون فى دار السبك السكة المحمدية من بوتقة القلب المغشوش — ولاء (محمد خان) ، عطف عنان الخيل ناحية « حويزة » ، وأظهر الصفاء لحوزة ذلك الملك الطاهر وتوجه ناحية « بهبهان » (٤) .

سقط (محمد خان) من تحسن هذا الحال بسجن الحيرة ، « فبهت الذى كفر » وسقط فى قيد « شولستان » بهدف التراشق بالسهام ، وصعد جنوده فى علياء الجبل والقمم وبين شعب الجبال وتذرعوا بسلاح الحرب ، وجعل كتيبة نكبة الأثر تكتب (نعوذ بالله من ثعلب يتليث) ، وهكذا هزم الأبطال المنصرين بالضرب والحرب أولئك المجانين المهزومين بالوثب والقفز ، انحدرت تلك الفرقة على الفور من أعال الجبال وأغمدوا فيهم سيوفهم :

تفرقت الظباء على خراش فما يدرى خراس ما يصيده

(٤) اسم مدينة من بلاد فارس بالقرب من بلاد العرب وهى تقع بالقرب من نهر خير آباد .

وهجم أهل البغضاء الدون بعضا دون بعض على خيول الغزو ، وهربوا من تلك المعركة المهلكة ناحية « بر » ، وسقطت واهتزت جماعة في غابة الحرب من حركة أسنة السهام مثل الورق ، وأصبح البقية أسرى حبال الجيش ذو الجأش كما سار في المثل (عاد الحيس يحاس) ، ذلك اللسان القبيح الوقح الذى كان قد أشعل الحرب ، حمل القدم للهروب وامتلك أطراف الأودية ، هرب ناحية « هرمز » بالجمع القليل والسيف القليل .

بعد ذلك دخل موكب العظيم « شيراز » بجماعة الأسود ذو الهجوم الوحشى الذين كانت تموت الأسود من هيبتهم « غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » فوض قيادة الجيش ل « طهماسب خان وكيل الجلائر » لتعقب ذلك الذى بلا عاقبة ، ووكل معاقبته وتقييده وزجره للوكيل « والله على ما نقول وكيل » ، سار بتأكيدات أكيدة وأوامر مشددة ، حتى يدفع مكره ويرفع فتنته ، أصبح « بندر هرمز » من هجوم حاملى كنانة السهام المخيف جزيرة « كيش » ، كان موجود مصب البحر أمام أشهب سريع الجرى رماة جلادة الجعبة من البقر والثيران والجمال القوية والعجماء والبهائم والخيول الأصيلو التى فى عتبات العرب وخدمة العجم ، خطف اللقمة وانتزع الطعام القليل ، وحصل على أسرى وخيل وجمال بلاحصر ، وصارت جميع مساكن تلك الجماعة المعيوبة (أخلى من جوف الحمار) ، رأى (محمد خان) بخار بحار المصائب متصاعدا وغبار العناء متراكما ، ونامت عين الحظ ، وصنع بكاء (أعجز من هلباجه) (٥) حكاية (فروا من المطر الى الميزاب) ، وجعل أعراب « هوله » (٦) بالحيل والتهاويل والاخافة يرفعون الأهوال ويحولون الأحوال ، فعاونوه ، وتمكن من دخول جزيرة « قيس » ، حيث أنه يجب فك العقدة بأظافر صداقتهم ، صان فلك قساة القلوب من سهام الأقواس ، وساق ناقة الوجود الى بادية النجاة ، وحملو الأحمال لسهول وسواحل الخلاص (نشب فى حبل غى) (٧) صار الأبطال (اليس من اليس من حيث أيس وييس) فى طلبه (أسرع من الغيث المقطر) لكن لم يعرف له علامة ولا أثر .

عندما كان قد أصدر مقدما أحكاما مطاعة ــ حيث أرسل حكام البنادر تلك الزيادة قليلة الحظ وضعيفة الرأى ذو القلب القاسى لكل مكان تابع

---

(٥) هلباجة هو النؤوم الكسول .

(٦) اسم طائفة من العرب الذين يقيمون فى جزيرة « كيش » وكانت سابقا تسمى جزيرة « قيس » . وهى تقع جنوب ايران وقد أطلق عليها اسم الهولة أى المتحولة والمتنقلة من مكانها .

(٧) يعنى أن وقع شخص فى مكروه لا مفر له منه .

لبلاط العظيم ، جعل فى واسط البحر « شيخ علاق هوله » لسلب قلائد التقصيرات السابقة من رقبة ذلك الخـائن الهالك وسيلة عفو البوادر ، أرسل مكبلا لدى الوكيل ، كان من سكان البنادر شريك شر واحد منهم ، كانوا قد جعلوا أسير شراك مائـة نوع للبـلاء ، وأظهرت أحد السواحل والمعابر مظاهر العصيان وأعلنت أمور خلاف الأوامر ، ابتلو بدوامة هلاك مانتهم حسرة « ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا » وندم (هذا جزاء من اتخذ الغراب دليلا) « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ، أشار من موقف القـوة بقـلع عـين ذلك البصـير الذى بلا بصيرة ، رأى برأى العين مدلول « من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى » ، بعد عدة أيام ربط متاع السفر ناحية نار سقر بفحوا (من طلب ما لا يعنيه فات عنه مالا يغنيه) ، ذهب بعينة تعبئة فى عمله ، كان قد صار من مدينة الفساد فوجد العوض فى مدينة الجحيم ، تبدل بياض عيونه فى انتظار العظمة لسواد بلا فائـدة (أفرخ قيض بيضها المنقـاض) ، (الشيخ عـلاق) الذى كان من الواجب اطلاق حـر زفرة قيـظ الغيظ والغضب ، صار بذريعة هذه الخدمة بتوفيق النعم السابغة ، فاض الغيظ من فيض العناية على أحواله ، وفاز بالجوائز ٠

(٢٠)

بيان توجه (نادر) ناحية « العثمانيين » للمرة الثالثة ، وقتل عبد الله باشا

« ان الله يفعل ما يشاء » عندما عصى باشوات الأتراك عظيمى الشأن الأوامر بسبب انتشار خبر طغيان وتمرد (محمد خان بلوج) ، وعودة الموكب المبارك وانصراف المعسكر المنصور ، اختفى وجه شمس الطاعة بغيم المنع والرد بعودة التمرد ، لم يوقع ويقبل التوقيعات القيصرية وفاق التوقع الموقع ، كانوا قد تحولوا من جموح الطبع لانقطاع العمل بالسيف وأسنة رماح الاضطراب ، وانسلال السيف ، وانفساح ميدان القتال ، اتجه الملك المؤيد بعد القضاء على (محمد خان) لانتزاع الممالك ، وصارت يد وساعد الهمة العالية بصحبة ركاب النصر وموكب الاقبال « وحسن أولئك رفيقا »، اتجه من « شيراز » مثل الأسد الجسور والنمر الغيور من جهة الادراك من أجل تأديب العدو الهالك ، وجاء الى « اردبيل » (١) و « مغانات » (٢) ، فى نفس الوقت أسرع ناحية « شيروان » كوكب الملك (نوشيروان) الروح، فر (سرخاب خان اللكزى) والى ذلك المكان ناحية « غازى قموق » (٣) التى كانت نهاية بلاد « داغستان » ، واحتل قلعة « شماخى » بدون بذل أى مشقة أو جهد ، وبعد عدة أيام أضاء لواء الشمس اللامع (لازال مضيئا فى فلك المعـامع) ، ألقى الشعاع بأنحـاء « غازى قموق » ، فلم تتحرك جماعة « اللكزيين » من أماكنها بحركة الجماعة المنصورة ، ولم يهربوا ، جمعوا من الغنائم والأغنام مال الغنيمة لتأديب (سرخاب خان) ، فجاء أحمر الوجه مثل سيفه ، أعطى العظيم بيادرهم لريح الفناء « كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا » ، حصدوا المزارع والمراعى بمنجـل التطاول ، وسحقت الخيول وقائع الدهر ، (ان استوى فسكين وان اعوج فمنجل) ، هناك أيضا انكشف سر (سرخاى خان) « الخائن خائف » ، وانحرفت مع اللكزيـة المناكب المتعبة لطريق ضـلال العودة ، وصارت

---

(١) تقع شرق آذربايجان ، وهى عبارة عن مدينة صحراوية .

(٢) احدى قرى مدينة « اردبيل » وتقع شمالها .

(٣) اسم ناحية بجهته الشمالية شرير والغربة قيطاق ، ومعظم أهلها روس .

بالنكبة والادبار مدحورة ومدبورة بركاب الريح المنحرفة والمخالفة ، صبار ريش جناح حمام البهائم المخفية ملك قبضة اقتدار الأبطال ، واستولى على الكنوز والدفائن المخفية فى باطن الأرض ، وانكشف فحوى « وقد خاب من دساها » بشأن ذلك المغلوب نوم الغفلة ، بعد الاغارة واحراق (قموق) أداروا العنان لطريق « البرزكوه » ، وجعلوا محال (قبله) (٤) بنزول الموكب المقدس قبلة العالم وقبلة العالمين ، ومن هناك تعب قدم جواد الفلك المتبختر لتسخير مدينة « كنجه » ، وصارت سطح أرض « كنيسة كندى » مقر سقوف خيام بلاط سماء الجاه ، أدار الأبطال الأقوياء بالفؤوس والبلط الوجه من أطراف قلعة « بيرون سيبا » و (ان تحت طريقتك لعنداوة)(٥)، وانشغل ثقابين (فرهاد الفن) والفلاحين بكسر الحجارة بمناقير الكنك ومناقير الغراب والفأس لاخراج عقول حواصل ذلك الحصن الحصين ، رفعوا من ناحية واحدة منجنيق سماء الدرجات على درجات السماء ، وجعلوا بطلقات المدفع الضخم الهتك والقذائف شديدة الفتك داخل الجدران المحكمة مشقق مثل خارجها .

أقاموا عليها مجانيق مجت نيقها ، ورجت شيقها ، وفرجت بالأحجار طريقها ، ووسعت بالتضييق ضيقها ، وهيجت بالهيجاء صيقها ، وخفضت بالشهوق شهوقها ، وأوهنت بالتوثيق وثاقها ووثوقها ، وأخبت بالرعود بروقها ، وسوت بالخرق تلالها وخروقها ، وبست بالتفريق فروقها ، فكان المجانيق مجانين يرمون ولا يرمون ، واذا انكشف ضميرهم بأن منهم البون (٦) ، جبال تجرها جبال ورجال يتخذها رجال ، امهات البلايا وحوامل المنايا مهاب لهابطها ، مفرقات للحشد والجسد ، ومشتتات لأهل البغض والحسد « فى جيدها حبل من مسد » ، صدعت اذا صدعت ، وتبت وبثت اذا وثبت كسرت اذا نصبت معطوفا على المحل ، وفتحت اذا رفعت مجرورا بالعمل ، سحاب برد برده صخور صماء ، وسماء أمطرت على عداوة الأرض حجارة من السماء ، اللآلآت اللاتى لا حجر منها فى حجر ، ولا آمن عندها من حجر من صعود عجاجها ، بصر الشمس قمر ، وعند نزول صلادها تترس الفلك ، واحتجر القمر ، وحسر النقاب فحسر النقاب ، وقلع فصيل القلعة كأنه قلعة ونسيلة ، وما كان لأهلها حام ولا وصيلة ولا مناص ولا وسيلة ، اذ لا يهتدون سبيلا ولا يستطيعون حيلة ، وصعد العلق على السور ، ولقوهم بالعلق المأثور ، وعلقوهم بالعلق والثبور ، وتخرقت ستورها الحاذرة بالحصار ، وتخومت أسودها الحاذرة من الأصحار ،

---

(٤) مكان قديم لمدينة قرب « دربند » .

(٥) اى أن فى انقياده بعض العسر .

(٦) يعني البعد .

وظنوا ما لهم من محيص ، وتيقنوا بحلول البلاء وحلولهم عن الحصن الرصيص .

وأشعل ضارب المدفع نار البلاء على الفلك الرصاصى ، لم يستطع أن يصبح من شدة لهب المدافع والقذائف القريبة والبعيدة أن يكون قريبا وبعيدا عن السور ، وأظهروا من صب نيران المدافع ـ لعدة أيام ـ على القلعة يوما مليئا بالشدائد ، وأظهروا من صب الشرر واثارة ظلمة الفلك الآلات حارقة السماء « قلعة ستاره » على أهل « كنجه » ، كانوا يظهرون ساعة بساعة مصداق « اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت » ، كانوا يثبتون كل لحظة آية « فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم » فى سقف منزل بيوت النقش ، كانوا يفتحون فتحات وثقوب فى حائط الحصن من صدمات مدافع ليس لها دافع ، كانوا يستحقون أهل القلعة تماما عند سقوط قذائف وأحجار المجانيق (ان الجبان حتفه من فوقه) (٧) ، جعلوا الثقوب مثقبة بالبارود ، وجعلوا الأساس مربع الأركان ذو البروج لذلك الحصن الحصين شبيه الفلك ثانى اثنين المثلث النارى (٨) .

وهكذا كانوا يثقبون السد السديد الذى متن متانته فى حاشية القلعة من مجرة السماء ، كانوا يستعدون من جانب الحصن والبرج الجنوبى ، وانقلبوا بجريان الماء لهم للبرج المائى (٩) ، ووقعوا فى ورطة « شفا جرف هار فانهار به » ، وسقط باب وحائط تلك الجهة كلها مثل حجرة طاقة أهل القلعة ، فنطق الأهالى بمقولة :

أين المفر ولا مفر لنا ؟ لنا المحيطان الثرى والماء

سقطوا مثل النمل بطشت الشدة وطاسة الوحشة والدهشة ، وأصبحوا كموج البحر الهادر وكالبخور غير المستقرة « فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا » ، وفتح برج المشترى عين تعجب الحراس من ثقوب القاء الأحجار ، وعض البوم المضرس يد الحيرة من علم الحراس ، وصاروا بمضمون « مهطعين مقنعى رؤوسهم » مطأطين رؤوس خجل حوائط فلك الأساس مثل الفلك ، ووضعوا الجبين الساقط على الأرض بفحوا « يخرون للاذقان سجدا » ، وصارت شرفات الحصن مثل الشخص الجبان ، وظهر

---

(٧) مثل يضرب فى الجبن .
(٨) فى اصطلاح المنجمين أبراج الحمل والأسد والقوس .
(٩) فى اصطلاح المنجمين أبراج السرطان والعقرب والحوت .

من أثر نيران المدافع والقذائف دخان من داخل الحصن ، وعمى بوم القلعة من شدة رائحة الدخان ، وصار الخندق من الخوف ماء فى العين ، طار اللون من وجه حراس البرج مثل حمام البرج ، وأدرك السكان سكتة الحيرة ، وصل الخبر المقارن لهذا الحال بأن (عبد الله باشا كوبريلى زاده) (١٠) أسرع مثل الفيل الطليق بجيش يفوق الحصر من ديار « وان » ، وعسكر فى مدينة « قارص » (١١) ، وبناء عليه فقد أمر جماعة من جيشه بحصار وتطويق قلعة « كنجه » ، وفى يوم ١٣ من ذى الحجة عام ١١٤٧ هـ عندما ساق فارس القضاء حصان الليل والفرس الأبيض للقمر بسوط الصباح من الميدان ، سحب الصبح تحت سرج الشمس الذهبية ، وتجولت الخيول سالكة الصحراء أسرع من الماء ومثل شعلة النار — فى نفس الوقت قارس البرودة — تجاه « قارص » الحارة بارادة ثابتة وسيف مصمم ، وظهرت آثار الجلادة فى ظاهر القلعة ، ونصب جند النصر معسكرهم فى نفس المكان ، وآثار جنود الاقبال شرارة النار من اصطكاك ودق سنابك الخيول الفضية الحافر حتى حدود « ارزنة الروم » (١٢) .

عندما لم يظهر قائد الجند الرأس من فتحة ثوب قلعة « قارص » ، وجه القدم ناحية التحمل ، وبعد عدة أيام تحرك موكب الكواكب مسرعا بجند النصر تجاه « ايروان » (١٣) ، فلاح لقائد الجند أن بلوح جبينه خطة خطيرة ونقش (فى رأسه خطة) (١٤) ، فارتبط بحكم سائق القضاء المشتاق للحرب ، ومن رأس قائد الجند السابق من فرط الغرور ، فعمد الى جمع البعث ، ورم الشعث ، واستجماع جموع الجنود المنفتة واستجماع جميع الجماعات المشتتة « كأنما يساقون الى الموت » ، وانشغل باقتفاء وتتبع معسكر الملك ، ظهر — فى الوقت الذى تحرك فيه الى « أوج كليسا » (١٥) — برقع بلاط الملك البطل على قمة الشمس والقمر ، ووقف لاطلاع الجواسيس على العاقب والتتابع ، وتحرك لواء النصر من مسكن الخلد لمسافة أربع فراسخ تجاه « ايروان » فى المكان المعروف الآن بـ « مراد تبه » (١٦) جعل اقامة الخيام فى مواجهة الخصم قبل القتال ،

---

(١٠) عالم واديب عثمانى ، وقد أنشد أشعارا بالعربية ، كما أنه كان قائد الجيش العثمانى فى حرب ضد نادر شاه .

(١١) اسم ناحية شمال ايران وجنوب أردهان .

(١٢) مدينة تتبع مدينة ايران ، بناها المتوكل عام ٢٤٠هـ .

(١٣) تعرف باسم قاليقلا وهى تبعد ثمان فراسخ عن قلعة أونيك .

(١٤) مثل يضرب لمن فى نفسه حاجة قد عزم عليها .

(١٥) اسم كنيسة موجودة فى ايروان ويرجع بنائها لعام ٣٠٣ م .

(١٦) حدود مينورسك مكانها فى غرب ايروان .

واستراح الجند عن أكتاف الخيول فى ظل الخيام ، ورفعوا الأسحار التى ملك شمس الضياء ، وطردت أفواج السماء النجوم بمعمود الصبح من معركة الفلك ، وأظهر قائد الجند فى الحال بالفرسان والمشاة شد الرحال والهجوم على قلعة « ايروان » ، ان استظهار الظهر للحائط يفيد فى دفع وتصريف الحوادث بفائـدة صرف الهمة ، فلم يتـح الملك الذى بلا نظير الفرصة التى يمكن أن يغتنمها ، فركب مع الأبطال الأسود شديدو البأس المفترسون على خيول بيضاء كثيرة وخيول سوداء كاسود الغابة ، أصبحوا مثل سيل الربيع الذى ينحدر من الجبل ، وصـاروا فى نهايـة الطريق الضيق المتعرج كالأسود المفترسة لقائد الجند المهيأ للحرب ، فتساقط دم الجرح على الفلك المحدب من حد البلطة وسهم القوس ، وتحطم فرع وتاج السعداء المختارين ، وتفرق المقاتلون ذهبيو التاج من الشومة والبلطة ، امتلئت رؤوس الأبطال قوة فى خودتهم من أسنة رماح ريش طائر السيخ ، الحاد من فحيح الأفاعى ، وجذب قوس حرب طيور الأرواح كل فوج وسرية خارجة من فخ شبكة الأبدان .

— امتلأ الجو بالنحل سريع الحركة

— خشبى الجسد ، حديدى المبضع .

والجو ثوب بالنسور مطير والأرض فرش بالجياد مخيل

تمزقت قلوب الأبطال اربا اربا من صوت مبارزة السيوف الحادة ، وطليت ساحة الأرض من روح الذهب ، وأضاءت بضعة آلاف من النجوم .

— كان السيف يضرب العدو ، لكن الحديد يدق الوقح .

ظهرت آثار القيامة من الجانبين لمدة ثلاث ساعات ، وامتلك (نادر شاه) ميادين المبارزة والرمى والسعة .

تجرى الجياد من القتلى على جبـل ومن دمائهم يدحض فى وحل

ومن جماجمهم يصعدون فى كثب ومن ذوائبهم يقمصن فى شـكل

فى النهاية صار قلب الأتراك مثل قلب النمل مضطرب من سطوة جنود نمل العدة السليمانيـة ، فاجتث أساس صولتهم ، واقتلع جـذر شأنهم ، قتل (عبد الله باشا) مع الأتباع والأشباع ، اشعلت واضرمت بروق السيف البتار ، وتم اصطياد الفوج المدرب ، وقطع وقصم حبـل

حياتهم ، وذهب بقية الجيش متفرقين لكل ناحيـة بأثر (تفرقوا شذر مذر) ، أرسلت جماعة من الجند لتعقب الفارين الذين انخرط كثير منهم فى معابر مائية ومغارات ومخابىء وكهوف بسلك « فشد الوثاق » ، ربطوا بمرابط الاكتساب دواب كثيرة وخيول حديدية الحوافر وأفراس محكمة القوائم وجمال ثابتة المناسم وجمال ثابتة المناسم وجمال ضخمة الحوافر والمخالب ٠

ركب باشوات «كنجه» و «تفليس» حمار مركب الطالع،ورأوا أنفسهم من قوة الحراسة فى حد التفليس ؛ وجعلوا من اضطرار « لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » بدون اعتداء وقتال اظهار الاعتذار ورقة الطبع ، ودقوا الأبواب لطلب الأمان ، فتحـوا أبواب القـلاع وأبواب الحصون ، تمسك حاكم « ايروان » بحـكم القلعـة ، وجعـل شراب الصبوح قرين الغبوق،وتقدم للطاعة بلا عائق بمفاد (أحق من الخيل بالركض المعار)(١٧)، وسلم القلعة بعد نجاح سبل الخلاص ، واستئذن لسلوك الطريق ، وطلب مرشد الطريق « فاعترفنا بذنوبهم فهل الى خروج من سبيل » ، وأصبح منتهى سعادته تقبيل عتبة صاحب النفـع الشريف ، طالبـا مطر اللطف الجزيل ، وأصبح غبارهم وهفواتهم على سحب مكرمة تهدئة الغبار والانعام والمقرر المناسب والرتبـة المرتبـة والمحكمـة ، كانت جماعـة من رماتهم وفرسانهم ــ الذين فى ميـدان القتال ــ قد أصبحوا مقيـدين بسلاسل الأسر ، ومأسورين بأساور الخسارة ، وأدركوا أن تحـرك الأعنـاق من مصائب الأسر ٠

أصبحت مقدمة جيش الرحمة أمام الملاطفة الملكية المحفوفة بالسلامة والمحاطة بالعافية مع حسن الخاتمة وكشف الكرب حامدة وشاكرة ذات الله الطاهرة جل شأنه خالق الورى ، فصارى الأسارى الاشارى جدوا كأنه انقلب من الشباك عصابة من الحبارى ، « فبأى آلاء ربك تتمارى » ، ووصل حتى حد نهر (آريه جابى) (١٨) لزينة التاج المتوج ، وهكذا صارت تلك الممالك منزوعـة بلا نزاع وبدون معركة انتزع مضافـة للولايـات المحروسة ٠

قد رجـع الحـق الى نصابـه وأنت من كل الورى أولى به

ما كنت الا السيف سلته يد ثم أعادتــه الى قرابــه

---

(١٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ٠

(١٨) اسم نهر على حدود تركيا وروسيا وقرب قارص ٠

غزا العالم ونهب أمواله ، وكسب قلوب الأصدقاء ، وحرق قلوب الأعداء ، رفع ونشر لواء الاستيلاء ووجه بالاستعلاء ، بسط وحمل مجلس زينة الفلك حتى بساط النشاط ، حتى مصباح السعادة أشعله وحمله ، بعد أن استرد القلاع بعون الله ، كان الأهالى خلال هذه الأحداث ـ بناء على ضعف القوة وكثرة المشاق ـ قد تركوا الزروع والسواقى ، وجلوا عن الأوطان والديار بسبب انتصار « العثمانيين » ، فأمر (نادر شاه) بحضورهم ـ أهالى « ايروان » ـ للحصول على مؤنة المعونة « أنشأكم فى الأرض واستعمركم فيها » للاعانة والرعاية ، ولبذل عطايا الاغاثة والحماية، فسعوا غاية السعى لاكثار الزراعات وتوفير المساكن وزيادة المراعى ، وجرت مجارى الأنهار المطمورة ـ ماء على وجه العمل وماء من النهر ـ وأعادوها مرة أخرى للنهر ، وبمصداق « فأنشرنا به بلدة ميتا » جعلوا من ينابيع همة أحياء واصلاح الأراضى البور (أخذت الأرض زخاريها) (١٩) ، عندما كانت صحراء « مغان » (٢٠) مرعى محبب للقلب ، صارت مرعى للخيول المنقوطة مثل السحاب المقطر ، فى التاسع من رمضان أمر بأن يكون ذلك المكان المليىء بالفيضان مقام جماعة العز والشأن ٠

---

(١٩) يضرب مثلا لكل شيء تم وكمل ٠

(٢٠) تقع هذه القرية داخل نطاق مدينة أردبيل ٠

(٢١)

بيان جلوس الملك الأوحد بتأييد مالك الملك مالك الخلق

« وانه لحسرة على الكافرين » ، عندما أصبحت صفحة الدولة الدولة الصفوية العظيمة المنسوخة بقلم السعي عدة مرات خطا قديما ، لم يقرؤوا الا آية الحرمان من كتابــة أهراماته رواقــه ، وإنتقال السلطنة من تلك الأسرة العظيمة بمدلول كان قد حــرر بقلم التقدير « ما ننسخ من آيــه أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ، تلك الحضرة (النادرية) التى وكلت برعاية العباد وازالة كل العوائق ، أشاح وجه التعفف عن مسند الملك ، ولم يحن الرأس لتــاج السرور ، فحضر من طريق امعان النظر وتحــكيم المصلحة ، فدعى عظماء الأعيان وقواد الجيش ورؤوس وأذنــاب الممالك وبدو المسالك والعظماء والأصدقاء والأمراء والحشم ذوى الرتب العليــا « أولئك لهم الدرجات العلى » وعقــلاء المعاقل ورؤساء العشائر وأصحاب المجالس وأرباب المزارع وقواد الجند وكافة أئمة العلماء وعمد القرى ورعاة الرعية والصالحين من الخلق لعتبة قرين الفلك ، (لازالت سدنة سدته السنية مستخدمة للسلاطين) ، وصار فى باب سلطنة « ايران » « وأمرهم شورى بينهم » مزين مجلس المصلحة الكبرى ، ومستقدح زنــاد الآراء ، وكاشف أسرار السرائر ، ومستنطق الأكابر والأصاغر ، صاروا جميعا متفقين فى القول متحــدين فى القلب ، ان طاعتك من نجوم السماء حتى حدود الأرض على الجميع فرض ، ونعمتك على الجميع فرض .

ــ طالما سيكون الاسم والسمعة من الحانة والخمر .

ــ ستكون رؤوسنا تراب لطريق « مغان » .

(انفلقت بيضة القوم عن هذا الرأى) ، بعد انعقاد عقود العقائد ، وانطباق واتفاق القواد والعظماء ، انتظر عيد جلوسه القــاصى والدانى ، وصار عظماء الطوائف والمشايخ مثل صائمى رمضان يحصون الأيــام فى انتظار هــلال شوال ، حتى يوم ٢٥ شوال عــام ١١٤٨ هـ زين المجلس

السعيد الأساس « ذلك يوم مجموع له الناس » ، بعد انقضاء ثمان ساعات وعشرين دقيقة تتوج بطالع أسد فرق فرقدان عظمة القدر وابتهاج ميمنة النتاج مثل الشمس ، وصارت رأس ورقبة والعرش وفراش العرش ملك حضرتـه .

جلس سلطان السلاطين — بسط الله يـده — على الدست اليمـين محفوفا باليمين ويمينه باليسار ، وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار ، واصطف خلصاؤه الأخيار والأمراء الكبار ، وقاموا على مكانتهم ، وصمموا وتكلموا بقدر حاجتهم ، ووجه السلطان بغر البشر سافر ، وأمله بعز النجح ظافر ، وباب الاحسان مفتوح ، ورغد العيش ممنوح ، وحجابه مرفوع ، وخطابه مسموع ، وبساطه مقبل ، ونشاطه مقبل ، ومحياه يلوح ، ورياه يفوح ، ومحبته يروق ، ومهابته يزوغ ، وأفاقه فى الآفاق تضيىء ، والأخلاق تضوع ، يده مبسوطة لفيض أموال العطاء ، وكفه مقبوضة لفض أفواه العناء ، ظاهرها قبلة القبل ، وباطنها كعبة الأمل ، قد جال له جولة الظفر ، وكان سريره هالة القمر ، والآعلام تبرز لتنشر ، والأقلام تزبر لتبشر .

تفتحت ورود الربيع الضاحك فى رياض قلوب الاصاغر والعظام الصنوبر يربة ، سحب عرعر العيش وشمشاد السّعادة الرأس المسدرة ، كانت شواهد الأقاليم السبع التى قد أخفت — من حوادث الدهر — الوجه فى نقاب الألوان السبع تزينت بزينة هذه الدولة مزينة العالم العظيم بكل وسائل الزينـة السبع ، وتشبع حـاضرى مجالس الحضور المبـارك من « مبارك » لطفه وصنائع احسانه ، ارتدى الصعاليك والعظماء من لباس الانعام العام ومجمع عطاياه وكرمه ، وشربوا الشراب ، وحفل مجلس الملة النبوية برائحة المسك الخالص ورائحة روح اثارة صيانته العطر المعطر ، ووصلت شمس الدنيا المصطفوية فى « فروردين » (١) بدولة ثباته لمحاذاة خط الاستواء ، افتتح المداحون العهد السعيد بلسان تهيئة التهنئة بشكل جميل ، وبارك الدهـر النصر على نصيب وحظ الملك الزبرجدى العرش ناثر الجواهر ، قال فى صنعة خيفا (٢) .

بختك معـلى ، عـرشك ممهـد   مجلسك مروح ، جيشك مؤكد

جعل الزمان من وجـه الترحيب والتعظيم على جيب وفتحـة ثياب الملائكة المقربين من الذكر والبيان دعاء دولته ، فاحت رائحة العنبر وراجت

---

(١) اسم الشهر الاول من السنة الشمسية الايرانية .

(٢) اسم صناعة لفظية وهى عبارة عن كلمة منقوطة وأخرى غير منقوطة .

رائحة المسك النفاذة ، ورفع قوس قزح من حسن عظمته درجة العرش الملیء بالنعم ، وأخذ عرش أربع درجات من بنات النعش الملیء بالزمرد والسماوات السبع مرآة درجة اتفاقه ، تحدثت الألسن القريبة والبعيدة بمدائح عظمته ، أثبت عظماء « العثمانيين » و «التاجيك » بانعام بلا حصر واحسان عام كثير من حصاه صاحب الجاه من أنات بيت ضمير (ميرزا قوام الدين محمد القزوينى) هذا البيت ٠

ـ اسكندر الشأن بالنصر والتأييد والظفر

ـ صار على عرش جـم باسط العـدل

ـ تاريـخ جلوسه السـعيد المأنـوس

ـ ذو القرنين (٣) تـاج الاقبـال بالرأس

وأرخ أيضا (الخير فيما وقع) (٤) ٠ وزينوا ساحة المجلس الملكى عدة أيام متتالية بالشراب الخسروانى والنغمات الخسروائية (٥) ، اختاروا الشراب والطعام ، وطووا فراش الغم ، وطافوا بقمة وكتف الخيمة مثل هالة القمر فى أطراف المجلس بالدف والناى ، وتقدمت المحبوبات الحسناوات جوزاء الوسط لبرج التبرج ، ونغموا تنغيمات جميلة ورقصوا رقصات بديعة ، وصاحب المطربون اللحن بنغمة وترنيمة ، وصاحب صوت كؤوس الشراب آلة البلبان (٦) بصوت البلبل ، ولازم صوت صب الشراب من الابريق والقنينة صوت الفاختة ، انشغلت شفاه سقاة الشفاة « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » ٠

ويح جسمى من غزال شفتاه شفتاه وهوان جاد بلثم شفتاه شفتاه(٧)

اعتنى بالشفاء واسقاء الأرواح ، غنى ألحان السعادة كبير منشدى الغزل والشعر ، (أشاد الله أصواتهم) وغنت فأغنت عن المحسنين وارتج المجلس من شداه ، غنت القلوب المخالفة والمتآلفة بلطف ، وأعطى صوت المنشد والمطرب الاحساس بأيام الطرب والسرور ، وفك ظافر عزف الآلات عقدة من عمل اذلال العالم ، أظهر محتسى الخمر اليد البيضاء بدوران بدور الأقداح من كف الشمس ، وألقى العازفون والملحنون بشعلة صوت عاشق

(٣) تحسب ذو القرنين بحساب الجمل ١١٤٨ هـ ٠

(٤) حسابها بحساب الجمل : ١١٤٨ هـ ٠

(٥) اسم لحن من مصنفات باربد ٠

(٦) اسم آلة موسيقية يعزف عليها بالشفاة ٠

(٧) من أشعار عبيد الله بن أحمد ميكالى ٠

النار فى قالب الصبر والقرار ، ظهر الغلمان ، وشقوا درع شراب الشفاة للكأس الأول والثانى أمراض شدة العطش من مزاج الجالسين ، حدد سقاة شراب النبيذ شهد فضة اللغد الشراب المسكى للكأس الملىء بشراب الأصدقاء ، صب كأس الفلك الدائر من خمر النشاط ، ومن اللحن « الأورنكى » (٨) من العرش الملكى ، اهتزت مرآة الشمس الذهبية من جمال وجه الحسناوات الفضى مثل الزئبق ، قلت قيمة الضياء من شعاع وجه مشترى الوجوه فى دكان الدهر ، وأنشد المنشدون نغمة « درغم » (٩) العذبة لاسعاد القلوب الحزينة ، وحرر محتسى الخمر أهل الدنيا من دوران الخمر العتيق من الغم الدائر ، أخذ ساقى الشراب كأس العين للرمش ، وصار المحبوب مثلا حلاوة الشفاه مثل الخمر ، حيث أن ورد نارى الوجه مزين عالم الزينة من الشراب ، وحمل وجه الشمس ضياءه من القلب بنار حرارة شعاعه ، كان يملأ الكأس بذكر «بغداد» حتى حدود « البصرة » (١٠) ، أدى المطرب (رامتين) بربابة « نكيسا » ونغمة « باربد » (١١) ، وغنى (بامشاد) (١٢) ، وأدى (سركش) (١٣) ألحان « سلات » (١٤) ، أصم صوت محبوبه دقات طبل شهرة « كوسان » (١٥) ، وحطم صوت طنبوره الكأس على رأس « كاسه كر » (١٦) ، كان يلقى الزهرة فى فلك السماء ، كان النبيذ فى الكأس البللورى ياقوت الروح أو قوة الروح ، كان مطربو الشمس يشبهوا جسد مطرب المجلس ، أو كان مريح الروح طرة الفاتنات المجعدة شبكة قلب الحور أو مهلكة راحة القلب ، وكان الخال الأزرق على الوجه مثل النار أو الياسمين فى البستان أو السمندر فى النار ، كان يحضر المجوس فى صحراء « مغان » موج شراب الكأس حتى الرقبة ، كان يلقى للعشاق عناقيد العنب الطازجة من القدم وخلاصة الخمر اللذيذة ، كان يسحب رغبة قوس قزح ، كان يضىء القدح شعاع سيف (افراسياب) من الوسط •

وأمطر الكأس ماء من أبارقة فأنبت الدر فى أرض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبا نور من الماء أم نارا من العنب

---

(٨) اسم آلة موسيقية واسم اللحن الثلاثون من ألحان باربد •

(٩) اسم نغمة موسيقية الذى يسمعها يزول الهم من قلبه •

(١٠) اسم الخط الثالث من خطوط جمشيد السبعة وخط بغداد الثانى •

(١١) مطرب خسروا برويز •

(١٢) اسم مطرب يضارع باربد •

(١٣) اسم طائر جميل الصوت •

(١٤) اسم آلة موسيقية •

(١٥) اسم عازف ناى مشهور •

(١٦) اسم مطرب •

استقر النصر زمانا فيهذه الدولة ، وفرح الزمان المغموم رغما عن الأعادى ، وجدد عيد الربيع الجميل من عادة العدل والقسطاس ، أظهر الطنبور كوكب السماع والرقص وقت الربيع من القوة الطبيعية بالأزهار والغصون، نثر على رأس ووجه عرائس الشجر المغروس بالبستان والغصون الرقيقة أفرع أشجار البستان من الأوراق الرقيقة المناسبة ، وشمر فراش النفس النامية ذيله بظهور خضرة الأرض ، وفرش وجه الأرض النباتات المفروش بالمخمل ، وفتحت المواليد الحديثة المركبات من دكانهم الجديد مزين أسواق العالم الأربع ، ظهر ريحان بلا رائحة ، وقت جلوس ملكهم ظهر كل واحد بلون ٠

سلطان الربيع جاء بالشوك والشجر وفى موكبه أفواج النور (١٧) والزهر من بدائع آثاره بهر البهار (١٨) ، وغرد فى كل دوحة ألف من الهزار ، شيوخ السنابل والرياحين شبوا ، وآمارد الأغصان والأمارد شاخوا ، وآب النماء من ماء السماء الى المسرة والمسرة بالمسرة ، وأشرف التفاح من أطراف السيب كزهرة النجوم من شاطىء مجرى المجرة ، وأنار الزمان من الأوراق الخضراء بصنع الله « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » ٠

ورد الربيع فمرحبا بوروده — وبنور بهجته ونور وروده
والورد فى أعلى الغصون كأنه — ملك تحف به سراة جنوده

صار اعتدال شهر اردى بهشت (١٩) مثل برودة الشتاء ، وكتب كاتب القوة النامية تفتح الريحان بقلم السنبل على أوراق البستان، أظهرت الرياح المتحركة — على الرغم من هواء الخريف الذى مثل الصباغ آثار « ومن أحسن من الله صبغة » فى ألوان الرياحين ولون شجر العنب ، استخدم سباك الربيع شباك الأشجار لصنع صيغة عمل المنبت ، أحضر من البرعم والنسرين فضة خالصة من بوتقة الفرع ٠

ذهب حيث ما ذهبنا ودر — حيث ما درنا وفضة فى الفضاء

جعل القوة المغذية والسحب الغادية من الورد المشبع لخزانة الحديقة نموذج كنز « شاد ورد » (٢٠) ، صار نسيم الربيع من نشر براعم ورد

---

(١٧) البراعم ٠
(١٨) الضياء ٠
(١٩) الشهر الثانى من السنة الشمسية الايرانية ويقابله نيسان وآيار ٠ د٠ محمد التونجى ٠
(٢٠) كنز خسرو برويز السابع من كنوزه الثامن ٠

ساحة الحديقة قرين كنز « باد آور » (٢١) ، وظهر من شمال الريح فروردين (الربيع) المعتدل فى الأغصان الملتوية أنواع حركة الأغصان ، تبدل من صفاء ثمرة تمر النخل العالى وأزهار الأقحوان المتناسق هواء الكافور الناضج المزاج كافور الخلد ، وزين من خلط لون القوى النبتية الرقيقة فرعه بالقباء الملون ، ونهضت فروع الأشجار للرقص شوقا بالهواء فى الصحراء والربا مغنية فاتنة ، بدأ العندليب والبلبل الغناء من تصفيق الأشجار المورقة المتمايلة ، تبسم الغصن الحديث جميل الخميلة ، والبرعم الحديث فى الروضة وحضن البستان ، ربيب الأشجار رضيع ، ومصنوع الورد المصبوغ سنيع (٢٢) ، وأريج الريح فى شفاء عليل الجو مذيع ، وماء الورد الطرى فى اسقاء غليل الجو شفيع ، والأطلال من الطلال غضير (٢٣)، وحباب الحبوب من الخضرة نضير ، والأشجار من الشيخ شاب ، والثعاب ترقرق من الأعشاب ، وخدود الشقائق محمرة ، وثغور الأقاحى مفترة ، وعيون النرجس مصفرة ، وشفاة المنابع مخضرة ، بل هى لمياء الظلال من الخضرة ، وأحداق الحدائق الناضرة ناظرة ، ووجنات الزاهية زاهرة ، وغدبات المنابت متوجة ، وهامات الغصون متوجة ، وحافات المناهل متدبجة ، وجباه الغدران متغضنة ، وجفون النوار متوسنة ، وشارب النبت قد طر ، وهارب البرد قد فر ، والدهر قد ثمل وأفاق ، والزهر قد شمل الآفاق .

أصبحت أيام الربيع من بهاء الورد الأحمر كتاب « زند » (٢٤) وبلبل معبد « نوبهار » (٢٥) ، وبدأ البلبل القصة بألف أسطورة ونغمة بستان الروضة ونرجس الحدائق مع غانيات المنافسة ، تمايلت صغار الأشجار من نسيم السحر ، انشغلت أمطار شهر آذار بتجميع وأنبات الأغصان ، ورفعت الورود المشبعة والشجر الأخضر القامة الجميلة ، ومزج الندى ــ الذى يشبه رائحة الزمان ــ بعرق الربيع ، أظهرت ساحة البستان من ظهور الأزاهير المتلألأة لون من كل طرف « ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الورق يخرج من خلاله » جل جلاله .

---

(٢١) كنز خسرو برويز الثانى من الكنوز الثامن .

(٢٢) الجميل .

(٢٣) الأخضر والناعم اللين .

(٢٤) كتاب زردشت الذى فيه أحكام وقواعد الحياة .

(٢٥) معبد عظيم بناه سلاطين العجم في مدينة بلخ وهو مزين بأجمل النقوش والرسوم والصور والألوان .

شموس وأقمار من الزهر طلع لنرى اللهو فى أكنافها متمتع

كأن عليها فى مجاجه زهرها لآلى الا أنهـا منـه ألمـع

نشاوى تثنيها الرياح فتنثنى فيلثم بعض بعضها ثم يرجع

كان مزاح فـرع الارجـوان من الشاب والعجوز قلوب صنوبريـة الصدر ، امتلئت أنوف الفوج بعبير الأقحوان رغم أنف شهر « دى » (٢٦)، اختلط الأنف والخيشوم بعطر العبير ، وجعل روائح ورود طبقات الجبال من الروائح العنبرية رائحة عنبر كوه عنبر مطلق ، وزينت قطرات الندى خدود الورد الطرى بحيث كانت أجمل من درر البحور على نحور الحور ، وآثار الفرح من رقص الأشجار المخضرة فى تلك الأحيـان فى الجبـال والصحراء قلب الجماعة الرعاديد ، حيث أنه كان يصدر تلقائيا من الصدور آثار الوجد والطرب ، وأصبحت — من نكهة رائحة الزهر والسنبل كومة الأرض مثل المسك ، كانت قافلة النسيم تحمل من بلاد السنبل والرياحين مطر « الصين » « فانظروا الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها »

والغيـم بـين ممسـك ومعنبر والمـاء بـين مضـلال ومـكفر

والروض بـين مدملج ومتوج والورد بـين مدرهـم ومـدنر

والأرض قد لبست قميصا أخضرا تختـال فيه بطيلسـان أحمـر

وتروقنـا بلطـائف وظـرائف من حسن منظرهـا وطيب المخبـر

سبحان محى الأرض بعد مماتها وكذاك يحى الخلق يوم المحشر

---

(٢٦) الشهر العاشر من السنة الشمسية الايرانية .

- ٢٢ -

بيان تسخير « قندهار » وقلع « الأفغان » بتأييـد رب العالمين

« فأنظر كيف كان عاقبة المفسدين » ، بعد التنعيم بالوسادة الناعمة وشراب المجلس ، والحصول على الروائح وسعادة الروح ، وجلب النوق الظاهرة ، وجلب لبن النعمة ، انقضى عيد الربيع بالعظمة والنصر واليمن والبركة وبحدوث الآمال وتوفر البهجة ، رسم رساموا القضاء والقدر بقلم الشوق صورة تسخير « قندهار » جميلة وجذابة على لوح ضميره (نادر شاه) المقدس ، وبمفاد (مرة عيش ومرة جيش) تحركت أعلام أحلام العالم المضيئة بصيحة مقاتلو الحرب وحرقة العدو للجانب المقصود ، وطار نسر النسرين الهيئة ، نسرين النكهة الراية الملكية لقمة دفع العدو ، وفى عرض الطريق وصل خبر يفيد بأن « البختياريين » قلدوا رقبة مراد (على مراد) قلادة التمرد والعصيان ، وحيث أنه لا يليق ارسال طيور الصيد لمطاردة الطائر الضعيف كسير الجناح ، لكن عندما استل سلطان عالم المحبة سيف الاستيلاء ، لم يجد اختلافا فى مفرق رأس فـرق الأنجاد والأغوار ، ولم يميز شيخا عن شاب ولا حقيرا عن عظيم ، بعد دخول آنحاء « بزورود » قاموا لتأديب تلك الطائفة التى فى الجبال العالية مثل الغلظة فى القلوب القاسية .

تقدمت خيول الهمة تجاه « زردكوه » ، فلما علم الطغاة عن وصول تلك الصاعقة المفاجأة ، لم يجدوا بـدا ولا مفرا من سوء الحظ المخالف للزمان ، ووضعوا الروح والمال والدار والمتاع فى معرض عوارض النظر ، فتفرقوا وتشتتوا لقمم وشعب الجبال ، وأصبح رماة السهام مثل أشعة الشمس (ذهبوا شعاعا) على أطراف الجبل والصحراء مهتدين ومستدلين بوجود أهل الفتن ، واستعد المشاة أقوياء القلب مثل الجبل ، وطلبوا غيلان وادى الشياطين فى الأغوار والجحور والأودية الصخرية ، لم تكن تلك الجماعـة من سوء الحظ الذى فى حجم الحجر الأحجر وصخـر ، أسروا الأفواج وأطلقوهم ، جاءت سـفينة حال (على مراد) من لطمات أمـواج الأفواج المنتصرة فى مواجهة موجة الحيرة مقطوعة الشراع محطمة المجداف على صخرة سوء الحظ ، أسر حيا ، وصار بأمر العظيم مقطوع اليدين مبتور

القدمين ، قضى يومين فى الجبل ، (كذماء المذبوح وارتكاض المجروح) ، كان ضعيفا بدون يد وقدم ، حتى ترك الرأس المليئة بالشر على قمة العصيان ، التحق بمطمورة العدم ، وأضاء (نادر شاه) هناك بشوكة وكأس شمس السعادة على ساحة حال جمهور « أصفهان » (وصفها لاينم بالقلم) ، وجعل تلك الولاية مركز خزائن الشوكة والعظمة ، واختار الراحة فى منزل السلاح والصحراء فى منازل مليئة بالزينة الذهبية ، ومنح من تراب العبير المنخول للفرس المتجول وغبار برق شمس مصباح فاتح العالم ، وصار تراب ذلك الوادى فى أنظار أولى الأبصار مكتسب خاصية الكحل الأصفهانى ·

وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين أهله فى الجلمد

وكأن طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار لعينها كالأثمد

بعد أربعين يوما وجهوا القصد مع جماعة أسود البأس (التركمان) والأفواج القوية لطريق « كرمان » (١) وصحراء « كرك » ، وفى التاسع من ذى الحجة عام ١١٤٩ هـ اتجهوا للناحية الشرقية من « قندهار » لمكان معروف ب « سرخ شير » حيث جعلوه محط خيام نظير الفلك ومكان الأبطال وكثرة الرماح والسنان مثل عرين الأسد ، استولى عليها (نادر شاه) بمهندس العزم الثابت الأساس لاقامة مدينة فلك الاستيناس وتشييد الحصون والقلاع القوية لفلك المماس الذى قد سحق أساس ملك الصولة ، استحسن الأسواق المشتملة الحوانيت والدكاكين والمحتوية على حمامات ومنازل والقوافل المشيدة والمحكمة والثابتة والراسخة ، اهتم باتمام ذات الحصن الحصين وأنهاه فى شهر كامل ، فعندما اكتمل القمر تمت تلك المدينة ، وأقام فى أطراف قلعة «قندهار» فى مكان بمساحة فرسخ قلاعا عالية متينة وحصون محكمة وأبراجا قوية ، واستقر فى كل قلعة وحصن جنود شجعان ومحاربون بتأييد القيوم بالراية العالية بحكم « خذوهم واقعدوا لهم كل مرصد » ، وطأوا القلعة قدما قدما لاشتمالها واحتوائها ·

مضى عام على هذا الحال من التطويق والحصار ببطش وبأس الأبطال « اذا بطشتم بطشتم جبارين » حتى انتهى العام ، تم العمل باذنه عن طريق ذلك التمساح الشكل ، التنينى الفم ، القوى الجسد ، الحديدى الروح ، النارى الأذن ، الحاد الذكاء ، البرقى النغمة ، الرعدى الصيحة ، المظلم من الداخل ، القاسى القلب ، المحطم للصف ، القاطع للجماعة ، المحكم للقلعة ، المحاصر للمدينة ، الراسخ العزم ، الثابت بساحة الحرب ، لبس هيئة

---

(١) ولاية مشهورة تقع بين ولايات فارس ومكران وسجستان وخرسان ·

الخصم ، أحرق مزاج العـدو النـارى وصبوب القالب « وأسلنا له عين القطر « ، الذى كان أساسه من النحاس ، ونحاسه من الصفر « ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر » ، المقاتل أمام حرب ميدان القتال فى أعلى مقعد صفوف « اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار » عيسى فلك مقعد الحرب ، الدجال الذى عينه مليئة بالمكر والحيلة ، التمساح الذى طعامه رصاص مذاب ، التنين الذى دمه ساخن كسموم العذاب من مفاد « تلفح وجوههم النار » ، سمع الأخبار بأذنه صاح من حرقـة الداخل ، وعندما وصلت رائحة الفتيل لأنفه من أمارات « يومهم على النار يفتنون » كان يغلى من القلب المضيىء بلا اشـتعال ، اذا عـوى من القلب المظـلم ظننتـه (معاويـة) أم (أبو لهب) « أمه هاوية » ، كلا بل « عاملة ناصبة تصلى نارا حامية » ، الناظرون لكل منها « يقولون انـه لمجنون » « اذا الأ غـلال فى أعناقهـم والسلاسل يسحبون » فى مقابل الخصم يلهب « عليهم نار موصدة » وفى مياقد الحرب يحكى من « نـار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة » « لهم فيها زفير وشهيق » وفى المجاهرة بصوت جهورى يصيح « ذوقوا عذاب الحريق » « يغلى فى البطون كغلى الحميم » ، واذا حر من الغليظ لا يعرف الحر من العبد والعدو من الحميم ، شوى الحرق وقوى الخرق « فيه ظلمات ورعد وبرق » مسعر يسعر السعير على الخصوم بسباره ، ويرتجـز فى المعارك أنا الذى لا يصطلى بناره ، بارقة يرتعد القلوب لصواعق وميضها ولوامع آثارها ولا أنسبها لأن بخارها نارها • يعنى أصـبح المدفع منوطا ومعلقا ، سحبوا المدافع لأعلى الجبل لفتح القلعة – حيث أنه كان يجب أن يكون ثور عربتهم ، دكوا البرج المعروف بـ « برج دده » بقذائف الرعد مثل قلب المحنة ، صـارت بيوت الأهالى من طلقات المدفع والزنبور مثل بيوت النحـل ، وأصبحت أحوال أهالى القلعة من الخوف شاملة مضمون « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » •

بعد ذلك تسلق وقفـز الملك المنتصر فى ليلة الخميس (الثـانى والعشرين من ذى القعدة) مع جماعة من الأبطال البواسل سوار الحصن ، واستقروا جانب جبل « جهل زينة » ، فى مكان كمين ، عندما سمع الأبطال آذان الفجر رسموا خطة الهجوم صفـا صفـا باذن الملك ، وكبروا بهدف تسخير القلعة ، وتوجهوا ناحية « برج دده » ، فى بداية هذه الصلاة قامت جماعة من المصلين المحاربين فى محراب الحرب من تتابع سهام الشجاعة المتتالية والقذائف الحارقة للروح على هيئة الركوع والسجود •

اذا ركع القنـا الخطى صلوا صلوه جل واجبها السجود

لكن لم تؤد المقصود بحكم القضاء (باتت بليلة حرة) ، وحلت فى المرة الثانية عقدة من عقد القلعة (باتت بليلة شيباء) .

توضيح هذا المقال انه فى ليلة الثانى من ذى الحجة سنة ١١٥٠ هـ ، حيث كان قد مضى ثلاثة أيام من نوروز عام الثعبان ، صارت من كل فرقة جماعة ومن كل بحر موجة لتحريض الطائفة (البختيارية) المشهورة لامر الهجوم ، اختاروا الاختباء والاختفاء فى أركان ومخابىء الجبل وخفايا الحصن (قورع للأمر ظنبوبة) ، فى أول الظهر كان أعداء عصر الدولة بلا زوال وقت زوال ورواح العصر ، أظهر القادمون شجاعة باقدام اظهار الشجاعة بتقديم الأمر ، عندما ظهر الملك السليمان العظمة بعزم الهجوم وهو على سرج مثل جبل الجسد ومثل الشمس على قمة الجبل ، هلل الفرسان من أطراف الحصن الله أكبر ، أما الطائفة (البختيارية) فقد ساعدها الحظ ، فقد وضعوا القدم على أعلى ذلك حصن فلك المشاهد بسرعة التبختر من ناحية (برج دده) بمضمون « دخل المدينة على حين غفلة من أهلها » ، وارتفع جند الاستيلاء على قمة البرج مثل السماء « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » ، وثارت بضوضاء البشارة الولولة والحسرة من قلب (الأفغان) ، وارتبط فلك الأثير من صوت بوق النفير من روح أهالى القلعة — وألقت الطبلة السعيدة بنقرة « اذا نقر فى الناقور » حرب فى قلوب الأعداء ، وأظهر بوق الفتح من الصوت العالى المحبب آية « يوم ينفخ فى الصور » وأهوال وأحوال يوم القيامة للأعداء .

بعد ذلك استقرت جماعة من الرجال استمدادا «من الله ذى المعارج» حراسة المرتبة العالية للمرتبة بدون تفكير وحذر على سطوح الحوائط وشرفات الحصن ، وجعلوا بالرجولة والشجاعة يد السعادة بحائط الحصن ، وفتحوا البوابة والبروج ، وجعلوا جثثا كثيرة من أعداء سور القلعة طعمة للنسور الذين كانوا يتفاخرون (هو فى شىء لا يطير غرابة) ، وصار كل مال القلعة عرضة السلب وعلف النهب ، « والله أركسهم بما كسبوا » ، نهض (حسين خان) من مشاهدة هذا الحال مع الأطفال والنساء ثملا بخمر الحيرة وخراب خمر الجنون من رأس المال والمتاع ، واختفوا بقلعة « قيتول » .

عندما كان سيف المبارزين بمفرق وقمة رأس العظماء حتى الرقبة يجرى حكم « فيها يفرق كل أمر حكيم » ، تركوا العصيان ، قفز مع البقية ، تشنف بحلق العبودية ، وتقرط بقرط الطاعة ، فى يوم آخر جاء مع بقية الرسل وأعيان الحصن لبلاط الفلك الدائر ، اشتعل مصباح أمله من قبس المصباح المشتعل من دولة مضىء الدنيا ، تساوى بالنضرة الرقية اقبال الطوائف « الغلجائية » ، سلك جمع منهم فى سلك ملتزمى

الركاب الفلكى ، وامتد من ظل المختارين لقصر الدولة ، أظهر بشرى « فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنـون » ، وكسبوا من العطايـا « انا لموفوهم نصيبهم غير منقوص » ، هاجر البقية « قال أنتم شر مكانا » ، واستقروا فى « نيشابور » ساكنى « ولكن فى الأرض مستقر » ، ظهر فى شأنهـم منطوق « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنـا لكم فيها معايش » « ويحسبون انما نمد لهـم به من مال وبنين نسارع لهـم فى الخيرات بل لا يشعرون » حمل (حسين خان) ماله ومتاعـه بالمدينـة ، واستقر واستوطن فى « مازندران » ، وبنى منزل حظه الجديد ، حيث كان ذلك البنـاء الجميل فى العمران والتشييد تاج هامـة كل البلدان ، أسماهـا بـ « نادر آباد » واختص بتمكن واستقرار العمارة الأبدالية ، خرب وهدم قلعة « قندهار » القديمة ، وفتح أكثر من ذى قبل بمشرط بشارة هذا الفتح المحبوب عرق روح الأعداء ، كان يتنفس أكثر قبـل هذه البشرى الباعثة على البهجة حيث أن للأصدقاء روح على هيئة أمل ويفسح ميدان السعادة ٠

- ٢٣ -

بيان فتح « بلخ » وتدمير الأعداء العصاة

« ما هى من الظالمين ببعيد » كانت تتحرى وتهتز فى ذلك الحين رايات تنين الجسد بهدف مضايقة واخافة وتأديب فراعنة « أفغان » « قندهار » « تهتز كأنها جان » ، أمر الأمير (رضا قلى ميرزا) بتسخير « بلخ » ، و (طهما سب خان وكيل الجلائر) الذى كان يعتمد عليه فى موكب الأمير لقيادة وتنظيم مهمات الجيش ، رغم أن الأمير كان بطبيعته ينفر من (طهما سب خان) ، الا أنه لم يكن يملك سوى اطاعة أمر الوالد العظيم ، ودفع الخيانة بأى شكل ·

ان البعير يبغض الخشاشا لكنه فى أنفه ما عاشا

أظهر الأمير بموجب أمر القضاء الاستعداد للحرب بعتاد السهام ووسائل الحرب ،وتوجه بجمع من المسلمين ناحية قبة الاسلام « بلخ »(١)، أظهر والى « بلخ » أيضا التحزم بحزم ونية القتال ، واستعد على بعد ست فراسخ من المدينة فى مواقع الحرب وأماكن القتال ، بمجرد هجوم القبائل الكثيرة ذو الصولة الجمشيدية ، صار أساس قرار (الأوزبك) قرين الخراب والدمار ، وهزم وقهر الوالى مع الموالى سالكى الصحراء المقفرة ، نكس أولئك الأوغاد لواء اعتلاء ، كان الخيال الفاسد قد استولى على رأس الوالى ، أزيل من آلة سيف وسنان الأبطال ، عندما رأى الوالى هلال شهر دولته مقترن بالزوال ، وهناء العيش فى الرغبة الموافقة لاثارة الزمان العابس ، واجه الدهر القبيح الكريه بغاية المرارة ، ترك « بلخ » بدون عظمة ، تسمر حصان القوة بمسمار الضراعة ، وشمر ذيل الاطاعة على وسط الروح ، واستدر اشفاق الأمير الكريم ·

بعد ذلك عرضت هذه البشارة السارة على العتبة العليا ، أصدر الملك حكما لاحضار الوالى ، وأصبح الوالى المشار اليه مع طبقات الأشراف طائفا بلاط سدرة المطاف وموضع العطف واللطف ، وادخر مرعى آمالهم

---

(١) من أقدم مدن خراسان توابعها سمنكان ، بغلان ، طالقان ، اند خود ، فارياب ، باميان ، غزنة ، كابل ·

من أمطار تربية النضاره ، ومن أمطار جود سعة النعمة (ان المقدرة تذهب الحفيظة) ، وسخر جميع ممالك الضلع حتى نهاية « قندوز » (٢) و « بغلان » (٣) و « بدخشان » (٤) بصحبة السيف اللامع وقبضة ناثر الذهب « والأرض جميعا قبضته » .

بعد ذلك تلازم أمر « بلخ » بالمشيئة الآلهية ، حرك الأمير لجام ظفر البيان لتسخير « بخارا » انزعج واضطرب (أبو الفيض خان) والى « بخارا » من ارادة الأمير الحرة ، وطلب المدد من (ايلبارس خان) والى « خوارزم » بقلب منقبض ومحترق ، (لان الحبارى سلاحها سلاحها) ، أظهر الخان المذكور أيضا البطولة من طريق الباطل ، تحرك جمع كبير من « الأوزبك » ضيقى الأفق لقهر النمر « وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض » بغرض معاونته من مكان بعيد بقبح وضعف ، وقف الأمير من مضمون « ان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » ، امتلك شوكته بحكم الدخان بهدف محاربة كل من الخانين اللذين كانا بجانب نار العدو حرقة ، فعبروا من نهر « آموية » (٥) مثل الريح ، وظهر فى الأرض التراب من غبار وتراب موكب قرين الفلك آثار « يوم تأتى السماء بدخان مبين » ، بمجرد أن تحقق (ايلبارس خان) من خبر تحرك الأمير ، فقد عنان التماسك بدون حرب أو قتال ، رأى الأجدى ارسال وفد الخلاص مع وفود حافظة الفؤاد وجماعة حاقدة ، نكس راية العزم وقلب راية الصولة ، ودق بسرعة بلا تباطأ بطبول الرحيل بالخيول والفرسان ، أدار العنان ناحية خيبة الأمل ، « فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم » وقرأ حال الزمان واصفا حال الأمير :

ان لم تكن لاقيت أبطالها كنت باقبالك كاللاقى

والشمس لا يمنعها بعدها عن شيمتى ضوء واحراق

تحصن (أبو الفيض خان) بقلعة « قرشى » ، واحتل الأمير قلعة « شلوك » التى تقع فى أنحاء « قرشى » ، وقتل وأهلك الأهالى الذين كانوا متجهين الى « قرشى » ، الذين كان ينطبق عليهم حكم ملك العزة والصولة ، حيث أن الأمير وقف يلاحظ رسم جدية الاتجاه ناحية « توران » ، وانعطف لجام الحركة والتحرك من أنحاء « بخارا » وجعل الأمير حسب المقرر لتلك الناحية بجناح السرعة ، (كاختطاف الخفاش واستلاب الحدأة) نعمة الاختلاس ولقمة النهب ، أسرع بالأسلاب والغنائم والأمتعة .

---

(٢) مدينة من بلاد التتار ، جنوبها أفغانستان وغربها :خارا .

(٣) من توابع بلخ .

(٤) ولاية شرق طخارستان .

(٥) هو نهر جيجيون وتحيط به ولاية بدخشان من ثلاث نواحى .

- ٢٤ -

بيان تسخير « الهند » بتقدير خالق الظلمة والنــور جــل شــأنه

« وان ذلك لمن عزم الأمور » « الهند » مملكة واسعة وعريضـــة ، وهواؤها فى مزاج المضطربين (١) الجبسى الذى يجبر بها المهيض ، شجرها عرعر وحجرها مرمر وقراها مثيرة خجل ملك البربر ، طيورها متطايرة الألوان متغايرة الطباع ، فى الطيران العالى مع الطيور « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » متفاوتين وأهلها طوال القامة ، وأنواعهم متباينة فى حسن خلقة المظهر ، « ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه » منزل ومكان فلك شأنه حيرة نصيب قلوب أهل المعرفة والعقل ، والهضاب والسهول والجبال مثل السماء السابعة نموذج « ومن الجبال جـدد بيض وحمـر مختلف ألوانها » ، بلد ملئ بالفوائد والمنافع والمدينة فيها طباع محبوبة ، كل طين أرضها عبارة عن براعم ورد الأرض الطيبة الأخصب من الورد وكل برعم زهرها من بوتقة صائغ الفضة الأدق ، لزهورها العباسية عملة ملكية تحت فص الخاتم ، وأوراق أشجارها علم قرطاس فى كم كل وردة تمتلك علو الشأن ، ولم يجد كل فـرع صاحب ورق وثمر ومتـاع مرعى مضئ منزله فى كل الجنات االأربع جنات ثمان ، وفضاؤها من الريحان الأحمر والأصفر حرير جميل ذهبى ، خاصـة دار الملك « كابل » التى هواؤها طبيعة الروح وماؤها شراب نبيذ ، ووردها جمال البدر المكتمل ، ولشوكها نضارة الورد ، ماذا يكون الجبل وتكون الصحراء من كأس زهر مجلس الشراب الأحمر ؟ وماذا يكون البسـتان ؟ ويـكون المـرج من النرجس والشقائق عين ومصباح لجنة الخلد ؟ .

من كثرة الرياحـين المختلفـة الألوان اغتاظ معبد « الصين » ، لم أخطـأ فى أن الجنـة هى وجه الأرض (أمرع واديه وأجنى حلبه) ، حبذا المدينة التى لو أن نسيم من نفحة الروح الواهبة تهب بالبستان ، يحمل كل برعم ورد مريم المسيح .

---

(١) المضطربين الذين فروا للهند من اضطهاد العصر الصفوى .

لو تصل للمجلس رائحة من بستانه ، يأخذ برعم الصوفى الكليم رائحة الورد الأبريشمى ، عندما تلقى خضرة الزبرجد بالنهر صورة مثلها، تظهر من النهر حصى الزمرد البللورية ، وعندما يمر ذكر حلاوة مائة فى مدرسة حديقة الشدى على لســان الطفل الصغير ، تظهر أوراق الكتاب النباتية « للكلستان » الحلو ٠

مرض البلبل واعتل السمندر من حرقة عشق وردها النارى ، امتلأ طائر التصوير بنغمات أكثر من رطوبة هوائها المنعش للروح ٠

هواؤها من البــلاء جنـــة كأنها من نغمات الجنــة

تصنع الفتاة الصغيرة الذؤابة المضيئة البنفسجية فى نشاط ، يرى فى العين جـرأة النرجس مع جمال وجـه الورد الناظر لوجـه المحبوب ، لو يتحدث من نكهة سنبله فى قصر الحريم ، يمكن أن تقطر الرائحة من شعلة شمع وردة الميل ، لو يظهر الربيع من نهره ولونه فى معبد «نوبهار»، يمكن أن يسمع من الباب والحائط خطاب « يانار كونى بردا وسلاما » ، يتدحرج خيط النظر الذى يندى بستانه مظهرا سلك الجوهر الرطب ، ويسقط شعاع البصر الذى على ساحة روضته مقطرا عرق الياقوت ، من سعادة بستانه لعين النزهة من كل أطراف مدينة « سبز » فى « مدنطر » ، ومن لون وروده الياقوتية لأهل البصيرة من خلف سبع حجب ياقوت أمام النظر ، الخليل من سلوك وادى شوق ورده النارى ، والخضرة من بدو هواء مرجه المحبوب ، السرو الحر عبد غصن بستانه ، الشمشاد المخضر فيض نهره ، من حلاوة أمر مشروع حدائقه ، كان « فرهاد » يحك رأسه من الخجل بحـد البلطة ، وكان يعتبر من ظهـور ليـلى وشأن زهـوره الصحراويـة للصفصــاف المجنون مجنون البادية ، وخلص جمال سروه القلب من الصنوبر ، قال السرور شمشاده (صدره وطوبى صدره طوبى له) ، وسمع صفاء صنوبره والصفوف العالية من متدينى العالم من منشأ هبوب ترابه كل وردة مائة ورقة مثل بلبل العشق الثمل ، وجناره من كل ورق شجرة النسب « أصلها ثابت وفرعها فى السماء » زين الجنار حدائقه من ورد حرير مصنع الحرير المزركش ، وصار بستانه من الزهور المتفتحة مجلس اللعب بالنار ، هجم لطافة زئبقة الحوائط ، وكان شوك قدم المسافرين يد ورد مخضر البساتين صعد من قمة سعادة شلاله للجبل ، ثارت الطراوة حتى الوسط ، ومن موج صفاء ترابه أصبح الحجر الصلد غريق الجوهر ٠

الخضرة المحببة ناحية نهره الأخضر الذى جلس باللباس الأخضر على حافة ماء الحياة ، وحطم كل فرع شجرته الجريئة التى تحطم بحركات

حلاوة الرونق لفرع النبات من خضرة لسرو الثلاثية اللباس ، الفاخته فى صــدر القمرى مع جنــاح الببغــاء الملون ، ومن علو الأشجار أنشد مطربى المينا والبلبل مع كروان الفلك الأزرق نفس اللحن ، أقمار سروه مع ملاكه السماوى كاتم سره ، طارت طواويس بستانه مع طائر الشمس الذهبى نفس الطيران ، خردة فى الذهب السماء الرابعة — يعنى آشعة الشمس — مزيف أمام عيار الورد ، وحديقة النجوم الذهبية الخضراء — يعنى للسماء — ممزق غصن الشعر حتى صدره الفستقى من نار العشق بشبكة القميص الفستقى — وألقى مع شبكته شبكة ذؤابة الأعناب المجعدة خضب العناب أطراف الأصابع مع الفستق فى التقبيل ، وأفنان الزهور مع ورق سحب الربيع بالتفنن فى باقة ورد حمل البرقوق والكرز الأحمر ٠

فديت بنفســك نفسى ومــالى ولا آلومك الا مــا أطيـــق

فى البلاغة وضحك شفاه الفستق من البرقوق :

كأن النجوم الزهر زهر لخوخه ولم أر مثلى شبه الزهر بالزهر

فى خطف قبلة لطافة المشمش المتأنقة سوق نور القمر مضىء العالم ، وأمام صفائه وسعادته حبة المشمش حوض بلا ماء ٠

بدا مشمش الأشجار فيها كأنه يلوح فى خضرة الغضون الموائل

قباب بمخضر الرياحين اغشيت وقد زينت فى مسجد بجلاجل

التفاح الملىء بفائدة الكأس العقيقى المملوء من خمر الشفاة الحلوة بالجعبة الياقوتية المملوءة بالعنب الصافى ، فرع الأشجار الثمرة قرنية السدرة والطوبى المحكمة ، وفى جانب جمال لغد كل تفاحة وصف تفاح لغد حسناوات تافــة ٠

كأنمــا التفــاح لمــا بــدا يرفــل فى أثوابــه الخمــر

شــهد بماء الورد مستودع فى آكر من جامــد الخمــر

كأننــا حــين يخبىء بــه نستنشق الند من الجمر (٢)

من نسبة اسم الزجاجة المنقوشة الوردية ، مثل علبة الكهربا (٣) الجميلة المشابهة لكأس النبيذ الأصفر ٠

---

(٢) هذه الأبيات من احدى قصائد ابن المعتز فى وصف التفاح ٠

(٣) نوع من الخرز يجذب القش والورق وذلك بعد حكه بشعر الرأس ٠

ذهبى الجلد فضى الحشا ... فلكى الجرم مسكى النسم
ككرات من أديم أصفر ... أو ثدى لا ترى فيها حلم

وصفى صفاء العنب (أصفى من الدمعة) ، قال تطهرت عين حور العين من الحجاب العنبى ، ومزج يد القضاء حلاوته بلذة الروح ، لو ذهب عنقود الثريا للسماء لما استطاع الوصول لعقود أغصان ذهبه ، وسحب من الحلق سلاسل جوهر رقبة الحسناوات ان لم تستطع أن تصبح مثل شجرة العنب ٠

ورازقى مخطف الخصور ... كأنه مخازن البلور
قد ضمنت مسكا الى الشطور ... وفى الأعالى ماء ورد جور (٤)
لم يبق وهج الحرور ... الا ضياء فى ظروف النور

حصلت نار تلك الديار على ميزة كبرى تميزت بها على نيران جميع البلدان ، وتشابهت كل حياته فى الصفاء واللون مع الياقوت الرمانى (فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار) ٠

ورمان رقيق القشر يحكى ... ثدى الغيد فى أثواب لاذ
اذا قشرته طلعت علينا ... فصوص من عقيق أو بجاذ

لما كانت ولايتا « غزنين » و « كابل » تعدان فى سالف الدهور الغابرة من أمهات ممالك « خراسان » ، أصدر فى بداية الدخول لـ «قندهار» أسرارا مع الخواص « بأيدى سفرة كرام بررة » لتقرير أساس الحب المصاحب للسفير البليغ الحديث جهة حضرة (محمد شاه) ملك « الهند » ، وكتب فى ذيل الرسالة الاسم بالكنية والتصريح وأظهروا لهذا الحرف عمق الخبرة ، ومحك الحكايات ، ومجال التجربة ، وحجر الاختبار ودلو التجربة ، ومهد فى طلب الملك والمملكة بحسن ارسال الرسائل والسفراء بلا تحكيم وتحكم وظلم وتهكم ، وأكد المبالغة بابلاغ « لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم » ، رغم هذا فان كان سلاطين سليمان خاتم ممالك « الهند » منذ قدم ملوك « ايران » و (ان بينهم عيبة مكفوفة) ، قرأ (محمد شاه) من مصحف تغيير الخلافة يعنى صدق آية « أنا أكثر منك مالا وأعز

---

(٤) جور مدينة من توابع فيروز آباد وماء وردها مشهور ٠

نفرا » ، مال ناحيـة التطرف والظرف وطريق عظمة الطبع ، وغفل عن مضمون « فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا » ومفهوم .

لا تستبن ابدا ما لا تقوم بـه ... ولا تهيجن في العرينة الاسدا
ان الزنابير ان حركتها سفها ... من كورها أوجعت من لسعها الجسدا

وقدم كمال التكبر وكثرة الطلب والتراجع والانكار ، سد زجاجة الاجابة بسدادة عنق الزجاجة ، سد الأذن وأسكت اللسان عن الاصغاء للموضوع ورد جواب « اذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، واحتجز السفير المذكور لمدة عام ، لم يكن فى بنود الصلح ، وظن أن هذه المراسلة ناشئة عن التكبر ، وظهر أن الظاهر فى الصلح لم يكن الا اشعال موقد الشرر والتقاعد عن عقد الصلح لا تظهر الا باثارة غبار المحنة .

ان الخـلاف كالخـلاف تشابها ... وكلاهمـا فى الاختيـار ذميم
لو كان خير فى الخلاف لكان ذا ... ثمـر ولكن الخـلاف عقيـم

عندما أدرك الملك من صفحة حال (محمد شاه) مضمون (يبخل بالورق فكيف بالورق) ، ورأى الحمامة الورقاء حاملة رسالة (أبطاء من غراب نوح) ، وصار هذا المعنى موجب انقباض خاطر العظيم ، وتحركت سلسلة الغضب وغضب طبع الملك وتجردت سيوف القتـال ، استعدت الكتائب المستعدة والجيوش المجتمعة والجنود المجندة والسيوف المهندة والحادة والسهام التى فى الجعبة والخيول السريعـة ، والجياد المصاحبة للموكب والخيول المحجلة والموريات المتعجلة الزائدة عن العدد والحصر ، وبدأ الأمر سريعا ، شحن الرسالة بالتنميق والآداب ، ونقشها بآثار هذا المضمون للملك العظيم الجاه . اننا وفقنا العام المنصرم الى ارسال الرسل ورسائل عقد قيد الحلق ، لم ير وجـه شاهد المراد من نقاب الارتقاب ، ولم يجب من جانب ذلك الجناب المبهـج « فاتخذتموهـم سخريـا حتى أنسوكم ذكرى » .

كتبت اليك استهدى وصـالا ... فعللنى بوعـد فى الجـواب
الاليت الجـواب يكون خـيرا ... فيطفىء ما أحاط من الجوى بى

عندما اختلط منبع العظيم المنبع بتراب وطين النفاق ، وثارت جنود الوهم والتشكيك من بلاد الخاطر ، مال لقطع وفصـل العمل مع ذلك العجوز الأصل الذى صـاحب توسط السعداء بواسطة ظهوره ، وضـع المرشد صاحب النفس الذى مثل الهلال مفتاح فتح المدن فى قبضة بالوضع المنحنى ، لم يتحدث فى وجه الخصم الا بالصدق ، ولم يتعامل بالسفك

الكامل عند ملاقاة العدو الا بالشفقة ، يعنى كان السيف الحاد والحسام مهريق دم أحواله ، كان المضيف ينتظر ورود موكب القيامة المثير ، ليجعل السيف ذا الحدين يعمل عمل الحد الواحد ٠

السيف أصدق أنباء من الكتب — فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا بيض الصحايف — فى متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة — بين الخميسين لافى السبعة الشهب

وكان ينشد لسان الحال على حال (محمد شاه) ٠

هيجت قمقاما من القوم بطل — ليث ليوث واذا هم فعل
لا يرهب الجن ولا انس أجل — وكثرة المنطق فى الحرب فشل

فى عام ١١٥١ هـ فى غرة شهر صفر كان يعتزم السفر شرقا ، كان يلجم الخيل السريعة رياح اليمين برق الطبع الذى كان يضرب برق الشمال على نسيم جنوب الطعن (هو عندى بالشمال) ، وامتلك من طريق « قلات » « قندهار » ناحية « الهند » صفة « واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » جعل اعلاء راية دولة النصر آية النصر السعيد ، وأسرع الجيش الباسل من جميع أنحاء العالم ٠

على قدر أهل العزم تأتى العزائم — وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها — وتصغر فى عين العظيم العظائم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه — وذلك ما لا تدعيه الضراغم

أصبح تسخير « غزنين » بداية الفتوحات ، تطوق أهالى البلاد بطوق الأمل ، واعتنقوا برغبة الطاعة ، احتل (نادر شاه) القلعة والمدينة بجندر ، لكن أهل « كابل » (كأبل مائة لا تجد فيها راحلة) اكتسوا بحلة السلامة من نفس النزع وبكساء الحماية والملاذ (أكسى من البصل) ، وأظهروا مفاد « وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم » باحكام الجدران واستحكام القلعة وحصانة الجدر ، وانشغلوا بتحصين المدينة ، وسلكوا طريق الحرب ، وسدوا طريق الطاعة ، وشدوا حبل المخالفة ، بأمر الملك انقسمت جماعة من المتعجلين و « أكراد خراسان » ـ الذين كانوا صخرة صلبة ثقيلة ـ بالسيف البتار، كانوا يعتبرون (زال الزابلى) (٥) و (مهراب الكابلى)(٦).

---

(٥) البطل المشهور ٠
(٦) ملك كابل وجد رستم دستان ٠

عجوز وعبد تافه ، استقروا فى مكمن الكمين ومكان حصين ، ثارت الأسحار ـ التى حطمت درع الفلك ـ لدفع سواد الظلمة عن رأس حرب خيل الشمس لساحة الأفق ، ظهرت جماعة منهم بأطراف القلعة ، وصاروا بشكل خداع مزين المعركة مثار النزاع والصراع ، كما أصبح أهالى القلعة مستعدين أيضا للقتال « يحسبون أنهم على شىء » ، ركبوا خيل الجلادة ، رغبوا فى الحرب بالشجاعة وتجريد السيف ، وتذكر الأبطال المهرة الخالق ، تحركت الخيول من مكان الكمين عندما ثار غبار أبطال « كردان »، أصبحت تلك الجهة سقف الفلك الدائر ، تفرقت هذه الجماعة (الأكراد) مضطربة وأجلة من مقام الاستقرار « ان يريدون الا فرارا » صائدو الأسود العجم الذين يجعلون عظماء العرب بالهجوم صيد مصيدة الجلادة ، وانفضوا بوجه كالح مثل العقاب الكاسر الجائع والظامىء من موضع الكمين ، حطموا جمعهم ، وجعلوا جماعة منهم أسرى مخلب الشهامة ، وأكلوا من لحم أفواج « كابل » ، وعاد البقية مثل الصيد الجريح متفرقين مشتتين ، بداوا يفرون مثل الطير السريع بلا مفر ، وعادوا الى « كابل » بالهم والغم المقترن بالويل والأسى .

فى اليوم التالى أصدر الملك (بهرام) القوة أمرا باحاطة حدود المدينة ، أظهر الأبطال البواسل لأهالى القلعة « وأحاطت به خطيئته » ، وجعلوا جلادة الكنائن من سحاب وتر القوس بصاعقة أمطار الندى أسنة رماح لمدينة « كابل » ماء الأمطار ، بعد ذلك كانت المدافع مثيرة غبار قيامة الثورة تضرب على قمة جبل « عقابين » .(٧) .

ونجم فى سحاب ، وهامة لها الغمامة عمامة ، وأنملة اذا خضبتها الشفق كان الهلال لها قلامة كأنه وكر العنقاء ومنزل العواء وبرج فى السماء .

كان ظهور الصهباء النارية ملتوية الحافة قبة مينا الفلك مليئة من قطرات شراره ، حطموا بيوت القلعة مثل تمالى حانة الثمل والخراب ، كانوا يحاصرون بالنقل الكزكى الذى مهارة الجنود الرماة والمدفعجية من حقرة الطلقة فى أمر الاستقرار ، أظهروا القلعة من الوجد بالفلك ، ودحرجوا أبنيتها على وجهها كالسكير ، وبدأوا الحصار بالاعتقال والأسر ، عندما رأى أهالى القاعة أنفسهم فى ورطة الهلاك ومصب البلاء « ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب » ، طلبوا من وجودهم الفانى نهاية جانب العافية ، وأودعوا خاتم اختيار دار الملك « كابل » فى خنصر عبيد هذه الدولة ، فتح ذلك الضلع بأقاليد السيوف ومقاليد قضبات الرماح

---

(٧) جبل بناحية كابل ويطل على اربع جهات .

للمدن البعيدة والقريبة ، وصارت من هناك ولاية « بهار » من توابع « جلال آباد » (٨) من نزول موكب جلال حسد الربيع ونصيب ساعات الليل والنهار ، حضر الأمير (رضا قلى ميرزا) من « بلخ » بموجب أمر الملك ، اقترن ذلك المنزل بالبهجة الظاهرة والتبرك ببركة تقبيل اليمين الميمون، والتشرف بشرف تقبيل بساط السعادة ·

فى غرة شعبان فى ساعة بعيدة عن العار والوبال ، وزمن مبرأ من عيوب عين الكمال صارت نيابة « ايران » المحظوظة للأمير (نصر الله ميرزا). بعطاء جوهر صورة اعلاء الرأس عاليـــة ، الخان العظيم الأصـــل لذالكما السعيدين ولا هما ولاية العهد ، ضرب باليد المباركة التاج للجهة اليسرى ، (رضا قلى ميرزا) جهة « ايران » ، وجعل (نصر الله ميرزا) ملتزم ركاب النصر ، واتجهوا ناحية « بيشاور » (٩) ، اتجـه (ناصر خان) ناحيـة « كابل » فى حدود « بيشاور » من الطرق الجبلية وشعب الجبال وجبل تجمع المتفرقين وتحريض القبيلة الكبيرة ، أصبح فى « جمرود » من كمال وحشة ودهشة الاستعداد للحرب ، عندما كان جبل « خيبر » ـــ الذى يقترن بالكذب ـــ مع الفلك الدائر ، كان مســكن (الأفغان) على شــكل الثعبان الأسود ، الملك الذى بلا نظير أعد وهيىء بارشاد الضمير الخبير الهجوم الليـلى ، مال عن ذلك الطريق ، وانصرف ناحية الجبـل المعروف بـ « سه جوبه » الذى كان من كومته الفلك الأعلى جبل أحدب ، وسلك من سبيل حسن الحال ومعرفة مدى صلاحية المرور وليلة الهجوم والجبال العالية مقام العنقأ وموطأ الخيول السريعة ، صعد بصعوبة على قمة ذلك الجبل ، أحاط « جمرود » بذلك البحر الدامى مثل المحيط ، ورأى (ناصر خان) امارات « فما له من قوة ولا ناصر » مكتوبة فى جبين الحال ، وأسرج الخيول السريعة ، علق حمل الهروب ، وجلس على ظهر الخيل ، وتعلق الأبطال المهرة بذلك الفوج المضطرب ، أعتقل (ناصر خان) مع أربعين فرد من الرؤسا ءالجهلة وفوج من جنود « برشاور » فى هضاب وتلال أسر القيود ، قال البقية من خوف روح المحتضر (ذل لواجد ناصرا) ، سحبوا أنفسهم لأركان الجبـــال وقممها ، أصبحت الساحة مع سعة « برشاور » مقر سلطنة النبل وحدود مدينة الجلال ·

بعـــد عـــدة أيام أصبح فجأة وبلا توقع خبـــر تمرد (لكزيه داغستان) (١٠) بؤسا وتؤسا لهــم ، ونعى (ابراهيم خـان) طيب الله ترابه وعفى عنه صار ادراك الملك العظيم الجوهر فى مسامع الجميع يحكى.

---

(٨) بلدة من بلاد أفغانستان بالقرب من نهر كابل ·

(٩) بيشاور من مناطق البنجاب وهو من ولايات افغانستان ·

(١٠) اسم طائفة من سكان القوقاز من أهالى داغستان ·

عن مضمون « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر » صارت عقدة عقد النشاط ، أظهرت حجب الملال في صدر وشدة العورة في الظاهرة كل الجماعات ، واختلط مشرب المسرة بطين بلاء هذه المصيبة ، واختفت شمس السعادة بسحاب خفي الجمال ، (وأى نعيم لا يكدره الدهر) .

تفصيل هذا الاجمال انه في الأيام التي كان يحتل فيها الخاقان المغفور له ملك « آذر بايجان » ، كان « لكزيه جار » — حيث ولاية « شيروان » — بمصداق « والجار الجنب والصاحب بالجنب » تحرك أشرار « داغستان » بالنهب والسلب وسفك الدماء وسبي الأماء ، كانوا يحرصون ، باصرار على اضرار النفوس ، « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم » عزم الخان المذكور المسير بجيش جرار ، يطفيء نيران الفتن الثائرة بماء مدافع مواسير الرماح وغمام السيوف الباترة ، وقتل في أرض القتال ومعركة الصراع على يد (اللكزيين) ، وسلك طريق البقاء بحكم القضاء ، الملك الذي بلا نظير كلما وجد وجه شمس المراد كلما اغتم قلب العدو البائس ، وترددوا في بداية الأمر بشأن العودة والذهاب لسلوك طريق الصحراء ، لكن عندما كان تسخير دار الخلافة (دهلي) هدف العزم وغاية الهمة ، لم تعد هذه القضايا باعثة على نقص زينة مزين العالم الملكي .

غلبت عزيمة تحرك الراية وانتقال الجيش على العودة والتغير ، وجلب قائد التوفيق زمام التوجه في كل حال ناحية المقصد ، وأصبح — بمضمون « لكل نباء مستقر » واشارة « انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو » تدمير واهلاك تلك الجماعة متوقف عليها انتهاء أمر « الهند » (من قصد البحر استقل السواقيا) ، بحكم « واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » ، بخسة وضعف العزم والنية ألجم الحصان الأشقر بلجام (أشدد حيازيمك لذلك الأمر) ، بسرعة أمر عدد من عظماء الجيش الأبطال البواسل بقيادة الجيش الى « آذربايجان » و « كرجستان » ، وأن ينتقلوا في تلك الأنحاء بأسنة الرماح العالية لمحو ظلام الشدائد والضلال ، ويجعلون بسيف مثل أظافر الأسد أفواج الأعداء فرائس أسود النقمة ، حتى تستطع شمس موكب النصر من أفق هند الطالع وكوكب جماعة العالم المضيء حديثا من ناحية الشرق .

أرسل عليهم لهذه العارضة عرضا عريضا كعارض ثجاج وبحر عجاج ويم مواج وبالصواهل والمناصل ذى أمواج وفي ضحوة النهار ليل داج وفي غيهب الليل نجم وسراج ، بعد ذلك كان مع أفواج « كلاهور » (١١)

---

(١١) اسم جنى مازندرانى حارب رستم .

القوة بعزم تسخير دار الملك « لاهور » (١٢) من أنهار « البنجاب » التى كل منها بحر زخار عميق وبحر دامى عميق ، كان يمر الماء من سرج اللجام بل من قرط الآذان ، عبروا بأشرعة السفن وقوائم الخيول « كسفن هزت من الصوافن » ، كانت ساحة « لاهور » من شعاع قمر لواء النصر الذى كان ينير وجه الأرض والسماء وضوء القمر مضىء القرون والدهور ، صارت مثار حقد منزل الشمس ، لم يتقاعس (زكريا خان) حاكم تلك الناحية عن تجهيز المؤن ، واعداد أماكن الاقامة ، واظهار فروض الطاعة ، أسرع بلا حذر خادما لبلاط فلك المثال ، أضاءت شمس مضىء العالم بالاشفاق الملكى على ساحة حاله ، وكسب نيل المرام من تقبيل عتبة العظيم ، وتحولت اليه ولاية « لاهور » مرة أخرى ، وامتلك بالخيل والعبيد المشاعر الملكية ، توقف (فخر الدولة خان) الناظم السابق لـ « كشمير » فى « لاهور » وأسرع ناحية ولايته بأوامر الحكومة .

بعد دخول المركب المسعود لحدود « الهند » ، أظهر الجواسيس علم « فجاسوا خلال الديار » حيث أصدر حضرة (محمد شاه) أمر سامى معلن عن مضمون (أن أمامى ما لا أسامى) بأسماء حكام أصحاب رأى الأقطار والنواحى ، وولاة زينة الآفاق والضواحى ، حضر الجميع من آقاصى المملكة بجند لا حصر له ولا عدد ، أحموا سيف العزم ، وأشحذوا سيف المعركة ، وأعدوا الجند المتعطشين ، وهيئوا الجيش المائج ، جمع أيضا (نظام الملك) من ملك « الدكن » الفوج الذى كان فى مصيدة العدو صائد أسرع من عقبان قمة الجبال ، ومن برق الدرع البراق ألمع من النجوم فى الليل المظلم ، وفى « كرنال » رفعوا الملجأ المنيع والمعقل الحصين ، أعد وجهز وهيأ ثلثمائة ألف فارس من قلاع المملكة بأسلحة القتال وعتاد الصدام والحرب وآلات العراك والقتال ، وثلاثة آلاف مدفع قارع راعد ، وألفى فيل .

عندما سمع الملك عظيم الجاه خبر تحرك ذلك الملك عالى الشأن (محمد شاه) للاقاته ، فرح وانشغل بمباركة الحظ السعيد ، وأظهر « ذلك ما كنا نبغ » ، ومقارن هذا الحال « جاء من أقصى المدينة رجل يسعى » « وقال يا أيها الناس قد جاءكم برهان » ، يعنى عاد الجاسوس الساعى (أسرع من المسح) كان قد ذهب للتجسس وجمع الأخبار من الأنحاء ، كما جمع (برهان الملك) أيضا من الحشم المحترمين جمعا كثيرا بلا عدد ، وجهز جماعة بالعتاد ، وقدم الى « بانى بت » — التى تبعد عشر فراسخ عن « كرنال » — بمقدمة الجيش وآلاف الجنود .

وهم كالأسود فى حومة الوغى   وفرسهم فيها القنا والقنابل

---

(١٢) ولاية من ولايات الهند واقعة جنوب كشمير .

رفعت جماعة من الأبطال الرأس عاليا ، ونفذوا خطة القتال بمعدات الحرب وعتاد القتال ، وأنشدوا فى كمال الشوق والعشق والفتنة والسعادة بألسنة الأسنة بنغمة « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، وبدأوا بالغضب والشدة والهجوم السريع ، تقدمو بالصبر المتأنى ل « بانى بت » بمقدمة خيول فاتح العالم ، وبرهنوا ل (برهان الملك) بالبرهان القاطع للسيف البتار من شبهة الوجود ، وأخذوا برهان ضرب السيف النفيس مزين جوهر الحياة بالأسف منه ، خاف (برهان الملك) من استيلاء خوف الحواس أكثر من ذى قبل ، فعمد الى جمع مزيد من المعلومات عن جيش « ايران » وفحص الأماكن والاستعداد ، كان يظن أن مجال المقاومة مستحيل ، أسرع حتى وصل للأفواج القاهرة بدون تردد وخوف من القتل وبصحبته جيشه الزاحف المرتجف فى جوف الليل ، فى ليل يحول بين الكلب وهريره ، والأسد وزئيره ، والماء وخريره ، والطير وصفيره ، والباب وصريره ، وكان قد ارتبط فى « كرنال » (١٣) بهيئة مثل الناى ، وكانت جماعة من أتباعه قد أسرت أثناء سيرها ·

بعد ذلك عبر موكب العظيم فى اليوم الرابع عشر من ذى القعدة من جسر « نهر قيض » واتجهوا بعزم ثابت بمحاذاة « كرنال » ناحية « بانى بت » التى تقع فيما بين « كرنال » و « شاهجهان آباد » ، رغم أنهم عرفوا أن الأسرى فى عداد المخالفين « سفها بغير علم » ، لكن عندما كانوا (أكذب من أخيذ الجيش) ، لم يبال الملك حسن السيرة ، كان بفحوى (ليس الخبر كالمعاينة) أرسل عدة أشخاص من الغزاة الأبطال ــ الذين كل واحد منهم فاتن العالم ومثير فتنتها ــ لمعسكر (محمد شاه) واطلعوا برأى العين على الأطلال ، وعاينوا مكان النزول ومقام النزول ، وعادوا لمعسكر العظيم ، وفى صباح يوم من ذات الأيام حيث كان الملك الأصيل يتبختر بعزم رفع ظلام أفواج الهنود متمنطقا بالسيف ذهبى الغلاف ، ذلك الملك الشجاع الذى كان بحرا لجلادة الجواهر النفيسة « حفظا من كل شيطان مارد » ، جعل الخوذة من فوق عظمة وجوده مثل الفرقد ، وجعل من جسده العظيم درعا عريضا مثل نثره ، جلس على الخيل الهادئ ذى الجبهه البيضاء مجرة عنان الثريا أثر هلال حافر جوزهر ذنب جوزاء خجل سماء الطراز ، أسرع من حسام (حميد) (١٤) ، وأنهض من براق كأس الفلك ، أقفز من جواد (ابن العرقة) ، أطير من طائر (قتادة) (١٥) ، ومثل أحجار الحمام الغضوب ، ومثل غزالة (١٦) مخطم السريع ، ومثل الحصان العاصى

---

(١٣) منطقة شمال دهلى ومساحتها ٢٣٥٠ ميل مربع ·

(١٤) فرس حميد بن حميث الكلبى ·

(١٥) طائر فرس قتادة بن جرير ·

(١٦) فرس عظم بن الأرقم الخولانى ، أبو عبد الله محمد الاعرابى ·

المتجول فى أنحاء العالم ، وبلون نور الشمس طاوى الفلك ، الذى فى حلبة الرهان أكسب من يحموم (النعمان) (١٧) ، ويعد سرحان (عمارة) بالنسبة له ثعلب أعرج ، ويمرض أمامه صحيح (أسد الطائى) (١٨) ، ويسبق لاحق (غنى) (١٩) ، ويصحح وجهة أعرج (بنى هلال) (٢٠) ويطير أعلى من دراج (عامر) ٠

الا انما الخطى فى متن كفه كرقشاء فى انيابها السم الناقع

كان شار النقع عند اشتداده وهندية كالبراق فى الليل لامع

أصبح مقر الجيش الباسل ، ومخيم الحشم المحتشم فيما بين « كرنال » و « بانى بت » ، واتجه فى الحال (برهان الملك) و (صمصام الدولة) « قالوا من أشد منا قوة » بجيش جرار كثير الصولة بالاشتياق للتقدم وقيادة مقامة ميدان الكر والفر فى ذلك الوادى دأبوا على ترتيب صفوف الجند استعدادا للمعركة ، وأرسل لهم (محمد شاه) الخيول الباسلة الأصيلة لمساعدتهم مع الأمراء الهنود ذوى الخبرة ، كان الجيش عظيما طوله « كعرض السماء والأرض » ، ظهر عرضه خارج عن حيز الوهم والخيال بمعرض الظهور ، وتثبت الجيش بالأبطال البواسل والفيلة الشملة المقتضبة ، كان أبطال الحربة الهندية غافلين عن تجنب الغرور بجانب السيف المصرى ، وأن يقبلوا بضرب يد الأبطال السريعة حربة وسيف اليد المشلولة الضعيفة ، حيث أن اللهو ليس فى قمة المصادمة وهجوم الغراب مقابل سنقر وصقر القدرة ، وظهر فى مطار المطاردة تطاول الصعوة على طغرل وشاهين القدرة عالى الطيران ٠

رافق الملك حاكم الدنيا (نادر شاه) أفواج الأبطال على الخيول السائرة مباركة اليسار ميمونة اليمين التى تهب مع ريح الصبا ، امتطى بالغرور من العنق والعضد والكتف على جواد الفلك الأبيض ، انشغل عن الميمنة والمؤخرة والميسرة والفوج الأول بصف الصفوف وترتيب الجموع والألوف ، فأضرم نار القتال ، وأشعل نيران الحرب ، واستقر الأمير (نصر الله ميرزا) تحت ظل راية الشمس المضيئة ناثرة الدر مع المحاربين الذين هم مثل التنين ، استقامت واستقرت الميمنة قرينة السعادة والميسرة أساس السرور أيضا بوجود القواد عظماء اللواء ٠

---

(١٧) اليحموم فرس النعمان بن المنذر ٠

(١٨) هو أسد بن رهيض الطائى ٠

(١٩) اسم فرس غنى بن الاعصر ٠

(٢٠) اسم فرس بن هلال ٠

رتب العسكر ترتيبا ، وبوبه تبويبا ، وعبأه بعيدا وقريبا ، وقرر لكل أمير أمرا ، ولكل مقدام مقاما ، ولكل موفق موقفا ، ولكل مكين مكانا ، ولكل قرين قرانا ، ولكل زند موريا ، ولكل حد ممهيأ ، ولكل قضية حكما ، ولكل حنية سهما ، ولكل يمان مقبضا ، ولكل ضامر مضمارا ، ولكل مغوار مغارا ، ولكل رام مرتمى ، ولكل نام منتمى ، ولكل اسم مسمى ، والجد يحرضهم ، والجد يستنهضهم ، والظفر يدركهم ، والقدر يحركهم ٠

بعد استلت أفواج الجانبين بتكبر طرف حربة الحرب حيث أن كل فوج معه تنين الدهاء والحنكة ، وهجم النمر على النمس ، وتوجهوا للمواجهة والمنازلة والتراشق والقتال ، جعلوا البداية القتال والأساس التصادم والمبارزة ٠

وتوجه الأبطال الشجعان تماسيح الهيكل من جهة التهور وعدم المبالاة لهتك أستار الصفوف ٠

أثار حافر مثل بدر هجوم النجباء غبار الأرض على حاجب هلال السماء ،وانسدت عين الشمس من مرض ورم العين ، وضاق الميدان الواسع على عظمة الخيول واسعة الخطوة ، خاف الحقير والعظيم فى الحرب من صولة أبطال عطارد ، وجاء مبارزو فلك القوس المدور والشمس بالسماء دائرة ، وارتفع غبار الصحراء من سرادق الفلك ، ووقع زلزال فى طبل الحرب وفى منزل الدهر ، أظهر صوت طبل الفلزات السبع فى عصا الطبل المعقوفة تسع حجرات العالم الفانى آثار « يوم ترجف الراجفة » ، أصم صوت الطبول أذن الخصم المحارب ، وأخبر صوت الطبل والبوق مصداق « فدمدم عليهم ربهم بذنبهم » عن هلاك وفناء الأعداء ، كان يسمع صوت الطبول للكبار والصغار وكبار الخلق صوت الفتح ، وأوصل صوت الناى نغمة « اللهم انصرنا » بأذن الفدائيين المخلصين ، كان يجعل مدافع تنين الجسد فلك الوطن مثل الأسد المفترس ضوضاء وغوغاء ، جعلت البندقية والمدفع روح العدو القاسى مثل عش النمل ونحل العسل ، كان يعلم أن السيوف المعوجة فى منحنى ويمين الأبطال سيء الخلق من الهلال والمجرة ، كان خنجر الذنب يفك عقدة جسد الأبطال بالمجاسدة (٢١) من عقدة الرأس ، كان الشمس تلمع خوفا من السيف البتار ، كان يسحب الدرع على الرأس من الفلك المترس ، احترقت الأجساد من برق الحسام ، سقط النار بكومة السنبلة والمجرة ، كانت تضىء من شعاعه ولباس الحرب أشعة شمس القيامة ، كان يحرق ويمزق من لمعان السيف المحرق أبدان

---

(٢١) اجتماع كوكبان فى برج واحد ٠

المحاربين الترابية فى ساحة سل وتجريد السيف ، كانت تتفتح فى ساحة المعركة بساتين من حد السيف لحظة بلحظة من الدم ، كانوا يظهرون بستان روضة الأرواح أنواع الشقائق من كل ناحية فى كل طرفة عين .

لم يبق فى ذلك اليوم قدرة لباس الحرب لأى شخص ، لم يقرأ هاتف القضاء على فوج الأعداء جزاء العداوة والخصومة الا آية « لا عاصم اليوم من أمر الله » ، طار عقاب عطارد حاد الريش من كل صوب تجاه القلوب المتطايرة ، مزق خنجر الشجاع للأبطال فى تلك المعركة الصدر والكبد ، كان يستخدم ضربة البلطة المقاتلين من التحطيم والفصل الذى فى الخوذة والمفرق ، كان يجعل رغبة روح العدو الأحمق المتذوق لذة السكر الأبيض ، كان تفتح سيل نبال المحاربين من ورود الجروح التى بقطرات ندى أسنة الحاد القتال ، كان يلقى بالتعجب لأفواج الهنود « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ، أصبح الشجعان المحاربون بكل جانب مهاجمين ، كانوا ينشرون مثل الأسد الغاضب من السيف الحاد الدم شديد الحمرة ، كان الأبطال المقاتلون يتوجهون لكل صوب ، كانوا يدحرجون بالسيوف المهندة رؤوس الهنود فى الصحراء مثل ثمار الحنظل (أكثر من الدبا) ، كانوا يشعلون نيران العداوة من تعاقب السيوف الباترة والسهام ، كانوا يقطعون ويخيطون على قوام بلا زينة وهيكل بدون جسم الأعداء بسيف وسهم قباء الغناء .

وارتبط من نيران الحرب ألسنة النار على الشمس والقمر ، وتخضب من دم لون الشفق الشيخ والشاب قبضة الشمس فى الفلك المعمر ، صار جواد أبطال (تهمتن) الجسد من سن رمح وحربة القنفذ ، وتلون حصان ملك العظمة من جـرح السيف والسنان ، كانت الكرة الأرضيـة كرة مستديرة ، مرت فى منحنى الصولجـان قوائم الخيول ، وصارت سماء بخارى فتنة المترجل والراكب فى ذلك البحر الثائر أمواج دماء من رأس عظماء راس ورقبة أعلى ، سال من حد البلطة والفأس دم عنابى اللون على أبطال فهد المخلب .

تربصوا وتصبروا ، وتترسوا وتستروا ، ووقروا وقروا ، ووفروا وفروا ، ناهبوا وتأهبوا ، وتوثبوا ، تأشبوا ، وناشبوا ، وتناشبوا ، وتهامشوا وتهاوشوا ، ومرغوا وتراوغوا ، وأخلسوا وتخالسوا ، وأحربوا واحتربوا ، وأسهلوا واحتزنوا ، وأهربوا ، وأكربوا ، والعبوا والغبوا وأحصروا وأصحروا ، واخسروا واذهبوا واهذبوا ، وابرزوا وانفذوا ، ويقدوا وأنقذوا ، وشردوا وطردوا وباحوا ، وتلحوا وحاصوا وصاحوا وطبوا وشابوا وخبوا وخابوا وجبوا وحابوا ، وأبسلوا وأبسلوا ، وأعولوا مما عليه عولوا فلم يسمع الا أنين الحنية لجنين المنية ، وهفيف السهام لدفيف اللهام ، وصليل بنات الغمود من غليل أبناء الحقود ، وقرع الطبات

بالظبات ، ووقع الشباة على الشباة ، وضجة الحديد بالحديد ، وعجة الشديد من الشديد ، وجعجعة رحاء الحرب ، وعجعجة أصحاب طعن وضرب وهدير حمام الحمام ، وزجرة قدوم الأقدام ، وهرير ريح البأس ، وهزيم رعد المراسى ، ووعوعة ذئاب الجدل، وعفعفة أجدل الأجل ، ودعوة الموت بالعجل، ودعدعة صاع المصاع ، ووهوهة سباع القراع ، وزفزفة الأفاوج الهائبة ، وزقزقة المجارف الثاقبة ، ورفرفة المريشات الراشقة ، وهينمة الطعنات الفاهقة ، ورغاء ذبان النصال ، ومعمعة لهيب الوغاء والنضال ، وبربرة البيور الباسلة ، وخرخرة النمور السمالبة ، وجرجرة أفراد الرجال ، وفشفشة أوفاد الآجال ، وزمجرة الخيول الفحول ، وشعشعة الرمح المصقول ، وطنطنة أفواج البلاء ، وطبطبة أمواج الدماء ، وشخشخة الجند الطعاش ، خشخشة دروع الخشخاش ، وقضقضة الأجسام الجسام وكسكسة عظام العظام ، وصلصلة الصمصام الصماصم ، وصمصمة الصم الصلادم ، وطحطحة الكعاب والكعابر ، ونسنسة طيور المطاحر ونشنشة جلود أهل الجلاد ، وقعقعة آداة الطعان والطراد ، وهيقعة هذام البداد ، وخجخجة الجهاد فى مدالث الجهاد ، وزمزمة نار الهيجاء وحسيس لهبات اللظى ، ونضنضة أفاعى العاراص ، وغيطلة فرسان العراس ، وكشيش أفعوان المران ، وتأحيح الشجعان الشجعان ، وحضب أقواس الرماة ، وقرقرة بوم الكماة ، وصرصرة بزاة الغزاة ، وجهجهة الجنود الرجراجة ، وهجهجة الأسود العجاجة ، وزهزقة الجيوش الجرارة ، وهزهزة الذبل العسالة ، وهرهرة الهنادك ، ودقدقة السنابك ، وبدبة الأطاميم ، وكهكهة الأقادم ، وفقفقة الضياغم ، وجمجمة الجماجم ، وحمحمة الأخيال ، وهمهمة الأبطال ، وعمعمة الأفيال ، وصيء الأفيال ، وهلهلة الزبر ، وولولة الزمر ، وعلعلة المتهورين ، وقلقلة المتنمرين ، وهسهسة الدروع وهشهشة الجموع ، وجكجكة المناصل وقهقهة الفوارس ، وهقهقة القناعس ، وعطعطة المواكب ، وهطهطة المراكب ، وقبقبة القباب ، وصلقمة (٢٢) الأنياب ، ونعير الغالبين ، وصخب السالبين ، ولجب الجالبين ، ونهيب الأسود ، وقصيف الرعود ، وحشرجة المطعونين ، وخنخنة (٢٣) المغبونين ، وهيعة الصاخبين ، وصيحة النافخين ، وزعقة المستفزعين ، ونعقة المستنزعين ، وهتاف المجروحين ، وعطيط المذبوحين ، وبعد بذل المجهود حصل المقصود ، وكمل المراد وكلم المراد ، وسلب عن الخصوم قوة الأقدام ، وأخذوا بالنواصى والأقدام ٠

---

(٢٢) قرع الأنياب ٠

(٢٣) صوت يصدر من الأنف ٠

- يوم حربك يصبح أحمر وأسود من الدم والغبار

- ويصبح موج بحر المحيط وقمة الفلك الأعلى ·

على هذا المنوال هلك ثلاثون ألف جندى من الجيش الهندى فى نفس واحد بالسيف البتار مشعل النار بالرأس المليئة بالهواء ، وقتل (صمصام الدولة) مع ابنه وأخيه وأتباعه سىء الحظ ، كما أسر (برهان الملك) مع جمع من خلاصة الأمراء ·

قد يحفر المرء ما يهوى فيركبه   حتى يكون الى توريطه سببا

وانهزم بقية ذلك الجيش الشجاع ، واحضرت ألف فيل سعيد الحظ من تلك الأفيال المهزومة للمرابط ، وصار كل فيل بلون السماء ، وأشعة الشمس ، سرج السحاب ، وأجراس البدر ، وعين السها ، وبخرطوم المجرة ، ومنحنى الهلال ، وهودج الفلك ، فلك فلكهم ، نعرته (أى الفيل الهندى الأسير) رعد زائر ، مرآته برق لامع ، جسده جبل متحرك ، أنيابه سيف قاطع ، فى صلابة الأسد المفترس ، فى تبختر « بيل مرغ » (٢٤) ، جسمه الممتلئ قافز على الفلك اللطيف ، ومع الصبا المهاجم اسم العظيم عقد من ذلك الحى ، يقال أن فيل الفلك يتعارض معه فى كل ميدان ، الذى قيد من مرآة أشعة الشمس ، رفع مهندس القضاء من قوائم تلك الأفيال أعمدة سقوف القبة الزرقاء والرمادية ، حيث أرسى أساس هذه الدنيا ، من الأعمدة الأربع يمكن القول أنها حجرات مدينة رواق السماء ، يمكن للبدوى الذى على ربوة ظهره سماع زمزمة مسبحى الملأ الأعلى ، السحاب الكثيف أمام هيكله الضخم مثل قطرة المطر فى مقابل الفيل ، ونهر النيل أمام جسده الضخم مثل بركة المياه بجوار نهر النيل ، خرطومه مسيل جبل « البرز » (٢٥) حوضه المذهب ضامن وسط الجالسين بساحة القتال ·

ولم يعد ملوك الأرض سورا   يساورهم عدا يوما كفيل

- هيكله صحراء البرز

- روحه بيستون (٢٦) الأعمدة الأربع ·

---

(٢٤) الديك الهندى ·

(٢٥) جبل بمازندران ·

(٢٦) جبل قرب كرمانشاه ·

تحلى الأقاصى والأدانى ببيوت الآمال المليئة بالأموال الوفيرة وأعناق أمل الشيخ والشاب من الدر الجميل والحلى والزينة ، وصارت مطايا أمانى الجنود الثائرين مليئة بالمتاع والغنائم والأموال ، فى لحظة جمعوا من كل طرف مال نادر وآوانى بديعة وحلى ذهبية وفضية مرصعة بجواهر ثمينة لا يوجد لها شبيه فى أى عرف زمان وأوان ، ابتلى الفلك الفيروزى بجنون عارض تحت أطبـاق الفلك « والسموات طباقـا » ومن غيره ذلك الصحن الغورى ، أفسد الخجل الفرش الكشميرية التى تبدو عظمتها وروانقها فى فصل الربيع كخضرة الجبل والصحراء ، وتلون بستان الخلد من الخجل أمام الورد والخضرة ، كان ورده اليانـع يعتبر فى عداد شوك براعمه ، بل انه انقلب من الانفعال ، كان يعتبر نقش القالى (أذل من البساط) ، كان المخمل لاينام من حسده ، والقالى من غمه فى حمى وحرارة ، وصلت لساحة الحصول باقى النفائس بلا حصر •

أعد الهنود الأقطـار بكافة أنواعـه لأولئك الضيوف المنزلين مثـل الكوارث السماوية ، استضافوا أولئك الضيوف •

اتجه (محمد شاه) من ساحة القتال للخشية ، وفر لمعقل «كرنال» ، وحصن نفسه وسط القلعة (أقصر لما أبصر) ، كانت عدة آلاف بأمر العظيم كالأسود المربدة ــ الذى هم سوار ساعد الجلادة وثمل خمر الشجاعة ــ قد احتلوا أسوار وجوانب المعسكر ، وحاصروه مثل أهداب العين من عين الحزم باحاطة ومحاصرة أنحاء معسكره •

عندما ارتوت شجرة الدولة النادرية المخضرة وحديقتها الخضراء من جدول النصر ، بعد أن شاهد الملك العظيم الشأن هذا النصر ، ظهرت الحضرة النادرية العلية من باب التحصن ، وحضر (نظام الملك) ــ الذى كان عليما بأمور « الهند » ــ لخدمة الملك الأقدس ، حيث أظهر صورة الاخلاص من وجه الطاعة ، وسلك طريق العهد ، أدرك (نظام الملك) بسرعـة شرف التعظيم ، اقترنت شفاعته بالقبول وامتن من المتن المستمرة ، وجد غصن حاله من مناهل شارب احسان الشراب والشبع بلا حصر ، وقدم وفاء العهد وحفظ الوعد وقواعد القسم وشروط الخلافة ، أحـكم مع الدولة المباركة وقف القتال ورتب مراسم التفاهم والتعاون ، عاود بعد حصر بنود المعاهدة وتقصير وتطهير أذيـال العـداوة ، تحصن (محمد شاه) أيضا من بواقى المصائب بحماية ألطاف الملك الموقى ، ترك الكذب والعداوة ، ذات يوم قرر برسم الامداد مع عظماء الدولة الكوركانية الاتجاه الى عتبة أبواب السماء ، انشغلو وقت مجىء حضرته ملك الشمس التاج درى العرش حتى البلاط من غاية الرعاية بزيادة الاحترام بقدومه ، اقترن بعز المجالسة من ناحية

المصادقة والمصادفة وباللطف الوافر من علاء النية العلانية لذلك الجناب بجانب السرير الملئ بالجواهر ، وأظهروا مدلول « ذى قوة عند ذى العرش مكين » ، فتح بالمفتاح ذى الأسنان الثلاثة مثل حرف سين السماحة أبواب الرغبة من كل باب على وجه خاطر نوره ، ومنح رياض الحب الروحانى من ريح شهر « مهر » بخضرة « اردبيهشت » (٢٧) النضرة ، أهدت الدولة الكوركانية بمدح الاقبال النادرى من قطع ذهب وفضة الشعر « أخنس ابن شهاب » هذا الشعر (أطوع من ثواب) ٠

وكنت الدهر لست أطيع انثى فصرت اليوم أطوع من ثواب

وبهذه الطريقة تم اغماد سيوف العداوة من الجانبين ، وتطهر هواء الحب من غبار الحرب ، وقطعت وحلت عقود الحقد ، وأنجلت مرآة الطباع من انطباع لون الخوف وصدأ التكدر ، وتبدل الهروب الى استقرار ، والقطيعة الى صداقة ، والعداوة لمحبة ، والبعد لواصل ، والشر لخير ، واظهار العدوة لاظهار الحب ، والعداوة لتراحم ، والتخاصم لتصالح ، والتشاحن لرحمة ، والقسوة لرأفة ، والخوف لطمأنينة ، وانقباض القلب للحب ، والهجوم لحسن العشرة ، والمبارزة للاختلاط ، والحرب الى تحادث، والعدوان لصداقة ، والهجاء الى رقة ، والنفور الى منادة ، والمبارزة الى عفو وصفح ، وتقدم الزمان وفق أمانى الرفق والليونة ، وهدأ غبار العداوة والخصومة بماء الوصل والحب ، وأثمر غصن قذف السهام بثمار نيل الأمانى ، (هذا التصافى لا تصافى المحلب) ، وفى غرة شهر ذى الحجة سنة ١١٥١ هـ رفع الملك رايه لواء شمس الآية تجاه « شاه جهان آباد » ، فى التاسع من الشهر المذكور أصبحت دار الخلافة المصانة مقر كوكبة الجيش المهاجم ٠ فقدم مبارك القدم ، متدارك النعم ، عالى الهمم ، غالى القيم ، بشارة وبشارة وراية وآية ، وهيئة وهيبة ، وهزة وعزة ، وعدة وعدة ، وجدة وجدة ، وشدة وشدة ، وروعة وضوعة ، ونخوة وسطوة ، وجول وجولة ، وبأس وصولة وصيت ، وشهب وكمت ، ودهم ودهم ، وبهم وسهم ، وصلات وصلاد ، وأنجاب وانجاد ، ولجب وجلب ، وبيض وثلب ، وبيض وسود ، وأساود وأسود ، ومساعير ومغاوير ، ومغاليب ومصاليت ، وحد لا يكل ، وجد لا يمل ٠

وفى يوم دخول دار الخلافة تزين مجلس المجالسة بخوذة التفاخر وزين مجلس الشراب برفع الانزواء ، كان (محمد شاه) الذى بدعوى « وان من شيء الا عندنا خزائنه » كان يرفع رقبة التباهى ، نثر وأثار دزهم

---

(٢٧) يقابل هذا الشهر نيسان وآيار ٠

ودينار الحاجة ، عرض على شكل هدايا جميع خزائن ودفائن السلاطين والعظماء التى كانت تشتمل أوائل النفائس وحائزة أواخر المحاسن وحاوية فواخر الذخائر وجامعة العجائب وكنوز البلاد ومملوءة بذخائر سعى الأجداد وباعتذار « وجئنا ببضاعة مزجاة » ·

هديتى تقصر عن همتى　　　وهمتى تقصر عن مالى

فخالص الود ومحض الخلوص　　　أفضل ما تهديه أمثالى

تسلم مفاتيح المخازن ، كان يسحق عوالى عروش أصمل الصورة التى أساسها على العرش الأعلى ، كان يدق الأرض من زينتهم وبهائهم على كرسى فلك الطعن (ثل عرشه) يظهر الهدية لا سيما « تخت طاووس » الذى كان من الدرر المتلألأة ·

مظهر تكبر الفلك الأبنوسى ثمن (١/٨) قيمة تلك الكنوز القارونية والدقيانوسية (٢٨) ويضرب كل حقير من لآلأه على جوهر منقار الأكاسرة منقار النزاع ، ودرتى البحر والجبل التى كانت أنفس نفائس الخلفاء العباسيين لا تساى بشيزى (٢٩) وسخر فرائد فريديته خاتم الملك ، كان يتخيل الشاه جواهر (خسرو) ودرة يتيمة الأكاسرة « يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا مقربة » ، كان تسبيح سبحة زيدان بمائة لسان السبحة الدائرة تذكرهم ، كان يصقل جوهر الخلافة من حقد الصدر على حجر الحسرة ، (كرسى تفألت منه انى رأيت مقلوبه يسرك) ، والمجلوبات كثيرة، والنفائس عديدة ، والتحف كثيرة ، والأبسطة والملابس والفرش ناعمة ، والأثواب مدبجة والبرود مخططة بالخطوط الحمراء ، والملابس غالية القيمة ، والثياب الجميلة والأقمشة الرومية المخططة ، والملابس اليمنية ، والثياب الصينية المزركشة ، والملابس الختانية المزينة بالحرير ، والملابس الهندية المنسوجة ، ونفائس الكنوز ، والخلع اللطيفة ، والتيجان المرصعة بالجواهر ، وعقود اللآلىء ، ونفائس الأموال ، وأجمل الأوانى ، والخيول المزينة ، والجمال المزركشة بالحرير ، والخيول لامعة الجباة ، والنوق رائعة الجمال ، والبغال ذهبية النعال ، والنوق الحمر ، والخراف البيضاء ، والفيل أبيض الشعر بكيس الفضة ، وكنوز ، وقناطير جواهر ، واللآلىء البراقة ، والدرر كثيرة التلالأ ، حيث كان قرطى (مارية) غلام حلقه بأذنهم ، كان يقرض كل حبة منها بدر أصمل الليل شديد الضياء « ما لا عين

---

(٢٨) نسبة الى دقيانوس الامبراطور الرومانى الذى أراد أن يرجع أصحاب الكهف عن دينهم . وكان ذلك فى الهجرة الثالث الميلادى ·

(٢٩) عملة نحاسية كانت متداولة فى ايران ·

رأت ولا أذن سمعت » (٣٠) وظهرت مائة ألف قطعة من الذهب الخالص ، ولفائف المتاع النفيس ، ولفائف الحرير المزركش ذو الألوان السبعة ، ودخلت باقى النفائس من سرير وعتبة الملك وخدم ونساء وعبيد كثيرين بحيطة الاختيار والاغتنام ، واستقام حساب تلك النعم بلا حصر بعقود أنامل اليد اليسرى ، وقد وجد حصرها الى يوم القيامة فى عقد البيان وعقد البنان مظهر صورة الامكان ، كما أنه يمكن الكتابة بامداد المداد الأسود للأيام وسحب طول الأعوام « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » على كتاب حساب الأفهام ، أو أن مساح الفكر استطاع حصر مساحة (من ملك استأثر) .

نتيجة لهذا كله أنه عندما ظهر للناس من رؤية الذهب أن ذهب اندهاش العين وحدث للأشخاص من تلألأ اللآلىء والغرر شخوص البصر ، وظهر نقش « وأتيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » ، لم يمتلك القائل حقيقة مفاد « أم عندهم خزائن ربك » الا هذا الملون .

---

(٣٠) حديث قدسى عن رب العزة ، واصل الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقرؤا ان شئتم « فلا تعلم نفس ما اخفى لها من قرة أعين » .

- ٣٥ -

بيان القتل العام ب « شاه جهان آباد » وتأديب الجهــلاء الدون

« ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » ليلة السبت العاشر من شهر ذى الحجة عام ١١٥١ هـ ، حمل الملك ذهبى القلنسوة الشمس للمقصر الخاص ، ودخل وحوله كوكبة الجلال ، ووافق ذلك عيدى الأضحى والنوروز — اللذان فى الحقيقة أعواد نار انارة العالم المحترق · فى يوم واحد ، تزين الحمل بحركات المذبوح ، وأظهر الثور قرن سرى جدا ، تقيدت الجوزاء من المنطقة بانقلاب الوسط ، تقدم السرطان العاصى ، واستل الأسد مخلب وقبضة العداوة ، نثرت السنبلة بذور الثورة ، بدا الميزان من قلة الحجر خفيفا ، تصرف العقرب بمقتضى الطبيعة ، صنع السهم قوس الحقد ، أصبح الجدى عنزة أمام عــزم الفساد ، تعلق الدلو بحبل مجرة البئر محــرك الفلك ، تعارك الحوت مع الشمس ، أى أنه فى ليلة الإحد الحادى عشر وقت العشاء حيث كان سواد ظلمته خال وجه الشؤم ، ومشيمة الشؤم والدة صبحــه حاملة فتنة يوم القيامة ، وقع فيما بين جماعة من أهالى « الهند » والقوات الايرانية (ولكل جيش عبرة وعرام) على قمة مهبط ومطلع النزال والعراك ، ووصلت الألفة لنفاق ، وسحبت السكين والخنجر للعمل ، وأثمرت شجرة المشاجــرة وفرع الحــرب فاكهة الفساد (ان أول الشــجرة النواة) ، « شاهجهان آباد » التى كانت معمورة العالم صارت الى حــدود « بهار » و « فتن » من تفتح براعم ثورة ربيع الفتن (نفط وقطن أسرع احتراقا) قررت جماعة من المشاة المسرعين على أنفسهم الخسارة للجسارة ، وارتكبوا من أمر « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين الذين ظلموا منكم خاصة » جميع أعين التفكير المقيد ·

امــور يضحك الســفهاء منها   ويبــكى من عواقبهــا اللبيب

وتخطوا حدود الأدب بخطوات خاطئة ، وركب معهم فوج من جنود « الهند » فى مراكب الجهل المركب (ولكل غانية هند) ، توجه الأبطال المغاوير (الهنود) من سوء الرأى للقتال ، ومنحوا هبة الحرب ، ودخلوا من باب الاحتقار والتطاول ، وتعلقوا بالنزال والعــراك ، وتغير جمــع من

اولئك الصعاليك ، وظهر اقبال من طريق ضعف الرأى بمنزلة الفيل ، وحملوا الأفيال للخاص (ان الخصاص يرى فى جوفها الرقم) ٠

عندما حدث هذا التطاول ــ الذى بلا أساس ــ من الهنود ، ولممارسة مراسم السيادة على « الهند » ، لذلك كان تأديب ذلك الجمع من لوازم فتح البلاد ، وفى نفس الليلة دار قواد زحل الصلابة ومحاربى مريخ المهابة بأمر بطل العالم معلقين السيف المهيب ومنفذين خنجر (كيوان) المخيف ، صاروا مثل مجموعة الكواكب ينتظرون ظهور الفجر ونشروا نور الصباح حيث شمس فاتح العالم من شفق الدم ، وصل لجنود « الهند » أصل الليل وقت «ان موعدهم الصبح» ، وارتفعت بنفس النسيم « والصبح اذا تنفس » نار فتنة الشمس حتى فلك العظيم ، ألقى الفلك الحقد فى الشمس من القلب ، ظهر الملك (فريدون) العظمة مثل ملك المشرف على صهوة الجواد سالك الآفاق ، وأشار بالأسر والسبى ونهب الكنوز وتشتيت المفسدين (كأيدو سبأ) ، وهتف هاتف بلا صوت « وامتازوا اليوم أيها المجرمون » ، وأوصل نقيب الجيش فى الاغارة من صياح الشباب مرشد تدبير رياح « فساء صباح المنذرين » بتأخر نوم منام الغفلة ، اتجهت أفواج تلو الأفواج مثل سيل لتخريب متاع وأبنية المدينة ، وأضرموا نار الفناء بدون تمييز بين الطائع والمتمرد والضار والمشعوذ « فأى الفريقين أحق بالأمن » ٠

ذهبوا متوشحين بوشاح الوشاحة (١) ونهبوا كل ساحة وقاحة بالوقاحة ، ومن صار من نزاع أقواس النزاع سهام الطغاة الا السهام ، ومن ترك السلم حظوظهم الا السلام ٠

صارت دار الخلافة مدخل الأفة ومدار الخوف ، وصار منزل السعادة الملىء بأنواع الملذات المستطبة وفنون الأحمال الناعمة المرغوبة مائدة نهب ، زين الفرسان يد الفتح بأساور النساء « أساور من ذهب ولؤلؤ » ، جعل المشاة الدكاكين بمدكة القهر بمصداق « اذا دكت الأرض دكا دكا » ، وقيدوا ذكور واناث العائلات مثل حلقات السلاسل ، وارتبط الصعلوك والعظيم معا « غلت أيديهم » والعليل والظامىء فى حارة البلاء ، اقترن الأباء الأفاضل ــ الذين كانوا أبناء المعالى ــ بحوادث الزمان ، وتساوت أمهات المكارم ــ اللائى فى العشق على الجناح الأعلى ــ بحسناوات « بربر » ، رأوا على صدورهن سوطا بدلا من الدرر ، وأصبحوا مشمئزين من سوء المعاملة « الا فى الفتنة سقطوا » ، هرب التجار من ربح التجارة ليلا « فما ربحت تجارتهم » ، وأخذ الأبطال الراكضون ملابس منسوجة وذهبا خالصا من دكاكين أسواق الساحة ، احتضن فهود الطباع الأقوياء والمحاربون الأشداء

(١) السيف ٠

حسناوات « يغما » (٢) بالسلب من النقاب والحجاب ، سحب صانعوا الحجاب المحجبات من ستار العفاف وركن المحارم ، وكتب أفراد الوجود بقلم السهام والسنان ، قطعت المحصنات الحسناوات حبل العصمة ، وأظهرت المنقبات الحسناوات شق بل هتك غطاء الحياء ، ظهرت المستترات اللاتى فى حجاب الدلال ، اختارت العاهرات مكانا فى خلوة الحضن ، كانوا يلومون الشباب الذين من القامة الموزونة على السرو الكاشمرى والمحبوب الكاشغرى والمعشوق الغاتفرى ، واقتلعوهم من الأساس بسيف الجفاء مثل الشجرة المعمرة ، أظهر وجه القمر الذى من وجه حسنهم آية « ولقد نصركم الله ببدر » أخذوا الخال السميك بلطمة ظلم مثل البدر ، وكان شمس الوجه ــ الذى شمس وجهه فى البرقع أكثر شعاعا من الشمس ــ فى السماء الرابعة ، ورأوا آثار « وخسف القمر » على منصة الجمال وناصية الأحوال ، وامتلكوا الحسناوات حيث آلاف البلابل العاشقة فى روضة الحسن ، صاروا مثل خضرة سحق الحوادث ، لم يحضر (يوسف) الصفات قميصه خيث بجانب جيب الجنة الرائحة لم يخرج عزيز « مصر » الرأس من فتحة الثوب ، وصاروا ممسكو عقد النوائب ، وارتبطت رنات ربات النقاب بالسماء ، وقيد صعود أفواج التأوه وأنين الضعفاء الطريق على نزول جنود رحمة الله ، وصل من الغم سلاسل الدخان من كرات النار ، وسحب شرارة هذا الشر لهيب نار زبانا ، خرق زبانية جهنم أهل المدينة بنداء « ذوقوا فتنتكم » وأنشد الصغار والكبار من كل ركن آنين « أفتهلكنا بما فعل المبطلون» ، بالاضافة الى هذا القتل الزائد عن الحد كان السبعمائة والسبعون شخصا قد ذهبوا أيضا على قمة دار الفناء ، وسقط الجميع من فداحة الأمر بورطة القتل والفناء ، وصاروا من هذا الجنون مثل فرع الصفصاف معلق السياسة ، وفى النهاية احترقت تلك الجماعة الظالمة بنارها مثل شجرة الكافور ، وأمضوا يوما فى الحياة نهاره كظلمة الليل ، (من شب نار الفتنة كان وقودا لها) ، وسحقوا جميع وسائل وأثاث البيوت من « سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » ، حتى الأمتعة والأشياء القديمة والمكانس والتراب المكنوس وحبات القمح والزبالة وقش القمح رغوة فوران اللبن المنثورات والحبال وقطع الذهب والفضة والمجروش والكناسة وقطع اللحم كلها صارت فى يد سحق الاختطاف وعرضة السماب، وصار من فرائد الحلقان حتى نوادر الأثاث ومن ذوات الجفون كالجعات وقلوب قاسيات حتى « جفان كالجواب وقدور راسيات » ملك الافتضاض والاقتضاض ، وأسر الانتهاك والاغارة .

---

(٢) احدى مدن التركستان ، وهى مشهورة بالحسناوات .

كان (محمد شاه) قد جمع آلاف القطع من الذهب والفضة ومئات ألوف من الدرر والجواهر التى صارت بتوالى الشهور فى سعة قصر القدرة وسعة النعمة ، وصار بالملابس الرثة وهندام الفقراء واللبد والأجولة القديمة المغزولة من وبر الجمال ، وظهرت لطائف الأمور فى هجوم حوادث الدهر واستلال سيوف صروف الدهر بمعرض الفناء ، ووجد أرض ذلك الوطن وجمال تفحص بلطـة حرص الناهبين صورة « واذا الأرض مـدت وألقت ما فيها وتخلت » ، دكت جميع الأبنية وكنست القصور (بحيث لا يوجد فى سمائها هـلال ولا فى خلالها خـلال) ، وكثرت الأسلحة حيث كان يستخدم خشب الصنـدل بـدلا من الخشب وخشب العود من الحطب ، ووصلت كثرة النهب الى حد أن كان يكتسى عابر السبيل بأقل من المتاع الفـانى والقماش من القصر والحى « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وظهر جنود « ايران » مع الهنود مثل الليل والنهار ، ذلك النهار حتى ليل اشعال الحرب « حتى توارت بالحجاب » ، وقاوموا بلا مقاومة نهب النفائس وأسر النفوس والهتك والفتك ، والنفش والنقش ، والمحش والنهش ، والنبس والنتش ، والفصـل والقصـل ، والكسح والكشح ، والحرق والخرق ، والهدم والردم ، والهذم والجذم ، والخدم والخـذم ، واللكم واللتم ، والحطم واللطم ، والرتم والرثم ، والهشم والهسم ، والهضم والهصم ، وظهرت الآية الكريمة باهرة الأدلة « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » ، وجدت القصة القصيرة عدة أماكن بالمدينة من مرور هذا السيل المخيف ولطمات هذا البحر الرهيب صفة « عاليها سافلها » ، كان قـد أسرع كثير من الأشراف والصعاليك جريـا لصحراء العدم ، غير أن ركن الدولة الكوركانية باشارة من الملك العظيم سد طريق الظالمين ووقف على أعتاب بلاط جناب ملك الملوك معفر الجباه ، ملثم الشفاه ، مرغم الأنوف ، مكحل العيون ، مترب الخدود ، مقبـل المقبل ، مسح جبين الحاجة باداء « يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر » ، فضرب (نادر شاه) بطرف الأمان مخلب الاحتماء ، وأهلك لسان الضراعة بتكرار « اتهلكنا بما فعل السفهاء منا » بمؤدى « انا كنا عن هذا غافلين » عندما تجاوزت مناقشتهم والحاحهم حد الاعتدال ، جاء سهم مراد تلك الجماعة المضطربة على الهدف ، وزادت عليهم حدة القهر والبطش ، وأعطوا باشارة :

خـذ العفـو وأمـر بعرف كما ... أمرت وأعـرض عن الجاهلـين

ولـن فى الكلام لكل الأنـام ... فمستحسن من ذوى الجاه لين

بشارة « لا تثريب عليكم اليوم » ، وأبقوا السعادة على باقى النفوس الحساسة ، وفتحوا أبواب بشارة « أولئك لهم الأمن » على ناحية المملكة بمضمون :

ـ ان صدر من ذؤابتك المسكينة خطأ جائز

ـ وان وقـع الجفاء من عينيـك علينـا جائز

أمروا بتعزية وتهدئة قلوبهم ، وتوفى (برهان الملك) فى نفس الوقت نتيجة لغلبة أمراض الأغراض وأعراض الأمراض ، (لقى هند الأحامس) (٣)، ثم اتجه المحصلون من ضباط الديوان بموجب حكم العظيم ناحية « لكهنو » و « اود » ، فجعلوا آلاف النقود التى من مال (برهـان الملك) فى تلك الناحية مع جواهر زاهرة وأفخر الكنوز منقولة للخزانة العامرة ، وتقرر رأى الأقدس فى ثنايا هذه الأحوال ومقامات هذه الأطوار بتزيين ـ مع الأسرة الكوركانية ـ شاهد الحب بحمائل عقد الارتباط ، فخطب وتزوج السيدة (كتايون) (٤) القدر ، (ارزيتون) (٥) القدرة ، (ناهيد) (٦) الطبيعة ، (جهرزاد) (٧) الأصل ، (هماى) (٨) الهمة ، (كلشهر) (٩) الشهرة (منيجه) (١٠) النجابة ، (ارنواز) (١١) الدلال ، (فرانك)(١٢) العظمـة ، (فـرهنك) (١٣) العـادة ، (فـرنكيس) (١٤) الذؤابـة ، (رودابـة) (١٥) الرأى ، (روشـنك) (١٦) الروح ، (بـورك) (١٧) الركاب ، (سودابه) (١٨) النشاط ، (نوشابه) (١٩) الشأن ، (خسرو

---

(٣) الأحامس بمعنى الموت .
(٤) ابة قيصر الروم وزوجته كشتاسب .
(٥) ابنة ملك من ملوك المغرب ، وزوجة بهرام كور .
(٦) اسم والدة الاسكندر ذو القرنين .
(٧) ابنة بهمن ، وقد حكمت ايران فترة من الزمان .
(٨) اسم ابنة بهمن التى تزوجت أبيها وفقا لشريعة زردشت ، وانجبت منه داراسب .
(٩) اسم زوجة بيران وقائد افراسياب .
(١٠) ابنة افرسياب وعشيقة بيزن بن كيو .
(١١) شقيقة جمشيد التى سباها الضحاك مع آخريات ثم انتقلن الى فريدون .
(١٢) والدة فريدون ، وقد اخفته فى مازندار .
(١٣) والدة كيكاوس بن كيقباد . محمد حسين بن خلف التبريزى .
(١٤) ابنة افرسياب ، تزوجها سياوش .
(١٥) ابنة مهراب الكابلى وزوجة زال والد رستم دستان .
(١٦) ابنة دارا .
(١٧) الابنة بور راى كندج ، وقد أسرها بهرام كور .
(١٨) ابنة الملك هامادران ، وقد لقبها العرب بالشعرى اليمانى .
(١٩) اسم ملكة بردع ، وقد كان يرسلها الاسكندر قبله فى المناطق التى سيغزوها .

ابن شرين) (٢٠) الشمائل ، يعنى درة الصدف الكوركانى الأمير المنصور (نصر الله ميرزا) الذى هو شمس (بهمن) ، قدر (شيده) (٢١) ، شهامة (شيدوسن)(٢٢) ، جمال (سبهرم)(٢٣) ، جيش (شادكام)(٢٤)، مقصد (كوبال) (٢٥) ، جناح (اردوان) (٢٦) ، سرعة (روئين) ، روح (زوبين) ، سنان (سيامك) ، مكان (نريمان) ، مثل كريمان كرم (نصر الله ميرزا) ، جعلوا ساحل بحر « جمون » مكان عزم للسعادة ، وزينوا مجلس جنة النزهة ، كان يغوص بجانب نزهة تلك الجنات الأربع « سغد » و « شعب » ونهر « الأبلة » و « الغوطة » فى عرق الحياء ، زينوا مجمع الخلد ، حيث كان صفاء تلك الجنات الثمان فى مسدس الحيرة ٠

أظهر الفضاء المبهج « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ، وحاشية المجلس رغبة عطاء « متكئين فيها يدعون بفاكهة كثيرة وشراب » ، وأظهر ساقى السعادة فى روضة الهناء ببرهان وكأس شراب « يطاف عليهم بصحاف من فضة وأكواب » وحماة فى أطراف قصر الدولة جبين طاحن التراب « وعندهم قاصرات الطرف أتراب » محفل وقصر السلطان من وجه القبعات الذهبية مجلس الأنجم ، كان قد رأى شموع المجلس مضيئة ، ومجلس شموع العشق ضوء جزء عين المجلس والمحفل ٠ أحيانا يشربون فى روضة الزبرجد مثل ماء ياقوت عنب الجناح من كأس شراب الفيروزة ، وأحيانا يسمعون لحن «سبز درسبز» (٢٧) ونغمة «سبزه بهار» (٢٨) من أسمر وجه ياقوت الشفاة ، وغنوا فى يوم شديد بجانب النهر بنغمات عذبة ، وأنشدوا فى ليلة شديدة الظلمة مع « ليلى » و « شان رود » (٢٩)، وكانوا يعزفون ألحان المطربين على عود « بنان » (٣٠) طعنة « وأضربوا منهم كل بنان » ، ألقى آنين منشدى ناى « زنام » (٣١) من الاسم ، كان يقرأ

---

(٢٠) ابن افراسياب الذى اسر على يد كيخسرو ٠

(٢١) ابن كودرز وشقيق كيو ٠

(٢٢) أحد أقارب أفراسياب الترك حيث قتل فى معركة دوازده رخ على يد هجير بن كودرز ٠

(٢٣) أحد اقارب افرسياب الترك حيث قتل فى معركة دوازده رخ على يد هجير بن كودرز ٠ محمد بادشاه ٠

(٢٤) شقيق فريدون ٠ محمد حسين التبريزى ٠

(٢٥) اسم محارب من أقارب قيصر الروس ٠

(٢٦) اسم ملك من نسل كشتاسب ٠

(٢٧) اسم نغمة موسيقية من مصنفات باربد ٠

(٢٨) اسم نغمة موسيقية ٠

(٢٩) نغمات موسيقية ايرانية ٠

(٣٠) شاعر عربى ، كان ببلاط الخليفة المتوكل ٠

(٣١) اسم عازف ناى هارون الرشيد وقد كان له مهارة فائقة فى العزف عليه ٠

« عتل بعد ذلك زنيم » وصـارت رؤوس المحبين من نشوة الخمر الأحمر ثملة ، وتلونت أجساد الحساد بالزعفران الاصفر ، ودمع الحسد الدامى صار أصفر وأحمر ، وظهرت عروس المراد بعرس الدولة ، وحدث اجتماع النيرين فى برج الشرف ، واستراح الزمان ببشارة هذا الارتباط ، واستبدل الغوغاء بالضيافة والعراك بالمصاهرة ، وزال غبار الحرب من مرآة خاطر الحضرتين وذيل الدولتين الطويل . هذا العيش بعد ذلك الهيش اشراق بيضـاء عقيب ليـل عبوس وتلك العرس البيضـاء أمام العـرس سوداء العروس .

فحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيهب

بعد انقضاء وانتهاء أيام العروس والاحتفال فاز الأمير بشرف حضور حضرة الملك (محمد شاه) الحماة ، رأى توافق العادة والطباع ، تشرفت تلك الحضرة أيضا لقامته بتشريف الثوب المزين بالجواهر ، جعل الأعذار فى معاطف العاطفة ومواقف الاجلال رأس الفيل مع أجلال ذهب السلك وهودج جوهر المعشوق ، وخمس برادع مرصعة اللجام بوسائل تعليق الجواهر الذى كان باقية وخاتمة الكنوز النفيسة ، وفى قدر وقيمة محطم رونق كنز عروس (خسرو) و (كيكاوس) .

أن (لا عطر بعد عروس) ، وأصبح فى أيام التوقف من الأقاصى والأدانى لبلاد « الهند » « حتى اذا بلغ مطلع الشمس » من جميع أرائه رأى وحكام ممالك الزينة والمعاندين الأقوياء والفارين من الجبال من خمر نخوة الشمل عريضة وهدية نزول ساحة الخلافة .

تأرجت الأرجاء بعزف عزفـه ، وأرخت السير فى مكارم وصفـه ، انقادت القادة لأمره ، وأحكمت الحكام بحكمة حكمه ، وألبس البلاد بلاذ عدالته ، وملء أسماع الملاء بصيت جلالته ، فهابه بالضراعـة كل عظيم ، وتأهب له بالطاعة كل اقليم ، ورهب منه ملوك الأطراف ، وتعلق باستزادة الشرف منه أمل الأشراف ، وكاتبوه وراسلوه بالتحايا ، وخاطبوه بالهدايا ، وكل يطلب لملكه أمانا ، وليده وقدمه من تمكنه وتأييده امكانا ومكانا ، فما يعود الرسول الاسعاف المسئول ، ولا يقبل عليه من حضرته الا نسمات القبول ، فيقدم مكرما ، ويكرم قادما ، ويخدم حاضرا ، ويحضر خادما ، ويمهد القواعد ، ويجدد العهود ، ويشد المقاصد ، ويؤكد القيود .

- ٢٦ -

بيان تفويض سلطنة « الهند » لـ (محمد شاه) انصراف موكب قرين النصر ناحية «ايران» الوطن

« ان هذا لهو الفضل المبين » كان يظهر ـ بسبب ظهور فضية (ابراهيم خان) الملك العالم فى أوقات التأخير فى تلك البلاد والتأخر فى ذلك الوطن ـ كل يوم بمثابة سنة وكل شهر أسمع من عضة الحية ، لم يبدأ فى أمر « الهند » ، ولم يظهر بمقتضى الطبع الامبراطورى ملك حام العالم الملك العظيم ، الملك السعيد المبارك ، الملك رفيع الشأن ، نصره تفحص عدل « أورنك زيب » « دارا شكوه » ، ملك الحكام ، الموفق السعيد النجم ، المخصوص بتأييدات الملك الأكبر ، السلطان الأعظم ، والخاقان المعظم الجناب لـ (محمد شاه) الذى ظهر فى موازاة قمر لو أنه شمس العالم المضيئة ، كان مهندس أساس الممالك سيفه المهند ، وضع بيد السيادة (ما برح يد الدهر يمينا) الليل السرور بالفرق المنزه ، كان الماء نائر الشرر والشعلة الحادة ، وكانت المرآة الزئبقية المشبعة متعطشة لدم العاصى حاد الطبع ، السفاك المحارب ، صاحب الطبع الحاد ، مصداق « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد » محك اختبار البطل والحقير الصديق والبطل جليس أصحاب المعارك ، التنين ثعبان الجسد ، أصل المعدن ، ومنجم الجوهر ، هلال الشكل ، سمائى اللون ، صاعق برق نغمة ٠

متوقد مترقرق عجبا   نار وماء كيف يجتمعان ؟

يعنى ربط السيف المرصع على الوسط ، وتمكن على مسند وعرش فلك الجاه وهو لون سماء الفرش « اترى الملائكة حافين من حول العرش » ، « وقال انك اليوم لدينا مكين آمين » ، وتعلق ملك تلك البلاد بالدستور الذى كان للأظهار أجداد تلك الحضرة ، كما كان من حق حضرته تفويض وتقويض المبانى المباينة ، وقبلت ولاية «الهند» بدون غضب علامة التقسيم ، وتقرر أن تكون الجهة الغربية والشمالية لنهر « السند » من ميناء «سورت» الى « كشمير » و « التبت » للدولة النادرة البادرة والبقية لمملكة ملك « الهند » ، وقرأ عصر الهلاك لأعداء الحضرتين سورة « تبت » ، وأعطى كسر سورة صولة الأحزاب للنافقين برفع المجادلة من فرقان اخلاص فاتحة الفتح ،

وتكرم فى منح النعم للأشراف ومعاونة الجنود وتقوية ومنح ومساعدة النجباء هناك ، وحمل الطربوش من مائدة الكرامة وغطاء الرأس من باب العطاء ، وكرم كل شخص من اختيار القصد وفواخر خلاع المكرمة ، ومنح بالاكرام لواء بيرق مراتب راية اعتبارهم من السمك لسماك مرتفع الارتفاع والعلو ، « رفع سمكها فسواها » وطلى بمصقل المكارم الملونة بلون الصدأ وصدأ من مرايا القلوب ، « انى لا أضيع عمل عامل » ، أنعم عليهم بخلع قلوب المعادين ، وألوية تلوى أيدى المعاندين ، وكرم أمراء « ايران » أيضا « لكل درجات مما عملوا » بمزيد التعظيم بمنحهم فيل وشعار وكل أنواع الجواهر ، كانت كل أعناق الجنود بها عدة قلائد نادرة الوجود ثقيلة حيث أنهم كانوا مستغنين عن الأموال الأخرى ، لكن استغرب المنح الملكية البعيد والقريب وابن البلد والغريب فردا فردا من كأس مكرمة ثمل الخمر الجارى، واستعذبوا بعذوبة ماء معين عين عناية عذاب (السفر قطعة من السقر) فى رغبة روح الجنود ، ملئوا أكياس الزاد بالهدايا ، ولزم المنتهى بلا نهاية من الجود على رقاب الجنود ، وسكنت القلوب بهذه الحركة ، وركنت النفوس بتلك البركة ، وسرت البشرى وسرت ، ودارت النعمى ودرت ، وحسنت السنة باليسر ، وأحسنت الألسنة فى الشكر .

القصة أن اللآلىء المنتقاة والجواهر المصطفاة والبذور المليئة بدرر البحر ، والبدور تامة « والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة » ، حيث كان يصحح فى ضوء وقيمة رونق سوق الذهب المغربى الخالص .

وأحمر يحكى الشمس شكلا　　　وأوصافه مشتقة من صفاته

فان قيل دينار فقد صدق اسمه　　　وان قيل ألف كان بعض سماته

بديع فلم يطبع على الدهر مثله　　　ولا ضربت اضرابه لسراته

صار راكبو الأفيال الشبيهة بالجبل وجمال فيل القدرة ، فى سنة ١١٥٢ هـ . ق فى يوم السبت السابع من شهر صفر وطأ أرض « ايران » معسكر سعادة موكب نصرة الطراز ، نصر الأثر ، قرين الابتهاج والسعادة بالشوكة والعظمة والنيل والانتصار وبلوغ المرام ، وامتطى الجمال ذوات الظهور المنخفضة والمطايا المباركة ، رحل والتوفيق مسايره ، والتأييد مؤازره ، واليمن مظاهره ، والسعود محاضره ، والعز مسافره ، والظفر مجاوره ، والاقبال محاوره ، والألسنة شاكره ، والله ناصره ، وكتب أوامر شديدة الوضوح منبأة عن هذا الفتح السعيد ، وانصرفت أفواج فاتح العالم برسائلها من شاطئ بحر « قنوج » الى نهاية « بلاد العثمانيين والروس » حتى اذا بلغ مغرب الشمس » ، وألقت الأصوات هذه الأخبار فى قصر القياصرة المنيف وفى ناحية بلاد العثمانيين بالهزائم .

عبر من بعض أنهار « البنجاب » التى كانت تجرى لاطراب قدم الملك من التطام الموج بألحان رود تمل كفف الراقصات ، عبر الجسر المغلق ، لم يعود البعض حيث أتـه حوصلة لطمات ذلك البحـر العميق ، وتبدل ركوب الخيول الى ركوب السفن ، وجعل طبيعته راغبة الماء تاركة الأرض ، طالبة الريح ، ومطلوبها النـار ، سمندر (١) الخصلة سمكى الطبيعة ، تمساح العنق ، ثعبان الشكل ، مستسقى المزاج ، مائى الفراش ، مدقوق الجسم ، جامد الهيكل ، صاف المشرب ، درويش السيرة ، متعدد الأشكال كهيئة الكأس الخشبى ، صديق بلا أمل ، (اسكندر) الفعل ، (الياس) العمل ، علم نفسه السباحة ، وامتهن السياحة ، لم تتزين من تركيبى الهيكل المثالى مثل المجردات المختلطة بعالم التراب ، كان دائما يجرى بسرعة وبلا روح ، كان جاريا بدون يد وقدم التى بالباطن ، صلب الرأس ، رخو الطرف ، صحراوى المولد ، بحرى المسكن ، جامد الحس ، متحرك الجسم ، عبر بشراع الجناح المسمى بالغراب (٢) .

كان ازدياد موسم الأمطار دائم الانهمار عقلة على قيد حبل العزيمة ، وصارت أمطار الموسم مانعة طريق الطلب ، وتعذر من شدة هطول الأمطار شد الرحال والحل والترحال فى تلك الأوحال حال بالرحال والمرتحل ، وتعسر من قطرات الأمطار طى أقطار الماء والطين على فم الخيول المفتوحة نشيط السير « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » ، وفى خلال خمسة شهور حيث صقيع تموز وطغيان مد البحور ، طوى فيافى مليئة بالماء وصحارى كثيرة الأمطار ، حدث للكوكب المسعود بواسطة الأمطار والسيل السكون والتباطىء وانتظرت الألوية اللوامع البيضاء عدة أيام نظرا لغلق الجسر الواقع على نهـر « روداتك » (٣) وظهرت الأسحار التى هى درة الشمس النامية من ظلمة الليل ، وظهرت آثار وصدف عنها الليل ، وأكد الحركة عندما كان قد وصل للعرض ، حيث ظهر بيد الجنود فى سلب « شاه جهان آباد » جواهر بلا حصر مثل الحصى ، وقت عبور التماسيح بحر الهيجاء نفذ أمر العظيم ، حيث ظهر بشأن الفحص والتفتيش .

عند صـــدور مثـل هذا الأمر من حضرة الملك عظيم الأصل الذى صفحة نثر جواهر بحر عطاياه « نهر البنجاب » بلاد الدهر ، بل (آندى من البحر) ، وفى نظر همته قيمة اللؤلؤ أقل من الكمست (٤) ، يستبدع

(١) طائر وهمى يعيش فى النار ولا يحترق .
(٢) نوع من السفن وقد كانت تصنع قديما بشكل الغراب .
(٣) اسم نهر السند .
(٤) نوع من الجواهر رخيص الثمن قليل القيمة ويستخرج من بلدة الصفراء على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة .

ويبرع البحر أمام بحر قلبه نموذج الندى ، وصب الجنود كثير من الدرر واللالىء بالبحر ، وأعطوا مضمون (كل يرجع الى أصله) زين الصدق ، (الهف من مفرق الدر) عبروا من ناحية عبرة الدمع ، ناثرة الحسرة ، بعد أربعين يوما ربطوا وسط الهمة باصابة الرأى الثاقب وضمير شمس الاضاءة للمملكة فاتحة تلك النواحى ، وأساس متمردى تلك الممالك (أفغان يوسف زاى) (٥) الذين كانوا يسكنون شعب جبال تلك المنطقة بكمال العناد ، « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين » ، وغافل عن مكمن « أتتركون فيما ههنا آمنين » ومفتون بغرور « ونعمة كانوا فيها فاكهين » · وكان لهم فيها حصن حصين، ومكان مكين ، وركن ركين وكن كنين، ومسند مشيد ، ومهاد مهيد ، وربع وسيع ، ومربع وشيع ، ومرتع خيول ، ومسمع طبول ، ومجر ذيول ، ومجرى سيول فى المشتاء والمصيف والملحمة والمضيف ، بعد ذلك انشغل فوج من الأبطال الغاضبين بوجوه عابثة لقلع وقمع تلك الجماعة ، وانحدروا وهبطوا « كماء منهمر » من الجبال العالية ، وغرقوا فى دوامة الخذلان ، وتفرقت وتشتت البقايا مدى الحياة عليهم « يوم نحس مستمر » ، وجعلوهم « كأنهم جراد منتشر » و « أعجاز نخل منقعر » « ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر » · بعد تأديب تلك الجماعة الزائفة عن الحق يعنى الوقاحين « فزاغت أبصارهم » ، ومظلمى القلب « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ونفر الغراب كسير الجناح من الفرع الداخل، ونثر غبار الحقد والفتنة من الخاطر ، ودخل أربعون ألف فارس مشهور من تلك الطائفة وباقى طوائف الأفغان وقبيلة « هزارة » (٦) ممالك « الهند »، بعادة الملازمة والطاعة (أتبع من الظل) فى ظل راية الشمس المضيئة ·

---

(٥) اسم طائفة بشتوية كانت تعيش فى حدود مدينة خيبر وكانوا يتميزو بالشجاعة والجسارة ·

(٦) هذه القبيلة كانت تعيش شمال شرق باكستان فى قلعة « نو بادغيسات » · أصلاب رجال جيش جنكيز خان الذى غزا افغانستان فى القرن ١٣ م · وتوجد فيهم سمات مغولية واضحة ، وهم شيعة ·

- ٢٧ -

بيان تسخير ممالك « السند » وتأديب عصاة تلك البلاد

« انهم كانوا قوما عمين » فى مسارح هذه الحالات ومرور هذه المقالات، وصلت عرائض من «السند» تفيد بتفتح براعم أغراض (خدايار خان عباس) حاكم تلك الناحية ، وأثمر غصن حاله ورد المعصية والاعراض ، ونشرت شجرة هراس الخوف شوك الرغبة بطريق خياله ، تحقق بعد دخول « كابل » أن استقام ذلك العاصى المخالف للصدق ، ومخالفته صادقة بلا رياء ، سار الحصن المستقيم السير ببطل تقويته حرارة سلوك الطريق تجاه « ديرجات غازيخان » (١) و « اسماعيل خان » مدار دائرة الامتلاك ، بعد ذلك أظهر القمر لواء فاتح العالم سير درجات « ديرجات » ، ظهر نور فى ملك « شكاربور » ، توجهت مقدمة الجيش لأول نصيحة كريمة ، أصدر ل « خدايار » أمر مبنى على الوعد والوعيد ومخبر عن الترعيد والترغيب ، مقرر أن يميل لطريق الهداية وينعطف ناحية الطاعة ، وكان من الأنسب أن يظهر مظاهر الملازمة بلا تعفف ، ولم يفكر فى ما هو محظور ، ففتح على وجهه باب السلامة بأسنان مفتاح سين السلامة ، (لن ينفعك الفرار بل يسحبك الى البوار ، ويقول سيفنا بلسان حديد « نحن أقرب اليك من حبل الوريد » ، فتعال الينا بعد توسلك « وما أريد أن أشق عليك » ، أن تجىء الينا فهذا لك أولى والا « أولى لك فأولى » . وجد من فرط ضلال « سندباد نامه » تلك الحكمة فى أذن الريح مجهولة المكان ، بل مثل قطرة السحاب فى سندان بلا أثر ، واختار الامتثال لأمر العظيم ، غير أنه تأخر عن تقبيل عتبة فلك المبانى ، وأظهر أحد أبنائه مع عدة أشخاص من القواد عريضة مزورة (أكذب من أسير السند) (٢) مبنية على التقييد بقيد الانقياد لرسول بلاط فلك الأساس ، تقدم البلاء بعقد الأسباب المسببة ، فتشبث بدرع التذرع ، وتمسك بحبل الحيلة ، أما نخيل خياله لم يثمر سوى ثمر الندامة « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا » .

---

(١) مدينة ناحية مولتان شرق نهر السند بحوالى ٤٥ ميلا ، وقد بنيت فى القرن ١٥ م .

(٢) ذلك أنه يؤخذ الرجل الخسيس منهم فيزعم أنه ابن ملك .

أدرك الملك الذى بلا نظير منذ دخول أولئك الأشـــخاص أسرار ضمائرهم ، لم يسمع (مواعيد عرقوب) له بأذن الاستماع ، فأخبروا أن هدف نظر هذا كان أن أولادك بعنوان الارتهان مثل العرض اللازم الملازم لجوهر ركاب أصل النقش ، هدأت أحوال ولاية « السند » ثانية وتفوضت لك « ولكنى أراكم قوماتجهلو ن » .

من هناك لم يكن فى شريعـة التعامل لبضاعـة المكر والحيلة ثمن ، وأصدر للشمع المضىء من اللعب بنور الشمع أذن بارسال الجيش ، عندما سد « خدايار خان » مداخل المعارضـة والخداع ، اعتبر بهذه الحيل أن شمس النجاة ستسطع من أفق طالعه ، هدم وأحرق جميع بيوت وعمارات « الله آباد سند » بفحواى « وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهـم بأيديهم » ، وتحرك الأهـالى من خوف السبى والقتـل ، لم يترك فى تلك البلاد لمنزلا ولا للأموال والمتاع أثرا ، « فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم » وعبر من نهر « السند » ، جعل مأمنه قلعة « عمر كوت » التى تقع فى واد « غير ذى زرع » وأصعب القلاع والمواضع وصحراء أطرافه (أقفر من برية خشاف) و (من أبرق العزاف) . عمل الملك فى ناحية « كاربور » عمل الصبى (دستان) ، وسكن فى ساحـل ذلك البحر الدامى « وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام » ، راكبا بمراكب الخيول رافسة الموج ، سلك السريع الرشيق ثقيل الركاب ريح عنان الماء ، صار آكل النار تراب المربط يعنى السفينة ، وعبروا من البحر مثل الطوفان ، وظهر مؤدى « وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستوا على ظهورها » ونهض الحصان سريع الجرى للشجاع بسوط السطوة الحار .

له زهو طاووس وخطو حمامة ... وتدويم بـاز وانقضاض عقاب
وتثواب ظبى وانجفال نعامـة ... واهذاب سيد وانسياب حباب
وصولة ضرغـام وروغ ثعـالب ... ولحظ قطامى وحـذر غـراب
وجذل عنـان وانثنـاء ذبالـة ... ووقـد ضرام وانصياع شـهاب
وهيج أخى شول وتدفيف اخيل ... وايماض برق والتمـاع سراب
واعصاف ريح واهتزاز يراعـه ... ودره نـور وانجيـاب سـحاب

وطوى بأثر ثلاثين فرسخ صحراء وهضاب بلا تأخير فى يوم وليلة ، ووصل وقت انفلاق ضوء الفجر ناحية القلعة ، أضاء (خديار خان) وجه

الحرب « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم » ، فضرب المهماز على مركب صياح الرعد الحاد ، وأسرع لصحراء الهرب (رجع على حافرته) .

جرحه جماعة من الغزاة ، وأمسكوا بقبضة عنانه و تلابيبه ، وكبلوه فى قيد التكبيل ، واستولوا على جميع أولاده وأمواله وخزائنه ، كما استولوا على الأموال المختارة وجواهر تاج الملك التى فى ذلك المكان الأمين والقلعة المحكمة ، وقد كانت مكنوزة ومخفية ومخبئة ومستقرة ومكنونة فى جوف الأرض ، كما استخرجوا الذهب المخفى والمدسوس فى حفرة فى الأرض ، كل هذا انتقل الى مقر الدولة النادرية ، وجمع العظماء والموالى أموالا بلا حصر .

رغم أن (خدايار خان) قلع الطمع من نفسه ، فانه سمع من رسول العناية الملكية بشرى هبة الحياة ، وحصى من ديوان (أحسن العفو عند المقدرة) منشور عتق العنق ، وتبدلت القيود لعطايا ، وزين الرقبة طوق العبودية ، وحزم وسط العبودية طواعية بطوق الاخلاص والرق ، وقبل ورق منشور الامتلاك و « رق منشور » ، حكم تلك الديار باسمه حلة الارتسام وحلية الختم والعلامة ، وقد استراح قلبه ، وابتعد قلقه من هذه السياسة ، وجدت قمة روحه من رياح رائحة الأحبة نصيب ، عناية النشأة ، وانتسب ابنه بعد العهد والقسم لركاب النصر .

فى الحقيقة استقرت الخيول من هذا الفرار والهزيمة ، ورأى من أغلال مثل السرو جدول الافتخار ، وبمكان العذاب نهر عذب فى فم النفع ، وسحب اقباله حلقة عبودية الملك للمعقل بلا نقصان وسعى لحفظه (صار الأمر خير قويس سهما) .

عندما أصبح فى ذلك الآوان من جانب الملك العظيم الجاه للهندى مرسلا قليل من الشيلان وبعض النفائس بشكل الملاطفة ، كما أحضر لحضرة الامبراطور أيضا من الفواكه المنتقاة يعنى البطيخ الذى كان فى تلك الأوقات بشائر من « بلخ » ، وكانت الهدية عبارة عن قطيع مكون من مائتى جمل محملة بالبطيخ لحضرة العظيم .

من الوقائع الصادرة والصادرات الواقعة التى وصلت لمسامع العظيم فى تلك الأونة ، حيث أنه عندما كان (لشاه طهماسب) لم يكن يتعامل فى غيبة الموكب الملكى مع الأمير (رضا قلى ميرزا) الا بالخبث ، صار مرتع عمره فى « سبزوار » الخضرة موطأ القهر ، وطائر اقباله فى مرج

العالم مثل الطائـر الضعيف أسير شبكة مصيبة الدهـر ، لم ينتفع بأنى الحظ الفاسد والعصر الحقير من الدولـة العظيمـة ، وجد العشب النامى لحياة (عباس ميرزا) الطفل البرىء أيضا مثل صفاء وجه « هشيم محتظر »، وصار من الظلم والتعب نموذج « فجعله غثاء أحوى » ، وصار هما الأسم وأثر الصفويين قرينا (عنقاء المغرب) ، وقوة دولتهم ، (كأمس الذاهب) ، وأوصل (حسين خان الغليجانى) — الذى كان فى « مازندران » — بالمال الأصيل الليل بالنهار ، تقيد من ناحية الدهر المترقب ، ورأى ظهر الحياة الحقيرة مزق ألوان الأصل والنسب وأوراق الحسب والعظمة ، وانشغل حسب حكم القضاء عن صورة البقاء وقفز لطريق الفناء •

- ٢٨ -

بيان تسخير بخارا وتأديب عصاة العقول

« ان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب » عندما أدرك سعادة وسرورا من أثر السحاب الآذارى وأمطار الربيع وبسيط التراب وكومة الثرى مثل جمال الحسناوات جعل ذرات سطح الأرض جمالا وحسنا سائرا ، وأظهرت ساحة الشعب والشعب الصفاء الصافى والضياء الكامل والحسن والنضارة، وجعل الحسناوات عرائس الغصون وغرائس نادرة الضياء حلق وقلادة الأذن والرقبة ، وظهرت اللآلىء المتلألأة النضيدة وشاح هياكل الزهر والياسمين، مزين العرش والتاج ، صاحب البسالة ، الملك سعيد الحظ ، مجمل التاج والعرش ، حامى الحدود ، جراح جراحة الجمهور ، حامى ساحة الحمية ، ملك حدود الخبرة ، دليل صحراء الدهاء ، شمس قمة الذكاء ، (رستم) ثابت الروح ، « زال زواه » قهر الزمان ، سماك سماء السعادة والسماحة، ملك مملكة الشوكة والشهامة ، سيف الصولة والصلابة ، ضيغم الضرغمة والضلاعة ، طود الطراد ، وظفر الظفر ، عون العالم ، وعين العيون وغوث الغرباء وغيث العيون ، فلك فيض ملاك الفطرة ، قدر قضاء القدرة ، كاسر كتائب الكفاح ، ليث ليوث الكفاح ، ملاذ الملوك ، ناصر النفـوس ، والى الولاة ، هزبر الهزابر ، يمين اليسار ، أعنى الملك السعيد فرغ من تنسيق ممالك « السند » ، وتأديب الأشرار لقطاء الممالك ، فى الثالث عشر من محرم سنة ١١٥٣ هـ ، أدار قائد العزيمة ناحية « ايران » ، وصار شعار صارى العلم مثل أشـعة الشمس الذهبيـة مضيئة العـالم ، سـلك من طريـق « بلوجستان » أرض المقصد القفر لطريق لائق بل أليق ، فى السادس من شهر صفر جعل « قندهار » مركز أشعة رايات الشمس المنيرة ، بناء على هذا فانه فى سوابق الأزمنة وسوالف الآونة كان « أوزبك » « بخارا » و « خوارزم » قد أغاروا عدة مرات على «خراسان » باطالة مطاول خيول القتال ، كان يرتبط دائما الضمير المضىء بمحثات التأييد ومحرضات الحمية بصورة « خوارزم » وخيال شاطىء « جيحون » ، بعد دخول موكب العظيم الى « قندهار » صار عزم تسخير تلكما المكانين محرك سلسلة همة الخير ومحرك همـة سماء السير (يجمع سيرين فى خرزة) ، عندمـا كان يلزم بسبب حدوث حادثة (ابراهيم خان) توجه الجيش ناحية «شيروان » ، انفصل (فتحعلى خان كوسة أحمد لوى أفشار) و (غنى خان أبدالى)

حاكم « قندهار » عن الركاب المفضل ، وأمروا بتأديب (لكزيين) تلك الناحية ، وأرسلوا فوجا عظيما لمساعدة هذين الخانين

فهذا وعيد سطوتى من ورائـه وعنوان نارى أن يبين دخـانى

وأشار ان وقت الصراع مع تلك الجماعة أظهر قوس فزح ، وانجلت بلمعة الرمح القاسى ظـلال أهل الضـلال ، وأظهروا الدخان من سلسلة اقتدارهم ، حتى يصبح تعاقب شعلة قهر الحرقـة السلطانية برق ضياء بيلسر آثار تلك الطائفة ، بعد ذلك اتجهوا الى « التركستان » عن طريـق « هرات » و « باد غيس » بالحياة الهانئة لتأديب الخصم المنافق ، لأنه قبل توجه العظيم والى « بلـخ » أصبح من موقف الأمر مخـاطب بخطاب « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » ، عمل بمساعـدة أساتذة الصناعـات والصناع المهرة (أصنع من سرفة) ألف ومائة سفينة مثل الجبل لحمل ذخائر طريق « خوارزم » ، ويضـع سفن خاصـة بالركوب فى ساحـل « آموية » ، كان قد عمد الى تنظيف السفن بمهارة كبيرة ، صارت بيوت السفن مثل ديوان الأبيات المقبولة والأشرعة المرفرفة مثل منشآت الأعلام ملونة ومتينـة ، كل قارب بحر زخار وكل سفينـة طاووس ملىء بالرسم والتزيين ، كانوا يمررون المدافع والذخائر التى كانت غذاء العدو والصديق محملة على السفن والجمال من نهر « جيحون » والصحراء ، وفى السابع والعشرين من جمادى الأولى ألقى هما اللواء عقاب الجسد ظـل الوصـول لمنزل « كركى » الذى هو معبر « بخارا » عندما رأى (الأوزبك) أنفسهم أمام ضرغام العزم وطغرل الحرب صائلد الأسود مقيـد يد وقدم الذئب ، ومقيـد قـدم الكركى كسير الجنـاح ، ودخـل حكام « حصـار » (١) و « قرشى » (٢) و « كسبى » وأكثر عظماء « بخارا » فى خدمة الملك مزين العالم ، وساروا من هناك خارج « جارجو » (٣) لمقر معسكر العالم ، وأقاموا جسر متين على نهر « آموية » ، وعبر الجيش المنصور مثل تتابع الشهور وتوالى الدهور بقلب جسور وعـزم شجاع من الجسر ، استبدل حضرتـه الجمال السريعة سالكة التراب دوار بحره للسنبك النارى لمراكب مبارك النفس سفينة وقـارب ، وجلس مع الغلمـان الخصوصيين على السـفينة بمقتضى « أنا لما طغى الماء حملناهم فى الجارية » ، وعبروا من ذلك البحر الزاخر « وترى الفلك فيه مواخر » هناك قائم مقام الأب الذى كان لجام حبل حكم (أبو الفيض خان) والى « بخارا » ، من هناك حيث عالج داء

---

(١) احدى مدن مدينة بخارا ، بناها تيمور لنك ليشتى فيها .

(٢) كانت فى الماضى تسمى نخشب ، وعرفها العرب بـ « نسف » .

(٣) اسم ناحية جنوب نهر جيحون بالتركستان .

المكر بلا دواء السرعة فى العلاج الأول الحكمة بقانون تشخيص المرض ، وفـاز الوالى المذكور لقيـادة أمر العطاءات واستنشاق هواء المصالحات والوداد ، وتمهيد مهاد المهادنة والسلام فى ذلك المقام « ولكل مقال مقام » بتقبيل عتبة العظيم ، ورفع من هذه الموهبة رأس الرفعة على السماء مثل عتبة قوة البلاط الملكى ·

(أبو الفيض خـان) مع جميع أشراف وعلمـاء ورؤساء الأويغوريين الأصل بـ « بخارا » ـ الذين كانوا قد تشبهوا بالحجر الصلب ـ أخرجوا بخار الغرور من مشعل الرأس ، واختص فى أحد منازل المدينـة بفيض تقبيل عتبة فلك المماس ، افتخر بعطـاء الخلع المذهبة والخنجر المرصع والتاج المكلل ، تميز أعيان مملكة « بخارا » بحرير خارا والألبسة الفاخرة ، جعلوا من بحار ألطاف الملك نيل المراد ، ميل أصداف درر نيل الآمال ، وجعل الممالك الغربية التى كانت خلاصة تلك الممالك من مشتملات الولايات المحروسة ، واستثنى « توران » وفوض وأعاد التاج وخاتم سلطنة ما وراء نهر « آموية » كما كان لـ (أبو الفيض خان) ، وأعطى مفرق اسمه بتاج الخطاب ملكى الافتخار ، كما فى المثل (استأهلى اهالتى وأحسنى ايالتى) ، عندما أثار بعضا من أهالى « توران » غبار وحشة حزن العين والقلب ، لم يسلكوا طريق الطاعة ، أسرعت جماعة من الجنود والمحاربين مع القواد والأمراء ذوى الشأن ناحيـة « سمرقنـد » وأقصى بـلاد « التركستان » لاستمالتهم واستلانتهم ، فسلك جميع الطغاة طريق الطاعة ، مال الشيخ والشاب على قدم ثريا مماس سرير الجبهة مثل جبهة ، وظلوا من شمول شراب الاحسان الشامل وكأس الجود ذو اللطف الكامل وشراب الرأفة والاتراف المنهمر مطمعين ، بل صاروا من ثمل المال منقادين وموافقين ، وعاد كل واحد من طريق الصداقة ، وأدركوا بأنفسهم بصدد آفة المظهر وفى مكان سياسة « أخذ عزيز مقتدر » نتيجة الطغيان والعداوة ، وكان عشرون ألف من شباب « بخارا » و « سمرقند » المحنكين قد شقوا جعبة ابطـ « أشكش » قاتل « كش » و « كاشغر » الذى بسطوة شباب الأرض فى رأس « بيران ويسه » (٤) وبالحربة الخطية الناى فى مخلب أسود الغابة ، وجدوا فى سلسلة الطائفة الشجاعة جهة الربط ، أسرعوا ناحية « خراسان » ·

---

(٤) اسم قائد جيش افراسياب ·

- ٢٩ -

بيان تسخير خوارزم وتدمير المعائدين الدون

« ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون » (ايلبارس خان) والى « خوارزم » بوصف هذا أنه ربط فى أرض معركة المكرر وتر قوس الظلم والتزوير على قوس القلب القاسى ، ظهر على نواحى « خراسان » ، كوكب الحظ العاثر ، وكان نجم الطالع غائب فى أفق الاخفاق ، عاد الخاسر متحسرا بجماعة (الأوزبك) لصحراء الفرار ، وألجم حبال خيول الهجوم من وادى « خراسان » ، عندما كانت « الهند » وجهة جماعة خلافة مكان الرجوع ، وكرر عدة مرات عزم الاغارة والاستيلاء واغتنام خيول الجلادة السريعة ، مع ذلك لم يظهر الأسد الغضوب بطل « أبيورد » قهر الحرب ، حيث واجه هجومهم بالقتال فأصبح حبل التهور مع أبطال الباطل أنفسهم (جولة الباطل ساعة) بغرض الهجوم وبرغبة غلبة الأحمق ، صاروا فى مقام الأسود المتهورة والثعلب اللاعب مخرب استراحة الأسد ، اقترن دخولهم بهجوم (رضا قلى ميرزا) أيضا من « هرات » ، وتوجه بالجيش الأجش لمقابلة ذلك الفوج الخسيس ، (ان كنت ريحا فقد لاقيت أعصار) عندما رأى (ايلبارس) الأوضاع هكذا وحوامل الحظ فى شرف وضع الجنين (أخيب من حنين) ، لم يجد قرين الأنين والنواح فرصة لحمل الغنائم ، « لا يقدرون على شيء مما كسبوا » بحث القاتل عن طريق الندامة من شهرة مجيء الأمير (رضيت من الغنيمة بالاياب) ظهر مع (الأوزبك) ذوى الذقون فحوا « والذى خبث لا يخرج الا نكدا » من زينتهم وذقنهم ، وتعرى باطنهم وظاهرهم من ثياب « وريشا ولباس التقوى » ، أدار عنان الخيل لطريق الهرب ، ثبت أقدام شؤم خيول خيله فى كل قدم من صورة النعل صورة اللعنة له ، (رجع بأفوق ناصل) ، أتم بتهديد سطوة الأمير الذى بلا نظير بلا اهمال وتأخير ومكان مخيف المهابط وأرض القحط ومهابط ومهالك ومكان خوف وقمة الجبال ومقاذف ومساخط ومساقط ومهابط وأرض المعارك ، ذهب لـ « خوارزم » هكذا قائلا ·

فلا تلبثن اذا ما لقطت فتنشب فى كفة الحابل

ولا توغلن اذا ما سبحت فان السلامة فى الساحل

وأسرع كثير من (الأوزبك) للأطراف من حد السيف البرق مثل البرق ناحية العدم ، جرى بشأنهم مضمون « لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم » ٠

حاملها قـوم ومن ذا الذى　　يخرج ليثا حاذا من غابـه

يحمى أبو الأشبال من زاحمه　　فى خيسه بظفره ونابـه

أصبح ظهور هذه الحركة من (ايلبارس خان) باعثة تحرك رايات فاتح العالم ، صار بداية الأمر وعنوان العزم بمدلول « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » رسالة تخبر عن توجه الموكب السعيد ومنبئة عن موعد وصول قوم « أولى بأس شديـد » ومن سم القهر وخـرزة المحبة نموذج ثعبان أرقش مختلط بالتواعـد والوعيـد « انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » ، مختلط برسم زينة الكلام والترشيق ، أبلغ مستصحب الرسول لجانبه حامل أمر « اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى أن تزكى » ، أشـار أن (آتتـكم فاليـة الأفـاعى) ، أحيانـا يظهـر هـو و (الخوارزميين) ايفاء العهود وابقاء العقود واختفاء النفور والحجور ، ويفتحوا باب الطاعة ، « ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » « أعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون » ، بتأييد الله لم يأسف عليهم السيف الحاد الذى هو رسول الموت السريع ، « فلم يك ينفعهم ايمانهم رأوا بأسنا » ، لم يهتموا بشأن أثر عناية النصيب ، كان قد وجد فى جواب الأمر كتابة افتراء غلطات عديدة ، أدار الوجـه من طريق الصدق ، كان قد قال عن الظلمة الداخلية « بل قلوبهم فى غمرة من هذا » باخبار « وما نحن بتاركى آلهتنـا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » ، « وقـالوا قلوبنـا فى أكنـة مما تدعون اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا حجاب فأعمل اننا عاملون » ، عندما وصل لحد الوضوح ، أظهروا أن تلك الجماعـة المكروهـة أظهرت الكراهيـة والدهاء وعـدم قبول حكم العظيم ، « ليقولوا منكرا من القول وزورا » « ويوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » ، وظهر مع أفواج أسود الالتقام فى مقام الانتقام وشأن الاختصام ، صارا لاضرام واشعال الحرب من « بخارا » ناصبا لواء القهر ناحية « خوارزم » ٠

بعد ذلك تبختر الحصان السريع الملائكى الهيئة وهيـكل شيطان الهيكل الملكى فى نواحى « جارجو » بالقتال ، كانت جماعـة من مخالفى العقيدة (الأوزبك) و (التركمان) — الذين كانوا وتر قوس جلادة وكنانة نبال (ايلبارس خان) — يستخدموا الأوتار القياس الأزمنة السالفة بقوس القساوة (انباض من غير توتير) صاروا مع طلائع موكب الاقبال مزينين معركة القتال ومشغولين بسل السيف وشل اليد ، لكن هزموا بأقل كر

وفر مثل الشعر السلسل والشعر المجعد ، وأدار النائحين المضطربين المشوشون الوجه عن شاطىء « آموية » «فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين» أصابتهم حربة حرق الأرواح للمشجعان التى تتصف بالصدق « انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم » ، وأصبح من رؤوس المخالفين ثمر فواكه « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » ، ومذاق أجسام اولئك القوم من خشب الخدنك جلادة السهام الذين ذاقوا معنى « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم » ، وأدركوا لذة « فأنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون » ٠

امتلأ فضاء الصحراء من خبث جثث تلك الجماعة ، ومرت رؤوس بلا حصر على أسنة الرماح بحضرة الملك ، وبعد ذلك اتجه (ايلبارس) المحارب لـ «خوارزم» وبعد دخول موكب العظيم خارج قلعة «هزاراسب» ، فتوجه (ايلبارس) مع عدة آلاف من الفرسان البواسل بسلاسهم لسل سيف الشجاعة ، وأثاروا خيل المجادلة والمنازلة ، كما توجه محاربو الملك العظيم الى تلك الناحية لذبح أعداء البسملة ، وشرب كل واحد من كأس الانتصار شراب ملون كثير « انا أعطيناك الكوثر » ، وقصل بقصل اقامة رسم الشجاعة ، وسعوا لذبح الأعداء « فصل لربك وأنحر » ، وأعطت الملائكة جماعات جماعات بشرى « ان شانئك هو الابتر » ٠

عندما لم ير « الخوارزميون » مساعدة الساعد فى اليد القبيحة ، عضوا على ظهر يد اليد بأسنان الندامة « يوم يعض الظالم على يديه » ٠

وفى الكف قبض للأمور وبسطة ولكن اذا ما ساعد الكف ساعد

جاء لـ « يموت » بقدرة الحى الذى لا يموت بالموت المفاجىء ، وقطع مهاجمو « تكه » (١) رباط التحمل ، عندما رأى (التركمان) قوس خيال المقاومة متحطم من سهم الأبطال ، ورمح المراد مكسور ، وصقر الشجاعة بلا قوة ولا قوة ، وطائر الجلادة كسير الجناح منزوع الريش ، وصاروا بسرعة بالعين الدامية بلا أهل ولا عائلة حقراء أذلاء مثل النملة أمام صولة جنود سيدنا (سليمان) ، وفروا مسرعون الى صحراء التيه ٠

تاهوا من خوف سهم الرماة فى تير حائر ، ولعب عقبان المريشات معهم كلعب البازى مع طير طائر ، وانكسر جناح بالهم من مناسر نسور الحراب وانبسطت مائدة النعم من دمهم فى بسيط التراب ، وقلع الخان

---

(١) اسم طائفة من التركمان الذين يسكنون بأنحاء مرو ، وتعد هذه الطائفة اكبر الطوائف التركمانية من حيث عدد السكان .

دولة سلطانهم ، وخار شوك شوكتهم وشأنهم ، وحالوا من حملات الكماة كالنمل في المور (٢) ، وفروا كالأعمى من جذوات الكور ٠

صار (الأوزبك) السنيون الرافضون لهذا متخليين عن (ايلبارس) « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » ، واختفوا من مقام السعي ، وأعادوا وأداروا الزمام جانب الفرار ناحية الفرار ، نزل عليهم البلاء ، وكتب عليهم الجلاء ، سلب جميع سيوبهم ، وجلب ما في شعوبهم ، « فأخذهم الله بذنوبهم » ، تحصن (ايلبارس خان) مع أعوانه — (رماهم الله بالطلاطلة والحمى المماطلة) — في قلعة « خانقاه » ، وعزمت الأفواج المنصورة أيضا بأمر الايلخان القاهر لاحاطة وحصار « خانقاه » ، فأسروا القلعة بخناق الحصار ، وأحاط بها العسكر احاطة النار بأهلها ، ولجأ أعوانهم ضالعا حزام ضليعهم من الحيزوم الى حم الأرض من سهلها ، وقنطوا من الحرز الرصيص « فنقبوا في البلاد هل من محيص » ، كما وجدت طائفتي « سارت » (٣) و (الأوزبك) عرش اقبال (ايلبارس خان) مكسور القوائم ، وتخت حظه ضعيف الدعائم ، رأوا نهاره مخلوطا بالليل المعتم ، فحكت — على وتيرة واحدة قبيلة قبيلة — جبين الضراعة بباب بلاط الملك العظيم من حيث الندامة ، وتوسلوا بذيل « أنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » وقدموا عذر « كنا نخوض مع الخائضين » ، « ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين » ، رغم هذا فان (ايلبارس خان) لم يتنازل مع رؤساء القوم الضالين عن درجة التكبر وجنون العظمة ، ولم يتب عن حب المظهرية ، ولم يهدأ ويسكن عن اثارة الفتن ، « أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا » ٠

يوم آخر لم يتعظ من « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم » ، عاتبه أهل القلعة « ليذوق وبال أمره » مع أتباعه وهم عيبته الذين كلهم مساوىء وسوء العاقبة ، حضروا في سجن « وقفوهم أنهم مسئولون » بلا توقف ، « فظلت أعناقهم لها خاضعين » « فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » ، عندما غلب دم الضلال على مزاج آجال (الأسرى) وطلبت عروق أعراقهم أثر سباب السيوف ، (ليس بعد الاسار الا القتل) ، رجع فناؤهم على بقائهم ، لم يركضوا بجزاء العمل من وادي « كل نفس بما كسبت رهينة » لطريق النجاة ، « ووجدوا ما عملوا حاضرا » ، وجد الأبطال المهرة في يد

---

(٢) المور هو التراب الذي تثيره الرياح ، ومعنى الجملة أن الكماة تحيروا كما تتحير النمل وهي في مهب الرياح ٠

(٣) طائفة ايرانية الأصل تقطن تركستان وتتحدث الفارسية ٠

الشجاعة لاجراء حكم السيف البتار اذنا من البطل العادل ، أسرعوا بهدف فصد عرق حياتهم بأمر ميل سيف الحجام والمبضع القاطع ، فتحوا عرق اثارتهم أن (هكذى فصدى) (٤) ، أثناء هذا الأمر ، دخل (أبو الخير خان) والى « قزاق » » خيوه » لمساعدة (ايلبارس) ، حيث كان مقصود الضمير المنير تسخير « خيوه » ، تحرك لواء الملك لتلك الناحية ، عندما لطم هذا النبأ أذن والى « قزاق » ، تراجع عن عزمه ، وقال أهل « خيوه » « هذا فراق » ، وساق أفواج الأشرار بسرعة بعصا « عصاهم شققا » جالبا الخيبة من « خيوه » على جانب التجنب ، وسار لشعب الفرقة والابتعاد ، « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون » .

بناء على هذا كان أهالى « خيوه » بأطراف القلعة ، كانوا يقصرون يد عبث الجنود من أطرافها ، انشغلوا بحماية القلعة ، انجذب وانحدر الوكلاء لانشعاب جداول الماء من جانب القلعة ، وجعلوا من أطراف القلعة الأربعة هدف مدافع فتح القلعة ، أظهروا آثار « وبرزت الجحيم للغاوين » ، عندما احبط أهالى القلعة ببحر من نار بدلا من نهر الماء ، رأوا أنفسهم والقلعة طعمة فم التمساح البلاء والاضطراب ، فتحوا بمفتاح الندامة باب الهرب ، وأصبح الملك المعصوم من الخطأ قابلا العذر ، سامعا المعذرة ، استراح أساس عاقبة مبصرى ذلك الفوج من التزلزل ، وفى الأزمنة المباركة مصان من منة الغير ووصمت الضرر ، ضم « خوارزم » كأقليم المملكة ، وسحق العصاة وأطلق سراح الأسرى من وجه المحسنات (يارب هيجا هى خير من دعة) ، أحكم رؤساء القلاع الخمس القبضة على طرف الخدمة ، وربطوا الطرف على وسط الهمة ، واستظلوا مع فوج من الأبطال بظل لواء حماية الملك « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » ، وأرسل لجميع الاقطاع والأماكن والأصقاع رسالة مزينة ببشرى الفتح المدون والمكتوب والمسجل المقترن للأعداء بالنكاح ، فرح الأصدقاء وخذل الأعداء بنفس الركاب ، وأصبح هذا النصر — الذى كان قوى الظفر — مخلب الاقبال اللائق ظفرة عين الأعداء ، وعين (طاهر خان الجنكيزى) واليا ل « خوارزم » الذى كان ظاهر روحه متحدا مع باطن حاله ومحنكا بتجارب الأيام ، فى السابع عشر من رمضان أسرعوا بقلب مفتوح وصدر منشرح من طريق « مرو » ناحية « كلات » ، « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

---

(٤) اول من تكلم بها كعب بن مامة حيث انه كان اسيرا فى عنزة فامرته ام منزله أن يفض لها ناقة فنحرها فلامته فقال هكذا فصدى اى انه لا يصنع الكرام .

- ٣٠ -

بيان تعريف ووصف قلعة « كلات »

صانها الله تعالى فى كلائته من شر الفلات ، « ذلك نتلوه عليك من الآيات » « كلات » قلعة تبارك الله آن رواسى جدارة مقترنة بقرن الثور ، وحراس بروجها أصدقاء عطارد ، (فرود بن سياوخش) (١) فى جانب حائطها الغربى متين ، الحق أساس الثبات ، مصانة من وصول المصائب ، ومتعانقة مثل الفلك ، محصنة بالقمم الشاهقة والمرتفعات العالية ، حدودها مسكن العلماء ، وسياجها مرتفعة ، جبالها مليئة بالغزلان لكن خالية من الآدميين ، ومرجها وصحرائها كلها غزلان لكن عيوبها قليلة جدا ، خرجت من العالم من كثرة الوحوش وثورة صيادى العالم ومن أجناس الاحناش وبرج الثور كان بالنجم المشحون من النرجس وزهر العين ومصباح العالم ونزهة واد الأعشاب المنير للخجل ، روضة الجنان لأنه مكان محبوب ، ومن حيث الاحكام والثبات بلا نظير ، عاد الملك الفاتح فى الأزمنة السالفة بخيال « لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » من فحوى « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، أساسها مثل الفلك ، صقل صدع وشق القلعة بالجبس والجير على الوجه الأكمل ، « تتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، أسس فى ثلاث أمكان مسماة ب « خشت » و « كرد » و « قوشجى » (٢) عمارات الفلك المستدير ، عرش السمات ، وقصور فلك السمات السموات ، وأبنية سمو أساس السماء العالية ، البناء سامية الطبقات ، وبيوت زينة عظيمة الأساس ، ومناظر مكعبة ثابتة الأساس ، ورواقاتها الجميلة أفضل من حاجب الغلمان الحسان ، ومن منظر حور العين ، وحجراتها المنحوتة المزينة قرينة حجرات الفلك المزركش المرتفعة على قمة السماء فى رفعة وتفرد مثل الفلك ذو التسع حجرات ، كان العمال المهرة يصبون أساس بناء تلك القصور لتبدو مناسبة، وكانت تتلون بالوان عديدة ، كما كان المهندسون يؤسسون بناء أساسها

---

(١) فرود بن سياوش وامه ابنة بيران ويسه ٠

(٢) تقع بالقرب من منابع نهر هره ، شمال هراة ٠

العالى ، كان رماة أساسها يصبون الأساس لخراج أقليم « الهند » ، كان العمال المهرة يرفعون سطحها الرفيع بأيديهم الجامدة ، فلو أنهم كانوا يشعرون مثل شمس الصباح المنيرة لكانوا يصلون للمنزل وقت العشاء ، كانت المجرة تحمل بوتقة شأنهم القليل الذى هو ذهب تذهيب قصرها المذهب ، لو كانوا يحملون ثور الفلك الأسفل ، فى عام آخر كانوا يفتحون باب أساس العمل ، وضعوا عمارات « خشت » الخشبية بالجنة رهنا للحسناوات ، ألقوا مبانى « كرد » الطينية ذهبية الآجر للشمس بشكل أساس لقبة النصر ، تشابهت قصور « قوشجى » بقبة الفلك الملون ، وجلست طيور النافذة مع « منقارة الدجاجة » (٣) وقت الحرب ، رسم مصور القضاء صور بديعة الألوان للأكوان على باب وحائط الوجود ، كما رسم رسام « الهند » وأساس الليل رسما لوحة ببياض ظلمة الأفق بزئبق الشفق ، وهكذا أوجدوا رسما غريبا، وقد انحنى أمامها « حصن تيماء »(٤)، و « قبة اردشير » (٥) ، و « منارة الاسكندرية »(٦)، و « قلاع جمشيد »(٧)، و « قصور بهرام السبع » (٨) ، و « توبال اردشير » ، و « سدير » (٩)، و «خورنق النعمان » (١٠) ، و « أهرامات مصر » (١١) ، و « غمدان

---

(٣) الصورة التاسعة من الصور الشمالية ·

(٤) بلدة بين الشام والحجاز لها حصن يتمثل فى الحصانة ، بناه سيدنا سليمان بالحجارة واللس ·

(٥) توجد بجوار فارس ، مشرفة على سائر البلاد ، يتمثل فيها العلو والاشراف ، بناها اردشير بالحجارة ·

(٦)احدى عجائب الدنيا ، وأصلها مبنى على زجاج والزجاج منصوب فى ظهر سرطان من النحاس فى باطن البحر ·

(٧) وهى القلاع التى بناها أردشير فى شيراز ــ قلعة اصطخر ، سكسته ، سنكوان ، ومدفون فى كل واحد منها ابن من أبناء فريدون ·

(٨) قصور بناها بهرام ، وكل قصر لونه مخالف للون القصر الآخر ·

(٩) القصر الذى بناه النعمان بن المنذر لبهرام فى الحيرة ·

(١٠) قصر شيده النعمان بن المنذر لبهرام كور ·

(١١) مضرب المثل فى الثبات والقدم والحصانة ، وقد زعم أبو معشر المنجم البلخى أن الأوائل من الأمم السالفة قبل الطوفان لما علموا أن آفة سماوية ستصيب الناس بالغرق والنيران فتأتى على كل شىء من الحيوان والنبات ، بنوا أهرامات ناحية صعيد مصر كى يتحرزون بها من الماء والنار ، وهى مبنية من الأحجار والمرمر والرخام السميك ·

اليمن » (١٢) ، و « طـاق كسرى » (١٣) ، وسـقط طشت الشمس من السطح بلا خجل ، كل قلاعها حصن حصين ، وكل حجراتها قلعة متينة وقد بنيت بمساعدة المهنـدس (سنمار) (١٤) مثل عمل (شيده) (١٥) ، ورسام الرسامين رسما مثل رسم (مانى) ، وعمل مصورى ارزنك عمل (لوشا) (١٦ ، ١٧) « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل » مراسم انكليون الشأن تنكلوشا (١٨) الأثر ، « لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون » ، رسموا زينات أنيقة ، وفرشوا سطوحها بالمرمر الأملس ، وأنشأوا فى أوديتها وحقولها حدائق مصفوفة محكمة الجدران ، وأعشاب ملتفة طويلة موردة بورود يانعة ، ومعينة بعيون فضيضة ، ومشتملة على أشجار مثمرة كثيرة الثمار ، ومحتوية على أنهار واسعة جارية ، كانت مياهها العذبة (أعذب من ماء مأرب ، وأحسن من نيل المأرب) ، وصارت جداولها التى من سلاستها — ماء فى فم « سيحان » (١٩) و « سـيحون » (٢٠) و « جيحان » (٢١) و « جيحون » (٢٢) عندما جرى حكمه حملت الأحواض بالبركة التى كانت بالكوثر والتسنيم قائلة بضعف رأئه أمامها ، أشار شرابـه عن مضمون « هذا مغتسل بارد وشراب » ، وبشر ايوانـه المتين بوعد «لهم غرف من فوقها غرف مبنية » .

وأبوابها أثوابها من نفوسـها فلا ظلم الا حين نرخى ستورها

معظمـة الا اذا قيس سـمكها بهمـة بـانيها فتلك نظيرها

---

(١٢) أحد الابنية الوثيقة للعرب ، وهو يعد مضربا للمثل فى الحصانة والوثاقة ، وقد كان بصنعاء يسكنه ملوك حمير ثم دان للخراب ، وتحول الملك عنه الى قلعة كحلان ، ويقال انه بنى قبل غمدان .

(١٣) وهو المعروف بـ « ايوان كسرى » ، وكان مقرا لحكم الملك الايرانى الشهير كسرى نو شيروان .

(١٤) اسم المهندس الذى صمم قصرا الخورنق ، وقد أنعم عليه النعمان بانعامات وافرة ثم سأله هل فى امكانه صنع قصر مثله ؟ فقال له انه يمكنه صنع افضل منه فأمر النعمان بالقائه من فوق القصر الذى بناه ، فصار هذا شائعا بين العرب « جزاء سنمار » .

(١٥) اسم الحكيم الذى شيد هفت كنبد لبهرام كور ، ويقال انه أحد تلاميذ سنمار .

(١٦ ، ١٧) حكيم رومى لم يكن يضاهيه أحد فى الرسم .

(١٨) اسم الكتاب الذى جمع فيه لوشا صوره وأعماله .

(١٩) نهر بالبصرة .

(٢٠) نهر كبير فيما وراء النهر .

(٢١) نهر بين الشام وتركيا .

(٢٢) نهر بين خراسان وما وراء النهر .

دخل موكب العظيم فى أوائل شهر شوال تلك المنطقة الجميلة ، وفى يوم آخر هبطت أفواج فرود النجوم بقلعة « فرود » ، وقد انشغل مع الحشم بالتنزه بذلك القصر البديع ، عندما رأت الهما ظل الملك ــ الذى فلك النصرة ريشة همته ــ اصطادت البط الأحمر ظهرا ، وفى ظلمة الليل اصطادت الشوات ، أحضر صقر النصر ريشة عزمه (انه لواقع الطائر) نسر طائر للواقع من الفلك المنحدر ، كانوا يميلون للصيد والأصطياد ٠

بعد المشاهدة التمتع فى تلك المتنزهات الجميلة ، طلب الصقر حاد البصر ملكى الطبع بتطيير أنعمه ، وفى بداية سطوع الشمس ــ حيث أن الطائر يطير كل يوم ويضىء النهار من شمس العالم المضيىء ، ساق مركب العزيمة لمكان الصيد بالنحيل والضخم ، سحب الصيادون يد الجوارح الحسنة مع الجوارح الصيادة فى طريق ومعابر الصحراء متدرجا بصيد الدراج والكبك واطارة الطيور واحاشة الوحوش ، كانوا يسيلون دم (يعقوب) وأبى اسحاق مع دم موسى مثل سعيد (٢٣) وجعفر (٢٤) توجهوا لساحة الوادى بأسنة سهام الصيد كالأسود والليوث ، صار فى مكان الصيد مثل (أفراسياب) صولة عالم البطولة لأن (كيو) لابد أن يصبح (كودرز) (٢٥) ، كان يجب أن يكون (دستان) (٢٦) والضعيف مثل (تهمتن) حيث يصبح (سرخاب) (٢٧) و (سياوش) ، يرفع أحيانا يد همة صيده بالقوس البهرامى ، جاءت البقرة الوحشية فى شهر من الشهور الى الصحراء لسلوك الطريق ، وأحيانا يصبح صيد عقاب طبعه السعيد بالميل للصيد ، أوصل غزال الشمس من عام للعدم حرارة الشباب من خطوط أشعته على قمة عطارد ، لو انشغل بصيد الماعز الجبلى ، كان يطير من سهم الخدنك الصلب فتحته لون من الجبل ، لو دخل فى الكهوف لصيد الوعول ، لتقدم الجدى على الحمل ، كان يعطى من شوق لذة جرح سهمه صغار الثيران القدرة على الفرار ، كان يفتح جناح الطيران بهواء مصيدته مائة نوع من الصيد أعلى الجبل وفى المصيدة والصحراء ٠

الناتج أنه أراح بسن ريشة السهم النافذ فى الغزال ، وتجنب الراحة بضرب فوج الطيور طالبة الرزق الطيور وطيران الضوارب ، انتهى

---

(٢٣) نهر ٠

(٢٤) الجدول ٠

(٢٥) هو كودرز بن كشواد ، بطل ايرانى قديم ٠

(٢٦) لقب زال بن سام بن نريمان وهو والد رستم ٠

(٢٧) اسم بن رستم وعرف ايضا بسهراب ٠

فى ذلك المصيد الملىء بالصيد الوافر لحد كبير بحيث أن لم يشتر غزال صغير ، وكانت صغار الوحوش بفلس ·

من هناك فى آخر شوال كانت « مشهد » المقدسة مقر موكب النصر ، ومر شهرا ذو القعدة وذو الحجة اللذان انطبقا مع بهمن(٢٨) وأسفند (٢٩) فى قصور الحزن ، واتكأ بساعد السعادة ومرفق الدولة على وسادة المجلس الناعمة ·

فى السادس والعشرين من ذى الحجة سحب طباخ الفلك الحوت من مائدة الأيام وقدم للحمل فرفعوا راية العداوة والبغضاء ناحية « داغستان » من تنين العلم للعقرب ·

---

(٢٨) اسم الشهر الحادى عشر من السنة الشمسية ·
(٢٩) اسم الشهر الثانى عشر الشمسى ·

- ٣١ -

بيان تذهيب قبة الشمس عالية الظهور طليفة النجف الأشرف الملىء بالنـور

« ولو لم تمسسه نار نور على نور » ، عندما دخلت مدينة « طوس » بحـوزة التسخير ، فان رواق عتبـة السماء فرش كرسى العرش الحضرة الرضوية ـ التى اشتهر بصفة (مير عليشير) ـ كان قد دهب بالمنارتين منيرة شابهة تلك ساحة ارم بيمن همة خسرو قلك العرش ، فى هذا الوقت من عين الولاء وحسن تعلق طبع الملك الذاهب لتذهيب قبة العرش ، صاقل روضة شاه النجف العليا ألف التحيـة والهدية التى أسفل عتبته مبشرة لمعشر البشرى ببشرى (لا تخف مما تخاف) ، والمجاورين لباب حمايته من الملأ الأعلى تحف كثيرة المدح وثناء الاتحاف من حسد الحلقة الذهبية فى نقصان حلقة قرص القمر عتبته ، ومن شعاع شمس سقف قبة فيض زيادة نور الشمس فى كثرة العتبة العليا مرض صـدر الفلك وسقف ايوانه السماء الزرقـاء اللون للفلك العالى لم ييسر النهوض من قبته الرفيعـة ، وطوق الشمس المضيئة بشارته الذهبية قرين تسعة السرو الذى بقبضته الشمس مثل اقتلاع الباب من مدينة « خيبر » ، بل ألقى أساس المدينة والحصن من برج السماء الأعلى ، من قأب قابا (٣٠) من طعام نواله أدرك لذات النعيم ، ومن جام جاما (٣١) من شراب عطائه شرب دنا « مزاجه من تسنيم » .

أدرك ساقى الكوثر أنه كلما كان الماء عزب حب سلالتـه ، يتخيل شراب الكوثر غبار السراب ، وكل شخص يدخل فى زمرة أحباب جنابه الشريف ، لا يعتبر أهوال أحوال يوم القيامة بشىء ، « أسد الله الغالب » الذى ذريته الطيبة مشبهة فطريا بشبيهة المقدس ، أن (الشبل يخبر عن الأسد) ، ولزمرة شيعته سطوة الأسد الجبلى ، أن (كل شيعة يتأسد) .

وضع القدم بحضن تعلقه ، لم يحن الرأس للجنان الثمانية ، كل ما هو لنفسه بشمع مكان نومه فراش يعنى فراشه ، لم يخف فى فراش

---

(٣٠) القأب الطعام وقأب أى أكثر من الطعام وامتلىء .

(٣١) جام أى طلب الشىء جام أى طلب المزيد من الكؤوس الفضية .

اللحد من هول دخول المحشر ، أعنى شمع صفة الصفاء « ولولاية الملك » « شمعون الصفا » (٣٢) ، وشمس روح الملة الاسلامية وسلطان مدينة مملكة الارتضاء ، ولبستان الخلافة ربيع ناضر ، ولجمال الامام بهاء رائع ، مكمن زائر مزار أنوره الليث الزائر ، وحرير ورمحه الشراعى شراع سفينة الشرع الزاهر (من آب عنه فقد باد) نائب مناب الرسول فى المبدء والمعاد ضيغم منيع الغاب على عالى الألقاب ، الذى قصر عن قبة قصر مناقبه الأطياب أطناب ، الأطناب ، سيد الكونين قاضى الذين وقاضى الدين صلوات الله عليه الى يوم الدين .

بعد دخول « قزوين » أمروا الثقاة عضعضى الطرف والناظرين شديد النظر بنهاية هذا الأمر خير المناظر .

دار على العز والتأييد مبناها ‍‍‍‍ وللمكارم والعليا مغناها

دار تباهى بها الدنيا وساكنها ‍‍‍‍ طراوكم كانت الدنيا ثمناها

من فوقها شرفات طال أدناها ‍‍‍‍ يدا الثريا فقل لى كيف أقصدها

أنظر الى القبة الخضراء مذهبة ‍‍‍‍ كأنما الشمس أعطتها محياها

ولو رضينا مكان البسط أعيننا ‍‍‍‍ لم تبق عين لنا الا فرشناها

وأرسلوا نذور الضراغة للمحتاجين واليتامى والمختصين بالفقر والمساكين ساكنى الأماكن المقدسة ، وعشرين حمل محملة بالفرش للروضات المطهرة .

---

(٣٢) عابد صالح من حوارى سيدنا عيسى ، وقد ورد اسمه فى أعمال الرسل لدلالة على بطرس الرسول .

- ٣٢ -

بيان توجه جنود الشكر النادرى مرة ثانية ناحية « داغستان » بعزم تأديب اللكزيين قبيحى العمل

« أولئك كالانعام بل هم أضل » بعد ذلك كان الملك (كيومرث) الشأن (أفراسياب) القدر ، (جمشيد) العزم ، (قارن) القرين ، (الاسكندر) الباب ، (دارا) الرأى ، (بهرام) المجلس ، بجنود بقوة قلب (كستهم) سهم بطل الحرب ، وبطولة (سام) وحسام (رستم) وصورة (بولاد) الضرب وبطولة (پلان) وصولة (پلانشان) بأسى (كشواد) ، مثل بطولة (كاموس) معدن (الوا) لواء (قلواش) ، مثل محاربى (جويا) ، قبضة (جنكش) ، مخلب (بندوى) القيد ، مبارزى (كردكير) أسر (فرشيد) (١) ، وعظمة (هومان) (٢) ، واصغى (بشنك) (٣) ، شأن (اشكبوس) (٤) ، بؤس (كركين) (٥) ، العداوة وبطولة (شيرون) (٦) رأى (روبين) (٧) ، عمود (كوبال) (٨) الحرية ، ومبارزة (زواره) (٩) ، قهر (برزو) (١٠) ، خروج (فريبرز) (١١) للحرب ، بطولة (كرزم)(١٢) كرب (كرازه)(١٣) ، تبختر (البرز)(١٤،١٥) فى الحرب و (رب شد فى الكرز) ، تحرك من « قزوين » ناحية

---

(١) اسم شقيق بيران ويسه .
(٢) اسم شقيق بيران ويسه قتل فى معركة كنابد على يد بيزن .
(٣) اسم ابن افراسياب .
(٤) اسم مبارز كشانى جاء لمساعدة افرسياب وقتله رستم .
(٥) اسم بطل ايرانى .
(٦) اسم بطل ايرانى كان فى خدمة الملك منوجهر .
(٧) اسم بطل ايرانى ابن بشنك وصهر طوس .
(٨) أحد القواد الايرانيين .
(٩) اسم شقيق رستم .
(١٠) ابن سهراب ومحارب تورانى فى جيش افرسياب .
(١١) ابن كيكاوس وقتل بيد كلباد فى معركة « دوازده رخ » .
(١٢) شقيق اسفنديار .
(١٣) اسم بطل ايرانى .
(١٤ ، ١٥) اسم بطل .

« شيروان ،جعل قلعـة « شماخى » الشامخة مقر جنـد « شماخ » (١٦) الشوكة بشوامخ العظمة ، كانوا بأسنة الرماح والقنا أبطال زحل حرب « كيو » (١٧) القدرة أبطال أكوان مهابة البطل العاقل الذى كل واحـد « جن » (١٨) العالم والمتميز فى الأكوان ، أضرموا النار فى قصر (روبين) ، عندما كان حضرته (فريدون) العظمة و (هوشنك) العقـل ، وجيشه قرين (قارن) ، و (بيرن) (١٩) الاسقاط لدفع العدو (سياوش) (٢٠)، أدار الأرض بطـرف سن أسـنة المنفـذ ، وصـار من هنـاك بصولـة (كشتاسب) (٢١) وسطوة « كرشاسب » (٢٢) وهيبة « لهراسب » (٢٣) بخيل آذر من طريق « شاه داغى » ، جعل البرز ـ الذى صوت رفعته مثل « جبل قاف » ـ هابط للآفاق مثل البرق الربيعى الحاد ، ومثل السحاب الجبلى سالك الجبل بالندى والعرق ، سحب بارشاد قائد الحظ من المعابر الدقيقة والمضايق الوعرة والجبال المليئة بالشجر بقلعة المتـاع ، عندما ألقى الهما (٢٤) رايـة عقاب الجسد ظـل الوصول على أطراف « غازى قموق » (٢٥) ، كانوا يمرون ب « شمخال » و « سرخاب » و « أوسمى (٢٦) الذين فى خراب الغفلة وسهل الحيرة وفيفاء الجهل وصـحراء فساد عصر الزمان ، تشرفوا من انقياد المتفرقين للعتبة السلطانية فاستظلوا بالظل الوارف ، واستفاضوا من تقبيل العتبة عالية المرتبة ، وارتووا من الكؤوس الشريفة والمياه الجارية الطاهرة ، ومن هناك اتصلوا بناحية « آوار » التى تتصل فى نهايتها « داغستان » بحـدود « الجركس » ، واشتمل بصفة « وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين » ، وتحرك ركاب السحاب وعنان سماء المعدم ، مقترنا بذلك الخريف حـاد المزاج ، مع ذلك لم يصبح فى الأسواق الأربع فصول أربعة عقرب الميزان من كف وحجـر التعديل من الكفة ، اضمحل سوق المعاملة ، وأمطـر السحاب من السماء ، سـحب

(١٦ ، ١٧) اسم أحد الأبطال الايرانيين .

(١٨) اسم ابن افراسياب وقد أسره كيخسرو بعد مقتل والده .

(١٩) ابن كيو وابن اخت رستم .

(٢٠) ابن كيكاوس والد كيخسرو .

(٢١) أحد الملوك البيشداديين .

(٢٢) آخر الملوك البيشداديين .

(٢٣) شقيق كيكاوس من الاسرة الكيانية .

(٢٤) طائر خرافى ـ أسطورى .

(٢٥) اسم ناحية شمال سرير وغرب قيطاق .

(٢٦) لقب رئيس شمال وغرب قيطاق .

(زال) الفلك من ظهور صورة بهمن « قوس قزح ، كان يظهر الصولة البهمنية ، بدأ وجه الأرض قبل وصول موسم أسفند المصاحب لوقار « أسفنديار » (٢٧) بغطاء الجليد ، تزين (بلنكر) (٢٨) نمرى الجسد كالسحاب الرمادى فى الفلك بلون جلد النمر المتنمر ، رفع «بارق البربرى» البرق الأبرق البراق لسير الفلك بلجام ذهب وركاب السحاب المزين ببيالق البراق ·

وبارقة لاحت عشاء فافطرت … سحيقا من الكافور فى كل معطف
فمن غصن بالثلج فيها متوج … وآخر يضحى فى جليد مشنف

صار ظل السحاب أسرع من الابر لادغة الروح ، هطلت أمطار العقرب كثيرة على عقرب الخرابات لادغ وحارق قلوب الحائرين بنصل حاد الفطرات، عندما مر الخدنك ناثر نار الأبطال الشجعان من الدرع والخوذة ، وتجمدت فى سنان السهم الصغير نيازك نموذج رامى سهام الماء مثل النار ·

قد أجمر الخمر فى كانون كل قدح … وأخمد الجمر فى الكانون حين قدح
فالثلج قطن عليك السحب تندفه … والجو يحلجه والقوس قوس قزح

سحب الجو الهواء لرد البرد بجلد السنجاب على الكتف ، تسلل الزمان من شدة البرودة على الشمس ، ورأى فى هيكل الجماد قشعريرة من الثليج ، واختفت كرة النار خوفا من البرودة فى ثياب الفلك السنجابى ·

نثر السحاب من الهواء دراهما … وكسى الجبال من الحواصل ملبسا
والريح باردة الهبوب كأنها … أنفاس من عشق الحسان فأفلسا

تجتب آثار الهدوء من نزول الثلج مرة واحدة من الطباع ·

كأن صقيع الأرض ما جصصت به … على الأرض قطن أو دقيق مغربل

أصبح نفس برودة الهواء للجنود بنغمة ·

فيارب ان البرد أصبح كالحا … وانت بحالى عالم لا تعلم
فان كنت يوما مدخلى فى جهنم … ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

---

(٢٧) ابن كشتاسب وكان يلقب بـ « روئين تن » · بمعنى قدرة الحق ·
(٢٨) اسم امير زنجى قتل فى الحروب على يد الاسكندر الأكبر ·

ورطب اللسان ب

ـ ستر الفلك وجهه بسنجاب السحاب

ـ استتر خلف شمس العالم المضيئة المستقرة

ـ هكذا بطل أثر النار الحارقة

ـ التى ظهرت فيها معجزة ابراهيم عيانا

ـ لو نثر تجاه الهوا الخمر والماء

ـ لعاد مرة أخرى ياقوت

وفى أيام التوقف فى « آوار » فى يوم ممطر كان الهواء البارد أقطع من سيف الحرب ، والبرق أسرع من حصان فولاذ قبضة الأبطال ، وكان الرعد أزئر من أسد الغابة ، أمر فوج من (لكزيه آوار) ـ أمطرهم الله فى وقت الصاعقة وتساقط الأمطار ـ بالاستعداد للحرب والتقدم للقتال .

أغاروا فى الأغوار المليئة بالثلج والصحارى الواسعة الكبيرة والأراضى الوعرة والهضاب حادة الطرف على الجيش الغيور ومدفعجية الجيش المنصور ـ غارهم الله بمطر ـ ، أظهروا فى ذلك الجو البارد جميعا التدرع بدرع الجلادة ، سكبوا ثلج الرصاص ، حاربوا بحملات متتابعة الحرارة ، صار جمع بالسيوف الحادة باردى الابدان .

هم يوم ذى قار وقد حمس الوغى خلطوا لها ما جحفلا بلهام

ضربوا بنى الأحرار يوم لقوهم بالمشرفى على صميم الهام

بعد ذلك بسبب هذين الأمرين الواردين ، ظهر الوجه من ستار تقديرات رب قدير ، اتجه موكب العظيم من « آوار » ناحية الانصراف ، (استعجلت قديرها فأمتلئت) ، وفى عرض الطريق صار خبر فرصة (قرا قيطاق) أيضا ضميم العلة .

توضيح هذا المقال : انه فى الوقت الذى كانت فيه « غازى قموق » مستقر الجلال ، بمضمون (أول الحجامة تخدير القفا) ، ارتبط أمر المعلى بالنفاذ ، حيث انتظم « سرخاب » و « اوسمى » فوج الأبطال من « اللكزيين » فى زمرة خدام الركاب ، جعلهم ازاء ومقابل تخفيف هذا الأمر أداء خراج

كامل حق الذمة ، أجابوا من موقف أعلى بجواب « فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا » .

« قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتيكم » ، رغم ذلك فان تلك الجماعة تظاهرت في الظاهر بخلوص الباطن ، لكن في الحقيقة فان قلوب الطوائف ارتجفت من الأمر المذكور ، وهبت من ذلك الأمر ريح التوحش (الخنفساء اذا مست تنتنت) ، و « أوسمى » شيطان الطبيعة قاسي الطبع في نفس الوهلة الأولى طرأ الخوف والهول القوى على القوى ، ومن هناك بدى ان مزاج الخنفس شم رائحة السم الناقع ، رائحة مسك هذه الدولة المحبوبة (كما يضر الرياح الورد بالجعل) ضرب رأسه وتنفس ريحان شوكة فلك القوة (أبغض من ريح السذاب الى الحيات) ، صار غير ملائم لمزاج حياته ، انحرف رأى الشرير وطبع الجاهل عن طريق الصواب ، بمضمون (ان لم تغلب فأخلب) ، فتح مفتاح حقائب الحقد ورباط جراب الفساد والمكائد وأبواب قصر ضيافة الخصومة وباب كنوز التخادع ، وقف بالمكر في مقام الحقد المتمكن ، جعل بواسطة توزيع الارهاب صورة طفل الطلال في مشيمة القلب الذميم المعيب الصفة ، أخذ جماعة من الجنود للركاب لتقديم الأمر المعهود من خدمة العظيم ، انحرف ناحية « قراقيطاق » « ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى » تمسك بزمام طريق الشيطان، وكتب بمصدوق « لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » رقاق العبودية ، وكتب أوراق رقوق المخالفة بمداد الجهل المركب ، ضل وعصى (وقشر له العصا) ، أيضا كان قد جلس العاصي السابق في موقف النفاق ، قد تغير لون الرسم وخيال الفكر من الطبع المختلط ، يعني عاد فاتح باب الخذلان لوجهه ، وانصرف عن التوبة ، « تلك اذ كرة خاسره » وأظهر بالمحاربين المسلمين والأتباع عصا القهر والخشونة وصلابة الرأس من ناحية الحياء والغرور على أنف ناقة الخاطر ، جعل بضروب الضرب سرعة جنود الجلادة للعمل في الغابة كثيفة الأشجار الوارفة المتشابكة علامة سهم التزوير ، « كفروا بعد اسلامهم » ، وقوى لاغتصاب الروائع الوضائع والجمال النحيفة والبضائع والسيوف ، وحصل على الثراء الواسع بهذه الحيلة بلا عناء ، « ومكروا مكرا كبارا » .

واذا الذئاب استنعجت لك مرة فحذار منها أن تعود ذئابا

الذئب أخبث ما يكون اذا بدا متلبسا بين النعاج أهابا

رغم أن ضمير العظيم كان قد توجه من « داغستان » ناحية « تركيا » ، الا أن (أوسمى) جعل (زال) عجوز الخصال ليهلك مع الدولة الباقية

باظهار العداوة والخداع ، وصار صائدا بحبال الحيلة ، صارت هذه الحادثة المخيفة مانعة طريق المرام ، أوقف السفر « لتركيا » وصرف الهمة للانتقام من أعداء البلاد، ربط مقر كوكب النصر خارج « دربند » (رب جثيث مكيث) وفي نهاية مساكن أهل الفساد أقامـوا بـ (أوسمى) كوخـا مخصوص «كأنهم بنيان مرصوص» ، رفعوا الأساس لمبنى الهمة العالى بالقلاع المحكمة والمعابر المثبتة على أعمدة والملاجيء المعمورة والحصون القوية ، أوكلوا بكل ملجأ جيش جرار للمحافظة ، قرروا أن كل شخص رفع شدة برودة الشتاء يبنى المنزل والقصر من الخشب والطوب ، سعوا لاغلاف السيوف ، وعلف البهائم ، واطعام العجاف والضوامر ، وامراج السواهم والسوائم ، وتسمين الخيول والجمال ، وتقليل طعام البغال ، واعياء الحمير ·

ثم صاروا فى ذلك المكان بتوفير مستلزمات الشتاء ، وشغلوا بتدارك وسائل الحياة اللائقة ، حتى صنبت الرياح الشتوية الكافور الرياحى على الشعر المجعد وردا وزهرا ، واختلط بالهواء البخور المجمرة فى ذلك الشتاء البارد العنبر الشحرى والعود القمارى ومسك العطار ، تسللت الحسناوات السمراوات من قاقم ناثر الفلك السنجابى اللون فى ثياب السمور ، صار الأبطال الشجعان قلب الجيش فى قلب الشتاء أنيس النار ، أصبح الأبطال متجلدى الجلد ، وصار السنة والشيعة حنـابلة ، وسخن سوق الخمـر والجمر ، ووجد القدح الخشبى عمل ، وصار للمجلد عظمة وقيمة ·

ان الشتاء عـــدو لا نقاومـــه الا بأسلحة صمصامها النـــار

قلب الشتاء بلا لام ولا ألف على صميم الشتاء سيف له نار

والنار فى البرد مثل الماء طاب به فى الحر منزل عدن فيه أنهار

والنار نور أنيق فى تفتحـــه وقت الخمود اذا لم ترج أنوار

كان يضيء مغنى الفلك لسعة أرباب السيوف من سحاب الربابـة ، وكان ارغنون آلة الفلك يلف بأذن العدو مثل وتر الطنبور ·

كان (اوسمى) فى أثناء هذا الحال (أخدع من ضب) و (أختل من ذئب) و (أروغ من ثعلب) و (أولغ من كلب) و (أولع من قرد) و (أوقل من وعل) ·

ألـــج لجاجـــا من الخنفـــساء وأزهى اذا ما مشى من غرابه

حيث أنه قد جعل بكبرياء النمر نوم الأرنب فى أذن الفيل (أنوم من فهد) ، سمع هذا الخبر بأذن حزينة (جدع الله مسامعه) ، وصار (أحير من ضب) و (أسهر من قطرب) و (أصبح فيما دهاه كالحمار الموحول)، سقطت دمعة فى سروال ضميره ، سحب الرأس لفتحة الخمول مثل القنفد ، و (ولا قرار على زأر من الأسد) وبمثال (أول ما طلع ضب ذنبه) ، ارسل مطلق العيب شعاره (لا تلد الحية الا الحية) بصحبة عدة أفراد من القردة المردة « اللكزيين » ـ الذين كانوا مثل جراد « الأهواز » وعقاب « شهرزور » وأفاعى « سجستان » وثعـابين « مصر » الضارة ـ المصرين على الفسـاد بارسال عريضة كاذبة مزينة بالنفق للصلح (جاء بقرنى حمار) و (بالصقر والبقر) ، مقصود ذلك أن الملك ـ الذى كان مشغولا بالحديث ـ كانت أسود العالم أمام مقبض سيفه ثعالب ٠

عندما كانت مهلكات العمل وبطلان قول ذلك الكلام العشوائى ـ الذى كان نموذج التمويه وتلبيس ابليس و (مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) ـ لم يكن لائقا للاعتبار والاهتمام ، فطردوا ذلك الذى هو جامع لأخلاق البغال بناء على شبهة الاحتيال (أذل من بعير سانية) من معسكر العظيم ، وقالوا له (انما أنت خلاف الضبع الراكب) « أخرج منها مذءوما مدحورا » ، كما خاطبوا حاملو العريضة أيضا بخطاب « اهبطوا منها جميعا » ، فأجاب وعاتب بجواب « اليوم لا تؤخذ منكم فدية » ، وحكم أيضا باسم (أوسمى) الموسم بالاخافة والاضطراب والموشم ببشـارة التطويـل متضمنا هذا المضمون المرتبط باصـدار (أنت أنزلت القـدر بأثافيها) و (ضيعت قديرها وما فيها) ، وايقاظ تيقيظ هذه الفتنة سواء سبب رقدة الغباوة والا آفة خرافة الجزاف سرعة النية لم يكن لها سبب ، (لم قدما قدما) حيثما كان يبحث عن طريق السلامة تظهر أسنان سن السلم منشار قطع صنوبر شجر الخلاف والسلم بوجه النجاة « لاخوف عليهم ولا هـم يحزنون » « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » ، لكن الحية لم تعد حيلة حواء لآدم ، ولم يعد المسيح بأنفاس عيسى المطببة ، جاء هذا الصلح فى مزاج) أوسمى) ورؤساء « قراقيطاق » ـ المفطورين على الشقاق والمحصلين بالنفاق ـ سم زعاف ، وأعطى هذا الماء الصافى فى طبيعتهـم تـأثير السم القـاتل «قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » ، وهجمت على قلوبهم حشرات الحسرة وهوام الهموم « كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، وظهر من تلك الجماعة مصدوق « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا » ومنطوق « واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا » و « لو علم

الله فيهم خيرا لأسمعهم » وبمفاد (اذا جاء القضاء ضاق الفضاء) ، انشغلوا بتضييق المداخل والمعابر ، وتشييد الحصون والقلاع « للجو في طغيانهم يعمهون » ٠

امتثل أهالي « شمخال » باشارة « فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثار في الأرض » مع أهالي « لكزيه » لأوامر الملك ، وتسابقوا من بين القوم بعزم ادراك الوصول والمثول لبلاط ثبات الملوك ، هاجموا عتبة الفلك الملثم مثل الفلك « فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة »٠

- ٣٣ -

بيان قلع قلاع وقرى « قراقيطاق »
بتقـــدير القهار ذو العز والبهاء

« وتلك القـــرى نقص عليـــك من أنبائها » عنـدمــا أظهـــر عظمـــاء « طبرسـتران » (١) السخرية والبغى ، كانت « دربنـــد » مدخلا لقـــلاعهم (أرداء من داء القلاع) وقلعهم مكنون خاطر شمس الشعاع ٠

من النفر العالين فى السلم والوغى وأهـــل المعـــالى والعوالى وآلها

اذا نزلوا اخضر الثرى من نزولها وان نازلوا احمر القنـــا من نزالها

انشغل الجيش الجرار بتدبير تلك الجماعة العاصية الوقحة المنافقة (أشأم من أحمر عاد) (٢) ، جعل الأبطال السيف الأزرق أحمر بدمائهم ، ابتلوهم بالقتل بالسيف والسهم الأسود والرمح الأسمر ذلك العدو أزرق العين أصهب السبال أسود الكبد (أباد الله خضراءهم) (٣) ٠

ثم أرسل جيش جرار كسيل دفاق ناحية « آق قوشه » و «قراقيطاق» لتأديب «أوسمى» ناقض العهد بلا وهن ، أمروا أن يعملوا بحكم « لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة » ، جعلوه ينشغل من الجانبين بأمر الحرب والقتال (أشغل من ذات النحيين) ٠

بعد دخول جواسيس أبطال الجلادة بطرق جبـــال « آق قوشه » ، امتثل قاضى ذلك المكان ــ رغم انتسابه الى « شمخال » و « شمخال » ــ بقلم أجفان العين من عين اطاعة أوامر الملك ، كان فتوى أوامر الملك بلا مثال، طلب مصداق (رضى الخصمان وأبى القاضى) ، جعل (أجهل من قاضى جبال) بالرأى الناقص والرأس الأجوف والعقل اللفيف بالدولة صحيحة الأركان الملك الذى بلا نظير مضاعفا لخصومة المهموز ، كتب بمداد الجهل

---

(١) اسم مكان قرب دربند ٠

(٢) المقصود به عاقر ناقة سيدنا صالح ٠

المركب كتب الكتائب ودون كراسى الجيش ، أظهر أوراقها الشباب العمل المجرب بجمع وخياطة أجزاء حد الجهل بخيط الغفلة وفتح أبواب كتاب الاختلاف ·

صفـــان مختلفـــان تلاقيـــا   آتيـا بوجـه مطلق ومناكـح

وفى الحال انشــغل للاستقبال بالسيف الماضى وأشعل الشرارة « ليقضى الله أمرا كان مفعولا » ، وسلك الجحد والانكار مع ملك الدولة التى القضاء تابع أمره ونهيــه ، طلب خنجر الأبطال لنفى الأعـداء مثل همزة استفهام الصدر ، اشتق من مصادر الرمح والسنان أفعال الخصم · ومرضت عيون الأعداء بعلة السهم المنتصب ·

كتبت على جسومهم سـطورا   غـرائب حـبرهن دم همـول

يترجمهـا الأعـادى للأعـادى   ويقرءهـا على الحى القتيـل

القاضى الذى لم ير شطر من سطر مصيره كان يقرأ (مجمع الأمثال للميدانى) (٤) لميدان القتال الممتلىء بعظماء الأبطال ، وجلادته دائما ·

اذا ما نكحنا الحـرب بالبيض والقنا   جعلنـا المنايا والرماح طلاقهـا

كان يساق على حد السيف والسنان ، عندما وجـد بيـدر الحظ مصادف الصواعق المحرقة ، وفرق الأحوال متصادمة بالسيوف المهرقـة والهرواة المحطمة ، تحسر بفحوى « ياليتها كانت القاضية » ، فصرف العنان ناحية الهرب ·

فى يوم آخر حيث جلس القـاضى البيضاوى (٥) الشمس لتفسير سورة الفجر على مسند الافادة ، فتح أشعة كتاب « أنوار التنزيل » ، وضع مدرس السماء «كشاف» الشفق على طرف الفلق لتوضيح آية « والليل اذا أدبر » وتوضيح بيان « والصبح اذا أسفر » ، بحكم قاضى القضاء بقصد أداء ما قضى واستدارك جبر ما مضى مع الملك الذى سرادق قدره وذيل فخاره

---

(٤) كتاب فى الأمثال العربية وهو يشتمل على اكثر من ستة آلاف مثل ، وهو من تأليف أحمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الميدانى المتوفى فى نيشابور سنة ٥١٨ هـ·ق·

(وقد استخرج ميرزا مهدى خان الكثير من الأمثال التى استخدمها فى « درة نادرة ») ·

(٥) القاضى البيضاوى هو ناصر الدين عبد الله بن عمر (م ـ ٦٨٥ هـ·ق) صاحب تفسير أنوار التنزيل واسرار التأويل ·

منصوب ومجرور فى ساحة العالم ، وراية شوكة أحبابه وأعدائه مرفوعة ومكسورة ، ففتح باب طلب الحماية ٠

واعتبر من ابقاء العراء الارتقاء على سلم السلم بمضمون « اسلم تسلم » ، رفع الرأس عاليا لتقبيل عتبة العظيم ، وجد فى الاحضار والأسفار من الأسفار الى الأسفار « كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، أصبح بمطايا الأسفار حامل أحمال أوامر قضاء الأساس وسالك مسالك الطاعة والانقياد ، رأى « أوسمى » نفسه محاصرا من كلام الطرفين (بين حاذف وقاذف) ، تحصن فى قلعة « قرشى » التى تقع فى منطقة جبلية مليئة بالأشجار فى قمة جبل شامخ ، وطائر الشرفة جالسا ، والبوم ظليلا بقصره ، والنسر الواقع طائرا ٠

عجوز ترى فى صحة الجسم كاعبا ولو أرخت كانت من الدهر أقدما

وبكر نحافتها البعول مخافة فقد تركت من كثرة المهر أيما

كان قد سحب من خوف سيف الأبطال البتار المتاع بقلعة « قاف » « سآوى الى جبل يعصمنى من الماء » ، عندما انحصر ذلك الحصن بطريق واحد ضيق حيث كان من ضيق الممر والتفاف الشجر العبور من ذلك صعب على رسول الفكر ، ماذا يصل للرجل والفارس ؟ ، شمر الأبطال البواسل والشجعان الجواسر (غشمشم يغشى الشجر) ذيل التهور فى وسط أشجار الغابة المتشابكة والشعب كثيرة الثنايا بهدف قمع الأعداء المفسدين « وان كان أصحاب الأيكة لظالمين » واشتد أمر القتال ، فصعدوا أعلى تلك القلعة المحكمة ٠

ضويق البلد ، وفورق الجلد ، وأحاط الرجال بأرجائه ، ورجمت بشهب النصال شياطين الضلال فى سمائه ، وترجل دونه الناس ، وتعجل نحوه اليأس والحجارة تنقض ، وانحدار الجدار « يريد أن ينقض » ، واتصل خروج الخروج للخروج ، ودام اقتراح الروح باقتراح الجروح ، وشغلت الرقاب قواضى القواضب ، وحملت أحمال النواكب على المناكب ، وضربت بمباضع بواضع الضوارب عروق ضوارب المردة وتمادت الأسود العادية كعادتهم على أولئك القردة حتى خروج سوار من يدعم ولم يبق ثبات الرجل على أحدهم ٠

تصدع سد قرار (أوسمى) من هجوم فوج زحل الأوج ، وتلاطم بحر العالم المثير حديدى الموج وقبل صفة (بلغ السيل الزبى) ، واضطرم نار اضطرابه ، وسقطت الخرقة بالقلب المتأجج ، لم يجد أحد مجالا للمكر فى تلك الأطراف بخيالات مستحيلة ، فتقدم لطريق الهرب وبصحبته

الأعوان خائفين ، أدار الوجه ، وتشرد من طريق البلادة على بلاد « آوار » ، انطفأت نار فساده من ماء السيف ، وسحق كل « اللكزيين » بقبضة التأديب ، صارت منازلهم ومزارعهم وبراريهم سحقا لقوائم خيول الأبطال، تحصنت المحصنات والعوارات بالحصون وشعب الجبال ، ودخلوا بمعرض الأسر ، أصبحت حدود ذلك الملك مكشوفة بالسيف الحديدى ، ومرت الأيام على نسائه ورجاله صعبة ، واحترقت قرى « قراقيطاق » مع البيوت والجماعات بنار السيف البتار وانتقل باقى مواطنى تلك الجماعات لمملكة ملك الملك الشاب ، وكان قد تحطم كتف شوكة العدو بمقرعة غضب وهراوة قهر الملك المنان « كل يوم هو فى شأن » ، وحدث فى تلك البلاد آثار « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » .

وطئت جبالهم بقوائم الدهم ، وتهدمت أماكنهم بهجوم الدهماء والدهم، وما وجدوا فيها عونا وغوثا ، وتركوا دارهم جوثا بوثا ، وحاروا فى دوائر المذلة « خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة » ، وجعلوا من الوجل عن الوطن والمقام « أليس الله بعزيز ذى انتقام » .

بعد ذلك أخذ سفير آذار – بحكم الامبراطور الباقى – عصا من غصون الأشجار بالمشقة والايذاء لمن عصى ، اهتزت أسباط بسياط سطوات نيسان عليه مثل البوص ، وذهبت آثار البرودة بالجلباب واللباس الوبرى من عدوى لجوج البرد بعظمة جنود آيار ، « أخذت الأرض زخرفها » ، انشغل ملك العالم فى تلك النواحى بقبض وبسط الأمور ، وغلق وفتح مهام « داغستان » ، حتى صار ببستان الشتاء ورد أحمر بلون حرارة الريحان الجبلى ، تألم وذبل البستان من صدمات جيش حزيران وتموز مثل حال بغاة « داغستان » ، ذهبت قلاع قمة الورد يعنى براعم الورد النارى للريح بتطاول جيش آب بمثابة تراب أوطان الأعداء الطغاة ، وبمجرد حلول شهرى أيلول وتشرين صار ماء لون الفل والنسرين مثل خزانة عتاة البغى من حديقة وروضة نهب الخريف ، ووصل شهر كانون موسم التغطية ، أصبح ثقل النقل والانتقال (أثقل من الكانون) ، وفى بداية كانون الأول أعاد زمام التوجه ، وجعل من ممالك الطغاة – أبعد الله الآخر – خارج « دربند » مقر الجيش العرمرم ، ونصب فى ذلك المكان (خاص فولاذ خان) بالأمر السابق لـ « شمخال داغستان » و (سرخاب خان) لحكومة « غازى قموق » ، فأسرعا لخدمة الملك العظيم (أحمق من المهورة بأحدى خدمتيها) أو (من المهورة من نعم أبيها) مرهوني النعم ممنوني الكرم ناحية المقصد .

- ٣٤ -

بيان فتح « مسقط » وتأديب الأشرار والخــوارج الملاحـدة

« أولئك عليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين » كان الشيخ (جبارة) قد احتل دار المؤمنين « بتحريض النفس الشريرة وذلك بمعاونة أعراب (الهولة) ، وبتتابع الشهور ومرور الأيام كان قد امتنع عن اداء الخراج « وجعل بين البحرين حاجزا » ، بعد الجلوس المبارك فى الوقت الذى كانت تتجه فيه رايات نصر الآيات ناحية « قندهار » ، انتقل (ميرزا محمد تقى الشيرازى) من رتبة الاستيفاء الى ولاية « فارس » ، ووجد خطاب ملكى افتخارى يأمره بتسخير « البحرين » و « مسقط » ، صنع أول فوج موج محيط البحرين » ، وأظهر آثار « مرج البحرين يلتقيان » ، حصـــل على جوهر فتح تلك الديار من مغاص وسط البحر المنير بفضل وتأييد الخالق الذى كشف مدلول « يخرج منها اللؤلؤ والمرجان » ، ثم استعد لفتح « مسقط » •

السفن المسماة برحمانى وفتحشاهى وملك حيث كانت كل وحدة بحرية تجرى بلا نهاية أو كجبل ثقيل فى وسط البحر ، لو أن فلك الفلك اتجه معهم للمصارعة لأفسد سفينته ، لم يعودوا لمرساة عظمتهم حوصلة البحر ، فاحتلوا سفن الأهالى وحاصروا « مسقط » بأربع أمواج فاحتاروا وعجزوا •

فى هذه الآونة حينما كانت « الهند » مسير فرس الفلك المتجول ، أظهرت تلك الطائفة الشريرة (الهولة) فى ساحل ووسط البحر ووسط ملك الاضطراب والثورة ، ورفعوا شراع سفينة الغرور برغبة المخالفة ، وأشعلوا نار الفتنة ، وقفزوا فى بوغاز الفرصة ، قادوا بمجداف النذالة زورق العمر القائد الملكى لدوامة الفناء ، جعلوا نفس السفن مع السفن الملكية التى كانت فى الموانىء عرضة « يأخذ كل سفينة غصبا » ، وبعد انصراف موكب العظيم فى حدود « السند » وصل هذا الخبر للمسامع العايا ، أصدر الملك أوامره ل (نظام الملك) والى « الدكن » مبنية على بناء عشرين سفينة مثل الجبال تشق البحار ، فى الأوقات التى حدث فيها نزول

كوكبة فاتح العالم لحدود « داغستان » ، صارت رسالة عتبة الجلال أنه وفقا للأمر الصادر كانت سفن سماء الشوكة — التى كل واحدة بلد بحوض البحر المليىء بالفتن — سور متين ، اكتملت الصورة فى ميناء « سورت » ، كانوا يتقدمون الغرابات السريعة مثل الغربان التى مع النسرين ، كانوا يستعدون فى أوكار ساحل البحر ، كانت السفن التى فى البحر تسابق الخيول السريعة ، أخذ والى « سورت » تلك السفن بالأمتعة المعدة حيث كان يذكر آن كل سفينة فى البحر عظيم الأمواج أكبر من سفينة الفلك المستدير ، كانت تظهر فى عين الانسان انسان العين جبالا متحركة ، كان يلقى شوكة تلك الأجسام الضخمة مثل هيكل التمساح للسفينة فى بحر خرز الفلك الأخضر بدوامة الحيرة ، كانت نظرتهم الواسعة للبحر الأزرق مع آلاف الأعين تغرق التطلع ، كان يسرع بعملة « ويعملون فى البحر » والملاحين حسنى الصورة وقبطان وبحارة ضعفاء من وجه البحر ، عندما كانوا قد ساروا بالسفن فى غير الوقت ، ثار الطوفان ، استقرت سفينة على الطين « حتى اذا أدركه الغرق » أما البقية وصلوا بهبوب رياح المراد سالمين لشاطىء النجاة ٠

تحير الوهـم من اقبال صاحبنـا فازوا بآمالهم من فيضة النـاس

القى فى الفيفـاء خضر برحمتـه وفى لجة البحر اليـناس اليـاس

بعد وصول السفن للساحـل المقصود ، كان الهدف أهلاك وابـادة (سلطان بن مرشد) والى « مسقط » ، وتحسير وتدمير الخوارج الأشرار « أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » عين « كلبعلى خان أفشار » للقيادة و (تقى خان الشيرازى) مرة أخرى لولاية « فارس » ، واقترن أمر المعلى بالنفاذ بأن يسلك القائـد من طريق الصحـراء بالخيول ،و (تقى خان الشيرازى) يسلك من ناحية البحر بالسفن البحرية ، وذهب ل « مسقط » والولايات التابعة لها ، لم يبق على الأخضر واليابس أثر للخارجين الغادرين « أولئك هم وقود النار » ، فرقهم بالسيف والمشتت ، وانفرد (سيف ابن سلطان) — الذى كان من أصدقاء الدولة النادرية — بحكم تلك المنطقة ٠

اتجه القواد من ناحية الامتثال للأمر ناحية المقصد بالأمواج المتموجة المتتابعة التى لا يظهر طولها من عـرضـها بل يظهر البحر الذى بلا نهايـة بجانبهم كقطرة نـدى ، (كلا جانبى هـرشى لهن طريق) ، اختـار والى « فارس » أن يركب أنواق السفن الباهرات ، كان يسلك بمساعدة السفن الهوجاء الموجاء « وهى تجرى بهم فى الموج كالجبال » صحراء مدينة البحر (صحرة بحرة) ، تلاقى وتقابل باسـتعدادات « سلطان بن مرشد » ،

وارتبط القتال بالمدافع الصاعقة ، صار من صياح تلكما البحرين الصاخبين « عمان » محيط عمان ، وأصبح من عراك ذالكما البحرين المليئين بالأمواج عالم بحر الحيرة ، جف ماء فـم البحر من الخوف مثل ساحـل ، وملىء الصدف ثقب أذنه قطنا من زبد البحر من الرعد مثير القوارع ، فى النهاية صار الأعداء خائفين « وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم » لاطم الخاطر ، تحطمت سفينة أملهم مثل زورق بلا ربان فى موجة قهر الله البصير ، يعنى غرست عدة أساطيل ريح ذهابهم بجلد المدفعجية فى وجه الماء على الأرض ، سكانها بمفاد « نغشيهم من اليم ما غشيهم » غرقى بحر الفناء ، انقلبت سفينة حياتهم مثل الفقاعات الهوائية فى دوامة الفناء ، وصار أسرى العذاب الأليم بفحوى « فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى أليم » ، لم يسحب أحد المتاع لساحل النجاة ، وصار فى ذلك الحرب سفينة الوجود وبارجة الحياة وطوربيد البقاء وسفن الأعمار كثيرة من أهل الضلال يعنى « جنود ابليس أجمعون » غرقى بحر العدم ، أسرع القائد بالأسلوب المقرر من جانب اليابسة للحصان التاتارى السريع ناحية المقصد ، أولا سخر قلعة « لوا » ، رفع لواء الاستيلاء ، ثم عزم على تسخير قلعـة « صحار » فتهيأ للحرب والقتال وفى خارج القلعة تعارك وتقابل مع الخارجين غرقى البحر العظيم ، قبل من سيوف حوت البحر أبطال ساحة الصحراء المائية ، وسبح المقاتلون فى بحر الدم ، هزم (سلطان) شيطان القريحة ، وصار جريح ومجروح باصابات وجروح بلا حصر مقصوم الظهر وذليل ، فى أثناء تلك الفترة وجد لرامى السهم قدر جرح من سهم نافـذ « فأتبعـه شهاب ناقب » ، أظهر بآفة الجرح درجة دار البوار ودرك العذاب « فى الدرك الأسفل من النار » ، أسرع من المقام بالرأس لمسقط « ويل » ، ودخلت ولايات « مسقط » و « مطرح » للاستيلاء ، تألم (أحمد بن سعيد) حاكم « صحار » ـ الذى كان خيال مآتة مزرعة دولة (سلطان) اللعين من هذا الطرد والضرب ، سلم مقاليد مفاتيح القلعة ، تمكن القواد بحكم سلطان الزمان (سيف بن سلطان) الوالى الجديد فى ساحل البحر وملك «مسقط» ـ الذى كان مفتوح بقوة حد السيف ـ فى مكان المكانة (كوضع الهناء موضع النقب) (١) ، وأعطى الأقبال الملكى لأهل الدنيا بشرى « سبحان الذى سخر لنا هذا » ، وقرأ وقت مباركة النصر « سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » .

---

(١) وصف أعرابى رجلا يتكلم فيحسن فقال يضع الهناء موضع النقب .

- ٣٥ -

بيان تحرك (نصر الله ميرزا) ناحية « خوارزم » بأمر بطل حدود « كن فيكون »

« ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » ، أثناء توقف جيش الملك فى « داغستان » فان « أوزبكية خوارزم » و « آرال » (١) - بناء على تحريض وإشارة (نور عليخان) ابن (أبو الخير) والى « قزاق » « اذا هم يبغون فى الأرض » - حطموا وفرقوا قيد العبودية برفع راية العصيان .

جردوا واستلوا سيف خيال العصيان من غلاف القلب « وقالوا قلوبنا غلف » ، قلعوا أساس العزة ، وكانوا قد خلعوا (طاهر خان) الوالى من طريق قلة الفرصة بلومة لائم ان « أنا لنريك فينا ضعيفا » وطعن غير ملائم « وما أنت علينا بعزيز » فى قلعة « خيوه » من سلطنة بلاد الحياة ، قرأ الملك عظيم الشأن من فرقان العزم آية « سنعذبهم مرتين » على تلك الديار المليئة بالاضطراب والفوضى ، فتح الأمير (نصر الله ميرزا) - الذى خطوط حظوظ جبينه مظهرة آية « يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » - ببنصر أصابع التدبير وسبابة اصابة عقلة بلا ابهام مفتاح القلعة ، أسرع بالعتاد والعتيد والخدم والعبيد بهدف دفع الأعداء المعاندين بدليل « فاذا عزمت فتوكل على الله » تجاه « خوارزم » ، وبعد دخول الأمير الى « مرو » عندما كانت الآية الكريمة نقش جبين مقدمة عمله « متى نصر الله ألا أن نصر الله قريب » . ولا غرو اذ ان « جنود نصرت بالرعب مسيرة شهر » (٢) أسرع بلا قتال لاستقبال الاقبال ، وصحب ركاب النصر عند تحركه بفحوى « اذا جاء نصر الله والفتح » .

عامل رؤساء وأتباع العصاة بمضمون « يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم » ، فأظهروا الطاعة بمفاد « ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم » ، وأصبحوا نادمين وأبرياء من ذنوبهم ، واستقبلوا الموكب الجليل قائلين « أننا لمردودون فى الحافرة » ، وانضموا من « مرو » لمعسكر الأمير ،

---

(١) أقوام تسكن بحر آرال فى تركستان العربية شرق بحر الخزر .

(٢) مأخوذ من الحديث الشريف نصرت بالرعب شهرا يرعب منى العدو مسيرة شهرا .

ووضعوا برسالة ووثيقة « فاعترفوا بذنبهم » فقرة مثل القلم رأس على كتابة الأمر ، وفى عالم الطاعة من حيث الضراعة بسبب (عيصك منك وان كان أشبا) صاروا مستدعى العفو عن الأخطاء وجمع الزمام ، وفتحوا أبواب الاستقالة بمفتاح حسن المقالة ، ستر الأمير بأعطاف وأكمام الرحمة وأمطار أمطار الألطاف ، وتعليق أستار السكينة ، ووضع حجاب العفو وستار أذيال الملاطفة بردة الصفح والصفو الختائية على وجه أخطائهم وهفواتهم ، فتح باب الأمل فى وجوهم مرة أخرى ، وأوضح معنى « عفى الله عما سلف » ، وألقى بالوعيد والتهديد بطريق رشاد تلك الجماعة « ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » ، واستمعوا أيضا بسمع الرضا ، كان المسئول عن تلك الجماعة (أبو المحمد) ابن (ايلبارس) الذى كان فى تلك الرحلة تحت لواء بخت عظمة الأمير المسمى ب (أبو الغازى) واختص بسلطنة « خوارزم » ، ومنح عز العتق والتحرر ، صار جمع من الرؤساء والقواد لعتبة نصرة حراس دولة عش ملك البلاد ، حيث كان الأصدقاء والأعوان قد حضروا بمخدع الراحة والقرص المذهب فى تقص الأعداء لقدامى عقبة وجه الحاجة ، صاروا موضع احسان « لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم الله عليم حكيم » .

- ٣٦ -

بيان جريرة (رضا قلى ميرزا) وسقوطه من نظر اعتبار الوالد الموفق (نادر شاه)

« ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » ، عندما أصبح مقر كوكبه فلك العظمة الملكية خارج مدينة « طهران » ، جعل الأمير « رضا قلى ميرزا » ولاية « الرى » بأمر ملك الزمان مقر العزة ، حرم فيض الحضور ودار مثل الظل من الشمس المنيرة ، أظهر العصيان بناء على سوء الخلق والطبع بالأقوال القبيحة والسب أظهر عكس مدلول « أو من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » بالخصومة من حلية الحال ، غفل قلبه الجامد عن مضمون (ق فاك عما يقرع قفاك) ، وغفل وجهل عن كلام (العاقل من عقل لسانه) (اذا وقى الرجل شر لقلقه وقبقبة وذبذبة فقد وقى) ٠

ـ الكلام يجعـــل الرأس متوجـــا

ـ والرأس أيضا يجعل الكلام متوجا

عندما كان الملك متوجها ناحية « داغستان » بأجناس مثل الأسود ناضرة الوجوه وراية النصر ، كان مشغولا بالتنقل بين قرى « قراقيطان » ، عندما ارتسمت كرات ومرات الصور المنكرة عن أحوال (رضا قلى ميرزا) فى مرآة الخاطر الأقدس رأى علم التغيير للعقيدة من شمائل حال الأمير ، ولاح غبار النكران والتكبر من مخايل خيالاته ٠

نفذ الحكم المطاع باحضاره ، وعندما دخل بموقف الحضور ، انسلك بخطاب « خذوه فغلوه » فى سلسلة أهل القيد ، وتكبر بالقيود ٠

الحبس قصر لكل جزن   والقيد خلخال كل مخل

والخطب كالضيف لا تراه   ينـزل الا على الأجـــل

من هناك من أجل والد ابن بلا جاه وعظمة خشب موقد الشرر ومقدمة مثيرة الشرر ، فوض السلطان المدركون للأمور مثل العين على اســتصلاح المهام الملكية ، كان يعتبر قرة العين ذاتها الابن قرة ونور عين الخداع على وجه الدولة عين ضارة ٠

رأى الملك الخبير منبع المرحمة بنور العين المنيرة ، ورجحت الأمور السياسية على رابطة الأبوة والبنوة ، وجعل متلقى الأمر باشارة أصبح أمر الأقدس فى طرفه العين بالماس البراق لؤلؤ العين قطعة ياقوت حمى ، واثاروا جعبة حدقته الدم ومنحوه الحياة ، عندما ضل باغواء الضالين ، أظهر من فم النميمة والاغتياب معدن الياقوت البيكوئى ، ولم يؤثر قوله (ما ذنبى) ، وزينة وجزع ثقبه (ان البلاء موكل بالمنطق) (١) ، و (لطفعلى خان أفشار) أيضا كان خال الأمراء بل كريم الأحوال والأعمام ، وجد نسبة (عموا وصموا) ، رأى نفس القضية برأى العين ، وعلق العين من نظر عالم الكون والفساد ، ألقى الدهر شدة قهر ضيق النظر باصابة العين فى لحظة واحدة نقش نفس الحادثة على ساحة الظهور .

- الكلام الطيب الذى مع صاحب التاج والعرش
- قولوا موزون ولا تتشددوا
- الأخطار فى عمل الملوك كثيرة
- مع الملك لا يملك أحد نفسه
- عندما يضيق الوجه بالحقد
- فلن يظهر حبا لابنه

---

(١) يضرب لكلمة تجلب الشر . من اقوال الرسول (صلعم) وقد قيل شعرا :
احفظ لسانك أن تقول فتبتلى   ان البلاء موكل بالمنطق

- ٣٧ -

بيان تحرك موكب الملك للمرة الرابعة
تجاه « تركيا » بمقدمة الحظ السعيد

« ان الله يفعل ما يريد » بعد ذلك بتأييد الله الواحد « وله مقاليد السموات والأرض » دخلت مفاتيح قلاع « آذر بايجان » الأربعة بقبضة ملك الأقاليم السبعة ، عندما رأى وسمع أعيان الدولة العلية العثمانية بالعين والسمع شوكة واستيلاء الحضرة النادرة ، لم يستفيدوا من اطالة حروب بلا طائل ، لم يجدوا محصولا من زرع بلا حاصل غير الخسران ، ولم يتخيل أصحاب الدراية فى آية الشجاعة الا مفاد (منازعة الملوك تسلب النعم) ، فى الواقع فان امتداد أيام الحرب والقتال أتلفت الخزائن وضيعت الضياع لكلا الدولتين ، ونتج عنها أسباب الفوضى والاضطراب ، أرسل الوزير المكرم (على باشا) للبلاط النادرى طلبا للصلح ، وكان الوزير المذكور قد كسب شرف خدمة الأقدس فى صحراء « مغان » عندما استقر الملك سعيد الحظ فوق العرش ، وعندما كلف أهالى « ايران » أن يبتعدوا عن الرفض والتبرأ وأن يظهروا الحب والولاء للخلفاء الراشدين ، ويرفضوا مؤدى « واتبعت ملة آبائى » ٠

وان تعدل تلك الجماعة أيضا عن العقائد السالفة ، وأن يقبلوا حقيقة الخلفاء الكرام (خلفا عن سلف) ، وظهر نجم مذهب أهل السنة الذى غاب فى أذق « ايران » من جديد ، لهذا فان تلك الحضرة اختارت كتابة الرسائل على السيوف العريضة لتقليم يد الفتنة وأخذ القلم، وكتب للسلطان العثمانى سكندر الجاه رسالة صداقة الطبع من عين الوداد بصورة نفس مشرب « عينا فيها تسمى سلسبيلا » ، وبمعنى ممزوج ومختلط « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » ، وطلب من الحضرة فى حجاب « ما يبدل القول لدى » بلا حياء خمس مطالب ٠

الأول : انه فى عهد السلاطين السابقين (لرفع العداوة والكراهية) كانت نخلة مذهب أهل السنة هى الشتلات الأربعة الأصيلة والشجرة الثابتة الوارفة وملقية الظل على رأس فوق الناس ، حيث أن أهالى « تركيا » و « الهند » و » توران » يقطفون من تلك الأغصان الجليلة

والفروع الكثيفة الثمرة الطاهرة والثمرة الحلوة والنجاه والنجاح ، ويدركون من تلك السنن المضيئة الفوز والفلاح .

لان الايرانيين فى الفروع عالية الشرف من الأشجار طيبات الأحكام البارعة لحضرة (الصادق) عليه السلام اقتطاف المسائل الكافية وينهلون من مجرى اجتهادات ذلك الجناب الشافى ، فانه يعتبرون طريقه الصائب خامس المذاهب ، حتى صار المسلم من هذا التخميس قبضة قوية التسلط ، بحيث أن كل مذهب من هذه المذاهب الخمس يتميز عن باقى الأديان المختلفة ويضع الأصبع فى عين الملل المخالفة ، وتلقى بمساعدة هذا الصلح الصالح والسلم السليم بالأصنام من حجرة قلوب المخالفين ، وتقلع أساس الضلال .

الثانى : أن يخصص ركن من أركان المسجد الحرام لأئمة هذا المذهب حتى يقيموا فى ذلك المكان الصلوات المكتوبة .

الثالث : أما من طرف « ايران » فان الباحثين عن طريق « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » كل عام من الخواص والعوام يتجهون لبيت الله الحرام عن طريق الشام . يسلك مندوبو تلك الدولة العظمى مع حجاج ايران بطريق حجاج مصر والشام ، ويعدون لهم احتياجات وسبل طريق الحج من ذخائر وتموين على الوجه اللائق ، ويوصلوهم دون المطالبة بأية رسوم على وجه السرعة للكعبة المعظمة أعلى الله كعبه .

المطلب الرابع : أن يصدر أمر من كلا الطرفين بشأن تحرير واعتاق أعناق الأسرى جميعا الذين هم فى كل الممالك والديار ، وأن يعتقوا ويتحرروا نهائيا من قيد الأسر ، ولا يكلفوهم بتكليفات العبودية .

المطلب الخامس : أن يكون فى بلاط الدولتين وكيل من الحضرتين يقيم لرعاية أمور دولته .

بعد ذلك حصل الوزير المكرم (على باشا) الموفق الدءوب على الأمر والأذن اللائقين من طرف الدولة النادرية ، ورحل بصحبة رسول بلاط سماء الجاه القيصرى سفراء معظمين برسالة مؤداها الحصول على المواد المعهودة ، وقد كانوا محملون من « مغان » أرسلوا أنفس الهدايا لبلاط الجاه القيصرى، لم يقبل أعيان تلك الدولة القيصرية البندين الأولين من معاهدة الصلح ، حيث أن الجزء الأخير سبب عدم اتمام الصلح ، وأرجعوا ذلك للمعاذير الشرعية والمحاذير الملكية ، وأرسلوا وزير الصدر الأعظم (مصطفى باشا) والى « الموصل » مع اثنين من العلماء الأعلام للتهنئة بجلوس (نادر شاه)

على العرش ، واستقرار تلك الحضرة على عرش السرور ، وتجديد وتحديد الحدود للبلاط النادرى ٠

فى الوقت الذى ختم فيه منشور أمر « قندهار » بخاتم الانهاء وتمائم والتتميم على فرائد أمور تلك الجهة ، دخل السفراء عتبة فلك المثال ، فأرسل ملك العالم بحكم « ثم ارسلنا رسلنا تترى مرة بعد أخرى » سفيرا برسالة من جديد بأسلوب أنسب لاجراء الأمر المعهود ، ورفع ما جرى من عين العاطفة « بعين ما أريناك » لتلك الدولة الكبرى ٠

بعد عودة موكب فاتح العالم من « الهند » ، عندما كان يرسل لكل صديق من الأصدقاء ورقة خضراء من ذلك البستان ، كان يعادل اثنين من عملة « لك » (١) بالجواهر النفيسة بأربعة عشر سلسلة فيل حيث أن كل واحد فى هيئة سواد السحاب ، بدء فى صلابة زئير الأسود وخرطوم التنين المرعب ، وهيكله جبل الفلك الآبنوسى ، فى ظهره العرش العاجى والفلك الحريرى على عرشه الحريرى وقت الذهاب ، يضرب السحاب الملىء بالأمطار بالبلطة المهلكة ، حيثما يسير باعتدال ، يرفس الفيل الفلك مثل نقش القدم ، وضع الفلك الفيلى اللون من الأنجم أثر « سنسمه على الخرطوم » على الأنف ، وحدد هيكله وخرطومه فى سطح الأرض من السماء والمجرة ، أسكت صوت أجراس السحاب المجلجل ، ونظف صيقل مرآته الصدئة من المرآة الشمسية ٠

ـ السحاب أسفل الريح والريح بالصحراء

ـ الصحراء فيها جبل والجبـل بالصحراء

أهدى للحضرة القيصرية مع حراس الأفيال الأقوياء (بياسم) (٢) القدرة برسم المنحة ، انشغل عدة مرات للتساؤل والفهم بالمباحثات المأمولة واعادة المدعاة ، وألقوا دلائل دينية كاملة وحجج ملكية وملكية ٠

جاء أعيان الدولة العثمانية وذهبوا ، تخيل السفراء أرجوحة اللعب ، واستفتوا بشأن فتح أبواب هذه المسائل ، كان يميـل باشوات المملكة العثمانيـة العظام « قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديـد » لتخميس المذهب وتفويض الركن الذى كان أعظم بنيان ، وتشبثوا بعذر « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » بطلب عذر « انكم لتقولون قولا عظيما » ، ومن عين العناد لم يذعنوا ويتحدثوا فى تلك الموضوعات ، جاز الطعن فى اجابـة

---

(١) عملة هندية تساوى مائة الف ٠

(٢) شقيق بيران ويسه وقد قتل على يد رستم ٠

المشورة والمأمولات النصيب الأوفى ، صاروا من قدح المخالفة فيم قام القبول شاربى الكأس حتى الثمالة بجواب لا ، أن (كنفتنى مخ البعوض وبيض السمائم) وأظهر الملك سكندر التركى الجاه أيضا بتلك الفتاوى حجة الخصومة ووسيلة التطاول ، أرسل لاسكات المفتيون والمفتنون الأوباش شخصين من القضاة الكرام برسالة مشهورة ، وجعل منع وحجب العلماء بصحبتهم ايصال رسالة العقل الملكية لامعة الضياء ، عرض السفراء فى « دربند » ادراك تقبيل عتبـة الفلك ، واستتر بالخوف والرجـاء « وجاء المعذرون » لقـد كان يشرق بالريق) ، عذر عذراء المعاذير فى أستار « وما يزيدهم الا نفورا » عرضوا (أوضح من العذرة) موضوعات مستترة مكتوبـة فى معرض مضمون الكلام ، « بل قالوا مثل ما قال الأولون » ، عندما ظهر من نعومة الكلام آثار العداوة وحزن مزاج الأعيان «العثمانيين» ، وظهر مع كل عذر التساهل بل البذاءة فى الصلح مع الملك الفاتح نشيط ومشتعل الطبع ، أظهروا لون الغيظ المورد وورقـة الرسالة بقوس النظر المرعب ، وسهم شزر الغضب ، والحقد المميز ولوح جبين مرآة الشريعة من ثنية الانقباض للمرآة المموجة ·

قد فصلت شفتاه من حفيظته　　　فخيل من شدة التعبيس مبتسما

ثم كتب جواب خليط الصلح والحرب ومزيج الشهد والحنظل (رب قول أشد من صول) للملك العظيم الجاه ، وسحب الحزام بوساطة السفراء والعلماء الأعلام أعلام المقصود ، وفتحوا الذؤابة ، علقوا حمل العزيمة مرة أخرى للجهة المعلومة ، وتطاول الدهر المنافق على الدولة العثمانية ·

ـ لا تكن مثل الديك كل لحظـة بلون

ـ أو لتكن ناعما مثل الشمع أو صلب مثل الحجر

ـ أو لتـكن على قمـة الصلـح أو قمـة الحـرب

ـ أو لتـكن رومى البيـاض أو زنـكى السـواد

كان يقرأ الحظ الملكى النصر على أهل الدنيا

اذا زار سيف الدولة الروم غازيـا　　　كفاهـا لمـام لـو كف لمـام

فتى تتبع الأزمان فى الناس خطوة　　　لكل زمان فى يديـه زمـام

تنام لديك الرسل أمنا وغبطة　　　وأجفان رب الرسل ليس تنام

اذا خاف ملك من مليك أجرته　　　وسيفك خافـوا والجوار تسام

فلو كان صلحنا لم تكن بشفاعة ولكنه ذل لهم وعرام

ومن لفرسان النفور عليهم بتبليغهم ما لا يكاد يرام

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام

تضيق به البيداء من قبل نشره وما فض بالبيداء عنه ختام

هزت ضوضاء هذه الرسالة قلوب « العثمانيين » ، وصلت صوتها الى « القسطنطينية » ، أمرت الحضرة القيصرية بعد وصول تلك الرسالة ـ التى كانت كناية كنانة السهام بحشد الكتائب ، ونصب (أحمد باشا حمال أوغلى) لقيادة الجند ، أمر بالتوجه ناحية « ديار بكر » ، قرر أن يكون قبل دخول الموكب النادرى لحد وحدود الدولتين (الايرانية والعثمانية) ، لا يعبر الجنود العثمانيون طريق العبور ، ولا يتحرى فى عداوة السرعة وفى مسابقة المسابقة والتسرع ، ولا تقطع بسل وتجريد سيف المشاجرة وشجر الصداقة ، وامتلك بحكم « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » من سل سيف التطاول .

بعد ذلك سار فى حدود « داغستان » بعون الله الصمد بصحراء وطريق المقصد ، وانتقم من الافناء والاقناء والاتعاب والاغناء ، والنفى والابقاء ، والاماتة والاحياء ، والابعاد والاعطاء والاخافة وزيادة المال ، والنفى وابقاء العداوة والحب ، واستيقاء الرغبة واتمام الحق ، ويسر دفع واخباث الأعداء ، وترجيه ومساعدة الأحباب ، واكمال العمل وجرح الأشرار وانطباع نقوش المراد ، طاعة النفوس العاصية ، وجعل قصد السفر ل « رادة تصميم العزم وشدة الرأى واحكام الهمة والجام الفرس ، فى العشرين من اسفند سنة ١١٥٥ هـ اتجهت مع الأبطال المحاربين من « دربند » ركائب النجائب ناحية « تركيا » ، ارتفع صوت أسلوب عمل قارئ الملاك بقراءة سورة الرعدة بصوت عال ثم رطب اللسان بتلاوة « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا » ، وأثناء هذه الواقعة قرأت الروح من سورة الواقعة آية « أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » ، وصل من نزول الأمطار أساس الأرض بالماء أن « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » ،وصارت من شدة السيول الشديدة القصور العامرة حوض « فالتقى الماء على أمر قد قدر » ، أظهر الهواء عدم الخجل من كثرة الأمطار ، وامتلك ذلك الذى فى هذا القدح المغطى هبطت من ظهر سطح الفلك على رأس المسافرين « يرسل السماء عليكم مدرارا » وترك جريان السيل الجارف لتسطيح وتسوية الأراضى الصالحة والبور « لاترى فيها عوجا ولا أمتا » ، اشتد انهمار السحب الى

حد أن امتلأ أبريق الفلك من ماء الحقد ، وجاءت قطرة المطر مع شباب العداوة القديمة شدة السحب البراقة ، (أغدر من الغدير) ، وصارت جميع فروع وتفرعات مضاجع الغيث ، حيث تمر الحروب من السحب الصغيرة بذكر (أصابنا جار الضبع) ، بقى قادة الحفل فى ورطة الوحل ، وعبروا من قمة المال والروح ، وصنع الدهر بمهارة فى خراب كل منزل هذا البيت عنه أبو الفتح البستى :

لا ترج شيئا خالصا نفعه   فالغيث لا يخلو من العيث

وساق الزمان من شعر الجديد لـ (ابن المعتز) هذه النغمة ·

ويمطرنا السقف من فوقنا   ومن تحتنا أعين تنبع

آخبر فى بداية السفر الزمان عن معنى «ذوقوا مس سفر» ، وصارت مظلة السحاب نموذج « عذاب يوم الظلة » ، وجاء أشعار أبو نواس تصف حال ·

هو الغيث الا أنه باتصاله   اذا ليس قول الله فينا بباطل

لان كان أحيا كل رطب ويابس   لقد حبس الأحباب وسط المنازل

ومفاد الشعراء :

روينا فما تزداد يارب من حيا   وأنت على ما فى النفوس شهيد

سقوف بيوتى صرن أرضا أدسها   وحيطان دارى ركع وسجود

مطابق هذا المقال « هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال » من هطول الأمطار المتساقطة كانت الجمال المسافرة فى أنحاء الصحراء كما النعام ، وأصبحوا مثل ناقة بطيئة من شدة السحب المطرة سقطت الجمال التى مثل الأسود والجمال الضخمة الهيكل التى لم تكن فى قدرتها شك من سرعة حيث أصيبت بالعرج من ضمور وضعف الوقوع « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » فأوصلوا لحد اليقين ، وأظهروا من نزول « فالحاملات وقرا » حمولات من أحمال الحمولات وأحمال العلاقات « وتضع كل ذات حمل حملها » ، وميز كل الجمال بعلامة (جمال لأهلها) ، واتصف بصفة « تحمل أثقالكم الى بلد » ، عرجت الجمال من كثرة الأحمال والغنائم ، قبلوا صورة « لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس » ·

وحرف كنون تحت راء ولم يكن   بدال يؤم الرسم غيره النقط

وجاء القحط بالاضافة لعلة الوحل ، حول عليق الدواب لمصنع علافة « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » ، كانوا يسبقوا الخيول التى تسير مثل الصبا الى حد أن قللوا من الشعير ، بحيث أن الصبا كان مثل التبن ، والمطايا التى مثل أشهب الشمس لم تتوقف من المتعجل ، صاروا بانسانية غليظ الهيكل ، حيث أن حركتهم صارت كحركة حصان الشطرنج الذى لا يتحرك الا باليد ، تشابهت قوائم الدواب السريعة ـ التى كانت تتعلم من المطايا السريعة على غزال مقام راهو بمطرب نغمة رهاوى ـ من الضعف بأوتار الربابة الأربع ، أنشد المنشدون « ان أنكر الأصوات لصوت الحمير » لأن من حسن الترنم بصوت الطنبور أيضا صوت ، وفى مدينة « خرخيز » (٣) عزف العام صاحب الصوت والنغمة ، وخروا من عـدم الطعام والقوة ، لم يقبلوا الجمال البطيئـة التى تسير بالصحـراء شمالا ودبورا ، ضاقوا من حمل الأحمال الثقيلة ، عندما تعثروا فى نقش القدم ، كانوا يسرعون كالجمال المسرجة التى على السحاب المقطرة ، اكتسبوا فى الفقدان صبر الحمار ، ظلوا فى الوحل مثل الحمار ، أخبر كل حمار فى السير عن فحوى « خروا سجدا » ، وماتت مطايا بلا حصر بصدمة التصادم ، أصبحت الأفراس فريسـة الفناء ، وتراجعت الجمـال القوية عن سلوك الطريق ، وجدوا الجمال الصبورة ضارة فلم يستخدموا الجمال الصغيرة ، صارت النوق مثل نجم ناقة السير (٤) وعاء المسك الطويل بطيئة ومريضة ٠

وصارت الجمال الحريرية المموجة مثل حجر الجرانيت آكلة الشوك ضعيفة وعجافا ، وأصبحت النياق المطيعة مثل شجر الأبنوس من السير فى الطريق الحيوية ومثل العاج جزء من الجسم ، وتشابهت رأس الجمل القوى بالخشب الجاف صندلى اللون ، والجمال الكبيرة عود رائحة كعود العزف ، تضاعف تعب الدواب من كثرة الاجهاد ، ومن شدة الأمطار دار عنان الذهاب من المطايا ، (بصبصن اذ حدين بالأذناب) وصارت الناقة أساس الهموم ، وكثرة الأمطار أصل الغموم (وقع القوم فى سلا جمل) نتيجة ذلك فى المزالق والملازيق والمضايق والمآزق والشوامخ والشواهق والأودية وطرف الصحـراء من وميض البروق الخاطفـة ونهوض الرياح العاصفة ، وتراكم السحب الهاطلة وهبوب الرعود الهائلة وجد جميع دواب المعسكر من الخيل والبغال والحمير ـ حيث اشتحق (ابن المنذر) أن يكون مربى تلك الأنعام ـ نحكم (بغلة أبو دلامة) وحمار (طياب) وشاة (سعيد) وجاء مصداق الحال لأوضاع الجيش مثل (لا ناقة لى فى هذا

---

(٣) مدينة تقع ببلاد الغور أو غربستان ، وهى مشهورة بكثرة المعادن ٠

(٤) نجوم شبيه بالناقة ٠

ولا جمل) سلب الغوادى قوة المشى من أقدام الرجال ، وأسقط السوارى طاقة الركوب من ركبان الرجال .

من كثرة السحب ظل الجيش المنصور بلا جمل أو خيل بل بلا قميص وغطاء ، كانوا يطوون فيافى المخالفة فى كمال الضعف والنحافة بأقدام الامتثال لأمر «هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها» باسقاط « كلوا من زرقه » .

كانوا جميعا مثل ثمر شجرة الآراك فارس بلا مركب بل فارس ركب مطية ضعيفة ، كانوا يعدون الفرس مكنز اللحم مثل ساق زهرة النرجس ، عندما يمتلك كاب السنبل الا ساق قدم حمله ، « وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » ، كانت تنظر كل قطعة أرض للزهور الصغيرة ، كانت تبدو كل منطقة صحراوية من القدم والتابوت بساط شطرنج (يركب الصعب من لا ذلولا له) ، فى تلك الرحلة أنشدت الأمواج فوجا فوجا بشكاية « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ، وأصبحوا متحملين صدمة الأعباء والاعيـاء والمشقة والتعب من الركوب والنزول بمائة تعب ومتاعب ، (ركبوا فى الطلب أعجاز الأبل) من « دربند » حتى نهر « كور » ، رغم ذلك فان الجيش كان فى قمة سوء الحال وبطونهم خاوية ، كان يمطر عليهم كل مساء مطر دائم يعنى مطر ضار جالبا للأمراض (حتى جال الماء على الأرض) ، كانت أوقات الجنود من تغير الفصول تظهر معنى (ندى المزن بالأمطار) ، (رب غيث لم يكن غيثا) ، أربعون يوم مضت على هذا النهج لم تلق السماء الا باللباس الواقى من المطر ، كان يقترن بكاء الجنود بكثرة الثليج ، « بعدت عليهم الشقة » ، تقيدت قدم أهل المعسكر فى عرض الطريق، كان قيد سلاسل البرق والحساب وأسر سلاسل المحنة بلا حساب، كانوا يستريحون تحت الخيـام بأمنيـة انكشاف الغيوم وتفتح الغموم وانقشاع الغمام ، حتى من أربعون يوما من الشتاء من خوف سيل الأمطار ، وظهرت الشمس ، وجاءت بعد طول هطول الأمطار ، وانتهت أيام دوام المطر بصفاء الشمس وانقطاع المطر ، وظهرت نجوم المرام ، وانحلت العقد العائقة ، وانجلى الحجاب المانع ، وتبدلت مناهج العسر بمناهج اليسر ، ظهر من فصل الرونق رياحين وروائح الربيع « والله أنبتكم من الأرض نباتا » للبستان والصحراء الجنون الموسمى وموسم الجنون ، وصار من رونق الليل وشأن بستان « فيها من كل شيء موزون » كل شجرة بيد مجنون بل مجنون الصحراء ، وأعد قرب المكان المعروف بـ « جواد » (٥) جسر على نهر « كور » ، جعلت كوكبه العظيم صحراء « مغان » من رفع

(٥) جسر جواد جسر على ملتقى نهر كور وأرس .

الخيام الذهبية القباب نموذج ساحة السماء ، وقاموا فى ذلك المرتع الواسع والبستان الكبير تسمين الضعيف النحيف واطعام الخيول والجمال النحيفة الشاحبة ، رأى المترافون المذلة وتحملت المشوقات المشقة ، ووجدت الجمال ذات الوبر والدواب العجفاء من السمنة عظمة البهاء ، كان الجمل الضعيف الذى مثل القمر الحديث من سير المنازل من الضعف بحيث كان مشار اليه بالبنان ، فى خلال أسبوعين أصبح مثل البدر من البدانة وظهر فى أجسام الضعفاء من التحام اللحوم والاعصاب آثار « انظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما » وأصبح أهل المعسكر من الحياة الهانئة نجاح « كلوا وأشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » ، (وقع الناس فى روضة وغدير) (٦) ، بعد صعود المرتفعات الصعبة والمضايق المتعبة اتجهت خيول المناعة والشأن ناحية المقصد ، أرسل « أحمد باشا » والى « بغداد » عدة أشخاص من الأعيان الأكابر الى ناحية « سنندج » بالخيول المزدانة المسرجة لاستقبال موكب كواكب الأفواج المتتابعة •

خير ما استطرف الفوارس طرف   كل طرف بحسنه مبهوت

هو فوق الجبال وعل وفى السهـ   ـل ظليم وفى المعابر حوت

أظهر التوشح بانتهاء أمر الصلح ، وأدى اعتذارات بالغة « كاعتذارات النابغة » ، وسافر فى بياض الصبح حيث أن قافلة النجوم السيارة ثابتة النية ، وجعل سفراءه من نفس المكان بقصد انقطاع حبل الممالاة وتمهيد مراسم الموالاة ورفع الغائلة الطائلة ودف المنازعات غير المفيدة لرسول البلاط العثمانى •

اتجهت الراية المنصورة من طريق « شهر زور » (٧) بقوة التأييد الالهى الى قلعة « كركوك » ، هرب (خالد باشا) حاكم « شهر زور » ودخل ابن عمه (سليم بيك) بارشاد رشاد « اذ جا ءربه بقلب سليم » من باب السلم والتسليم ، وسلم له ايالة تلك الولاية وأصبح القواد « الأكراد » أيضا بعوارف منظمة وعواطف مهذبة ، وأودع كل واحد طريق « فقد جاؤوا ظلما وزورا » ، وتركوا موضع القهر والدمار •

---

(٦) يضرب لمن وقع فى خصب ودعة •

(٧) تقع بين أربيل وهمدان ، أهلها كلهم من الاكراد •

- ٣٨ -

بيان حال «الموصل» وتسخير «كركوك» و «أربيل»

«ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » بعد انتهاء مهام « شهر زور » أصبح خارج قلعة « كركوك » مسقط شعاع المظلة المذهبة ، وتعلقت قباب الخيام على قمم الأخبية (١) أحتمى أهالى « كركوك » باحكام السور الذى كان فى المتانة والقوة بمنزلة مدينة « كماخ » (٢) ، اهتموا بحراسة الحصن ، حمل المدفعجية بأمر الملك المدافع قرب حائط القلعة لضرب القلعة من الأطراف الأربعة ، فى يوم آخر ضربوهم من الصباح حتى العشاء تلك الثعابين تنين الهيكل من فوهة جهنم الزبانية على مقام وسقف أهالى القلعة ، نثروا النـار وأحجار القذيفة التى كانت نازلة منـزل آية « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة » ، ونقشوا من الطلقات النارية على صحف مصير ذلك القوم نقوش « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » ، وجعلوا ألواح الجدران مكتوب عليها بقلم رعد صوت المدفع « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » ٠

وقت الغروب ـ حيث ان المدافع حاملة الظلام من خان سوء الحظ ـ أظهر الليل المظلم نهارا مضيئا على أهالى القلعة ، أخلوا داخله من اشعال الصاعقة والتشريد ٠

جعل ساحة القلعة مليئة من أجساد بلا حياة وأجسام قتلى ، وبقى من الأمر هيكل القلعة وأسفل الحصن ، ووصل للطرف من يد المدفع ضارب فتحة البروج ، وطوق باب القلعة من خوف تنين الصولـة مثل الأفعى ، أخرج لسان القفل بالحاح ، سحب أهالى القلعة ذيل الاستيجار بيد الأناية ، أملوا فى بشرى الأمان وسلموا القلعة ، أسرع فوج أيضا بحصار واحاطة قلعة « أربيل » التى صارت سطوة حكام القلعة من قبل صبر وقوة حمل المعين وأهالى القلعة بعد احاطة تلك المنطقة بأمر « قولوا حطة » محو خط خطائه بوسائل أمل ، اعترف بجرمه ، واعترف من « نيل » نيل المراحم

---

(١) سعد الأخبية المنزل الخامس والعشرين من منازل القمر ٠

(٢) مدينة تركيا تبعد عن ارزنجان مسافة يوم واحد ٠

الملكية ، صاروا من هذه الغرفة قصر درجات « أولئك يجزون الغرفة » ، ثم تزاحمت كوكبة الكواكب المتتابعة ناحية « الموصل » ، سكن بجوار مزار الجنة آثار مظلة المكرمة « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » (يونس ابن متى) على نبينا وعليه السلام ، أثارت جماعة من مقدمة الجيش فى أطراف القلعة غبار الطيش والفساد ، فى تلك الآونة انضم (أحمد باشا) قائد الجند من ناحية « ديار بكر » (٣) الى « ماردين » ، ضبط العنان بعلة مصاحبة الجيش ، أسرع لمعاونة (حسين باشا) والى « حلب » (حلب الدهر أشطره) بالصخب والضوضاء لدفع الملك عالى الحسب الذى يجلب كل صبح من العشاء و « حلب » ، وطلب بالسيف المصرى كل مساء من « الهند » أتاوة وجزية وسلاح ، أسرع الباشا المذكور بدخول « الموصل » ، وربط على الوسط حزام المحافظة على القلعة لمساعدة « حسين باشا » والى تلك الناحية ، بقدر ما يقدر ويطاق ، لكن (فوج باشا) حاكم « كوى » — الذى كان قد خطف شجاعة الكثرة من الأكفاء — وضع القدم فى ركاب المعارضة من رأس التهور بفوج عظيم بهدف دفع العدو القوى ، رأى أشهب الشجاعة حدة العنان وآثار الجلادة والقتال ، سحب سيف الوقاحة من الغلاف بقصد الهجوم والالتحام ، وهاجم فى ميدان التعالى والمغالاة ، لكنه خسر نقد الاسم والشرف فى ساحة التجلد .

صغى ينبوع خط أهل الحرب مثل عين ارم ، صار جسد المقاتلين « العثمانيين » من تفتح براعم شق جروح غصن الورد الأحمر ، وأسروا جماعة طعمة السيف المميز ودوال سرج الخيول السريعة ، وانتهت رؤوس الجنود فى مجلس الحرب من بقاع جرعة غنائم الثمل ، واستطرف فى أحد طرف نياق أحوالهم حاملا الأناقة ، وبدأ الأمر بمدلول « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » أصدر لشرح رسم الايعاظ بايعاز القلم صحيح البيان منشور مبنى على قلع شجر التشاجر ، ومذكر عن فحواى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وحكم مبنى على رفع غوائل التنافر مصدر بخاتم « انى لكما من الناصحين » من مصدر الأمر باسم والى « الموصل » و « حلب » ، ولكن الرسالة والأمر لم يحدثا أثرا ولم يوصلا للمطلوب « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما » ، وتعدى الأمر من المراسلة والرسائل الى ارسال رسل وسفراء .

ولا كتب الا المشرفية عنده ولا رسل الا الخميس العرمرم

---

(٣) ولاية كبيرة من الممالك العثمانية (سابقا) ومعظمها واقع بين دجلة والفرات .

المهم سحب من ألسنة التملق أسبنة الجديد ومن الأقوال القوية المعاول والسيوف والجاروف ، وتحول الجواب الى نصل النبل التى هى ناسخة الأرواح ٠

فلا قول الا الطعن والضرب عندنا ولا رسل الا ذابل وحسام

واستعد الجانبان للحرب بمفاد (النقب ميعاد مزاحيف المطى) ، ويبدأ الشق من ناحية أصحاب النقب والثقب من باب السبعى بالمعوال محطم المخ والمغارف التى تشق الصخور ، ومن الجانب الآخر فتح أصحاب الدق والضرب — بسد الملاجىء — أبواب المحن على وجه أهالى القلعة ٠

فتح حصن التحصن من فتحات النافذة بوجه وثغر ضاحك يضحك أسنان مظهرة الشفاة ، جعل مزغل الحصن برصاص الحراس مثل كحل العين ، وضع العين على طريق الانتظار ، وفى ليلة الخامس عشر من شعبان شق أصبع القضاء القمر لنصفين ، وسلك الساقى الدائر من قبة الفلك الأزرق بكأس البدر التام على نصف أهل الدنيا ، وضع الملك (سليمان) القدر القدم بحلقة عين الركاب ، جلس فى « الخندق » بجيش (بهرام) القهر بنجوم جشم العين بطريق سطوع بداية الفجر ،حتى عندما اشتعل الصبح لنقب الأفق من الشفق ، وتطهير دخان الظلمة ، صب الأبطال شرر نار المزاج من الأطراف مثل الشعلة الدائرة مثيرة الحرارة وناقب ثقب نقب مثل قلوب محمى المحصورين ، لم يكشف النقاب من وجه شاهد المراد بمساعدة العمال الخبراء ، (انه لنقاب) ٠

اذا لم يعنك الجد فالجد باطل وسعيك فيما لم يقدر مضيع

تشمروا مرة أخرة استعدادا للهجوم ، عندما لم يصبح الخيل الجامح فى أيام سعيد المراد ، سكب سكان القلعة المساكين دموع الندم ، ومحوا رسم المناقشة والمناوشة من لوح الخاطر ، وسلموا طريق الحروب ، ومال الباشوات أيضا من صولة الأبطال العجزة للعجز ، وسار خيل الانكسار فى طريق الاضطرار ، وأرسلوا رؤساء الجيش لخدمة العظيم ، أرسلوا الخيول العربية الأصل للصقر الطائر الذى كان يوصف فى ساحة اللعب بهجوم البرق :

ومطهم مرخى العنان معود خوض المهالك كل يوم براز

واذا توقل فى ذرى متمنع صعب بعيد العهد بالمجتاز

تركت سنابكه بصم صخوره أثرا يلوح كنقش صدر البازى

عرف المسافر طريق الآداب ، صـــار عدة أشخاص من المفتين ذى الشأن رسلا لبلاط الخلافة العثمانية ، وحدث المرايا المراد بلا قتال فى المرايا حسن القبول على الوجه مرغوب الشـــكل ، وتبدل سل وتجريـــد السيف لاغماده فى جرابه .

بعد ذلك انعطف عنان العزم من أرض المعركة ، وانصرف موكب ذى الشوكة المسلح بسرعة ناحية « شكى » (٤) ، أقام فى تلك النواحى رسم التوقف فى انتظار المفتين وطال نوم السيف المغلف فى منام الغـــلاف ، وتزوج كل فرد فى حياة هانئة ، وانقلب فراش السرج لمهاد الراحة المريحة .

---

(٤) ولاية بأرمينيا تقع على نهر كور تفليس .

- ٣٩ -

بيان حرب (يكن محمد باشا) قائد الجند الثالث وانتهاء أمره بحكم القضاء

« ان فى ذلك لعبرة لأولى النهى » فى أثناء هذا الحال وأثناء هذا الأمر تم عرض الأمر ، حيث أن لم يصل أمل الموصليين للقبول فى الدولة البهية العثمانية ، لم يجعلوا الأرض المروية بالعهود المعهودة منبت حسن الأثر ، وعادوا لهم بجواب (ليس الشامى للعراقى برفيق) وعين (يكن محمد باشا) الصدر الأعظم السابق لقيادة الجند ـ الذى كان السهم الباقى فى كنانة تلك الدولة بمصداق (هو أوثق سهم فى كنانتى) ـ ، كانوا قد أرسلوا الى « قارص » كتائب الجلادة المرعبة ، جعل الملك الذى بلا نظير بعزم اعياء وارهاق الخصم العنيد والفوج الجاحد رفع الأعلام وارسال الجنود ، أظهروا لصقر « مراد تبه ايروان » مضرب خيام النصر ، وتحرك قائد الجند أيضا من « قارص » لاظهار الغرور والكثرة ، دخل بأربع فراسخ معسكر الملك فريدونى العظمة السخى بالعزة والقدرة والشوكة الواسعة (جاء بذات الرعد والصليل) ، وتزينت أفواج المقاتلين « عن اليمين وعن الشمال عزين » مثل أسد العرين بسلاح ٠

سمر وبيض ان عرين تسربلت بدل الجفون جماجم الأبطال

« لقد أحصاهم وعدهم عدا » ، وأرسلوا أبطال الحرب فوجا فوجا مثل توالى الأمواج لمعركة المعاركة والاعتراك ٠

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قرا ع الكتائب

« تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » تزلزلت تلال ووديان تلك المملكة من قدم ساق الخيول الصامتات ، « اذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا » ، وغمرت مدارج الجبال بتراب الظلمة من تصادم أقدام الخيول بالرياح السريعة ذات الرؤوس الحادة ، « فكانت هبآء منبثا » ، صار زئير الرعد مثل خيول برق قوائم خيول ٠

اذا وطئت بايديها صخورا بقين لوطى أرجلها رمالا

وألقى للعالم يقينا بشبهة « اذا جاءت الطامة الكبرى » ، وأعطى رونق الخيول المختارة السريعة أحزمة ·

سود حوافرها بيض جحافلها صبغ تولد بين الصبح والغسق

وحدد من مدلول « ما تذر من شيء أتت عليه الاجعلته كالرميم » ، وصار البطل المحارب بالبرق الحاد والسيوف الماضية مثير دهشة القلوب، كان يحرق بيدر وجودهم الواحد تلو الآخر ·

كأن سنا الماذى فوق متونهم مواقد نار لم تشب بدخان

كانوا يخيطون الحجاب الزجاجي بأسنة السهام والرماح لأشفار عيون الأعيان ·

والطعن فى الأحداق دأب رماتهم والراميات سهاما الأحداق

يوميا كانوا يجعلون ـ على وتيرة واحدة ـ فى ميدان التلاقي والقتال وساحة التراشق بالنبال والقطع بقصبات الرمح والسنان اشعال نيران القتال ، كان قائد الجند (العثماني) يتقدم جنوده وجيشه مع أبطال ومبارزى ساحة قتال البطولة حتى وصل قبل المعسكر الملكى بنصف فرسخ، رفع خيام الاقامة ، مقارن ذلك الحال سحب أمير جند الأجل مزين ميدان القتال من مكمن قوس الحقد لتأديب عدو الحرب الناظر الى الأذن ، وفتح من قبضة شبكة (الأفلاك قسي والحادثات سهام والإنسان هدف والله تعالى الرامي فأين المفر ؟) عجز قائد الجند بالقوة ، في نفس اليوم كان عمره في آخر العصر ، وتبختر بحكم القضاء من قضاء الوجود لايوان البقاء ، وفسدت وسائل تفاخره ومباهاته ، وخمن آثار ثورة المعسكر من بعيد ، وحرضوا خيول الفرسان المفترسة للهجوم والفوضى والهياج والاثارة ، وارتبطت ولولة وثورة وغوغاء واحتفال جميل في طرفة العين من كلا الطرفين بطرفة ، انهزم الجمع والحشد (العثمانى) وانخرم سلك انعقادهم ·

واهتم الجيش (الايرانى) بتتبعهم واقتفاء أثرهم بلا توقف، وتعقبوهم حتى حدود « آريه جايى » ، هزموا وأسروا جمعا كثيرا بسهولة ، ودخلت خيول كثيرة من خيال وخيل ومتاع بلا حصر بحفظ الاجتلاب وساحة السلب وحوزة النهب وحدود الاكتساب ، وأسرعوا من هناك مثل البلاء المنزل النازل بمنزل عن طريق « أصفهان » الى « خراسان » ·

- ٤٠ -

بيان قتل (نادر شاه) مع الأولاد والأحفاد

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » ظهر على دقيق الطباع الدقيقة وشمس خمائر صبح النفس أن يظهر أنوار القادر ذى الجلال فى مقام حيث شعاع الظهور ، منح الذرة التافهة رونق الشمس ، والشحاذ المحتاج الدرجة الجمشيدية ، وقطرة البحر للمشرب العمانى ، والنملة الضعيفة الشوكة السليمانية .

ـ الأسد القوى يفرك النملة .

ـ تتجرأ بعوضة على فيل جرىء .

بعد ذلك بآية « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » جاءت النفس المخلوقة بشر البشر وبسر العتو والعصيان ، وضع القدم أعلى تل الطغيان وهضبة العدوان وساحة الظلم وقمة التكبير وتل الفتن ، أصبح ريح قهر بطل جلاله مقلب ورق الدفتر المصغر وورق أشجار حديقة النعم ، تهدمت غرفة رأس « النمرود » بهواء تحرك جناح البعوضة النحيفة ، أغرق بالعصا الخشبية أساس عظمة وعون « فرعون » ثارت الأبابيل لمعارضة أفيال (أبرهة) ، أسقط عرش حظ « بختنصر » (١) أوهن من بيت العنكبوت » ، حلبوا للضحاك بمفاد هذا كل موضع الكتف ، وضع على الكتف مكافأة وعمل حمل جزاء العمل ، وهدمت أركان « شداد » الشداد بنفس واحد من عواصف القهر ، « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » لم يتمهل فى استرداد عطايا نعمائهم ، « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل » ، رغم أن «نادر شاه» فى بداية الأمر جعل نفسه سلسلة مليئة بالعقد وتحمل المحن على سبيل الشفقة بالعباد « كذبالة السراج تضىء ما حولها وتحرق نفسها » ، مثل المصباح وحيدا لثياب اعتنى فترات بحب شمع السلطنة ، واعتبر أهالى « ايران » ذلك المصباح مضىء الليل مقتبس من النور الالهى ، كانوا يدورون حوله مثل الفراشة و (أطيش من فراشة) ، لم يخافوا على آجالهم من النار المضرمة ، نهاية ملك ملك ملوك العظمة مكافأة للخدمة أدت للكفر ، وتبدل القسط الى ظلم ، وسقط من مصداق « ان الله يحب

---

(١) ملك بابلى معروف من السلسلة الباشية وقد حكم حتى عام ١٠٥٣ ق.م.

المقسطين » بمهبط « وأما القاسطون » وتقدم بوجه قاطب لجميع سكان الأقطار والعظماء الأقطاب ، حيث أنه سحق فرع محكم وبارز على السماء ، فماذا جنى ؟ ، غفل عن مضمون « كن صاحبقران ولا تكن كصاحب قران »، ولو أنه عدل لبقى مدة أطول فى ممالك الوهاب ، لكن أثمر غصن شوكته شوك الخسران بمآل (أجفى من الدهـر) و (أجور من حاكم سدوم) و(أظلم من الجلندى) (٢) و (أشد من الشداد) ، ورغم أنه جمـع من صورة المقبولين عملة (هذا باطل) ومظهرين (هى الخمر تكن الطلا) — يعنى الذهب الأحمر — قناطير بالظلم ، لكن فى نهايـة الأمر باع دينه ودنياه بذلك ، وحيث اختزن أموال بلا حصر ألمع من النجوم بدون تفكير فى يوم الحساب ، آخر الأمر حرز من الكف بالنسيئة والنسيان وتأخير الشكر «انما النسىء زيادة فى الكفر» ، ألف وأحب لوازم التنافر والبغض ، وتقارب وسعى لوسائل التباعد والتجانب بينه وبين أهالى « ايران » ، وصارت بعض السيئات تابعة لتلك الاستنكارات وذؤبة تلك الكراهية ، وأصبح هذا المعنى متبوع بذهاب فيض رونق المملكة ، ومستردف نضوب ماء نمر السلطنة ٠

توضيح هذه المسألة وتفصيل هذا الادعاء ، أن الجناب النادرى فى سوالف الأيام وأوائل الأعوام عندما كانت أرض بستان « ايران » سحقا لهجوم الأعداء ، اعتمد وتوكل على الواحد الذى بلا شريك ، حصد الحشيش الخسيس الموجود بذلك البستان و (البستان كله كرفس) بمعاونة مالك بستان القضاء (أبطش من دوسر) (٣ ، ٤) مثل الأعشاب الضارة حصدها كلها بمنجل جزاء العمل يعنى المنجل الحاد ، وكان يخرج العشب الفاسد بقطع رأسها جاعلها طعمة السيف ، وأظهر لحديقة الدهر بحرية السياسة نموذج « غير باغ ولا عاد » ، ونزع من شوك الأشجار شوكة العصيان ٠

وبعد استقرار أوضاع الممالك مثل شمس الدنيا ، سل سيف الحرب ودفع دم الظلم بمبضع الرمح من عروق الدهر قبيح الوجه ، ومحى بعد السيف صـورة الأحداث من صفحات الملك ، واسـتولى على « الهنـد » و « السند » و « توارن » و « خوارزم » بصرف الهمـة ، بسـط بساط العدالة ، بذل نقد الأوقات الثمينة فى تنظيم المشتتات والمبددات وتقويم المعوجات والشاردات ، ورفع الأمور الشديدة عن الشريف والصعلوك ، « انه لقول فصل وما هو بالهزل » ، وصار من يمن حظوظ خدود حدود الأقاليم أن جرح بأظفار القوة الأعداء الماكرين وحساد العالم « فلا تك فى

---

(٢) الجلندى هو الملك الذى ورد ذكره فى سورة الكهف الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا ٠

(٣ ، ٤) والدوسر كتيبة من جيش النعمان بن المنذر ٠

مرية منه انه الحق » ، أضاءت شمس التفاتته على أنحاء حال ضعفاء ذلك الزمان ، ونثر نور تلك الشمس المنيرة على ظهر ومفرق النور ، وكانت يده وقلبه بعطاء وقوس تدبيره بلا خطأ ، كان يراعى حسن المعاملة مع أئمـة القـوم .

بعد العودة من رحلة « داغستان » ، ظهرت ورقة الشآمة على بـذر أحواله (٥) ، وأصبح فرع اقباله من الادبار بلا ثمر ، ووضع قمر بدر بخته الوجه للانحطاط ، وأدت عواقبه وأساليبه للضلال ، ودأب على اذلال نفسه ، (أمور الله جارية على اذلالها) وحطم أساس أهرامات ممارس عقله مثل أيوان كسرى ، (أدبر عريره وأقبل هريره) ، ومن شدة الفساد والضلال قطع سلاسل حسن السلوك ، اعتبر ــ بلا اجتناب ــ قطع واجتثاث أشجار أعمار الأبرياء زينة بستان دولته واحتشامها ، وتمسك بذيل سنزيل « كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا » ، لزم الظلم ، واعتبر مال وماء المظلومين على نفس الظالم مثل لبن الأم للرضيع ، وأصبح على ادخار الحطام الدنيوى أحرص من الظامىء على الماء البارد ، وبدل معارك النزال بمخازن الفضة ، وأماكن المبارزة لمكامن المضاربات المالية قوضـا بقوض ، وسلك أسلوب وطريقة الفلك الأجوف ، تقدم أحمق الملاطفة مع الفلك القوى المكار الظالم شريكا ، وكان فى خيمة العالم مثل الفلك الدائر ، وأظلم العالم من ظلمات الظلم على أعين الترك والتاجيك ، اختلط ماء معاشهم القليل بالحصى ، وجعل بكل بدعة مهنة أهل الفن بمعاونة القضاء نهاية الرأى الأعوج ، وصار كل خياط كيس كاتب رق ، وصار كل عقرب الطبع محتسب ، وكل كاذب ملاذ ، وصـار كل مخادع عزيز ، وكل فاسـق قادر ، وتفـاخر كل فاجر ، وهبطت فرقـة شوق حفظ العشق للدرويش (٦) ، وقرأ القارىء شيخ الفلك سورة غضب الحرص بأذن روحه ، وطرأ طمع كثير غير قليـل على مزاجه ، وصار متاع الدولة الذى كان يضربه البطل على بيدر القمر مثل كومة التبن فى مهب الريح واعتبر التلذذ هو تذوق طعم العلقم ، وصب الدم الأحمر القانى للضعفاء بالأرض من كل حدب ، وجعل بالسن المؤذى خاطر أصحاب الشأن نموذجا لعش العسل وعش النحل ، ودخل من الأقواس والأخيار تلك التى بخياله ، قرأ عليهم « أصب اليهن » ، وأغمض عن وعيد « انما توعدون لآت » ، وألقى بشباكها الاضطرار من أجل فلس واضح للناظرين وضوح القمر ، فى الحقيقة ضرب القدم على كأس دولته (البغى

---

(٥) يبدأ (ميرزا مهدى خان) من هذه الفقرة تغيير لهجته التى صار عليها طوال درة نادرة من مدح لنادر شاه الى ذم افعاله واعماله .

(٦) هذه العبارة صوفية فالخرقة هى الثياب المميز للدراويش وكذلك كلمتى الشوق والعشق المقصود بهما الحب الالهى .

يسلب النعمة والظلم يجلب النقمة) ، وعندما ظهرت شمس عمره على الحائط ، عمل بمثل الشيطان سيء التفكير ، (او الهوى شريك العمى) ، وظفأ وأخمد مصابيح العائلات بعواصف الظلم والاقتلاع ، وأشعل نار الظلم « كلا انها لظى نزاعة للشوى » .

فى النهاية سقطت شرارة من نار جحيم الشرر وبرق بدون رعد على بيدر الوجود وقصر باب دولته ، وصار الظلم الزائد منتج الملل والشؤم ، وخال وجه الشهامة ، وظهرت خسائس الخصال ووضاعتها ، وخصائص أخلاقه ورزائلها مع أخلافه أيضا ، وضع أيضا تأثير وسر آية « فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » ، كانوا يقولون أن دولته ونيته شريكا العنان ورضيعا اللبن من ثدى واحد ومعتقان من رهان السباق وصديقان فى فترة الصبا ، حتى جعل لأهل « ايران » البغضاء وخصومة فى القلب ، وشطر أساس الدولة باليد نصفين ، (اسكندر) العظمة الذى كان يرى فى مرآة الجبين رسم « خائنة الأعين وما تخفى الصدور » مثل المصباح الذى لم يكن يراه وهو تحت قدميه ، وملك الدراية الذى كان ينبأ من حدة الذهن وجاذبية الفطنة والطبع وعذوبة الحديث عن قصة الحوادث الحديثة والقديمة ، وكان يدرك أسرار السرائر من خطوط كف اليد وعقد الجبين ، ولم يدرك البديهيات الوحيدة التى كانت عديلة العقل الأول ، وأظهر بالعقل العظيم كشف خبايا الأمور ودفع شدائد الدهور ، وهكذا اعتقل فى عقال الحيرة ، ولم يعلم أن حسن المآل من سوء الختام ، والعاقل الذى يجيب السائل من نهاية العقل عن المسائل الصعبة الجارية مثل الماء الجارى ، الى حد ما صار مشوش الرأس بحيث أنه لم يجعل من غلبة الجنون ادراك اضطراب الأمور ، وكان يجد تجعد شعور الجنون حيث (الجنون فنون) يوم ظهور التجعد ، حتى أنه فقد سلسلة الدولة بعدم مبالاة مثل السفهاء ، وضرب بباطن القدم خيل الظالع من الطبع العاصى ، (اذا أراد الله سبحانه ازالة نعمة من عبد ، كان أول ما يغير عقله وأشد شيء عليه فقده) .

تخيل الايرانيون أنه آية الرحمة ، ورسموا على صفحة القلب رسم محبته ، وزرعوا غصن ولائه فى أرض الروح ، كانوا يدعون بكلتا اليدين برجاء جلى ثمار المراد ، جعلوا من قمة منبع العين رى رياض دولته ، كانوا قد أظهروا بانتظار ربيع رياض السعادة آثارا مثل العين البيضاء ، فى النهاية أكلوا من احراز المدعى المحروم بشوك شجرة (المغيلان) (٧) ، وأكلوا بدلا منه زهر العشب والحنظل ، (وقعوا فى عبو ثران شر) ، (طمعوا أن ينالوه فأصابوا سلعا وقارا) ، صار زمان الخلافة نخل الآفة ،

---

(٧) شجرة كثيفة الشوك .

وأيام ملكه أساس الضرر والخوف ، وجاء عهده مناعته مغهد المتاعب ، ومهد راحته مهاد المصائب والمضاعب .

ليس البلية فى أيامنا عجبـا ان السلامـة فيها أعجب العجب

ابتدع اختراع من جملة مخترعات الطبع النادر بمدلول (لا ينبغى للملك أن يجرى على لسانه عدد أقل من ألف) ، أن كل لك ـ الذى هو خمسة آلاف تومان ايرانى ـ يسمى ألف ، من المغرب الى المغرب ، ومن بداية المجلس حتى النهاية مثل ألف الابتداء والانتهاء ، ولا يكون بداية ونهاية حديثة الا بذكر ألف مساعد ، ويفتح نهاية الحساب بمقاليد الكلام الصعب ، أظهر دقاقين حوانيت تعدية الرواج والازدهار فى العمل .

وسعى السعاة سعداء فى سوق ضرر الناس حاملين متاعا حقيرا ، ونسجوا بسدى ولحمة سوء النية وحابل ونابل قبح السريرة منمنم النميمة ووشى الوشاية .

كدود كدود القـز ينسج دائبـا ويهلك غما وسط ما هو ناسجـه

ولم يعرف المفترون بلطيفة (المفترى لا يذوق البرد) باردا من حارا ، كانوا يقطعون ما لا ينقطع بمقراض بدائى بهيكل كل شخص لابس لباس الافتراء ، كان هو أيضا أمر نمام ناقص فى محكمة غير منسوخة بعدالة النبى المرسل وحججه الداحضة وأقواله المتناقضة التى تحكى عن مضمون « ان هذا الا افك افتريه » ، وجد وحيه المنزل وأوامره المجعولة وأساطيره المجهولة التى كتبت « هذا بهتان عظيم » مسجلة بسجل قاضى القضاء ، كانوا يكبلون المتهمون « فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا » .

ما يبرح الدهر يتلو حجة كذبا عمياء ليس لها وجـه وعينان

لها شهيدان من زور وكاتبها هى بن بى ومجنون بن شـيطان

وكل واحد من المفترى عليهم الذين لم يذعنوا ويستسلموا للتهديدات « لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف » يقروا على الفور بمفتريات خلاف المفترى بصمت وسكون يعنى (أقر صامت) والا صاروا عرضة للتصليم(٨)، كان ينكر مؤدى المال المؤدى للفساد الأسوء ، وكل حرف يزيد على ألف يضيف له نقطة صفر آخر ، وكانوا يظهرون من شدة الظلم والقهر أمرا بقطع اليد وكسر الأنف وصلم الأذن وقلع العين وجدع الأذن والأنف.

---

(٨) جدع الانف والاذن .

وما شابه ذلك ، والتركيب الذى امتلك الصورة الصحيحة من فحوى « له عينين ولسان وشفتين » لم يتركوا باقى (دهن فمه وأهرق دمه) ، كان يتمتم كل شخص فى تخليق الافتراء أو تصديق المفترى بكلمات من تحت الضرس ، أو كان يفتح الشفاه للاستشهاد والاستدعاء « سئل القرية التى كنا فيها » ، فعل بالأسير النقف (٩) والدمق (١٠) والصلب والدمغ ، كانوا يطوون عليه صحراء السياسة وجسور العقوبة ، حتى أنهم كانوا يظهرون لأولئك الجناة أيضا من طريق الظلم والقهر جانب الظلم المشقة والنصر والغلبة ، تجرأ بتلفيق الأكاذيب وادعاء الباطل ، كان يفترى بمصداق (عند النوى يكذبك الصادق) (١١) ، من أجل كل عاجز غرس نواة مائة نوع من الغروس ، ولا جرم اذ كان يعطى تحت الفلك من جرم الشمس جرم على على فلك الأسناد ، لابد أن ضرب العصا كان يزين شجرة الافتراء من أجل الطيب والشرير بمائتى نوع من الفروع والأوراق ، لم يمتلك الفقير العريان (أفقر من العريان) (١٢) و (أفلس من ابن المذلق) الذى مات من الفقر مثل ألف نقطة الفلس ، كان يحول آلاف الألوف باسمه ، كان ينطف بايلام السيوط وأسواط العذاب للحياة من الماء العذب ، لم يكن يتألم من الآلام والعذاب (أعض من الكلاليب) ، أظهر بدلا من كيس نقود العين عين كيس النقود على الجاه ، كان يودع ألسنة النار أذنات نقد الروح ، مع هذا لم ير أهله وأولاده وجه الخلاص وقيد وكبل الجائع والمريض بشبكة القنص ، كانت تصل اليه سلسلة الافتراءات من تناقل الأحاديث المهلكة للأرواح بالوثيقة والسند للمدينة .

كل من أحرق يوما كدسه　　يتمنى حرق أكداس الأمم

كان وكلاء الديوان ـ بمحض تلك الأسانيد التى بلا سند فى الموضع والمكان على الرجل والمرأة ـ يطالبون بتعليقهم فى الأسواق من القدم بميداليه ذهبية ، كانوا يعتبرون جريان دمع العين بحسرة بلا حصر على وجه الأرض بدلا من كيس الذهب ، كانوا يودعون باللهب رغبات نقد الروح .

الحاصل أنه كان يظهر العظماء والصعاليك من ظلم ذل القوم الجبارين الغادرين فرط التجاوز فى الغذاء والاطعام من فلذة الكبد ، كما كانوا يحرمون الكبار والصغار على سبيل الاذلال الاكثار من العشاء والجماع ،

---

(٩) تحطيم أوتار الرأس .
(١٠) تحطيم الأسنان .
(١١) يضرب مثالا للرجل الصادق ثم يكذب .
(١٢) وهو العريان بن شهلة طلب الغنى فلم يزداد الا فقرا .

وجعلوا ثلاثة أشخاص ضالين (رماهم الله بثالثة الأثافى) مثل ثلاث درجات موقد سماء الشأن بل كأربع أركان ايوان الدولة مثلث البنيان ومصداق عمل وشغل وقائد « وجعلناهم أئمة يدعون الى النار » باشارة « فمن تبعنى فانه منى » ، كان قد اعتقل حدود حريم الحضرة اللواتى تقدمن بطرق حق العداوة ، ذلك الذى يتصف بصفة الاسترداد ، فى الحال تزين بتلك الزينة ، تحزم بنطاق نطق « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » ، وكانوا يتذوقون بالملوحة والملاحة أوامره (أمر من المر واللالاء) بلا تلويث العجز والشك « واتبعوا ما لم ينزل به سلطانا » ، وبناء على القول العارى من النقص والقلة حيث صدق « المعرى » •

اذا صدق الجد افترى العم لفتى   مكارم لا تخفى وان كذب الخال

أقواله وأفعاله ممدوحة ومحمودة ، كانوا يوضحون الصادر عن وحى والهام الرب الودود « كذلك زين لفرعون سوء عمله » « وزين للمسرفين ما كانوا يعملون » ، وصار هذا المعنى بتسويل تلك القرود الثلاثه الكفرة (قطع الله نسناسهم) فى ضميره الى حد الملكة الراسخة ، الذى لم يصبح فى أى أمر غبار حجب الحجة والتحقيق ، وذلك الذى خطر على خاطره وكان يجرى على لسانه ، واعتبر الجميع انه تنزيل حق ووحى مطلق ، كان يسرع للمخابرة والتجسس « لبئس المولى ولبئس العشير » ، ووقت حساب العمال « ويوم يقوم الحساب » • لم يزن أوزان عدل العادلين عشر عشير الله عدالته ، ومع هذا كله كان يعتبر غير لائق بدون حساب قسطاس تمييزه (أعدل من الميزان) ، وطعن عدة مرات « أنو شروان » بطعن الانحراف ، وجعل الكلام مردف بهذا المضمون •

يا أيها السائل عن مذهبى   لتقتدى فيه بمنهاجى

منهاجى العدل وقمع الهوى   فهل لمنهاجى من هاج

وأحيانا كان يتعجب ويستغرب فى أمر الكثير والقليل والعسير واليسير ، أظهر الأشرار المقربين « واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود » ، بتصديقات بلا تصور دفع تردده ، كانوا يؤكدون له ذلك الجرم •

انى أرى صاحب السلطان فى ظلم   ما مثلهن اذا قاس الفتى ظلم

فجسمه تعب والنفس خائفة   وعرضه عرضة والدين مثلم

بمناسبة المقام كان يورد من واردات الطبع :

صحبة السلاطين تسحب بعضها بالسلامة وبعضها بالندامة ، فرب

قرب قرب من السرور وبعد عن الشرور ، وهو باب المحبة وسبب الدل ، وبدر البلاء ودرة الرحمة والغناء الجاذب والريح اللافح والجنة الحامية ، ويعلى لك الأخطار ، وكم من تقرب نفرت وبعرت وبفرت منه الطباع وللطبائع والطبائع أطباع ، وهو ناب المحنة وسبب الذل وبذر البلاء ، ودرة الرحمة ، والعناء الحادث ، والريح اللافح ، والحية الحامية ، ويغلى لك الأخطار تجنب فى عهد بدون أمانة ميثاق وعهد مرة واحدة ، (يصادقون بالفواقع والبواقع) ، ومن خشية نملك غلطته لم يكن يرى الناس نوم مريح فى الحلم ، « تتجافى جنوبهم فى المضاجع » ، كانوا يقيدون الأبطال الأقوياء من اليد والرقبة ، كان عظماء القوم وكبارها يديرون أضراس الطواحين من أجل حبة قمح ، كانوا يفنتون أصل الأسنان فى لثة ارتفاع الأطفال الصغار والشيوخ الكبار ، كانوا يظهرون الملابس الصوفية والحريرية من فوق الحسناوات ، كانوا يهلكون النجباء ذوى الشأن ، وكانوا يقيدون ذوى الأصل بالحبال ، كانوا يلقون الحسناوات الطاهرات بسبب مثقال فضة على الطين ، كانوا يعلقون المحبوبات الصينيات الأصل من الذؤابة بتهمة زلف التقصير ، كانوا يودعون الملائكة بادعاء مال الديوان بديوان شيطان الطبع ، كانوا يحلون جلد الحسناوات البيضاوات • اللواتى يشبهن الفضة من الجسد ، كانوا يسحبون الحسناوات بسبب الشراء مثل الشمس على الفلكة ، من الخوف من اسم الذهب لم تصبح الغزالة الصغيرة فى طرف الصحراء ، ومن الخوف من اسم الفضة لم يظهر ثقب صغير فى بساط الأرض وبسبب اسم المرجان نبتت الخضرة فى صحراء العجز ، ولم تتمكن لاله عباسى (١٣) من الاخضرار فى أى تربة من المؤاخذة الملكية وصارت لجماعات الناس ذهب آفات المحنة الكثيرة ودرهم ودينار الثعبان السام ، وصارت الأموال والحلى سبب جرح القلوب (يذبح الطاووس من أجل ريشة) •

جعلوا لطف المربين الذين من وسادة الناعمة مليئة بالشكوى ، اغتموا من الفراش الناعم وكانوا جديرين بفراش النسرين ، واستراحوا من فرش الصوف على بساط الحجر الصلب ، وحولوا رقيقى الهيكل اللواتى هن مثل الوسادة الناعمة من رقة الحسن لخشونة الحس ، كانوا يظهرون فى غصن الثياب المزركش قلة النوم ، صار السمندر (١٤) ملازما للفراش ، جعلوا الرماد والتراب سترة للجسد ، كانوا يضربون الياسمين الباكى الذى يطول القامة مائة درجة على صدر حور الجنة ، مزقوا فى المصادرة قطعة الذهب مثل ورد صدر الروح ، كانت تأكل جميلات الوجه اللواتى هن رقيقات

---

(١٣) نوع من الزهور •
(١٤) كناية عن النار •

الطبع ـ رائحة الورد طيب السنبل ، رأوا وجه زهر اللون بضرب المسدس مثل زهرة النيلوفر والبنفسج ، الخضر الملاح بالتمكن حيث خالهم المليح وفهم السكرى امتلك فى حوزة التملك « شورابك » و « بنكاله » ، باعوا بثمن بخس لجماعة نحس « لا مرحبا بهم » ، والبنين والبنات الذين كانوا من « بيش بالغ » القبضة البالیغیة و « لون التفاح » للغد ، و « قراقریمی » الخال ، و « صینی » الذؤبة و « صینی » الوجه وملك « يغما » الغمزة و « شهر سبزی » الحاجب و « سمر قند » الفم لممالك توران » فی حوزة التمكين ، وامتلكوا من ياقوت الشفاة منجم « بدخشان » تحت الفص ، صاروا سخرية واستهزاء تغيير وجه « الأوزبك » و « التركمان » ، واشترى من كل صوب محبوب بوجه مضیء ، وأضاءت من كل جانب آنسة مستورة ، راجت من البيع والشراء زهرة جبين سوق المشترى ، ومن تعاقب الليل والنهار (١٥) تزاوجت الظلمة والنور معا « وآخر من شكله أزواج » ٠

كانت جماعة من التدلل يسحقون الرأس على الفلك ، رأوا من التدلل القدم على الفلك ، والناس الذين كانوا مثل أهل العالم المجربين المحترمين الخبراء جلسوا مثل حب الكحل على التراب الراكن ، والجماعة التى أمام جوهر عقلهم يتساوى الجوهر والحصاة ، وفى مقياس شعلة مصباح أنظارهم الذهب والفضة فى نفس وزن الحجر ، أسقطوا الوزن من ميزان الاعتبار ، والزمرة التى كانت دائما قطب رحى الراحة والرخاء صارت مقطوعة الرجاء ، صارت حجرا تحت طواحين الحوادث ، الكريم الذى حرك وتر القلب وسلك الصدر ، لم يصبح طبعه الرقيق حمل تفاخر الذات صار عبدا للشدائد ، والمبارز الذى كان أبا عن جد أسد بارز لأرض القتال ، جاء فى مكمن مجهول (أكمن من جد جد) ، وضع أبطال الجلادة فى يد تهورهم (منبض ندافى) حيث كان قوس (حاجب) وسيف (عمرو) ، ومخراق اللاعب صار درع المحن ، صاروا من اغراء الظلم مثل قوس الانزواء ومثل السيف المجرد ، والجماعات المسلحة التى فى ثقوب دروع أشواك شوكتهم كان كالأسد محطم الأسنان سهام الترك ورماح العرب وحراب الهند وزانات الديلم ونصول الروس ، كان يحطم رونق سوق الاشتهار ، سحبوا الرأس لفتحة ثوب اليأس مثل السيف المقرب والصمصام المختلف ، صار حاملو السهام رامح المنقبة الأعزل ، وجاء ضاربو الخناجر ملاعب الرماح (أضل من سنان) ٠

الأبطال الذين جعلوا من جماجم الأعداء كؤوس شرب خمر العشرة ، كانوا يشربون الخمر اللذيذ ، جعلوا عاقبة ساقى ذو الخمار دهر داهى

---

(١٥) الليل والنهار والظلمة والنور كناية عن الايرانيات الحسناوات والاوزبك والتركما قبيحى الوجه ٠

الدامع زهر فى كأسهم ، سلك عليهم كأس الظلم حتى خط شفاة الكأس ، الأبطـال الذين كانوا أسود غابات الشجاعة وجـدوا لطم كثير من فلك نمر الطبـع ، الجنود الذين كانوا يصنعون بلا سبب ومسببات بقبضـة الدقيق بقلب سعيد ، حد أن شبعوا من الحياة ، حيث كان يظهر لدى راكب ومترجل الأجل أجل المواهب والرعاة والرعايا الذين كانوا فى الشدة والرخاء والخوف والأمان معاونين للدولة ، اختاروا بنوعية النفور ، حيث كانوا يبحثون دائما عن الواهب بلا منة بأمنية المنة ، سقط من جدبات جفاء الدهر الأشراف والصعاليك بالصعاب والبلاء ،(وقعوا فى وادى جدبات ومتالف)، وصار ساحبى القوس ورماة الرماح من دوران فلك عطارد آملين ظهر مغزل الأرامل « رضــوا بأن يكونوا مع الخوالف » ، وبقى بخلط الوشاة من المستظلين حتى ثمر الأشجار ومن الثياب الموشى حتى الدواب والمواشى ومن لباس الحرير حتى بردعة الحمار ، ومن الديباج والحرير الى الصمغ والدباغة على فرد فرد ، قبل مفاد « ما يمكن من قطمير » بشأن الصغير والكبير زينة الصدق ، لم يجد الملابس القديمة على الناس والثياب الرثة على البشر ، حتى يصل بالقماش المزركش لمذهب ، ابتعدت النعم عن الأيادى ، وأدار العمران الوجه عن البيوت المهجورة والبركة واليمن واليسار ، وأضير برأس المال والمنفعة من كل صوب ، حتى أرباب الصناعات الذين يتشوقون لسوق البيع والشراء مروا للتعامل بالقوة يوم سوق القيامة ، يأس أهل السوق البكاء من منافع أيام دولته ، سحب متاع تجار البحر والبر للفقر والعراء وصار المقربون والمطمئنون هالكين « مقرنين فى الأصفاد » ٠

مع هذا فان شاة الراعى ورعية الشاة أيام وليال فان الراعى يجب أن يكون عليما بشئون القطيع ، لكنه كان على عكس هذا المعنى فلم يكن يراعى رعيته ، فهاجمته الذئاب التى كانت قوية الأخذ والعمل ، وتطاولت عليه الراغبة ولسان الطعن مثل أسنان الخنزير ، تغاضى عن طاعة الرعية ورعاية الزراعة بسبب عمران البلاد والامصار : وجعل نصب العين قتل الرعية ورعاية الكفار ٠

كالعـين لا يبصر ما حـولها ولحظها يـدرك ما يبعـد

وقدر جانب الأجانب وأظهر فحوا (كم من مسلم مسلم وكم من كافر مسلم) ، حتى طهر من الطبع الشجاع المزارع من القصامة والنخالة والنسافة والعصافة «فجعلهم كعصف مأكول» وصار محصول الأرامل والأيتام بمفاد (زارع لنفسه حاصد سواه) بمنجل الجفاء محصود جيش الظلم (داس الغلات وهدم المستغلات) ، فلاح لجماعة الفلاحين وأهل الفلاحة وجه الفلاح بعيد عن ظلم الكافر ، صار زراع اسلام مذهب القرى فى أماكن الكروب ينثرون ذهب دمع الحسرة من طلوع الشمس حتى الغروب ، تساوت أملاك

الملاك بتراب الخرائب ، « وترى الأرض هامدة » ، وصارت مناطق النزهة الجبلية مثل القلوب الخامدة عن النزهة البريئة ، صارت بعيدة عن الماء والزرع « وترى الجبال تحسبها جامدة » ، أصبحت الحدائق والبساتين المليئة بالأعنـاب والتين بنار الشدائـد الأراضي البور ، وضحت فى عصر السلطنة علامة « فأصبحت كالصريم » ، وفى وقت سلطنته صار مصداق « والعصر ان الانسان لفى خسر » على الناس أجمعين ، صار الخاص والعام ساكنين مساكن المسكنة ، وسقطت جميع المخلوقات بصحراء الغموم ، وضع الطيب والشرير من داء الغصة الرأس بمرآة الفكر ، رأى الشيوخ ظهور المصائب وقيام الشدائد الى حد أن قلبهم أصبح أسير الحيرة ، حيث فقدوا سلوك الطريق وطريق الحقيقة ، وصار المشايخ مملوئين بالغم حيث لم ير من مصحف ضميرهم الا مصحف سورة ألم يعنى سورة الألم ، صار العلماء الأعلام مشفوقى الشفاة ، صار علم العلم بافتضاح الأثر ، حصل درس المـدرسين حـكم حيض النساء ، تحصن السادة بعـرين الحيوان المتوحش ، وتوارى الأمـراء بالكهوف والأغوار ، استراحت قلوب أهـل الطرب من الغناء ، وصار خاطر أرباب الطرب دف الدلال والتنغيم « تخشى أن تصيبنا دائرة » ، كان يرتفع من قلب السحر الظاهر فى قلب ليـالى النـهب الشهباء الشعل المشتعلة مثل دوار هالة القمر الجائلة ، كانت ترتبط أيام سهم أنين ظلمة الأيام بالفلك دائر الطبيعة ، أظهر من سواد عمله كل يوم على الخدم والمقربين عشاء الغرباء ، وكان من عدم انصافه كل ليلة على الخدم والعبيد (يوم عبيد) ، عندما لم يكن فى بلاطه محاكمة، كان اظهار ذلك البـلاط فى تناقص وكانـوا بذلك الجمال فى توضيح ، وأظهروا عمله وأمله من أعماله ترك الآمال ، وصل فى أعصار دولته آثار « أعصار فيه نار » من اثارة العدوان على قبة الشمس الفاتنة ، وأغـرق أمطار البهتان وغيث الظلم أساس حياة المتظلمين انزوت علامات النشاط من العالم ، أثقلت هذه الحادثة الشنعاء الدم فى الكبد والغم فى القلب ، ومن شـــدة صعوبة بفع فلك ارتفاع المنتفع تســاوى بالقاع والتل ، (لا تنطح بها ذات قرن جماء) ، كان يسحق القصر والبيت المهجور حيث الرأس متساوية ، صار مقلوب القصر يعنى متساوى بالتراب ، (قد بلغ منه البلغين) هدم أكواخ الممالك هجوم رياح شدائد الدهر ، ومحا غبار شدة السخط والشطط آثار الصفاء من الدهر ، لم يبق من العواصر السريعة الضرر فى الأرجاء من المكان المسكون ، وأظهر جانب النعمة بمكان النقمة وصارت بجاروف الظلم ومكنسة الجور النفوس الشجاعة ساحة البلدان مكنسة النهب ، وشاع فى ساحل البحر والريف والنواحى الظلم والخوف والميل عن الحق ، لو كان الرسول يسير للمقصود سالكا طريق « سفرا قاصدا » يصبح المتكبر من بعد الديار والبحار فى دائرة صحراء الحيرة مثل

العاصفة الترابية ، (ما بالدار دارى) ، ولو يسرع رسول الأحد البلدان لم يجد للراحة والاستجمام بقدر قرية النمل المغمورة المعمورة حيث (ليس وراء عبادان قرية) لم يتواصل من المساء حتى الصباح الصياح والضجيج والتأوة والأسف الا للسماء ، (لو ترك الحرباء ما صل) ، كان يقرأ الصغير والكبير والتاجيك (١٦) والترك على المنازل والمساكن ٠

هـذا أحـسق منزل بـالترك الذئب يعوى والغراوب يبكى

(ترك ظبى ظله) وكل شخص أسير القيـد والأوتاد محب للوطن (كمثل عير عاره وتده) صار مقيد بسلسلة الفتن ، وكان فريسة أنياب النوائب ، وطعمة مخالب المصائب (شر الأوطان ما لم يؤمن القطان) « ذلك من أنباء القرى نقصها عليك » ، يرهق ويزهق ، ويخرب ويحرق ، ويرعد بصاعقة بأسه ويبرق ، ورعى الزروع ، وعرى الضروع ، وزاع أنواع النوع والجوع ، وشاع فوات الفوات فى الجموع ، وسعر الغلة لغلاء سعر الغلة ، وقشر البشر ، وأغبر البشر ، وبشره بشر ، وشره أنشره وسلب القرار من القرى ، والسكون من السكان والورى « وما كان حديثا يفترى » ٠

مع ذلك كان مخصوصا من الكنوز » ولله خزائن السموات والأرض » بعطاء « جعلت له ما لا ممدودا وبنين شهودا » وبطبع « ثم يطمع أن أزيد »، ونداء « هل من مزيد » ، كان يمنع فتح عين وفم الطمع ، وكان كلما ملأ خزائنه من النفائس المعدة بمصداق « خلق الانسان هلوعا » كان يزداد ويشتد التهاب حرقة النفس وحرصها ، ورغم ذلك فان حكمه كان يجرى مجرى الماء على وجه الأرض ، لكن مثل المستسقى من الماء الثائر ولم يهدأ عطشه الداخلى (يصبح ظمآن وفى البحر فمه) ، حقيقة لم يكن متعطشا لموج السراب المشبع بالماء ، ولم يتسل الظامىء العطشان ببرق السراب ، بناء على هذا التخلف ألقى بالفضة والذهب المدخرين لنظم شئون الممالك ، وأغلق بوابات وطرق الرحمة من شدة التعلق بالنفائس ، وغربل تراب « ايران » بغربال ضـيق ، وأنضج الخبز باعتقـاده من الخيالات النيئة الوخيمة للأولاد والأحفاد ، وخيط من مدلول (لا اعتبار بالأمور النادرية) عين الاعتبار ٠

لم يترك لأهل الايران فضـة الا فضها ، ولا ذهبا الا ذهب بـه ، ولا فرسـا الا فرسـه ، ولا عالقا الا علقه ، ولا عقارا الا عقاره ، ولا غلة الا غلها ، ولا ضياعـا الا أضاعهـا ، ولا خـزا الا جزه ، ولا بزا الا بزه ، ولاركازا الا ركزه وارضا الا رضها ، ولا عرضـا الا عضها ، ولا نفـائس

---

(١٦) كل جنس غير الترك والمغول والايرانى خاصة ٠

الا ونسفها ، ولا سبدا الا استبد به ، ولا بلدا الا لبد به ، ولا غنمـا الا اغتنمها ،ولا قطيعة الا اقتطعها ، ولا حالا الا أحال عليه ، ولا مالا الا مال اليه ، بحيث لم يبق لهم بردة الا الجلدة ، ولا حلية الا اللحية ، حيث كان ذلك فى اغراء المحصلين :

ــ هذا الشرح الذى قالوه عن ذؤابة الحبيب •

ــ كلمة من آلاف أضفيت فى العبارات •

بهذه الطريقة ابتعد الملك مرة ثانية عن الجفاء ، وانطوى عن الظلم ، ولم يفق من الغفلة ، ولم يمر بصحراء المروءة وفيافى المرحمة ، وأكثر من المزاحمة والعداوة والغيظ والايلام ، وأظهر مفاد « لا يعذب عذابه أحـد ولا يوثق وثاقه أحد » (يوما فيوم أشد وأحد)، ولم يتنبه من نصيحـة (اتق يوما بين شدقيك الدخن) ، كان يقول لزمان مراعاة النظير بسخرية (لا مائك أبقيت ولا حرك اتقيت) ، وتتابعت هذه الداهية لمدة ثلاثة أعوام على الخاص والعام ، وتوالت غيوث البلايا وسيل المصائب والأخطار على ساحة « ايران » وفنائها ، وسقط الأهالى أيضا فى هذه المصيبة ، وترجو بليت ولعل حتى مجيىء زمان الفرج والفرح » بحكم « اصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » ، وقد كانوا يثابرون بشدة صحراء الظلم ، وكانوا يصبرون بمرارة الصبر والاصطبار (كاد العروس يكون ملكا) ، وفى كل أمر مر يثار فيه بلاء الدهر ، كانوا يجعلون مرارة كيس الصفراء لحرقة البلايا على مذاق الروح حاو وسائغ ، حتى هـذا جاء من جفاء ذلك الجار الجائر للقلوب حائرة وحائزة أنواع النواهى ، بأست النفوس من اعتدال ذلك السائس ظالم الأساس ، وقد سببت شدة البأس هذه اليأس للناس، ووجدت العداوة والأحقاد طريقا للدخول فى الصدور طرأ النفور على المقيم والقادم ، تغيرت وتبدلت منه زينة الامم ، وصارت كل نفس من هذه الصدمة خائفة ، ومالت عشرة العشائر للكراهية ، ورجعت حياة القبائل والعائلات من كثرة القهر والظلم للملل ، وصارت مشارب العقائد من دوران الفلك أسفل وأعلى بأنين بلاء الكدر والقذارة ، وانتفت عنه رغبة الرعية والرعاة ، عاب الناس على أخلاقه القبيحة ، لو كان شقيق شفيق ، ولو كان عـدو وقح ، لضجر هذا الأسلوب ، وأشاح الوجه عنه ، ومزج اخلاص بده بلا نقصان بالبغض ، وشم الأصدقاء من حديقة دولته رائحة اليأس ، وصار الفدائيون المخلصين « جانوسبار » (١٧) الخائن ، أرجع أهل القلم قلم وورق الدفتر لحسن العقيدة ، وسحب الكتاب بالمداد الأسود وجه خط

---

(١٧) اسم شخص من همدان لازم دارا بن داراد ، قتل صديقه فى الحرب ضد الاسكندر بالخديعة والمكر والحيلة •

الباطل على صفحة الارادة ، وقرأ الزمان على المائدة الملوثة لسلطنة عظمته (لا طلاوة فيه ولا حلاوة) ، و (أنـا منه فالج بن خلاوة) ، عندمـا رأى الدهر غفلته فى المنام ، أيقظ الفتن الخامدة بنداء « وخاب كل جبار عنيد »، وجعل المسرورون ساحة الحياة بلا دار وديار ، فى النهاية قطع حبل اقتداره، وحطم رواسخ شوكته ، وحطم جدر القلوب بمقتضى (لابد للمصدور أن ينفث)، عندما أدراك الطيب والشرير من كبده الداخلى آلام « لقد خلقنا الانسان فى كبد » ، أضاء كبد السماء من ضياء الكبد (لكل كبد حـراء آجر) (١٨) سحقوا فى التو والحال ببلاط القهار الحقيقى بالدعاء والأنين والتاوه جبين الاستغاثة والاستعانة ، وبشفاة عطشة وقلب محتاج وفـم يابس وبطون جائعة فتحت جماعة الناس شفاة النفور بالزمزمة ، واشغل الدراويش فى الأسـحار بالذكر لقطع أشجار دولتـه ، وأمضى الشيوخ والشبان أياما وليالى فى منتديات ومجالس شتمه وذمه نظرا لسوء أخلاقه وظلمه ، وجه الزهاد المتعبدون وجه الحاجة بدعاء سهم الليل بقوس منزل فلك الدرع ، لم تتحمل حوصـلة الغـيرة عبرة حضرة رب العـزة ـ عزت كلمته ـ لتحمل ذلك الاعتداء ، وبكت السماء من الشفق دما على حال منكوبى الأنجم ، ورأى انتقام المظلومين فى حجاب التجسم بعـين التجشم القهر بحشم حشمته ، وانقلبت شهامتـه وصارت نذالة واندفـع سيل دموع المظلومين جفاء وغثاء للجفاء والعناء •

ـ أعاد البكاء الماء لوجه المحترقين

ـ أصبح الآنين مغيث العاشق المسكين

« ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » ، رغم ذلك كانت دولته سرو حديث النمو ، عندما اشتعلت الجنار العتيقة من ذات النار ، نسج ثياب خلافته من حمقه بل من طيشه ، وصارت سلسلته العلية « بل هم قوم خصمون » سلسلة قامة عظمته ، كان (عليقلى خان) ابن أخيه الذى كان فى ذيل حفاوته وظل لملاذه بلا حقارة متنعم بدر النعم وحالب لبن الاحسان العام ، عندما رأى العم من جماعة العميان ، وظهر من ناصية حاله (أرى خالا ولا مطرا) • ومفاد •

أقـارب كالعقـارب فى أذاهـا   فـلا تفـرح بعـم أو خـال

فـكم عـم يكون الغـم منـه   وكـم خال من الاحسان خـال

(١٨) حدثنا عبد الله عن أبى ثنا يعلى عن الصحابة قال سألت رسول الله (صلعم) عن الضالة من الابل تخشى حياض هل لى من أجر أسقيها ؟ قال نعم، من كل ذات كبد •

صار معه وقتا ثم انقلب عليه ، وتحير فى تيه الغموم ، ولم ير أشراب شراب (عمك أول شارب) موافق المشرب ، وجعل بوق مخالفة العم يصم أذن أهل الدنيا بلا حياء ، كان يدق طبل النفاق التى كان يخفيها ، ونفخ فى النفير العام وأشار بقتله (فأعان عليه قوم آخرون) يعنى الأفشارية تضامنوا معه أيضا رب ربيب اذا على قلى وخان ، ورب برب اذا اضطر عض المران ، ورب صديق للمرء وهو خادعه ، (ورب حام لأنفه وها جادعه) ، وكم من حميم (كسحاب نور ماؤه حميم) ، وكم من الحماة والأحباب والأقارب أضر من حماة الحيات والعقارب .

فياعجبا لمن ربيت طفلا ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وفى منزل « فتح آباد خبوشان » فى ليلة الحادى عشر من جمادى الثانى سنة ١٦٦٠ هـ ، ألقى صياد الأجل الشباك لسمك عمره ، وقطع فصاد القضاء عرق حياته التى كانت قد انضمت لسنواتها العام الستين ، أخذ نقد روحه أجر السنارة ، يعنى اشتغل الحجاب بهتك الأستار ، تقدم المعترفون بالملح والخبز الثورة ، وجماعة من الأفشار حراس السرادق الملكى ، وكانوا مجردين من شعار العار ، حملوا رأسه وسط الخيمة ، وأبرزوا السيف الألماس الياقوت المذاب من منجم أركان وجوده ، وأهرقوا الدم الصافى من جسده بحد السيف .

يا راقد الليل مسرورا بأوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

وجعل بطل القضاء رأسه — التى لم تنحنى وقت الغروب من قمة العظمة فى ساحة الدنيا حتى العشاء — فى ميدان الحى كرة صولجان لعب الأطفال ، رفع الزمان من هذا الأمر العظيم والجسارة الكبيرة — التى صدرت منه (كأنه جاء برأس خاقان) رأس العظمة والافتخار الفلك الدوار ، وضع السرور — الذى من سطوته ترك سلاطين « الهند » وخوانين « الترك » القبعة والخوذة — الرأس على قمة سور السريرة ، والقاضى الذى كان ملوك وجه الأرض يمسحون بالشكاية الوجه على أرض خدمته ، سقط فى طريق (من فعل ما شاء لقى ما ساء) على تراب الخذلان ، شرقى الأصل الذى كان يمنح أمسيات ممالك « الشام » لمماليك « مصر » ، اختفى وقت طلوع الشمس ، وصار فى القبر ، «كأن لم تغن بالأمس» ، اعتبر « أتراك بخارا » الذين أظهروا بنجم الغرب المضىء طالع النصر شمس الشرق ذرة تافة ، بلا تأخير حتى انضم خبز شمس عمره للزوال (بدل مجالاته بالدمس) .

فما ضباع كلى لحم أمرء طعمت باقى فريسته آســـاد هيجاء
يا خفافيش بشراكم فقد غربت وبالحجاب توارت وقت اضـــحاء

رغم أن نحيفا وسمينا وقديما وثمينا لكل ملك وديار من الشـــال والسجاد ، ومن الخزف حتى الذهب ، ومن الثياب القطنية حتى الزبرجد ، ومن الثياب المزركشة حتى الحصير ، امتلأت بها خزائن ومخازن « كلات » بلا شريك ولا رفيق ، وأظهـر تجميع أفضل الأموال من الأطراف ، جمـع وخزن أثاث « كيكاوس » ، وجمع وكنز كنوز « دقيانوس » وجمع وسائل التجمل حتى عنان السماء ، وارتبط بحبال طول الأمل فانتهى الأمر ، ولم يحمل من الدفائن والثياب للمدفن الا الكفن ، «ما أغنى عنه ماله وما كسب»، ولم يبق من أثاث ومتاع هذا القصر القديم غير قميص قطن وأصله ، « سيصلى نارا ذات لهب » ، لم يستروح صقر دولته فى هذا الوكر اليأس ، اضطرب الشنقار ، وصارت هذه القصة المشهورة بالسوء نصيبه والغصة الروحانية غشتـه .

ما حال متجر مستبضع حقبا مسكا وقتـذا بأوقـار وأمنـاء
ويركب البحر يبغى من مرابحها تحريـا بين أرخـاص وأغـلاء
يزجى الرخاء له طوعا جواريه على الرخـاء باجـراء وارسـاء
ويشحن الفلك مما ليس يوجد فى قصر لقيصر أو دار البـداراء
حتى ترائى له أعلام بلدتـــه وساحل يجتلى من طرف رناء
بينـا كذاك اذا نكبت سفينـــه من نار صاعقة فى جوف ظلماء

بفحوى (من كان لله كان الله له) ، حتى لا ينفصل عن الله ، كان الله معه ، عندما تبدلت أمطار الرحمة لجذوة نار المشقة ،، عاد عن الحق ، وضيع وأفسد أموال وحقوق الدولة ، « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » ، ومحى نقشا بلا نظير للعمر النفيس بيده من صفحة الوجود ، أظهر قطـع حبل دولته « يمحو الله ما يشاء » ، وقتل بغلظة الطبيعة البخيلة والطبع الوخيم بالسيف الدامى المثير الخصم السفاك نجسة ، صار من ذلك كله بجيش وخيل وعطايا الله وتكبر وأوهام ، ولم يحمل سوى الحسرة والخسران « أم للانســان ما تمنى » ، لم يجن فائدة من الحرب والتعب والمشقة ، وكنز بدون ألم ومآل سوء زاوية اللحد « ما يغنى عنه ما له اذا تردى » ، وودع العمر الفانى بجماعات الألم فى الحرص الطويل ، وحصد زرعه من مزرعة الدهر ، وضاع كل هذا التعب والهلاك والقسوة والشدة عبثا .

(انك لا تجنى من الشوك العنب) كما قال الله عز اسمه « لكل أمرىء منهم ما اكتسب » ·

تولى فما آثر المعدلة	ولا شكر الله اذا خوله
وصب على الناس سوط العذاب	كأن الاله به وكله
وحاز الجيوش وأدنى الحبوش	وصيرهم حوله قنبلة
وظن البرابر يحمى حماه	اذا نزلت نحوه مفصلة
وأن المنية لا تهتدى	اليه اذا قصدت معقله
فلما عتا وعدا طوره	وحق على الله أن يخذله
رمته يد الدهر عن قوسه	بسهم فما أخطأت مقتله
رماه الزمان بأحداثه	ومن حيث أخرجه أدخله
ولو شكر الله نعمائه	لما برحت عنده مكملة
وكانت تفاريق اذا أقبلت	ولكنها أدبرت مجملة
كذلك يكون انتقام المليك	اذا أخذ العبد ما ليس له

عندما حدث تحدى لجناب (الوصاف) (١٩) فى آخر المجلد الخامس التاريخى مع المؤلف كتاب كليلة ودمنة فى عدة فقرات ، كان يحمل هذا النقص بمناسبة هذا مقام تحديا لهما بذكر عدة عبارات ، كان يجعل التبن فى مقابل السنبل والريحان جعل الخزف يتقدم عقد اللؤلؤ والمرجان ·

(١٩) هو شرف الدين عبد الله الكاتب الملقب بوصاف الحضرة المتخلص بشرف ولد عام ٦٦٣ هـ.ق· وهو مؤلف كتاب تجزئة الأمصار وتزجية الأعصار المشهور ·

- ٤١ -

فى ذكر كلمات وعظ الأساس المتبوعة بالاقتباس

« هذا بيان للناس » ، من ذا الذى يزرع فى حديقة مملوءة بورد عالم شجر الورد الذى لم ينفذ شوك جفائه الى القلب ؟ ، ويبسط مائدة السعادة، ولم تصل حصة الدم لكبده ، بناء على هذا لا تشترى صاحب العقل الدنية بفلس لم يدر حول حمرته وصغرته لو امتلأ بالدم (ان السلامة فيها ترك ما فيها) .

ـ لا تطلب الأشـياء لو كانت كلهـا ملكيـة

ـ فـان نهـاية البحـث دائمـا آثمـة

ـ لو يصبح القمر طالبا والشمس مطلوبـة

ـ مهمـا مـلأ كأسـا فهـو فـارغ

لا يهتم صاحب التوكل بفم العظيم والحقير ، ولا يجنى الحريص أدنى فائدة من الضرب والحمل ، لم تظهر زخارف الدنيا أمام المدركين للأمور ، ولم يجعل أى عاقل التعلق زينة الرقبة حتى لا يسحب الرأس لفتحة ثوب الخمول ، لم يدق قدم الرفعة على رأس الأبيض والأسود طالما لم يثن قامة الطاعة الشبيهة بالمنجل ، ومن لم يجن من مزرعة الحياة حاصل الثناء ، سقط ببئر الندامة ، ومن لم ير تلك العاقبة بعين البصيرة ، بقى فى الخسارة الأبدية ولم يعط ذلك فى رئاسة قاعدة العدل (طوبى لمن سعى فى فكاك نفسه قبل ضيق الأنفاس) .

ـ عندما يكون حاصل عمرك غش وخداع

ـ اذهب واعدل ولو وقع عليك ظلم فى كل لحظة

ـ لا تغتر بنفسـك حيث اصـلى وأصلك

ـ غبـار وشرار ونسـيم وريـح

كل من يرى عاقبة الأمر لم يبد آخر الأمر ، كل من وزن نقد أعماله، ولم يحترق بنار الجحيم ، وكل من سار من طريـق الانصاف ، لم يكن

جديرا بالرحمة ، وكل من يفقد نقد العلائق ، لا يسلك طريق الخذول ٠
(طوبى لمن تجلى بالعفاف ورضى بالكفاف) ٠

ـ كـن كتابـا فى مكتب عقـلك

ـ وكن جواب نفسك فى فكر سؤال الحق

ـ حتى لا تتعثر غدا فى الحساب

ـ حـاسب نفســك اليـوم

لان تحصل حاصل السعادة ، طالما لاتزرع بـذرة العمل الطيب ، لن تتحرر طالما تراقب النفس الخادعـة ، لا تدخـر حياء الدارين ، حتى لا تمطر دمع الحاجة فى طريق الله ، لا تساعـد طالما لا تترك الهواجس لا تتجه الى المحبوب الحقيقى الوجه للحبيب ، عندما تسحب الرأس لفتحة ثوب العزلة لا تجعل قفاك من الخجل بذلة ، حتى لا تجعل ضبط عنـان النفس العاصية صعب ، لم يقفز خيل التفوق للعالم ، لانه لا يمكنك تحصيل رضاء الحق بالضعف ، لا تدير وجه الاهتمام للدهر الدنىء علمت نهاية الأمر ناقص ، ولا تعلو حتى لا يتجمع عليك غبار الطريق القاصى والدانى ٠
(العاقل يضع نفسه فيرتفع والجاهل يرفع نفسه فيتضع) ٠

ـ لا تطلـب السـمور والأطـلس

ـ وانظـر بعـين الاعتبـار شـوك ونفايـة

ـ أتريـد أن تطـل برأسك من المنزل

ـ لتكن مثل الشارع الخرب انسان وتافـه

لا يرفع العالم رأسه عن الأرض مثل الشـجرة المثمرة ، ويحتـاج العارف لقلب الذى أدار وجه الحاجـة لحضرة المعبود ، لم ينشد الا ذكر الحق لو يأتى حجر بلائه للرأس ، ولا يحيد عن ذلك وان أتى خطأ من الصين وبلاد الفرنجة ٠ (ان الدنيا دار فناء وعناء وعبر وغير) ٠

ـ أتعلم مما يضحك الصـبح دون حجـاب

ـ يضحك وقـد ألقى النقـاب عن وجهـه

ـ لانه ليس هناك مجال للضحك فى هذه الدنيا

ـ يضحـك الصـبح من ضحـكة الشمس

عابد الدنيا طالما لم يتحرر من قيـد وجوده ، لم ينبت ورد مراده ، وطالما لم يترك قبضته الطمع لم تضىء عليه نور العزة ، حتى لا يبقى من

علائقه لاعمة ولا مكسب فهو لم يفز بالحظ الخالد ، طالما لا تأكل من غصن دون ورق فهو لم يحقق رغبة قلبه ، (ثمر الحرص العناء وثمرة القناعة الغنـــاء) :

ـ طالما أنت مرتبط بهذا العالم الملئ بالتزوير

ـ لا تبحـث عن مخـرج لنجـدتك

ـ أهـل التجريـد ليسـوا أحـرارا

ـ لهـم من رسم الحضرة سلسلة قيـد

لا يشرب الانسان كأس العافية طالما لا يسحب نفسه لزاوية العدم ، ولا يفوز بكرة السعادة عن الميدان ما لم يقض على العلائق ، لا يثبت طريق السلوك حتى ما لم ير ما تحت قدمه ، ولا يظهر شاهد توفيقه الوجه طالما لا يكشف حجابه وجوده ، ولا يثمن غصن تمتعه طالما لا يثمر برعم التوكل ، التوكل أفضل عمل ، والثقة بالله أقوى أمل) .

ـ اننـا لا نختـار الوجـود والعـدم

ـ من وجـود ذاتـه كل وجـود موجـود

ـ كل عدم يصبح موجود نفس الوجود معدوما

ـ كل موجود يصبح عدم نفس العدم موجودا

السعيد ذلك الذى سلك طريق الخلاص ، وكتب وثيقـة حريته ، التقط بساط تعلق الدهر ، وقطف من شجرة ورد المقصود ، وأخذ القلب من عجوز الدنيـا ، واحتضن أنسة السعادة ، وطـرد الهواء من الرأس ، وطلب النجاح من شجرة التوفيق (حب المال يفسد المآل) .

ـ عندما يبصر العارف وجـوده

ـ يهـن كل ما أراده قلبـه

ـ أدرك أن الأحباب فى بحر الوجود

ـ عندما ترك قلبه يصبح بحرا

كل عارف عارف بالحبيب فوجهه المعرفة والجهل هو الحبيب ، وكل من عاش متجرد الطريقة عاش الحياة الأبدية ، كل من باع الدين بالدنيا ، أشعل نار الجحيم على نفسه ، ذلك الذى قام بالمجاهدات فى بداية الأمر ، وفى النهاية نال كأس الراحة ، كل من كان يتباهى بحجر الاستغناء على الفلك ، كان يتدلل الفلك بوجوده ، كل من يتبختر فى طريـق الصدق يفخر فى كلا العالمين ، كل من يطيع هوى النفس ، يضطرب نهاية الأمر ،

كل من يتعارك مع القضاء ، يجعل قوس الحقد بالصدق مع نفس الدرع •
(الرضا غناء والسخط عناء) •

ـ لو تبعد ذيـل همتك عن العالم

ـ وتقطـف من نخـل نفسـك

ـ لو كنت أميرا على الروم أو على الصين

ـ نقطف كل بذرة زروعتهـا

أيها الشقيق الشفيق اعتبر أن ميدان الجاه ملء البئر ، زين برقع الترفع من وجه الأمل وحب العقـل المزين ، لتسـتيقظ كل يوم من نوم الغرور ، أحرس بساتين الدارين ، أعلم الخبيث من الطيب بنظرة فاحصة ، انشغل محمد الله العادل العفـو الغفـور القـوى ، أركن وسيلة الهواء والهواجس دفعـة واحـدة ، وأسـلك مع العظـام بالاكرام ومع الأخسباء بالاحسان ، أظهر سوء الرأى من عهدة النفس ، اسحب لآلى كلام «سحبان» المقبول بسند الحقيقة المعلق مثل الدرفى الأذن ، ربما تدرك الدر الخالص الوضاء عن الغوص ، ومتاع راحة المنزل سعة المراد من الأدناس ظهر الطاهر وبرىء البرىء (أقبل على نفسك بالادبار عنها) •

ـ كل من عـرف الله يـكون حـرا

ـ وهو سعيد دائما بخير الزمان وشره

ـ لماذا تعلق قلبك بوجود وهو مثل الفقاقيع

ـ أساس وجـودك كرة مليئـة بالهواء

يا أخى متى يتيسر لك خلوة النفس الخبيثة دورا محببا ، وماذا ييسر صوت الحق الا درويش الحق ؟ يشترى درهم ودينار الدنيا ، ولا يشترى بالتافة ، ويشترى بالعقل والتجرد سلعة سعادة الكونين ، ان اتخذت من القناعة زادا للدنيا ، وخوض دارا الزمان لو همة على مالك النفس (ان فى القنوع لغنى ، وان فى الحرص لعناء) •

ـ لاتطلب من الدنيـا ففى هذا النجاة

ـ لا تطلب العـزة فهى أصل الذلـة

ـ ان كنت مفلسا أو غنيا يجب الذهاب

ـ فى حالة امتلاكك أو فى حالة عوزك

لا تزين غصن القلب من فرع وورق الحرص والاضطراب ، لا تقلع جذر نخل البخل من أرض الطبع ، لا تقطف ثمر الراحـة وان ، قطفتـه لا تلوث اليد لو بطرة ملك الصين ، ترى من جبين عدو الدهر عظمة بلا عبوس ولا ثنايا ، وعندما تغضى عن الحرير والبرد وحر وبرد الدنيا ، فانك لن ترى الغدا ماأيته أمس من برودة شهر دى ، اغتنم اللحظة حيث انك لن تجد عين ستبقى لك فى النفس الأخير (شرف الغنى ترك المنى) ·

ـ ايها السيد الذى تزين العالم بك

ـ وصار من رأيك وجه الأرض جنة الخلد

ـ ان غضضت العـين عن أسباب الدنيا

ـ لا تسقط مطلقا فى طريق الديـن ·

لا تتاخر فى التزود بزاد الآخرة ، واسع بسرعـة ، ولا تعط الدين بالدنيا ، ومن يفعل خلاف ذلك تكون مائدته مليئة بأساس الغرور ونعمه المختلفة (أهون من متاع الغرور) « فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » ·

ـ ماذا يغـرك بالمسـكن والكوخ

ـ ان الوجود حاصلة خرافة العمر

ـ ماذا يضىء شمع جار منزل الريح ؟

ـ ماذا تقيم منزلا فى ممر السيل ·

تنحوا جانبا نهاية الدولة المليئة بالدلال ، ابدأوا المشقات للحصول على الدار الآخرة فى النهاية ، ابدأ عملا تكون نهايته جزاء خير لان الجزاء الأخير لعلة النجاة وضعت بجانبك التامة ، لا تتنحوا جانبا ، واعطوا الأجر فى نهاية العمـل ، لا تتبع جماعة « كلما أضاء لهم مشوا فيه » ، لا تنظر بصورة الحال فى مرآة الغرور « ذلك هو الخسران المبين » ، لا تدير الوجه من كعبة صدق « اليه أدعوا واليه متاب » ، انه النفس عن مخالفة أمر حاكم حدود كن ، لا تشكو من غم المال والمنال ، وانظر لعاقبة أمر (ان العيش يحلو ويمر والدنيا تغر وتضر وتمر) ·

ـ يطلقونك اليد لك يومين أو ثلاثـة

ـ يختـبروك فى الشر والخـير

ـ الفلك حـولك حصن من الزجـاج

ـ كل مـا تفعـل يظهـر لك

حيثما يكون الذهب الخالص فان الزئبق المغشوش خلاف الرأى الثابت ، والفضة الخالصة مع النحاس والرصاص وجه الطلاء المنافى للطبع الجميل ، أما الملك الذى كان يخالف أمر « لا تتخذوا بطانة من دونكم » فان نحاس منحوس الطبع جماعة من الأجانب حيث آثار « قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم » أكبر من أكثرهم ، أخفى عيوب الجنود بسرة النقود ، كان قد جعلهم من الخوف ترباس الظهر فى حائط الدولة « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » ، وفى الليلة المذكورة فان تلك الناس الأدناس كانوا يمتلكون حراسة خيمة العزة ، فى وقت الصبح حيث كان العالم ذبيح الشمس قد مر على هذا الطشت الفضى ، وتلون طرف الأفق من دم الشفق ، وأدمى وجه الفلك الرمادى من قبضة الشمس ، فتوقف عن قمة الأمر ورفع الرأس بجرأة واليد بهجوم ، صار أيضا البطل (قارن) مقترن بالسلاح والدرع لردع تلك الفتنة ، حملهم من هناك عقب الهزيمة ٠

وقت وقوع هذه المصيبة الشديدة ، كان (نصر الله ميرزا) مع الأمراء السعداء فى قلعة « كلات » ، وكان (على قلى خان) فى « هرات » ، بعد حدوث هذه الفتنة المفرقة المصدعة (ناقرة لا خير فى سهم زلج) ، أرسلوا حملة الى « مشهد طوس » فى بداية المكر والحيلة ، واحتلوا « كلات » حيث لم تجرو نملة من السير فى ذلك الطريق ، ففر (نصر الله ميرزا) مع (شاهرخ ميرزا) و (أما مقلى ميرزا) — ناحية « مرو شاهجهان) ، فأعادهم (دوست محمد) — مربى الأمير (نصر الله) عليه انعام الله — الذى دائما يربط مثل جونتى يد الخدمة كما كان فلك مراده من اليد المفتوحة نعمة طعام العطاء وطعمة الاحسان — من صحراء « كلات » ، وأحضرهم للأراضى المقدسة ، زحف (على قلى خان) وتقدم من فكرة انتقال الملك ، لم ير الأمر بعين العاقبة البصيرة ، تقدم لمكافأة الاحسان المتقدم بقدم (المجازات بالمساءات) وعكس مضمون (لا تعدم من ابن عمك نصرا)، اتجه (نصر الله ميرزا) والأمير العظيم (رضا قلى ميرزا) مع ستة عشر فردا أخرين من أبناء العم مسكى الأنجال والأحفاد الى الأراضى المقدسة ، غير أن ابن العم أرسلهم بحقد كبير وبلا تأثر وغم في قلعة «كلات» بالسيف البتار لقصر سلطان العدم ، وجعل عسل عمرهم اللذيذ مختلطا بسم حد السيف (أصابه ذباب لاذغ) ، وكان ذلك النبت الحديث يستلن الحياة الذى أمطار حياتهم (أى أبناء وأحفاد نادر شاه) سحاب المطر وشجر حياءهم أعلى مائة مرة من الدرة المنتهى ، فألقى بلا رحمة بجرح السيف ، وقتل سلالات العزة بحد السيف المسلول بالزجر التام ، قطع أفلاذ الكبد من أجل أموال الدنيا الدون ، وواصل مثل (شفيت نفسى وجدعت أنفى) ، وأباح لنفسه فى الحقيقة هذا النقصان (رب ابن عم ليس بابن عم) ٠

أخاك أخاك ان من لا أخا له كساع الى الهيجاء بغير سلاح

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح ؟

وكان القضاء يقول بلسان خال الأمراء هذا المقال (وهو أنطق من لسان المقال) ، وكان يثقب هذا الدر على أذن الزمان ٠

اذا ما الدهر جر على اناس كلاكلـه أنـاخ بآخرينـا

فقـل للشامتين بنـا أفيقـوا سيلقى الشامتون كما لقينـا

وفى وقت افول نجـم حياتهـم ، كان جناب الأمير شمس الطلعـة (شاهرخ ميرزا) قد بلغ سن الرشد ، ولم يصل كوكب طالعه للغروب ، وحفظ من آفة العدو البتار (ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر) ٠

- ٤٢ -

بيان سلطنة (عــلى شــاه)
ونهاية أمر ذلك الجاهل المغرور

« ولله ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور » بعد تسخير « كلات » وانتهاء أمر الأمراء ، جلس (على قلى خان) فى « مشهد طوس » على عرش الخلافة العالى « ورفعناه مكانا عليا » ، وشاعت صكوك وسكوك السلطنة باسمه ، واشتهر بـ (على شاه) ، وأصبح فى البداية من غليان عشق الخمر ثانى غيلان وشياطين نفسه عشق الحسناوات ، وغفل عن ندامة المنادمة ، وكان دائم الميل للشراب وحياة اللهو ، ودار الخمر الحرام فى حرمة المجلس ، واهتم بأن يلون القصر مزين والرواق مزوق والمنزل مروق بشراب الشراب الصافى والخمر المعتق والصهباء المصفاة ، وكان يشرب من الكأس والقدح خمر أصفى من عين الديك والبط ، وأخذ الخمر الأرغونى من الغوانى ، وشرب من الندمــاء الخمر الصافى من الأقــداح الواسعة ، حرك فى البستان مجلس الطرب على وجه الزنبق والياسمين مع الحسناوات الفاتنات بالشراب مع الجميــلات الشراب الخالص ، وكلف الغلمان المراهقين بالنواهى ، وأمضى الليل والنهار فى امتــلاك ومعاشرة الحسناوات والاغتباق والاصطباح .

كان نتيجة ما تقدم أن هبت ريح الرغبة بالتراب على عين البصيرة ، وسال ماء الدولة فى نــار الشراب ، كما فقد الاسم والسمعة عن طريــق مصاحبة الغوانى والسبايــا ، وابتلى أول الأمر « بريح صرصر عاتية » ، وفسد أساس الدولة بالتنفير فى لذة الطعام وحموضة جرعة الخمر ، وفتح أبواب الكنوز النادرية بيد غير خائفة ولا مرتجفة بخيال (بالاحسان تملك القلوب وتسترق الرقاب) ، وظهر من باب الاسراف والتبذير مع الأدانى والأقاصى والأشراف والصعاليك ، وصرف رهان النقد المسكوك فى المجلس فى أقل من يوم على الكرام والخونة ، وسلك مدلول « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » ، وتحولت الهمة التى كانت عليه الى تهمة ، ونثر جواهر غالية ولآلىء ثمينة بدلا من الحجر والخزف على السفلة والدون ، وقرأ لسان

الزمان فى اتلاف وجه الحسناوات « وجوه يومئذ ناضرة » يعنى الذهب ، وبيض الوجوه الجميلات يعنى الفضة على الكنوز والذخائر بحسرة (ما أسرع ذهاب الذهب وفضاض الفضة) ، وحينما أعطى ناصح الدهر البذل له فى ترك هذا البذل بلسان حال نداء (من الندامة لا ترى الندامة) ، كان يقول :

أنعم بتخفيف ما اسديت من نعم فكثرة الضوء يغشى ناظر المقل

ألقى ملاك القضاء أخبار « ما عندكم ينفذ » « وما أنتم له بخازنين » على فمه ، كان يسمع :

أما ترى الدهن فى الصباح يطفئه ان زاد والقطر يؤذى النبت ان داما

كان يجعل أكثر الأذان صماء للعين والعين عمياء للأذن ، كان يهب أموال وممالك الدنيا مثل الكنز على رواد الحانات ، كان يفرغ الخزائن التى كانت مملوءة بنار الذهب وماء الجواهر — بهواء اليد على التراب المظلم ، كان ينفق الفضة مثل الحصى ، والذهب بدلا من الرصاص ، والذهب بثمن الرصاص الخالص ، حتى أن الكنوز الثقيلة حرقت بنار الاتلاف ، وجعل الخزانة العامرة خرابة غامرة ، أخلى المخازن الكبيرة من الدنانير المسكوكة والدراهم الكثيرة والقناطير المقنطرة (أترب فندح) ٠

— الله الله فقد أنفق ما كان مخزونا ٠

رغم أن حصان التوفيق هاجم بلا خوف فى ساحة الزمان ، لكن آخر الأمر علق وجهه على الحظيرة الحجرية — لكن بقضاء الله — لا حول ولا قوة الا بالله — فقد قضى مـدة عام فى السلطنـة (أوقـات السرور خلسة) ، وصارت دولته باشارة « وسيرى الله عملكم » هدف سهام النهاية ، استفاد (ابراهيم خان) أخيه الأصغر حيث أن اقباله قد ظهر من فحوى « ولقـد آتينا ابراهيم رشده » ، وأظهر برشادتـه مصداق (لا يجمع سيفان فى غمد) مثل اظهار السيف من الغلاف ، فتخاصم بتقدير القدير مع أخيه ، وحدثت بينهما معركة فى « سلطانيه » ، وهناك لم ينبت من بستان الدهر المنافق الا ورد الفجار ، ولم يعتمد على ثباته ، وكان بعض من جنود (على شاه) الذين بدلالة بحقارة « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » كانوا قد أصبحوا مادة الضلال وبوادر الفساد ومثيرى دواعى استبداده ، لأنهم كانوا جماعة وقحة ، وكانوا قد شربوا من مشرب الوقاحة ماء أسن ، نثروا التراب على رأس الحمية ، تبعثروا أسرع من النار ومثل الريـح ،

وتباعد الجميع عن المساعدة بالعدة والعدة « كمثل الشيطان اذ قال للانسان أكفر فلما كفر قال انى برىء منك » ، (على شاه) الذى كان قد طلب طريق الباطل ، وجد الطالع المعكوس عاطل ، بعد ذلك فقد الأمر ، وعاد بنفسه : وأطلق من داخل القلب صيحة (أكلتم تمرى ، وعصيتم أمرى ، وشربتم خمرى ، وفسدتم أمرى) « كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران » ، وساق الخيل الأصيل ناحية « طهران » ، وهناك سحبه نواب (ابراهيم خان) فى السلاسل والقيود ، وأكحلوا مثل الفصاد من سن الخنجر أهل العين المكتحلة له فى منظر العرق الأكحل ، ورأى عليه معنى « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا » .

- ٤٣ -

بيان جلوس (شاهرخ ميرزا) فى « خراسان » بتأييد مالك الملك المطلق

« الآن حصحص الحق » ، بالنحو الذى سبق ذكره ، « وقد قصصناهم عليك من قبل » ، بعد ذلك صار أبناء الملك المغفور له من عدم وفاء الأخوان الخونة والأعوان الفاسدين مقطوعى حبل الحياة نتيجة لسل سيف البلاء ، وصارت تلك الجماعة الأصيلة سعيدة الشمائل مالكة سيف الجفاء ، وظهر من مدفع تدلب الدهر والمصائب ومدفعية الدولة النادرية (شاهرخ ميرزا) ، حيث كان (على شاه) قد أخفاه فى ديوان « مشهد » المقدسة مثل الجوهر المدفون ، وأشاع نبأ قتله ٠

وقد هذبته النائبات وانما صفا الذهب الأبريزمن قبل السبك
أما فى نبى الله يوسف أسوة لمثله محبوسا على الظلم والافك

اقام جميل الصبر فى السجن برهة فأفضى له الصبر الجميل الى الملك ٠

عندما ظهر بعصر الدولة نفير الحسرة من روح (على شاه) ، صارت نوبة الشوكة فى أعلى سقف اسم (ابراهيم خان) عالى الصوت ، وصار أمراء ورؤساء الايلات وجميع أهالى « خراسان » متفحصين عش الجلال ، وأخذ الديك سعيد الوجه عالى البخت ، هما السعادة من عش القصر ، حيث ظهرت علامات السخاء من سجاياه السعيدة ، فتنكر الأمير وتعفف عن قبول السلطنة ، وظهر بثر الاعتذارات من صميم القلب ، وغلبهم فى المبالغة ، فأعطوه يمين المتابعة والمبايعة فى العتبة المقدسة بالعهد واليمين ٠

وأصبح الأمير مضطرا لتقلد أمر السلطنة ، وصار فى الثامن من شوال عام ١١٦١ هـ مألوفا فى أرض الميمنة ، وجلس على عرش السلطنة الموروث،

وأظهر للقلوب النشاط والانبساط المأنوس ، وجاء وجوده المطهر مظهر آيات « وما جعله الله الا بشرى » ، وأوصل هاتف الرحمة للقلوب المغمومة بشرى « ان مع العسر يسرا » ، وصار ملكه جبيرة جروح جبر السلف ، وأصلح من دولته الأضداد المختلفة ، وهبت من سميم ألطافه « والنجم والشجر يسجدان » ، وصار في دار الضرب أنواع احسانه الشمس والقمر يسجدان ، مع ذلك لم يصبح بياض عارض كافور لونه من سواد الخط المسكي المخطط صالحا لاصلاح جرح القلوب حاوية محاسن الصفات ، وجاء تاريخ جلوسه المبارك موافق « سلطان أعظم » ..

- ٤٤ -

ذكر جلوس (ابراهيم خان) فى « تبريز » بأغواء المفسدين الخناس

« وتلك الأيام نداولها بين الناس »

أرى الدنيـــا وزخـــرفها ككأس تدور على أنـــاس من أنـــاس

فـــلا يبقى على أحـــد كمـــا لا يـــدوم بقائهـــا فى كف حاس

بعد سماع (ابراهيم خان) خبر جلوس (شاهرخ ميرزا) فى السابع عشر من ذو الحجة فى تلك السنة فى « آذربايجان » بدلا من أخيه ، صار مثل جلوس (ابراهيم) على النار ، اتكأ على وسادة العظمة ، بسط مسند (قرب الوساد وطول السواد) ، (الدبران تلو الثريـــا ولا خير فى دال الدبران) ، وقد كان رجلا محتالا متملقا ، وله رأى فاتر وغدر حاضر (كلام كالعسل وفعل كالأسل) و (لسان من رطب ويد من خشب) ، ماء ورد احسانه وحل ، وحبه أفتى من الرغاوى، وشراب مواعيده (أغر من سراب)، نسائم رأفته سمائم الشمائم ، وظل عنايته (قضاة رياحها السمائم) ، ولود الوعد ، عاقر الانجاز ، صلب القحف ، لين الاعجاز ، منهله (جرف منهال) وسخاؤه (سحاب منجال) ، خلته برق خلب ، وقلبه حول قلب ، ما يخرج من فمه ما يوجد شيء فيه ، يقول مردفا باليمين ويمين ، ولا يبسط اليمين الا لقبض الرث والثمين ، من ماش حبة من عدسه يحمل عليه منة ارزن من أبان ومن ارتكب ارتكاب فرسه (أذل من حمار قبان) ، ختم على كيس الذهب الرائج والكاسد من محبة الخاتم (من الكييس ختم الكيس)، لو يظن ان درهم فى كيس شخص ، يصبح فى هم ،ولو رأى فلس على جسد سمكة ، يلقى بنفسه فى الماء .

بلـــد أنت غــــزالـــه كيف باللـــه نكالـــه

ــ الخانقاة التى أتت مرشدها الكامل

ــ عنكبوتها فى الزوايا كلها زنا رميتين

أصبح مع الوصف مجتهدا فى أمر الرئاسة مقلدا طريقة العم ، وصار ظلمه وجوره أعم (ان الشراك قد من أديمه) ، رتبه أوتار السلطنة بالنغمة النادرية ، لكن عزف بلا لحن ، اتجه صقر عهده فى بساط الملك الصحيح ، لكن انحرف (بل زاد فى الطنبور نغمة وفى الشطرنج بغلة) ٠

ـ ملكى أولئك الناس الذين يسيرون فى طريقك

ـ الغــراب يتطلــع لســير اعجلــة

ـ افترض أن الهيلون تشكل مثل الثعبان

ـ فهو السم للعدو ، والمطرقة للصديــق ؟

اذا لامنى انسان سوء مقال لى | هجوت الأقاحى والهجاء من المين
أقول لــه كيف الملام فأنــه | غدا بين أنوار الرباض بوجهين

القصة بعد الجلوس ثار للمخالفة ، أدار الوجه عن (شاهرخ شاه) بتحريض واثارة المفسدين « ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا » ، (قد اتخذ الباطل دغلا) ، رفع الراية للعيون من « تبريز » باحتشام موفور ناحية « خراسان » ، وصاحب (على شاه) المقيد بالأحمال والأثقال ، ترك « قم » ، وجعل بمظاهرة عظماء القوة (قمقم الله عصبة) من « قم » اقامة رسم المعارضة (وعلى هذا دار القمقم) (١) ، ونادى الزمان على حظه النائم بصوت :

يا أيهــا النــائم المفتــرش | لست على شيىء فقم وانكمش
لست كقوم أصلحوا أمرهم | فأصلحوا مثل المعى والكرش

بعد الدخول الى « سرخه » (٢) بـ « سمنان » ، وعندما سحب رائض الفضاء خيل الشمس من خضرة فلك العنان ، أخذ جيش « سرخه » (٣) صلابة رأسه ، فسارع البعض لدى (شاهرخ شاه) والبعض لأوطانهم (ذهبوا شغر بغر) ، وانعطف (ابراهيم خان) من هجوم المصائب برأيه الأعوج ناحية « قم » ، وظهر حراس المدينة من أجل الصد والمنع ، ورأى من عين الغبن مدلول الكلام حسن الختام لـ (ميرزا قوام الدين محمد القزوينى) ٠

---

(١) أى الى هذا صار الخبر ٠

(٢) اسم قرية من قرى سمنان ٠

(٣) اسم ابن أفرسياب وقد قتل ٠

يا وارد هذا البلد الطيب قم فيه بوظائف العبودية قم
قم من أدب الحضرة المعصومة بالجفن فناء ذلك المشهد قم

أمر الجماعة التي كانت معه بالظلم والهجوم ، وأظهر كمال الوقاحة في القتل والأسر والتخريب والسحق وتدنيس ذلك الطاهر ، ولم يبق بلا رياء حصير على مجلس وثياب للفقير ، جعل تراب « قم » قمامة السلب ، وذهب من هناك بصحبة اولئك المنافقين الى « كاشان » ، والقى في «لنكرود» خطاف الدخول ، كانت تلك الجماعة التي بفحوى « ان تمسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها » في حالة الرخاء أصدقاء أحماء وفي الشدائد ثعابين لئام « لتجدن أشد الناس عداوة » ، وأظهروا هناك بمصداق (في تصاريف الأحوال تعرف جواهر الرجال) جوهر الذات المنزهة عن الانقياد ، مثل (عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق) تبدل مع (ابراهيم شاه) المعاهدة بالمعاندة ، والموافقة بالمنافقة ، والمجالسة بالمخالسة ، والمهالسة بالمدالسة ، جعلوه برهة عارى ، وأخذوا الخيل الأصيل من الفخذ والتاج من رأسه (الوآم مع اللآم يورث اللوام) ، وخربوا « كاشان » و « لنكرود » ، وأثاروا وأهالوا تراب الجفاء ونار العداوة على رأس وروح السكان ، ولم يبقوا نافخ ناره ومالك متاعه بل (على رجل من القريتين) .

هرب (ابراهيم شاه) من تلك الناحية بلا متاع أو ثياب ، وعودة وثوب الاختيار ومع نديم ندامة (أخبط من عشواء) و (أخيب من القابض على الماء) و (أخجل من مقمور) ، وذ. المقهور ناحية « خراقان » ، وتحصن بقلعة « كلابور » ، فقيده أهل القلعة ، وأرسلوه الى (شاهرخ شاه) ـ شاه وجه عداه ـ وواصل السير في طريق حياته ، تبع الفرس الأصيل عمره ، ووصل نعشه الى الأراضي المقدسة (عسى الغوير أبؤسا) ، وتحرك المأمورون من « قم » بمتاعه وأثاثه بموجب الأمر الملكي ، وأحضروه للأراضي المقدسة مع (على شاه) ، تذوق (على شاه) أيضا بقصاص دم الأمراء عسل القصاص من حد السيف القاسي ، ورأى بالعين العمياء الرأس تحت القدم أسرع الأخ بلا روح ، وكان نهاية الطبع الشرس أن وضعت رأسه في الركن (كل شاه برجلها تناط) .

خاتمة درة نادرة

بعد قضية (نادر شاه) وأولاده الأبرياء ، لم يمض عام حتى علق القضاء الأذن كل واحد من مثيري الفتنة بتأنيب التأديب حلق « ذوقوا فتنكم هذا الذى كنتم به تستعجلون » ، وجعل جميع أهل الخلاف بلا خلاف مظهرين فحوى « لا يلبثون خلافك الا قليلا » ، أرسل لمطمورة المصائب ومغمورة المهالك ، واختفت شمس دولته وراء سحب الحوادث ، لم يضئ الشعاع البللورى على أهل العصر (مهما تعش تر) (هذا قول لا يشوبه تره) حيث أنه سيطعن فى هذا الادعاء أبناء العصر « وأكثرهم للحق كارهون » كانت « مستكبرون به سامرا تهجرون » بطعن (لا تهرف بما لا تعرف) أما اذا لم يروا بقلب صاف وعين الانصاف ، سيعتبر أن شقاوة أبناء هذا العصر تفوقت على (ابن زياد) ، ومن جفائهم صارت كل « ايران » مدينة الظلم ومملكة الجور « فستذكرون ما أقول لكم » .

ــ لو يوجد فى المنزل شخص واحد فكلمة واحدة فقط .

فقل للدهر أنت أصبت فالبس برغمك دمننا ثوب حداد
اذا قدمت خاتمة الزرايا فقد عرضت سوقك للكساد

الخاتمـــة

بعـد الانتهاء من « درة نادرة » دراسة وترجمة ، نستعرض أهم النتائج التى تم التوصل اليها من خلال ما سبق عرضه :

١ ـ ان اهمال المؤرخين الايرانيين لشأن (نادر شاه) على الرغم من الدور الوطنى الفعال الذى لعبـه للحفاظ على استقلال ايران وتوسيع حدودها راجع الى تحيزات عرقية ودينية أججتها دماؤه التركمانية وميوله للمذهب السنى ٠

٢ ـ أن « درة نادرة » لم تكن تأريخا لـ (نادر شاه) أو تسجيلا لأهـم الأحداث التى حدثت فى عصره باسلوب أدبى ، بل هى عبارة عن عمل أدبى نسجت خيوطه على خلفية من وقائع حقيقية ٠

٣ ـ ان المؤلف وان اقتفى نهج (وصاف الحضرة) فى كتابه (تاريـخ وصاف) الا أن منهجه اختلف من ربطه كل حدث من الأحداث بآية قرآنية بحيث تبدو وكأنها منزلة خصيصا لها ، ويعد (مهدى خان) بذلك رائدا من رواد منهج التفسير الدينى للتاريخ ٠

٤ ـ ان (مهدى خان) قد كتب عمله على مرحلتين ، الأولى فى حياة (نادر شاه) والثانية عقب مصرعه ، فهو فى القسم الأول يكيل الثناء على الشاه ، بينما ينقلب فى الجزء الذى يـلى مصرعـه من المديـح الى الهجاء ، أى بعد أن دالت دولة الشاه وآل الأمر الى أعدائه ٠

وفى النهاية أرجو أن أكون قد وفقت فى ما دأبت عليــه من بحث ودراسة وترجمة وأسأل العلى القدير أن يستفاد من هذا الكتاب بقـدر الجهد المبذول ٠

المراجـــع

١ ـ المراجـع العربيـة .

٢ ـ المراجع الفارسية .

٣ ـ مراجـع أخـرى .

المراجع العربية

١ ـ ابن خلكان ، وفيات الأعيان · القاهرة ١٩٤٨ م ·

٢ ـ ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات · القاهرة ١٩٥١ م ·

٣ ـ ابن عبد ربه الأندلسى ، العقد الفريد · القاهرة ١٩٢٨ م ·

٤ ـ ابن قتيبة ، عيون الأخبار · القاهرة ١٩٢٨ م ·

٥ ـ ابن قتيبة ، المعارف · القاهرة ١٩٦٠ م تحقيق د· ثروت عكاشة ·

٦ ـ ابن منظور ، لسان العرب · القاهرة ١٣٠٠ هـ ·

٧ ـ ابن النديم ، الفرست · طهران ١٣٥٠ هـ · ش ·

٨ ـ أبو اسحق الحصرى القيروانى ، زهر الآداب وثمر الألباب · القاهرة ١٩٢٥ م ·

٩ ـ أبو بكر محمد بن دريد الأزدى ، الأشتقاق · بغداد ١٩٧٩ م · تحقيق عبد السلام هارون ·

١٠ ـ أبو الريحان البيرونى ، الجماهر فى معرفة الجواهر · حيدر آباد ١٣٥٥ هـ ·

١١ ـ أبو الريحان البيرونى ، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم · لندن ١٩٣٤ م ·

١٢ ـ أبو الطيب المتنبى ، ديوان المتنبى · القاهرة ١٩٣٦ م · شرح أبو البقاء العكبرى ·

١٣ ـ أبو عبد الله البخارى الكرمانى ، صحيح البخارى · القاهرة ١٩٣٣ م ·

١٤ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ · الحيوان · القاهرة ١٩٣٨ م ·

١٥ ـ أبو فراس الحمدانى ، ديوان أبو فراس · بيروت ١٩٥٩ م ·

١٦ ـ أبو منصور عبد الملك الثعالبى، ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب· القاهرة ١٩٦٥ م ·

١٧ ـ أبو منصور عبد الملك الثعالبى ، المشترك وصفا والمفترق صقعا ٠ بـون ١٨٤٦ م ٠

١٨ ـ أبو منصور عبد الملك الثعالبى ، يتيمة الدهر ٠ القاهرة ١٩٣٤ م ٠

١٩ ـ أبو هلال العسكرى ، جمهرة الأمثال ٠ القاهرة ١٩٦٤ م ٠ تحقيق د٠ محمد أبراهيم أبو الفضل ، عبد المجيد قطامش ٠

٢٠ ـ أحد أخوة المدارس المسيحية ـ الفرير ، تاريخ الآداب العربية ٠ الاسكندرية ١٩١٤ م ٠

٢١ ـ د ٠ أحمد السعيد حمدى الخولى ، الدولـة الصفويـة : تـاريخها السياسى والاجتماعى ، وعلاقتها بالعثمانيين ٠ القاهرة ١٩٨١ م ٠

٢٢ ـ أحمد أمين الشنقيطى ، المعلقات العشر وأخبار شعرائها ٠ القاهرة ١٩٤٥ هـ ٠

٢٣ ـ أحمد سعيد البغدادى ، أمثال المتنبى ٠ القاهرة ١٩٣٢ م ٠

٢٤ ـ د ٠ أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ٠ بغداد ١٩٨٦ م ٠

٢٥ ـ د ٠ اسعاد عبد الهادى قنديل ، فنون الشعر الفارسى ٠ القاهـرة ١٩٧٤ م ٠

٢٦ ـ الباخرزى ، دميـة القصر فى جريـدة العصر ٠ حلب ١٩٣٠ م ٠ تحقيق د٠ محقق ٠

٢٧ ـ بطرس البستانى ، دائرة المعارف ٠ بيروت ١٩٠٠ م ٠

٢٨ ـ بطرس البستانى ، محيط المحيط ٠ بيروت ١٩٨٣ م ٠

٢٩ ـ التحف البهية والطرف الشهية ٠ قسطنطينية ١٣٠٢ هـ ٠

٣٠ ـ جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٠ القاهرة ١٩٥٧ م ٠

٣١ ـ الحريرى ، مقامات الحريرى ٠ القاهرة ١٢٩٩ هـ ٠

٣٢ ـ حسن عثمان ، منهج البحث التريخى ٠ القاهرة ١٩٨٤ م ٠

٣٣ ـ حسن محمد جوهر ، أفغانستان ٠ القاهرة ١٩٦١ م ٠

٣٤ ـ د ٠ حسين محمد سليمان ، المدخل الى علم التاريـخ ٠ المملكة السعودية ١٩٨٤ م ٠

٣٥ ـ خير الدين الزركلى ،الأعلام ٠ القاهرة ١٩٥٥ م ٠

٣٦ ـ داود الأنطاكى ، تذكرة أولى الألباب • القاهرة ١٩٥٧ م •
٣٧ ـ رشيد الدين الوطواط ، حدائق السحر فى دقائق الشعر • القاهرة ١٩٤٥ م •
٣٨ ـ سعيد الخورى ، أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد • بيروت ١٨٨٩ م •
٣٩ ـ سيد أحمد الهاشمى ، جواهر الأدب فى أدبيات وأنشاء لغة العرب • القاهرة ١٣٥٦ هـ •
٤٠ ـ الشريف على بن محمد الجرجانى ، التعريفات • القاهرة ١٣٢١ هـ •
٤١ ـ عبد الله ، البستانى ، الوافى • بيروت ١٩٨٠ م •
٤٢ ـ د • عبد الحليم عويس ، تفسير التاريخ : علم اسلامى • القاهرة ١٩٨٧ م •
٤٣ ـ عبد القادر البغدادى ، خزانة الأدب • القاهرة ١٢٩٩ هـ •
٤٤ ـ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين • القاهرة ١٩٥٧ م •
٤٥ ـ عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى • بيروت ١٩٧٨ م •
٤٦ ـ الفردوسى الطوسى ، الشاهنامة • القاهرة ١٩٦٥ م • ترجمة أبو الفتح البندارى •
٤٧ ـ فردينان توتل ، المنجد فى الأداب والعلوم • بيروت ١٩٥٦ م •
٤٨ ـ د • كمال مظهر أحمد ، دراسات فى تاريخ ايران الحديث والمعاصر • بغداد ١٩٨٥ م •
٤٩ ـ لويس شيخون اليسوعى ، مجانى الأدب فى حدائق العرب • بيروت ١٨٨٢ م •
٥٠ ـ لويس معلوف ، فرائد الأدب • بيروت ١٩٦٩ م •
٥١ ـ لويس معلوف ، المنجد فى الأعلام • بيروت ١٩٦٥ م •
٥٢ ـ لويس معلوف ، المنجد فى اللغة بيروت ١٩٥٦ م •
٥٣ ـ مجدى وهبة ، معجم مصطلحات للغة والأدب • بيروت ١٩٧٩ م •
٥٤ ـ محمد بن على التهانوى ، كشاف اصطلاحات الفنون بيروت ١٩٦٦ م •
٥٥ ـ محمد على الميدانى ، مجمع الأمثال • القاهرة ١٩٥٩ م •

٥٦ ـ محمد محسن الشهير بأغا بزرك ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ٠ القاهرة ١٩٥٩ م ٠

٥٧ ـ معجم أعلام الفكر الانسانى ٠ القاهرة ١٩٨٤ م ٠

٥٨ ـ مصطفى بن عبد الله حاجى خليفة ، كشف الظنون على أسامى الكتب والفنون استانبول ١٣٦٠ هـ ٠

٥٩ ـ الموسوعة العربية الميسرة ٠ القاهرة ١٩٦٥ م ٠ اشراف محمد شفيق غربال ٠

٦٠ ـ وديع جبر ، معجم النباتات الطبية ٠ بيروت ١٩٨٧ م ٠

٦١ ـ ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ٠ القاهرة ١٩٢٢ م ٠

٦٢ ـ ياقوت الحموى ، معجم البلدان ٠ القاهرة ١٩٠٦ م ٠

٦٣ ـ يوسف اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ٠ القاهرة ١٩٢٩ م ٠

المراجــع الفارســية

١ ـ ابن سينا ، رسلة النفس ٠ طهران ١٣٣١ هـ ٠ ش ٠

٢ ـ حافظ آبرو ، جغرافياى حافظ آبرو ٠ طهران ١٣٤٩ هـ ٠ ش ٠

٣ ـ حافظ شيرازى ، ديوان حافظ شيرازى ٠ استانبول ١٢٥٧ هـ ٠

٤ ـ حبيب الله آموزكار ، فرهنك آموزكار ٠ طهران ١٣٣٣ هـ ٠ ش ٠

٥ ـ حسن بيرنيا ، ايران باستان ٠ طهران ١٣١١ هـ ٠ ش ٠

٦ ـ ذبيح الله صفا ، تاريخ أدبيات ايران ٠ طهران ١٣٤٨ هـ ٠ ش ٠

٧ ـ رضا زاده شفق ، نادر شاه در نظر خاورشناسان ٠ طهران ١٣٣٣ هـ ٠ ش ٠

٨ ـ زهراى خانلرى ، فرهنك ادبيات فارسى طهران ١٣٤٨ هـ ٠ ش ٠

٩ ـ سعدى شيرازى ، كليات سعدى ٠ مخطوط محفوظ بدار الكتب ٠

١٠ ـ سيد على حسن ، صبح كلشن ٠ بهوبال ١٨٧٨ م ٠

١١ ـ صنعتى زاده كرمانى ، نادر فاتح دهلى ٠ طهران ١٣٤٠ هـ ٠ ش ٠

١٢ ـ عبد الحميد مولوى ، آثار باستانى خراسان ٠ طهران ١٣٥٣ هـ ٠ ش ٠

١٣ ـ على قلى خان ، تاريخ افغانستان ٠ طهران ١٢٧٣ هـ ٠

١٤ ـ عمر الرادويانى ، ترجمان البلاغة ٠ استانبول ١٩٤٩ م ٠

١٥ ـ لطف على آذر ، آتشكده آذر ٠ كلكتا ١٢٤٩ هـ ٠

١٦ ـ لورانس لوكهارت ، انقراض صفويه ٠ طهران ١٣٤٣ هـ ٠ ش ٠ ترجمة مصطفى قلى عماد ٠

١٧ ـ مجلة توشه سنة ١٣٣٧ هـ ٠ ش ٠

١٨ ـ محمد باد شاه ، فرهنك آنندراج ٠ لكهنو ١٨٨٩ م ٠

١٩ ـ محمد تقى بهار ، سبك شناسى طهران ١٩٥١ ٠

٢٠ ـ محمد حسين بن خلف التبريزى ، برهان قاطع ٠

٢٢ ـ محمد خاوند شاه ، روضة الصفا . بمبای ١٢٧١هـ .

٢٣ ـ محمد علی حزین ، تذكرة الأحوال . لندن ١٨٣١ م .

٢٤ ـ محمد علی التبریزی ، ریحانة الآدب فی تراجم المعروفین بالكنية واللقب . طهران ١٣٣٥ هـ . ش .

٢٥ ـ محمد غیاث الدین ، غیاث اللغات .

٢٦ ـ محمد كاظم ، عالم آرای نادای . موسكو ١٩٦٠ .

٢٧ ـ محمد كزيم ، برهان . تبريز ١٣٦٠ هـ .

٢٨ ـ محمد معين ، تعلقات جهار مقالة . طهران ١٣٤٧ هـ . ش .

٢٩ ـ مرزبان بن رستم ، مرزبن نامه . طهران ١٣١٧ هـ . ش .

٣٠ ـ ميرزا مهدى خان ، جهانكشاى نادرى . طهران ١٣٤١ هـ . ش . تحقيق سيد عبد الله أنوار .

٣١ ـ ميرزا مهدى خان ، درة نادرة . طهران ١٣٤١ هـ. ش. سيد جعفر شبهدى .

٣٢ ـ ميرزا مهدى خان ، مبانى لغت . كلكتا ١٩٣٦ م .

٣٣ ـ نصر الله فلسفى ، زندكانى شاه عباس أول . طهران ١٣٣٤هـ . ش .

٣٤ ـ نور الدين النسوى ، نفثة المصدور .

٣٥ ـ وصاف الحضرة ، تاريخ وصاف . اصفهان ١٢٦٩ هـ .

مراجــــع أخــــرى

١ ـ شمس الدين سامى ، قاموس الأعلام · استانبول ١٣١٤ هـ ·

٢ ـ شمس الدين سامى ، قاموس تركى · استانبول ١٣١٧ هـ ·

(٣) Bazin, Perc Louis S. J. Momoires sur les dernieres annéés du regnc d'Thomassp Kouolī Kan. Paris 1780.

(٤) Frasr,(James. The history of Nadir Shah. London, 1742.

(٥) Hanway, Jonas. An historical account of British trade over Caspian sea.

(٦) Lockhart, L. Nadir Shah. London, 1938.

(٧) Malcolm, Sir John. The history of Persia ..., London, 1815.

(٨) Sykes, Percy. The history of Persia. London 1951.



الفهـــــرس

الموضـوع	الصفحة
القسم الثانى :	

الموضـــوع	الصفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٤/٤٨٣٩

ISBN — 977 — 01 — 3808 — 8